

شَرْحُ الْمُشْتَكَاةِ
مِنْ
شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ

تأليف

عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِهِ
المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

تحقيق

لأستاذ مصطفى السقا الدكتور حامد عبد المجيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب



شَرْحُ الْمُشْكَلِ
مِنْ
شِعْرِ الْمُتَنَبِّي

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يسرنا

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بالاشتراك مع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة
١٩٧٦

شرح المشكك
من
شعر المتنبي

تأليف

علي بن اسماعيل بن سيده
الترغفة سنة ٤٥٨ هـ

تحقيق

الأستاذ مصطفى السقا الدكتور حامد عبد المجيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٦

مقدمة

ظهر المتنبي فعلاً اسمه الآفاق العربية وشغل الناس . شغلهم في البيئات العلمية والأدبية القريبة منه ، وشغلهم في البيئات البعيدة عنه . وكانت الأندلس - وهي أبعد البيئات الإسلامية عن الشرق العربي - من أهم البيئات اهتماماً بشعر المتنبي ، ومشاركة في شرح ديوانه .

وكان أبو الطيب المتنبي أعظم معنى متفلسفاً ، وأكثر تركيها مستبها . وفيما أبهم واستشكل من شعره ، تجاذب الناس القول ، ودارت حول المتنبي حركة أدبية واسعة في بغداد وما حولها ، كان الأدباء فيها بين اثنين ، مدافع عنه ومتحامل عليه .

واتسع نطاق هذه الحركة الأدبية ، وتجاوز تخوم البيئة الشرقية الى الأندلس وكانت الأندلس في القرن الخامس الهجري خاصة ، قد استكملت شخصيتها العلمية والأدبية ، وبلغت من العلو الثقافي ما جعلها تنافس بغداد ، وتحاول جاهدة أن تتربع منها الصدارة .

فإذا شغل علماء المشرق العربي وأدباؤه المتنبي ، فالأندلس جديرة أن تشغل به ، وتشارك في فهم شعره .

كان أظهر من شرح شعر المتنبي من أدباء الأندلس : أبو القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا النحوي المعروف بابن الإفليل ، المتوفى سنة ٤٤١ هـ . وكان أبو القاسم هذا من المعاصرين لابن سيده . وقد تصدر لإقراء علم الأدب بالأندلس ، وكان ممن روى عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي كتاب النوادر لأبي علي القالي .

وكان مع علمه بالنحو والفلسفة ، يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد . وقد ألف كتابا شرح فيه معاني شعر المتنبي .

وفي ختام القرن الخامس الهجري ، تولى ابن السيد البطليوسي ، إمام أهل الأندلس في عصره ، شرح ديوان المتنبي ، إلى جانب شرحه سقط الزند لأبي العلاء المعري .

وقد ورد إلينا شرحه سقط الزند وقامت على تحقيقه ونشره لجنة لإحياء آثار أبي العلاء (١) . أما شرحه لديوان المتنبي فقالوا عنه إنه لم يخرج من المغرب . (ابن خلكان) .

وبين هذين العالمين الجليلين ، كان ابن سيده اللغوي وقد قصر همه على شرح المشكل من أبيات المتنبي ، وألف فيه كتابا له أثره ووزنه الأدبي وهو الذي حققناه ونقلناه اليوم إلى القراء .

وابن سيده من أظهر علماء الأندلس وأئمة اللغة العربية . لم يكن في زمانه كما قالوا : « أعلم منه بالنحو والأغصنة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها » .

وقد اشتهر بين معاصريه ومن جاء بعدهم من اللغويين والأدباء والمؤرخين بكنيته « ابن سيده » وكان هذه الشهرة ، قد أنست الناس اسم أبيه فوق اختلاف بينهم حين أرادوا تدوينه .

فالجميري في جلوة المقتبس يذكره بقوله : « علي بن أحمد . أبو الحسين المعروف بابن سيده » (ترجمة ٧٠٩ ص ٢٩٣) .

وابن بشكوال في الصلة يقول : « علي بن إسماعيل ، يعرف بابن سيده من أهل مرسية يكنى أبا الحسن . . » .

وفي كتاب صاعد الجبائي : علي بن محمد ، في نسخة . وفي نسخة ، علي بن إسماعيل .

(١) أعضاء هذه اللجنة : الأستاذة : عبد الرحيم محمود . مصطفى السقا . عبد السلام هارون . إبراهيم الأبياري . حلمد عبد المجيد .

وهذا الخلاف الذى نراه فى كتب الأندلسيين حول اسم أبيه ، يردد كذلك فى روايات المشاركة نقلا عن الحميرى وابن بشكوال ، كما هو واضح فى معجم الأدياء لياقوت ، ونكت الهميان للصفدى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وطبقات النحاة لابن قاضى شبة ، ولسان الميزان لابن حجر حيث يذكر ابن سيده فى الجزء الرابع منه (ص ٢٠٢) مجرد ذكر باسم (على بن أحمد . يأتى فى على بن إسماعيل) . ثم يترجم له فى ص ٢٠٥ باسم على بن إسماعيل .



ويبدو أن هذا التشابه بين كنية ابن سيده وبين ابن سيد (بتشديد الياء وكسرها) وهو جد أحمد بن سيد ، أبو التمام اللغوى — وكان صاحب الشرطة بقرطبة ممن روى عن القالى — قد أحدث شيئا من اللبس أو السهو عند الحميرى ، فذكر ابن سيده على أنه على بن أحمد لا على بن إسماعيل . وكذلك دفع هذا اللبس أو التشابه بين الاسم والكنية ، إلى أن ينسب إلى ابن سيده ، كتب ابن سيد خطأ .

فكتاب العالم فى اللغة ، وكتاب العالم والمتعلم ، وشرح كتاب الأخفش . هذه الكتب الثلاثة من تأليف أحمد بن أبان بن سيد وتنسب خطأ إلى أبي الحسن بن سيده . على أن بعض المؤلفين قد أشار إلى هذا ونبه عليه .

فابن قاضى شبة فى أثناء ذكره مصنفات ابن سيده فى كتاب طبقات النحاة وإشارته إلى كتاب العالم يقول : « وكذلك كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب وليس هما من تصنيفه ، وإنما هما من تأليف أحمد بن سيد (بتشديد الياء) » ثم يقول فى (ج ١ ص ١٥٥) فى ترجمة ابن سيد ما نصه : (أحمد بن أبان بن سيد ، مؤلف كتاب العالم فى اللغة فى نحو مائة مجلد بدأ فيه بالفلك وختم بالمررة ، وخطط من نسب هذا الكتاب إلى ابن سيده صاحب المحكم وإنما هو من تأليف ابن سيد هذا . وقد أخذ هذا الرجل عن القالى وغيره) .



ومها يكن من الأمر فإذا كان الباحثون يجمعون على اسمه وكنيته « على ابن سيده » ثم يختلفون في اسم أبيه ، فعندنا أن والد ابن سيده هو إسماعيل كما ذكر ابن بشكوال ، لا أحمد كما أورده الحميري ، وتورد في تحقيقنا الملك أدلة ثلاثة :

أولها :

أن جميع كتبه التي وصلت إلينا : المحكم والمختص ومشكل شعر المتنبي ؛ تحمل اسم مؤلفها على بن إسماعيل بن سيده ولا يرد في واحد منها ذكر لعل بن أحمد ، كما أن مقدمات هذه الكتب تذكر اسم مؤلفها على ابن إسماعيل .

ففي مقدمة المختص . « قال أبو الحسن على النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده »

وفي المشكل من شعر المتنبي (نسخة تونس) « قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده » .

وفي نسخة القاهرة من هذا الكتاب (شرح مشكل أبيات المتنبي وضع أبي الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده) .

ثانيها :

ما جاء في خطبة لسان العرب ، إذ يقول ابن منظور : « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن على بن إسماعيل بن سيده الأندلسى رحمهما الله وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ؛ وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق » .

وبعيد جدا ألا يتحقق ابن منظور أو يخفى عليه اسم والد ابن سيده صاحب أكبر موسوعة اعتمد عليها في لسان العرب .

ثالثها :

ما نراه في كشف الظنون من نسبة كتبه إلى على بن إسماعيل لا على ابن أحمد . فعند ما يذكر كتاب الحماسة لأبي تمام (في الجزء الأول ص

٦٩١) يقول حاجي خليفة : « فمن شرحه . . . أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وهو شرح كبير في ستة مجلدات وسماه الأتقي » .

وعندما يعرض لديوان المتنبي وشرحه يقول : « وشرح مشكل أبيات المتنبي لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده » .
وعند كلامه عن المحكم يقول : « المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل » .

وعندما يورد كتابه الوافي يقول : كتاب الوافي في علم القوافي لأبي الحسن علي ابن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوي (كشف الظنون ٢ : ٩٩٧) .
وعندما يصل إلى المخصص يقول : والمخصص في اللغة لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل اللغوي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، ألفه قبل المحكم » .

نشأة ابن سيده :

نشأ ابن سيده بمرسية ، وهي مدينة كبيرة في شرق الأندلس ، كانت تتوج بكثرة من العلماء والفقهاء والأدباء . ونبيغ فيها عدد كبير من أهل العلم والأدب ، يرق بهذه المدينة إلى الدرجة العليا من الرق الفكري والمكانة العلمية .

في هذه المدينة ولد ابن سيده وفيها نشأ ، وأكبر الظن أنه قضى عهد صباه وشطرا من شبابه بين الدرس والتحصيل على علمائها ممن نشأوا فيها أو من الواقفين إليها .

فالرواة يذكرون أن ابن سيده تلقى العلم على أبيه إسماعيل بن سيده ، وكان طبعيا أن يسمع الفتى الناشئ من أبيه ويأخذ عنه ، وكان أبوه فيما يعلم اللغة ومن النحاة الأجلاء ، وقد روى عن أستاذه الزيلعي مختصر كتاب العين : وتوفى بمرسية بعد الأربعمائة بملة ، كما ذكر ابن بشكوال .

ويذكر الرواة أيضا أن ابن سيده قد أخذ عن صاعد البخلاذي الوافد على الأندلس زمن المنصور بن عامر ، وقد أخذ صاعد عن السيرافي وأبي

على الفارسي وغيرهما . وكان من العارفين باللغة وفنون الأدب والأخبار
 اتصل ضاعد بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأدناه منه ، وألف له صاعد
 كتاب التصوص ، على نحو كتاب النواحر لأبي على القالي وتوفى بصقلية
 سنة ٤١٧ هـ .

وكنك يزوون أن ابن سيده أخذ عن أبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي
 وكان إماما في القراءات ، ثقة في الرواية مفسرا محققا ، ودرس بقرطبة ثم
 بالمرية فمرسية فسرقسطة ، وكان مشهورا بالورع والشد على البدع .

وهم يذكرون أن الطلمنكي حين دخل مرسية أراد أهلها أن يسمعو
 عنه الغريب المصنف لأبي عبيد ، فقال لهم : انظروا من يقرأ لكم وأمسك
 أنا كتابي ، فأتوه برجل أحمى يعرف بأبن سيده فقرأ عليه مداولة إلى آخر
 الكتاب من حفظه فعجب منه وتوفى الطلمنكي في سنة ٤٢٨ هـ . عن تسعة
 وثمانين عاما . وهو أستاذ ابن حزم وابن عبد البر .

وإذا كنا لم نهند إلى شيوخ له غير هؤلاء الثلاثة ، فمبلغ اليقين أن ابن
 سيده أخذ بمرسية عن بعض الأئمة من علمائها من أمثال : أبي الوليد بن ميقل
 محمد بن عبد الله البكري المرسى . وكان أبو الوليد هذا — كما ذكر ابن
 بشكوال — في الصلة (ت ١١٥٥ ص ٤٩٩ ج ٢) — من أحفظ الناص
 للمذهب مالك وأصحابه وأقوام احتجاجا له مع علمه بالحديث ، الصحيح منه
 والسقيم وأسماء رجال نقله ، والتعليل والتجريح ، والعلم باللغة والنحو
 والقراءات ومغاني الأشعار ، توفي بمرسية سنة ٤٣٦ هـ .

وكذلك من أبي غالب تمام بن غالب المعروف بأبن الثياني وهو من
 علماء مرسية وكان كما وصفوه « إماما في اللغة وثقة حجة » وله كتاب
 مشهور في اللغة . وله مع أبي الجيوش مجاهد العامري قصة تروى حول
 هذا الكتاب حين غلب مجاهد على مرسية ، وكان أبو غالب بها فبعث إليه
 ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمته : « بما ألفه تمام بن غالب
 إلى أبي الجيوش مجاهد » فرد الثناير ، وأبى أن يصرف فخر تأليفه لمجاهد .
 وتوفى أبو غالب بمرسية في سنة ٤٣٦ هـ وهي السنة التي توفي فيها مجاهد .

ثقافته :

درس ابن سيده ما كان شائعاً في عصره ، من علوم اللغة والدين ، ونهل من مناهل العربية الأصافية حتى وصفوه بأنه « كان حافظاً لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب » ، وقال هو عن نفسه : « إني أجد علم اللغة أقل بضائحي وأيسر صنائحي » ، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو وحوشى العروض ونقى القافية وتصوير الأشكال المنطقية ، والنظر في سائر العلوم الخلدية » .

وبكذلك توفر على علوم الحكمة والمنطق خاصة ، حتى وصفه صاعد بأنه من حذاق المنطق .

وقال فيه ابن قاضي شيهة في كتابه طبقات النحاة : « ومن وقف على خطبة [كتاب الحكم علم أنه من أرباب العلوم العقلية : وكتب خطبة كتاب في اللغة ، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا » .

ويبين من الحكم ومشكل شعر المتنبى أن ابن سيده كان على جانب كبير من العلم بالقراءات : ويرجع هذا فيما نمتد إلى ما أفاده من أستاذه أبي عمرو الطلمنكي خاصة ، وما أفاده بدانية أثناء إقامته بها في بلاط مجاهد العامري وقد اشتهرت دانية زمن مجاهد بما فيها من العلماء وأئمة القراءات .

عصره :

ولد ابن سيده في سنة ٥٣٩٨ هـ فاستقبل حياته في غنم القرن الرابع ، وهي فترة خطيرة اضطربت فيها أحوال الأندلس عقب وفاة المنصور بن أبي عامر واشتعلت نار الفتن بين المتنازعين على السلطان والطامعين في الملك . وقد استمرت الفلاقل حيناً طويلاً تشد المتنازعين إليها وتلفهم بنار الفتنة وخر الموجدلة ، كما ظل الصراع شليدا يستمر أواره ويبلغ غايته ، حتى يطيح بالبلولة الأموية ويحول آخر خلفائهم في سنة ٤٢٨ هـ .

ثم تفرق الأندلس إلى عهد عرف بعهد ملوك الطوائف : وهو عصر - على الرغم مما صاحبه من نهضة علمية وأدبية ، وما امتاز به

من ازدهار الثقافة وألوان المعرفة - كان أضعف العصور الأندلسية وأوهنها ، حيث تقسمت الأندلس أقساما كثيرة . فكان لكل مدينة أو إمارة صاحبها متخذاً لقب الأمير أو الملك ، واشتعلت نار الفتن بينهم جميعاً ، فأغلقوا يتحاربون ويتطاحنون . وبلدت المداخن الأندلسية مخربة مختصة ، متغيرة متنافرة . فكان كل أمير إذا أحس بالقوة أو أنس في نفسه البأس صرف تلك القوة ووجه هذا البأس في سبيل تحقيق مجده الشخصي ، فلا يلبث أن ينقض على جاره فيدركه له الخطر منه ، فيتحالف مع جار أقوى ، أو يستصر بغيرانه من الأسبان ، ومضوا على ذلك طوال أيامهم ، حتى وهنت قوتهم ولانت قناتهم فأغار عليهم علومهم من المسيحيين فاضطروا إلى الاستجداد بالمرايطين .

عاش ابن سيده في هذا العصر ، عصر الفتنة التي أطاحت بالدولة الأموية ثلاثين عاماً كاملاً . وعاش في عصر الطوائف إلى أن توفي في سنة ٤٥٨ هـ ثلاثين عاماً كذلك . وشاهد توزع السلطان في أيدي هؤلاء الأمراء ، وأبصر ما كان من اصطناعهم لمظاهر العظمة والأبهة وتنافسهم في تقريب العلماء والأدباء . إذ كان أعظم مباہاتهم « قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني . والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني » .

فأخذ العلماء والأدباء يتوافدون على قصور هؤلاء الأمراء . وكان ابن سيده أحد العلماء الوافدين على دانية في زمن مجاهد العامري .

اتصل ابن سيده بمجاهد ، وكان مجاهد من أصحاب المهمة وذوى الجرأة ، فحين عصفت الفتنة بدولة ابن أبي عامر ، قصد مجاهد إلى الجزائر التي يشرق الأندلس مع من تبعه فغلب عليها وحماها ، ثم غلب على دانية واتخذها قصبة إمارته .

وكان مجاهد كما وصفوا من أشد الناس شغفاً بالعلم وحبا للعلماء . فكانت دولته - كما ذكر صاحب البيان - أكثر الدول خاصة ، وأسرها صحابة (البيان ص ١٥٦) .

ومن أجل ذلك قصده العلماء والفقهاء من كل صقع وجنس : وألفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم ، فأجزل على ذلك صلاتهم بألاف الدنانير ، ومضى على هذا طوال عمره .

وكان ابن سيده منقطعا إلى أمير دانية ، كما يقول الفتح بن خاقان ، في مطمح الأنفس ، وإلى هذا الأمير ألف أجل كتبه : المختصر ، والمحكم :

حظه من المعارف :

وصفه أبو نصر الحميلي في جنلوة المتنبس بقوله : « إمام في اللغة وفي العربية حافظ لها ، على أنه كان ضريزا . وقد جمع في ذلك جموعا . وله مع ذلك في الشعر حظ وتصرف » .

ويقول السيوطي في بنية الوعاة : « كان حافظا لم يكن في زمانه أحلم منه بالتحري واللغة والأشعار ، وأيام العرب وما يتعلق بها ، متوافرا على علوم الحكمة » .

ويقول عنه ابن قاضي شعبة في طبقات النحاة : « وكان ابن سيده ثقة خيرا يثقله من اللغة وغيرها ، قوله حجة ، ولكنه عثر في المحكم عشرات . وكان متوافرا على علوم العربية متوافرا على علوم الحكمة . وألف فيها تواليف كثيرة . ومن وقف على خطبة كتاب المحكم ، علم أنه من أرباب العلوم العقلية . وكتب خطبة كتاب في اللغة ، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا » .

ويقول ابن حجر في لسان الميزان (ج ٤ ص ٢٠٥) : « كان من أهل عصره بالغة حافظا لها جمع فيها عدة تصانيف نافعة » .

وبعد أن أشار ابن حجر إلى ما أخذ المهيلى عليه في نقض الصحيفة ورمى الجمار ، عقب على ذلك بقوله : قلت : والغالط في هذا يعدل لكونه لم يكن قديما ولم ينج . ولا يلزم من ذلك أن يكون غلط في اللغة التي هي منه التي تحقق به ... »

كان ابن سيده إماما حافظا ، صافى الذهن ، جيد الملكة ، غزير المادة ، واسع الاطلاع ، وافر الحصول ، جامعا لأشتات الفرائد .
وقد خلف للعربية من بدائع التأليف وروائع التصنيف حدة كتب نافعة ، وصل إلينا بعضها ، وفقد بعضها ، أو هو لا يزال في أحراز بعيدة ، لم تصل إليها الأيدي ، فلم يعرف عنه غير عنوانه ، أو إشارات يسيرة إلى حجمه وموضوعه .

والرواة يذكرون أن له كتابا في شرح الحماسة لأبي تمام مسماه «الأنيق» في ستة مجلدات . كما أن له كتابا في شرح إصلاح المنطق لابن السكيت ، وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون باسم «العويص» .
وله كتاب شاذ اللغة في خمسة مجلدات ، كما يروون أن له تأليفا مبسوطا في المنطق ، ولم يذكر عنوانه ولم يعثر عليه بعد .
على أن ابن سيده قد ذكر في مقلمة المحكم ثلاثة كتب من تأليفه ، وربما كانت أربعة ، وهي :

كتاب « الوافي في علم القوافي » (١) وسماه في موضع آخر « الوافي في أحكام القوافي » (٢) .

ومن حديثه عنه ، أنه عالج فيه دقائق النجوم والصرف ، كما عرض فيه لبطل باب جيوب الشعر ، وطرائف قوافيه في كتاب الغريب المصنف لأبي حبيد القاسم بن سلام .

وكذلك كتاب نقد فيه الأمور الصرفية والمسائل النحوية من كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت . وقد يكون ذلك الكتاب ، هو الذي عرف باسم العويص . فيكون الكتاب شرحا وتقليدا .

وكتاب آخر في التلخيص والتأنيث . قال عنه : « وأما ما أتركه من

(١) المحكم ص ٢٠

(٢) المحكم ص ١٠

الأشعار بالتذكير والتأنيث ، فلنأخذ ذلك لأنى قد أفردت له كتابا لم يوضع
في معناه ما يوازيه فضلا عما يساويه . وكذلك المملود والمقصود .
وقد يكون في هذه العبارة الأخيرة ، ما يشعر بأن له تأليفا في
المملود والمقصود .

أما ما وصل إلينا من مؤلفات ابن سيده ، فكتب ثلاثة : المخصص ،
والمحكم ، والمشكل من شعر المتنبي .

والمحكم ، أحد الأصول اللغوية الستة التي اعتمد عليها ابن منظور في لسان
العرب . أما الأصول الأخرى فالتنبيه للأزهرى ، والمصباح للجوهري
والحواشي عليه لابن برى ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، وجمهرة
ابن دريد . ويكاد يكون الأساس الأول في اللسان ، هو ما نقله ابن منظور عن
ابن سيده في المحكم .

وقد طبع المخصص في سنة ١٣١٦ هـ في سبعة عشر جزءا ، كما تم تحقيق
المحكم وبدأت الجامعة العربية في نشره (١) .

أما المشكل من شعر المتنبي فهو الكتاب الذي قمنا بتحقيقه وتقديمه الآن
بين أيدي الباحثين .

والسؤال الذي يعرض لنا الآن هو : أى هذه الكتب الثلاثة كان
المؤلف أسبق إلى تأليفه ؟ وما هو الترتيب بينها جميعا ؟

وجوابنا على ذلك أن المخصص كان أسبق الكتب الثلاثة تصنيفا . فقد
الفه ابن سيده قبل المحكم ، وقد أشار حاجي خليفة في كشف الظنون إلى
ذلك . على أن المحكم حافظ بنصوص كثيرة يشير إليها ابن سيده إلى ما سبق
أن شرحه في المخصص .

(١) نأخذ عطفًا هذا الكتاب في تحقيق بعض أجزاء المحكم .

في الجزء الأول من المحكم ص ١١٥ مادة (جلع) يقول ابن سيده .
« وجلع الغلام جدعا فهو جلع : ساء غلظه . قال أوس :

و ذات همم عار نواشرها قصمت بالماء توليا جدعا
وقد ذكرت تصحيف بعض العلماء لهذه الكلمة في هذا البيت في
الكتاب المخصص .

وفي الجزء الأخير من المحكم في (باب النون والباء والواو) يقول ابن سيده :
« نيا بصره عنه نبوا . وابناء فارس قوم من أولادهم ، ارتهنوا باليمن .
وللأب والبت أشياء كثيرة تضاف إليها قد جمعتها وتقصيتها في الكتاب
المخصص » .

وفي موضع آخر من هذا الجزء يقول : « الأم القصيد . وقالوا :
ما أنت وأم الباطل . أى ما أنت والباطل . وللأم أشياء كثيرة تضاف إليها
قد أبيتها في الكتاب المخصص » .

وفي (باب النون والباء والمهمزة) في هذا الجزء أيضا يقول : « النبأ
الخبر ، والجمع أنباء . وثبأ الرجل : ادعى النبوة .
وقد أنعمت شرح هذه الكلمة وأبنت اشتقاقها في الكتاب المخصص .

فهذه النصوص قاطعة بأن المخصص كان أسبق إلى تأليفه من المحكم
غير أننا نجد ابن سيده قد ذكر اسم المخصص في مقدمة المحكم كما
ذكر المحكم في مقدمة المخصص .

قال في مقدمة المخصص : « ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير
التجسس بأنى ما وضعت كتابي للموسم بالمحكم بنفسا ، لأدل الباحث على
مظنة الكلمة المطلوبة ، أردت أن أعدل به كتابا أضحه مبوبا ، حين رأيت
ذلك أجدى على القصيح المردء والبلغ المنوء » فدل ذلك على أنه ألف
المحكم قبل المخصص .

وقال في مقدمة المحكم : « . : . : فألفت كتابي الملخص الذى سميته

المخصص وهو على التوبيخ في نهاية التهليل . ثم أمرني بالتأليف على حروف
المعجم فصنفت كتابي الموسوم بالحكم ، فدل ذلك على أنه ألف المخصص
قبل الحكم :

فكيف نوفق بين ما جاء في هاتين المقدمتين من ذكر اسم الحكم في
مقدمة المخصص واسم المخصص في مقدمة الحكم ، وقد أوردنا من النصوص
ما يقطع بأن المخصص كان أسبق إلى التأليف من الحكم ؟ والجواب على ذلك
يسر .

فالمرغوب أن المقدمة توضع عقب الفراغ من التأليف . فإذا كان ابن
سيده قد استجاب لرغبة الأمير كما هو نص قوله السابق ، قبلنا في الحكم بعد
المخصص دون إبطاء ، فمعنى هذا أنه كتب مقدمة المخصص في الوقت الذي
شرع فيه في عمل الحكم . أو على الأقل في الوقت الذي انتهى فيه تصميم
فكرة الحكم وترتيبه ونظام مواده . وهذه العبارة التي ورد فيها ذكر الحكم
في مقدمة المخصص ، إنما قصد بها إلى التمييز بين طريقتيه في هذين المعجمين
الكبيرين ، بين المخصص الذي أنهى وأكمله ، وبين المحكم الذي شرع فيه .
وفي الوقت نفسه قد عبر بها عن أمنيته في إتمام معجم كبير كالحكم .

أما كتابه المشكل من أبيات المتنبي ، فكان تاليا في التأليف للمخصص
والحكم . وفي الكتاب نفسه إشارات تبين ذلك .

ففي شرح ابن سيده لبيت ذي الرمة :

رغيات الكلام مبتلات جواعل في القنا قضبا خللا

يقول : مبتلات بالكسر ، أي مقطعات للكلام يهرن المنطق نغمة
فخلف المفعول . ومن رواه مبتلات ، فقد كفاك . لأن المبتلة لفظ المفعول
وهي من النساء التي كل شيء منها حسن على حلة ، كأن الحسن بتل على كل
جزء منها أي قطع . وقد أثبت هذا في كتابي الموسوم بالمخصص في
اللغة .

وفى شرحه لقول المتنبي :

« وقيلت الإبل في الحبال »

يقول : « وقد أثبت الإبل واشتقاقه ووزنه وتكسيره وما فيه من اللغات في كتابي الموسوم بالمحكم » .

شرح ديوان المتنبي :

أول من شرح ديوان المتنبي ، أبو الفتح بن جنى ، وكان طبيعياً أن يعرضن عالم نحوى لغوى جليل كابن جنى لديوان شاعر كبير كالمتنبي ، ملأ الدنيا بشعره وشغل الناس .

فقد عرف ابن جنى أبا الطيب في بلاط سيف الدولة الحمداني بحلب ، وكان قصر هذا الأمير كغيره من قصور الأمراء في ذلك الحين ، ممتلئاً يؤمه أفذاذ العلماء ونوابغ الأدباء من شتى الأقطار والأمصار .

وعند سيف الدولة اجتمع أبو الفتح بأبي الطيب ، ونشأت بين العالم الجليل والشاعر الكبير صلة وصحية ، وآلفا : ودامت بينهما الصلحة والمودة ، وتوثقت بينهما الصلة والملازمة . ثم قلر لأبي الفتح أن يخلم في بيت آل بويه ، بشيراز في عهد عضد الدولة البويهى وبنه : صمصام الدولة ، وشرف الدولة وبهاء الدولة . ولهاه الدولة ألف ابن جنى كتابه « الخصائص » .

وذهب المتنبي إلى شيراز فالتقى بصديقه أبي الفتح عند عضد الدولة ، واستمرت المحبة بينهما قوية متينة . عرف فيها كل واحد منهما صاحبه عن قرب وخبرة . فكان المتنبي يحل أبا الفتح ويحله من نفسه أرفع محل ويقول عنه : « إنه رجل لا يعرف قلره كثير من الناس » وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف يقول : « سلوا صاحبنا أبا الفتح » . كان كما يقول العمري في مسالك الأبصار « إذا سئل عن معنى قاله ، أو توجيه إعراب ، حصل فيه إغراب ، دل عليه وقال : عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى ، فسلوه فإنه يقول : « ما أردت ولم أرد (١) » .

(١) مسالك الأبصار : ٣٠٦

وكذلك عرف ابن جني إقندر أبي الطيب، صاحب المعاني الدقيقة والبصر
النافذ والحكمة الخالدة والمثل السائر والاحاطة بالعربية، فأعجب به أيما إعجاب.
وكان دائم الثناء عليه في تأليفه^١ والاستشهاد بشعره في المعاني والأغراض المختلفة،
ويعبر عنه بشاعرنا كما نرى ذلك في الخصائص، إذ يقول : « وحدثني المتنبي
شاعرنا وما عرفته إلا صادقاً (١) » .

شرح أبو الفتح ديوان المتنبي شرحين : الشرح الكبير ، والشرح الصغير ،
والأخير هو الموجود الآن .

وقد تعقب النقاد والمعاصرون شرح أبي الفتح . وعلى الرغم من أن ابن
جني كان من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف ، لم يوفق في شرح شعر
أبي الطيب ، وقالوا عنه : إنه إذا تكلم في المعاني تلبك حمارة ، واستهدف
شرحه للمطاعن والمآخذ .

وكان من الناقدين لشرح ابن جني ، علي بن عيسى الربعي المتوفى سنة
٤٢٠ هـ ، وهو من شارك ابن جني في الأخذ عن أبي علي الفارسي . قال في
كتاب التنبية على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي .

وكذلك ابن مؤرجه أبو علي محمد بن حمزة . فإنه ألف كتابين كبيرين
على شرح معاني المتنبي ، سمي أحدهما « التجني على ابن جني » والآخر « الفتح^F
على أبي الفتح » ورد فيهما على ابن جني في شعر المتنبي .

ثم اختلف الناس بعد ذلك في شعر المتنبي ، فقوم يتعصبون له
ويفضلونه في الشعر على جميع أهل زمانه . وآخرون يتعصبون عليه
فلا يعلونه من الشعراء ويزرون شعره .

ويشغل الناس بالمتنبي ، وتقوم حركة أدبية واسعة حول شعره وتتعاقب
الشروح لديوانه .

وحسبنا أن نقف عند ما أحصاه حاجي خليفة في كشف الظنون من
هذه الشروح ، لتبين إلى أي مدى كانت عناية الأدباء واهتمامهم بشعر المتنبي .

فقد شرحه أبو المظفر الهروي كمال الدين محمد بن آدم المتوفى
سنة ٤١٤ هـ .

وشرحه أبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وسماه اللامع العزيزي
أو معجز أحمد .

وشرحه أبو الحسن محمد بن عبدالله العجلي المتوفى بمصر سنة ٤٦٠ هـ
وكان فاضلا نحويا من أصحاب أبي علي السرماني .

وشرحه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحد المتوفى سنة ٤٦٨ هـ
وهو من الشروح الجليّة النفع ، الكثيرة الفائدة .

وشرحه عبدالله بن أحمد الشامي المتوفى سنة ٤٧٥ هـ .

وكذلك أبو عبدالله سلمان بن عبدالله الحلواني المتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

وعبدالقاهر بن عبدالله الحلبي النحوي المعروف بالوأي المتوفى سنة ٦١٣ هـ .

وأبو البركات مبارك بن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفى الإربلي
المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وقد شرحه في عشرة مجلدات وسماه « النظام » ودار
الكتب نسخته منه بعنوان : « شرح المشكل من ديوان حبيب أبي الطيب » ،
في مجلدين كبيرين .

فلذا تركنا هؤلاء الشراح من أدباء المشاركة وذهبنا إلى الأندلس رأينا
مشاركتها في شرح ديوان المتنبي .

فقد شرحه أبو القاسم بن الأفلح المتوفى سنة ٤٤١ هـ كما أشرنا إلى ذلك
من قبل .

وشرح المشكل من أبياته أبو الحسن علي بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ :
ثم شرح الديوان كله أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي المتوفى
سنة ٥٢١ هـ .

والسؤال الذي يعرض لنا الآن هو : لماذا قصد ابن سيده إلى شرح
المشكل من أبيات المتنبي ولم يشرح الديوان كله ؟

وجوابنا على ذلك أن ابن سيده كان معجبا بالمتنبي ، إعجابه بآبن جنى . وقد تناول الأدباء فى المشرق شرح ديوانه منذ ظهر ، وصدر عليه شروح كثيرة كان أولها شرح آبن جنى .

وغير خفى أن كتب آبن جنى وأبى على الفارمى ، تعتبر بناءً تجديدياً فى النحو بعد بناء سيويه . وكان ابن سيده أشد حرصاً على نقل كلام آبن جنى فى المحكم وذكر توجيهاته فى كل مناسبة .

وحين شرح آبن جنى ديوان المتنبي ، أعجب به ابن سيده ، لكن هذا الشرح قد تعقبه النقاد كالربيعى وآبن قورجه وغيرهما من الأدباء . ومن مجموع ما قام به آبن جنى وما اعترض عليه فى شرحه ، وجلت الفكرة عند ابن سيده فى شرح شعر المتنبي .

ولكن ابن سيده لا يلجأ إلى شرح الديوان كله ، وإنما يتجه إلى ما كان سبباً للخصوصية ، ومثلاً للجلد ، مما أشكل من أبياته وما استغنى من معانيه وما استبهم من تراكيبه ، فيتناولها فى عمق من حيث اللغة ، ومن حيث الوزن ومصطلحات العروض ، ومن حيث المعانى والدقائق النحوية والمسائل الصرفية . يتعمق فى التحليل ، ويستقصى القواعد ، ويجمع الصبغ ، ويتلمس التحليلات والتخريجات ، ويكثر من الاستشهادات النحوية والآراء اللغوية ، والنقل عن سيويه خاصة ، وهكذا حتى يتضح البيت المشكل ويتم فهم معناه .

الأمر الثانى الذى حدا بآبن سيده إلى شرح المشكل من شعر المتنبي ، أن شعر المتنبي صادف هوى فى قواد هذا العالم الحكيم ، وأشبع فيه رغبته الفلسفية ، كما أن مشكلات المتنبي اللغوية كانت مادة خصبة لما فيها من دقائق النحو والتصريف .

فلذا كان ابن سيده يرى أن من أبرز ما تضمنه كتاب « المحكم » ، تمييز أسماء المجموع من المجموع ، والتنبيه على الجمع المركب المسمى عند النحاة بجمع الجمع ، والفرق بين التخفيف البدل والتخفيف القياسى ، أو الفرق بين القلب والبذل ، أو التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير ، فإنه واجد هذه الدقائق عند المتنبي .

فكان عليه وهو من المعجيين به ، أن يطيل الوقوف عندها وأن يجعل كتابه فيها :

وحسبنا أن نجعل النظر في شرح المشكل من أبيات المتنبي ، لنرى شاذ النسب في تصغير « أينسيان » في قول المتنبي : « له ياربى حروف أينسيان » ونرى الفروق بين الجموع وأسماء الجموع في مواضع كثيرة ، ونرى الفرق بين التخفيف البلى والتخفيف القيامى في غير موضع :

وابن سيده في كل هذا وأمثاله ، يسهب في الشرح ويعمن في التوضيح ويربط كل ذلك بشواهد من الكتاب لسيبويه .

وقد يتكرر شرحه لمسألة من المسائل ، ثم يبين سبب ذلك ، كما في قول المتنبي :

(ولوجملت موضع الألال لألأا طعنت بالاللى)

فيقول في ختام شرحه :

« وقد بينت ذلك غير دفعة في هذا الكتاب وفي غيره من كتبى وإنما أعدته لطرافته ودقته ، وأنه لا يفهمه إلا اللرب ، فمن أنس به أحبه ووالاه ، ومن ناقده قلنا له : من جهل شيئا عاداه » .

نسخ الكتاب ومنهجنا في تحقيقه

في سبيل تحقيقنا لهذا الكتاب ، كان علينا أن نبحث عن نسخه في مخطاها وأماكن وجودها ، في فهارس مكتباتنا العربية من جهة ، وفي فهارس المكتبات الأجنبية وخاصة كتاب بروكلمان من جهة أخرى .

ففي دار الكتب المصرية ، عثرنا على نسختين من الكتاب إحداهما كتبت سنة ١١٦٨ هـ ، والأخرى صورت عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة تونس .

ثم بحثنا في المكتبة التيمورية ، ومكتبة طلعت ، والمكتبة الزكية ، ومكتبة الأزهر ، والمكتبة الأحمدية بطنطا ، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، فلم نجد بين فهارسها إشارة إلى وجود هذا الكتاب بين مائتيه هذه المكتبات . ثم بحثنا في فهرس مكتبة ملريد ، وفهرس مكتبة الاسكوريال ، فلم نجد ذكرا لهذا الكتاب في فهارسهما أيضا .

وكذلك رجعنا إلى بروكلمان فلم نجده يذكر من نسخ هذا الكتاب سوى نسخة دار الكتب (٢ أدب م) وذلك في صفحة ١٤٢ من ملحق الجزء الأول .

فكان اعتمادنا بعد ذلك في تحقيق هذا الكتاب على هاتين النسختين الموجودتين بدار الكتب ، وهما نسختان نفيسة .

وصف النسختين :

أولاً - نسخة دار الكتب رقم (٢ أدب م) .
وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل ، كتبها حسين القرافي الشافعي ، وفرغ من كتابتها في ٢٣ صفر سنة ١١٦٨ هـ ، وعنوان الكتاب فيها :

« هذا شرح مشكل أبيات المتنبي » وضع أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده .

وتشتمل النسخة على ١٨٩ لوحة، وبكل لوحة صفحتان، وفي كل صفحة تسعة عشر سطرا . وقد صورت عنها نسخة أخرى حفظت بدار الكتب برقم ١٣٨٤١ ز .

ثانياً - مصورة دار الكتب المنقولة عن المخطوطة المحفوظة بمكتبة تونس ، وقد كتبت بالخط المغربي، ولم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، وعنوان الكتاب فيها :

« شرح ابن سيده على مشكلات المتنبي » .

وبالنسخة سقط يسير في بعض العبارات . وقد حفظت بدار الكتب برقم ١٩٨٧٧ ز .

منهجنا في تحقيق الكتاب :

منهجنا في تحقيق هذا الكتاب ، هو منهجنا وطريقنا في تحقيق جميع ما نشرناه من قبل من كتب التراث العربي . وهذا المنهج يهدف دائماً إلى تحقيق غرضين أساسيين :

الأول : تقديم النص وإخراجه صحيحاً سليماً كما صدر عن مؤلفه .
الثاني : أن يكون الكتاب في تحقيقه كاملاً مستوفى ، بحيث يستغنى به القارئ عن غيره ، فلا يضطر إلى الرجوع إلى مصادر أخرى .

ولما كان ابن سيده قد عنى كثيراً بالدقائق النحوية والمسائل الصرفية والنقل عن سيدييه خاصة ، فقد عارضنا الأصل على ما نقل من « الكتاب » لسيدييه ، كما رجعنا إلى الأصول النحوية والمعجم اللغوية في كل ما يتصل باللغة والنحو .

وبعد . فها هو ذا « المشكل من أبيات المتنبي لابن سيده اللغوي »
صورة للعالم المتمكن . ذى العقل الحصص ، والتفكير الناضج : حققنا
أصوله ، وحررنا نصوصه ، وجعلنا غامضه .

وتقدمه اليوم إلى قراء العربية : شرحا وافيا من أجل الشروح لمشكلات
شعر المتنبي وأجزؤها فائدة ، وذخيرة من أنفس مخاطفته السنون ، واحتفظت به
الحقبة من تراث الأجيال : راجين أن يعم به النفع ، والله المرجو والمؤمل :
ومنه العون والتوفيق ،

المحققان

مصطفى السقا

حامد عبد المجيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي المعروف بابن سيده :
قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المكتبي رحمه الله تعالى :

- ١ -

(أَبْلَى الْتَهْوَى أَشْقَايَوْمَ الْتَهْوَى بِدَلِّي وَفَرَّقَ الْهَجْرَ بَيْنَ الْخَفَيْنِ وَالْوَسَنِ)
يذهب الناس الى أن أسف البعد هو الذي أبلاه على عادة البلى وإنما قصد
اللباقة ، أراد أن البلى يعمل في الأجسام حالاً فعلاً على الأيام . وقد عمل فيه ليوم
واحد ، وهو يوم التوى ، عمله لستين .

- ٢ -

وقال :

(غَلَّتْ بِهَا تَفْطَوِي عَلَى كَيْدٍ نَضِيجَةٍ قَوْفٍ خَلِيهَا يَدُهَا)
غلت : أفتت ، والغلب : خشاوة الكبد ، واليدت مضين بالأول
وهو أبعد ما بان عنك خردُها .
فالمامل في أبتد ، غلت ، كأنه قال : غلت لها بمتد ما بان خردُها ، والنفق :
بمدما بان خردُها ، غلت منطوياً على كبد قد أنضجها التوجع وأذاً بها الضجج ،
و (عليها يدها) :

إنما توضع اليد على الكبد خشية من ضعفها .

يريد بذلك ، وكذلك يُقَمَّلُ بالقَوَادِ ، كقول الآخر :

وَضَعْتُ كَفِّي عَلَى قَوَادِي مِنْ نَارِ الْهَوَى وَانْطَوَيْتُ فَوْقَ يَدِي

وأكثر الناس على أن (نَضِيجَةً) ، صفة للكبد في اللفظ والمعنى ،
لاحظْ ليد في النضج ، وإنما يريد أن اليد موضوعة على خِلب الكبد فقط ،
ويُقَوِّيه البيت الذي أُنشِده ، وهو (وضعت كفى على قَوَادِي مِنْ . . .
نار الهوى . . .) .

وقد يجوز أن يكون (نَضِيجَةً) صفة للكبد في اللفظ ، ولليد في المعنى ،
أى على كبد قد نضجت يدها على خلبها من حرارتها ، وهذا أبلغ ، لأنه إذا
أنضجت اليد وهى موضوعة على الخلب من حر الكبد ، فما الظن بالكبد ؟
فإذا كان المعنى على هذا ، جاز فى (نَضِيجَةً) الجر والرفع . فاجر على الصفة
للكبد فى اللفظ ، والرفع على أن يكون خبر مبتدأ ، وذلك للمبتدأ هو اليد ،
كأنه قال : يدها نضيجة فوق خلبها . وهذا كما تقول : مررت بامرأة غريفة
أمها ، فالظرف فى اللفظ للمرأة ، وفى الحقيقة للأم . وإن شئت قلت : غريفة
أمها ، أى أمها غريفة :

وأما إذا كانت النضيجة صفة للكبد فى اللفظ والمعنى ، فإنه لا يكون فيها
إلا الجر : وكون (نَضِيجَةً) صفة لليد ، أبلغ فى المعنى ، لأنها حينئذ نضيجة
بما ليس فى ذاتها . وإذا كانت نضيجة ، فعلى نضيجة بما فى ذاتها . واحتراق
الشيء بما ليس فى ذاته ، أبلغ من احتراقه بما فى ذاته وإنما يريد أنه إذا وضع
يده على كبده متأماً نضجت اليد بحر الكبد ، كقوله :

هل الوجد إلا أن قلبى لودنا من الجرقيد الرمح لاحتراق الجرق

وهذا عندي أبلغ من قول المتنبي ، لأن اليد إذا كانت على خلب الكبد ،
فهي أقرب إلى الحر من القواد من الجر ، إذا كان بينه وبين الجر قيد رُمح ،
مع أنه جبل الجمر الناري محترقا من حر قواده . فخر القواد إذن أشد من
حر الجمر .

(شَابَ من الجمر فرقُ لَيْتِهِ فصار مثل الدَّمْسِ أَسْوَدُهَا)
وفي هذا البيت ثَرَمَةٌ صنعة ، قال : (فرقَ لَيْتَهُ) نخص جزءاً من اللمة .
ثم قال : أَسْوَدُهَا ، فَعَمَّ ، لسكن قد يجوز أن يعود الضمير إلى الفرق ،
وإن كان الفرق مذكراً ، لأن المذكر إذا كان جزءاً من ذات المؤنث
جاز تأنيثه .

أنشد سيبويه :

وَتَشَرَّقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعَتْهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاقِ مِنَ الدَّمِ
وقد يجوز أن يريد بياض اللمة كلها ، ونخص الفرق ، لأنه معظم الرأس ،
ثم أحاد الضمير إلى اللمة . وإنما وجهُ استواء الصنعة لو أنزله ، وحسن في
الغافية أن يقول :

شَابَتْ من الهَجْر لَيْتُهُ فصار مثل الدَّمْسِ أَسْوَدُهَا
أو يقول : (أَسْوَدُهُ) بعد قوله (لَيْتُهُ) وأَسْوَدُهَا هنا : ليست
مفاضلة ، إذ لو كان ذلك ، لكان أشد سواداً .

وقد يجوز أن يكون أراد المفاضلة ، فقد جاء ذلك شافاً ، فقوله
أَسْوَدُهَا يريد به مُسَوِّدُهَا كما يقول : هو أسود القوم أي الأسود فيهم .
(كيف يحبك التلامذ في هِمِّهِمْ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا)

كيف يكون أقربُ شيء أبعدَ شيء ١ هذا خُلفٌ إذا حُمِلَ على ظاهره
لكن لو قال : أقربها منك بعيد عنك ، كان حسناً ، ولكن الذى أرادہ :
أقربها عندك مثل الذى أبعدُها . فاجللة فى موضع الصفة لهم . أى أقربها منك
عندك أبعدُها منك على الحقيقة .

(أَحْيَيْتُهَا وَالْدموعُ تَنْجِدُنِي شَتْوُهَا وَالظَّلَامُ يَنْجِيْهَا)
أحييتها : يعنى الليالى . تنجدينى : تعيننى . والشتون : مجازى الدمع ،
واحدها شأن . أى أحييت الليالى بالسهر والبكاء .

ومعنى البيت : إن شأن الدمع أن يحثف الحزن ، كقول البحتري :
إن الدموع هى الصباية فاطرح بعض الصباية واسترح بهومها
وهذا كثير فى أشعار العرب . وهو عندنا موجود بالمشاهدة ، فكأن
الدمع يعينه على طول الليل ، وإعانة الدمع للمحزون على الحزن ليلاً ، أجدى
من إعانته عليه إياه نهاراً ، لأن المحزون يتسلى نهاراً بما يتأمله ، وينظر إليه ،
والظلام يقصر الطرف عما يتشاغل به المحزون نهاراً ، فيفرغ الحزين عند
ذلك إلى الدمع ، لا يجد معيناً غيره . قال : (والظلام ينجدُها) أى أن
الظلام إذا قَصَرَ الطرف عما يتشاغل به المحزون ، زاد الليل بذلك طولاً .
فكأن الظلام أنجد الليل عليه بقصره طرفه عن النظر إلى ما يتشاغل به .
ولذلك قال الشاعر :

بلى إن للعينين فى الصبح راحة لطرحهما طَرْفَهما كل مَطَرَحِ
وقوله : (والدموع تنجدينى) جملة فى موضع الحال من التاء
فى أحييت .

وقوله : (والظلام ينجدُها) جملة فى موضع الحال من الهاء التى فى

أحييتها ، أى أحييت الالبالى وأنا تنجيدنى دعوى بالتسليه ، وهى بنجطه
الظلام بالتطويل لها .

(لا نَأْتِي قَبْلُ الرَّدِيفِ وَلَا بِالْبَوِّطِ . يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا)
حاجى بهذا البيت ، وإنما عني نَمَلَه ، فكفى عنها بهذا النوع من الحيوان
لأن اللامضى يملو نملَه كما يملو الراكب ناقته ، وفقى عنها ما لا يكون لاحقاً لنمل
الحيوان للركوب ، يخرجها بذلك من نوعه . ثم بين هذه الأحجية فقال :
(شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْقَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مَقُودُهَا)

أى كل واحد من طوائف هذه النمل يحمل محل الأرداف من الناقة ،
فجل شراكها كالكور ، وهو ما يقع على القدم من النمل ، لأنه على
وسطها ، كما أن الكور على وسط الناقة ، والزام أمامها ، كما أن مِشْقَرِ الناقة
أمامها ، والشُّسُوعُ مَقُودُهَا ، وذلك أنه يفضل عن ذات النمل ، كما أن
المَقُودَ يفضل عن المقود .

وكان ينبغي أن يقول : وشِسْمُهَا مَقُودُهَا فينرد ، كما قال : شراكها
وزمامها ، لكنه جمع على أن كل طائفة من الشُّسُوعِ شِسْمٌ ، وكذلك كان ينبغي
أن يقول لو اتزن له : (وزمامها : مِشْقَرُهَا) ، كما قال : (شراكها : كورُهَا ،
وشسوعها : مَقُودُهَا) ، فبدأ بطوائف النمل قبل أداة الإبل ، لكن حسن عندي
ابتدائه بالمِشْقَرِ أن المِشْقَرِ ذاتى ، والكور والمقود من الأداة ، لا من الذات .
(يَا لَيْتَ بِي ضَرَبَةٌ أَتَيْتَ لَهَا كَمَا أَتَيْتَ لَهُ مُحَمَّدٌ)

معنى إتاحة الضربة له : حُلُولُهَا بِهِ ، ومعنى إتاحة محمد لها : نبوؤها عنه ،
واحتماله لها ، وتأثيره فيها برغبه ، وكذلك كل حال وذى حال كل
واحد منها مُتَّاحٌ لصاحبه ، وأراد أتيت لها محمداً . كما أتيت هى له .
وَأَتَيْتُ : قُدِّرَ .

ويجوز أن يكون أراد أن الضربة نمت حين وقعت به ، لأنها لم تكن بحق ، فكان ذلك الندم تأثراً فيها ، وكذلك السيف ضرب غير مُستحق . وكل ذلك مجاز واتساع . أى قدر محمد للضربة كما قُدرت ، فكان هو المؤثر فيها ، ألا ترى بمدى :

(أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مهتدما)

أثر في الشيء : غادر فيه أثراً ، ولا يكون للتأثير إلا في الجواهر ، كقولك : أثر المطر في الحائط والخسف في الأرض ، وأثر المرض في الجسم . ولا يكون ذلك في العَرَض ، وقد انقسم قوله : (أثر فيها وفي الحديد) جوهرأ وعرضاً ، أما الجوهر فالحديد والتأثير فيه شائع ، وأما الماء في قوله : (فيها) فَعَرَضٌ ، لأنها كناية الضربة التي في قوله :

• يا ليت بي ضربة أتيج لها •

ولما لم يصح التأثير في العَرَض لأن التأثير أيضاً الأثر . والأثر عَيْنٌ ، والعين لا يكون إلا في عين مثله ، أعنى بالعين : الجوهر ، إذ لا يحمل الجوهر إلا جوهر . وأما العَرَض فليس بعين ، فيكون حاملاً لعين آخر . فإذاً قوله : (أثر فيها) استعارة ومجاز غريب . كأنه توهم الضربة عَيْنًا ، بل هو عندى أبلغ ، لأنه إذا أمكنه التأثير في العَرَض كان له الجوهر أمكن ، لكنه مع ذلك قول شعري . أعنى أنه ليس بحقيقة . وقوله :

• وما أثر في وجهه مهتدما •

المهتد : السيف . وهو عندى من قولهم : (هَدَّتهُ السماء) : أى تيمَّنه .

ولم ينف تأثير المهند في وجهه نفيًا كليًا . وكيف ذلك وقد أثبتت الضربة ،
وهي التأثير . وإنما أراد أن المهند لم يُؤثر في وجهه أثرًا قبيحًا ، لأن وقوع
الضربة على الوجه تزين ولا تشين ، لدلالاتها على الشجاعة والإقدام ، كما أن
التأثير في الظهر دليل على الجبن والفرار ، كقوله :

فلنأنا على الأعقاب تدعى كلومنا ولكن على أعقابنا قطر الدماء
ويروى (قطر الدماء) . جمل (الدماء) اسمًا مقصوراً كقوى .
أنشد الفارسي :

كسامة قتلت برغزها أعقبها النُبسُ منه ندما
غفلت ثم أنت تطلبه فإذا هي بظام ودِما
فهنا شيء عَرَض ، ثم نعاود الغرض .

فكان المهند لما وقع على وجهه ، فكأن ذلك إشاراً بالإقدام ، ثم لم يؤثر
فيه البتة ، فلذلك نفى التأثير في اللفظ نفيًا علميًا . ونحوه ما حكاه سيويه من
قوله : (تكلم ولم يتكلم) أى أنك لما لم تُجِد ولا أصبَتْ ، كنت بمنزلة من
لم يتكلم وإن كنت قد نكلمت .

(تَنقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَصَارِيهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْغِدُهَا)
قلعه فاضح : أوقده فاقد ، أى أن السيوف تقطع ما تحتها وتهوى في
التراب ، فلا يردّها إلا حَجَرٌ يقدح النار بملاقاته جِرمَ السيف ، كقوله :
قَدُّ السُّلُوقِ الْمَضَاعِفَ نَسَجُهُ وَتَوْقِدُ الْمَضْفَاحِ نَارَ الْحُبَابِجِ

(وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْغِدُهَا) أى أن الدم الذى يطفىء تلك النار يجرى
على السيف والجمر ، وسعى الدم ماء استمارة ومجازاً ، وإنما ذلك لأن ما حَتَّه

سِيلَانُهُ، وَعَلَى هَذَا قَالُوا مَاءُ الْمُنَادِ . وَسَمُوا السَّعْمَ مَاءً ، كُلُّ ذَلِكَ اتِّسَاعٌ وَتَجَوُّزٌ ، لِحَقِيقَةٍ .

(إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهَيِّجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا)
نَشَدَتْ الضَّالَّةُ : طَلَبْتُهَا ، وَأَنْشَدَتْهَا : عَرَفْتُهَا ، وَنَشَدَتْهَا فِي التَّعْرِيفِ لَفَةً أَيْضًا . وَقَوْلُهُ :

وَيَصِيحُ أحيانًا كَمَا اسْتَمَعَ الْمُضِلُّ لَصَوْتِ بَاشِدٍ .

قِيلَ : يَعْنَى بِالنَّاشِدِ هَذَا الْمَعْرُوفِ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّ الْمُضِلَّ يَعْنِي إِلَى كَلَامِ الْمَعْرُوفِ لِيَذْهَبَ عَلَى ضَالَّتِهِ . هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ .

وَقِيلَ : النَّاشِدُ هُنَا : الطَّالِبُ ، لِأَنَّ الْمُضِلَّ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ مُضِلًّا مِثْلَهُ لِيَتَمَرَّزَ بِهِ . وَهَذَا الْقَوْلُ الْآخِرُ مُسْتَفْلٍ عَنْ تَقَالِي الْأَوَّلِ . وَيَصِحُّ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ : لَمْ أَعْرِضْ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ :

يُصِيحُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةَ الْمُنْشِدِ لِلنَّاشِدِ

أَيَّ إِصَاخَةَ الطَّالِبِ لِلْمَعْرُوفِ . أَيْ أَنَّ الْهَمَامَ إِذَا قَدِمَ مُهَيِّجَتَهُ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَنْهَا أَطْرَافَ هَذِهِ السِّيُوفِ ، لِأَنَّهَا عَارِفَةٌ بِمَسَالِكِ الْأَرْوَاحِ ، بِهَا تُقْبَضُ وَعَلَيْهَا تَرْدُ ، لَا مَظَنَّةَ لَهَا إِلَّا هِيَ . فَأَطْرَافُهُنَّ عَلَى هَذَا مَفْعُولٌ ثَانٍ أَيْ تَنْشُدُهَا أَطْرَافُهُنَّ .

(أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْعَلُهَا)

أَيَّ نَضْرَةِ الْعَيْشِ بِأَدِيَّةٍ عَلَى بَشَرَتِي ، كَقَوْلِ الْعَرَبِ : بَشَرْتُمَا أَخَاكَ مَشْفَرًا . فَإِذَا جَعَلْتُ نَعْمَتَكَ ، شَهِدَ بِهَا جِلْدِي فَلَمْ يُمْكِنْهُ إِنْكَارُهَا ، إِذَا أَثَرَهَا عَلَيْهِ بِأَدِيَّةٍ . فَإِنْ جَعَلْتُهَا وَأَقْرَّ جِلْدِي بِهَا افْتَضَحَتْ . وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) .

قوله : (فلا أقدر حتى المات أجدها) أراد : على أن أجدها ،
 خفف على وأن ، ورفع النمل لعدم العامل الذي كان ينصبه وهو (أن) .
 ونظيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَضْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبِدُ ﴾ أى تأمرونى أن أعبد
 خفف أن ورفع النمل . ولو كانت القطعة مفتوحة الروى لقال : (أجدها)
 فأهل أن مضمة لإعمالها مظهره . وقد روى هذا البيت بالوجهين جميعاً .

- ٣ -

وقال المتنبي :

(أحميا وأيسرُ ما قاسيتُ ما قتلًا والبين جازَ كلَّ ضنني وما عدلا)
 يجوز أن يكون أراد : أحميا وأيسرُ ما قاسيته ما قتل ، أو ما من شأنه
 أن يقتل ، وإذا كان أيسر ما قاسيته قاتلاً ، فما ظنك بأكثره وأشدّه . وهذا
 على وجهين : إما أن يكون تعجب من ذلك فقال : أنا في حال حياة ، وأقل
 ملاقيته قاتلاً ، وإما أن يكون طمع بالحياة فأنكر ذلك ، قال : كيف أحميا
 مع هذه (الحال) . فهذان وجهان لإرادته الاستفهام . وقد يكون أحميا خبراً ،
 أى أنا أحميا . وهذه حال ، أى تجلدى . يتمعجب من صبره . وقد يكون (أحميا)
 اسماً يدل على المفاضلة ، أى : أثبت ما قاسيته لحياى ما قتل ، وهذا مُفَوِّدٌ
 وإفراط ، لأنه إذا كان ما قتله أثبت شئ لحيايه ، لم يبق له ما يوجب الموت .
 (وضأقت الأرضُ حتى كان هاربُهم إذا رأى غير شئ فظنه رجلاً)

أما الروية فلا تع على غير شئ ، لأن غير شئ ليس بمحسوس إحساس الجوهر ،
 ولا إحساس الترض . لأن غير شئ خارج عن الجوهر والترض ، لأن كل
 واحد من الجوهر والمرض شئ ، وإنما أراد هذا الشاعر : إذا رأى غير
 شئ يُحْكَى به ، فهو في قوة قولك : إذا رأى شيئاً لا يحفل به ظنّه رجلاً ،

كقول العرب : إنك ولا شيء سواء ، وحال أن يسوي بين الوجود
والعدم ، لأنهما في طريق التضاد ، ولكنهم يريدون إنك ولا شيء يُعْبَأُ به
سواء ولكنهم قالوا : إنك ولا شيء ، واكتفوا به من قولهم وشيئا
لا يعبأ به ، لأن ما لا يعبأ به كالعدم ، ولذلك ألزمتنا سيبويه النصب في قوله :
إنما سرت حتى أدخلها ، إذا كنت مُحْتَقَرًا لِسِيرٍ ، قال الفارسي : إنما
ذلك لأنه لا شيء أقرب إلى طبيعة النفي من الاحتقار ، والنفي عدم فجعل
الاحتقار كالعدم .

(قَبَعْدُهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضْتُ بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّغَلِ مَا سَعَلَا)
أى أن هذه القبيلة قَلَّتْ وَذَلَّتْ ، حتى لو ركضوا الخيل ، على قوة
الركض ، في لَهَوَاتِ الطُّغَلِ ، على ضعفه ، ما شَعَرَ بهم فيسُئَلُ ، بالغ بذلك كقوله :
وَلَوْ قَلَمُ الْإِنْيَتِ فِي شِقِّ رَأْسِهِ مِنْ السُّتْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبٍ
فأما قول رؤبة في صفة الصائد :

فَبَاتَ وَالنَّفْسُ مِنَ الْحَرَمِ الْفَشَقُ فِي الْغَابِ لَوْ يَمْضَغُ شَرِيًّا مَا بَصَقَ
فإنما أراد أن هذا القاص من النَّهَمِ عَلَى صَيْدِ الْوَحْشِ ، وخشية أن يسمع
له حسا فينفر ، لَوْ مَضَغَ الْحَنْظَلُ ، لم يَبْصُقْ خشية أن يُنْفَرَهَا بِصَغْهُ ، وقال
الأصمعي : إِنْ نَهَمَ عَلَى التَّمْيِيدِ قَدْ شَغَلَهُ حَتَّى لَوْ مَضَغَ الْحَنْظَلُ لَمْ يَشْعُرْ بِمَرَاتِهِ
فَيَبْصُقُ .

وخص للنفي لهواتِ الطفل لأنها مظنة السعال .

وقوله : ركضت بالخيل ، إنما وجهه : لو رَكَضْتُ الخيل ، يقال : ركضت
الدابة ، ولا يقال ركضتُ بها . هذا هو للمروف في اللغة ، لكن قد يجوز أن

يكون ركض بالداية لفة ، فيكون من باب طَوْحَتْه وطَوَّحَتْ به . وقد يجوز أن تكون الباء زائدة ، كقوله (سُوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَمُرُّ أَنْ بِالشَّوْرِ) .

(كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ به قَلْبُ الْحُبِّ قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا)

قال (اللِّحِبِّ) جاء به عَلَى لفظ القاعل ، ولم يقل الحبيب وهو . يريد ، لأنه عَنَى شدة إشفاقه في المَهْمَةِ ، وذلك أن للشوق إذا أحب عاشقه ، فلما يهجره لحوف واش أو رقيب ، فإذا رآه خَفَقَ قَلْبُهُ لِإِشْفَاقِهِ . ولو كان للحبيب غير مُحِبٍّ لم يتجشم الزيارة على شدتها . وهذا كقول علي بن جبلة :

يَأْبَى مِنْ زَارِي مُكْتَتِيًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ حِسٍّ قَرِيحًا

قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، جملة في موضع الحال . ويجوز وضع الفعل للماضى موضع الحال ، لأنه قد يوضع موضع المستقبل في قوله : إِنْ قَلَّ قَلْتُ . وفيما حكاه سيدي به من قولهم : وَاللَّهِ لَا قَلْتُ ، يريدون لَا أَفْعَلُ .

وقد ذهب بعضهم في قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مَدُورٌ ﴾ إلى أن (حَصْرَتٌ) في موضع الحال ، وقد فيه منويّة . ويشهد عندي أن حَصْرَتٌ في موضع الحال قراءة من قرأ : ﴿ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَةٌ مَدُورٌ ﴾ .

وأما قوله : (قلب الدليل به قلب الحب) الذي هذه صنته فمتاه : أن مؤاد الدليل وَيَجِلُّ كقلب الحب الزائر المتوقع للتضيعة .

وقد يجوز أن يكون (قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا) خبراً عن المَهْمَةِ ، أى : كَمْ مِنْ مَهْمَةٍ قَدْ قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا ، قلب الدليل به قلبُ الحب .

وأما (قَضَائِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا) وهو يعنى المهمة ، فمتاه : أن المهمة طال عليه ، فطال بالنجاة منه ، ثم قضاها بعد حين ، وكلاهما مستعار .

وأما قوله : (قَابُ الدِّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ) فمعناه : أن قلب المحب يرجو ويخاف . وكذلك قلب الدليل يرجو الهداية ويخشى الضلالة .

- ٤ -

وقال أيضاً :

(مَحْيَى قِيَامِي مَا لِذَلِكَ النَّصْلِ سَلِيماً مِنَ الْجَرْحِي بَرِيئاً مِنَ الْقَتْلِ)
 أى : يا محيى ثورتى وقيامى بذولتى ، وتركى للأسفار ، كيف أفضل ذلك ولم أكرس سيفى ، ولا تلمتته بضربى أعدائى به ، فكفى عن الكسر بالقتل ، وعن التلم بألجرح ، إذ ألجرح والقتل إنما يلحقان الحيوان ، والسيف جهاد لأحياء به . وأراد سليماً من ألجرح ، فوضع الجرحى موضع الجرح . وإن شئت قلت كأنه على حذف المضاف ، أى سليماً من ألم الجرحى ، أو من هيئة جرح الجرحى ، وبريئاً وسليماً منصوبان على الحال من قوله : (مَا لِذَلِكَ) : أى استغفم عنه وهو فى هاتين الحالين ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَهُمْ عَنْ التَّذَكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ .

(أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقَ وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي)
 أما (كأن) فلقطة تشبيه ، فالكلام بها هنا على وجهه ، كأنه يقول : لا تقل فى : كأنه الأسد ، ولا كأنه السيف ، ولا كأنه الموت أو السيل ، فكل ذلك إنما هو دونى ، ولا ينبغي أن تشبه الشيء بدونه ، إنما المعتاد عكس ذلك .
 وأما (ما) فليست بلقطة تشبيه بمنزلة كأن ، إنما استجازها فى التشبيه ، لأنه وضع الأمر على أن قائلاً قال : ما يشبه ؟ فقال له المستول : كأنه الأسد ، كأنه السيف . فكان هذه التى للمستول ، إنما سببها (ما) التى للسائل .
 فجاء هو بالسبب والمسبب جميعاً ؛ وذلك لاصطحابهما . ومثل هذا كثير .

وقد يجوز أن تكون (ما) هنا بمعنى الجحد ، فجعلها اسماً ، وأدخل الحرف عليها ، كأنه سمع قائلًا يقول : ماهو (إلا) الأسد . وفي هذا معنى التشبيه أى مثل الأسد ، فأبى هو ذلك . ثم رجع إلى النوع الأشرف فقال : (فما أحدٌ فوق ولا أحدٌ مثلى) مفضلًا نفسه عليهم .

- ٥ -

وله أيضا :

(هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ)
أى هذه هدية ، ويجوز هدية على البذل من قوله : (بما تيت به) . وقوله :
ما رأيتُ مهديها إلا رأيتُ الأنام فى رجل : أى أن فضائل الأنام مجموعة فى شخص واحد منه ، فلا مُقْتَبَر بالعدد ، إذا حاز معانيهم أجمعين وحده ، كقوله أيضا :

غدا الناس مثليهم له لا عَدَمَتُهُ وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورٍ
ومحو قول بعض الحكماء وقد رَضِيَ تَلْمِيذًا لَهُ مِنْ بَعْضِ تَلَامِيذِهِ ، يَقَالُ
إِنَّ ذَلِكَ التَّلْمِيزَ (رَسْطًا لَيْسَ) قَالَ : وَاحِدٌ كَأَلْفٍ ، وَلَيْسَ أَلْفٌ كَوَاحِدٍ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرِ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

- ٦ -

وله :

(وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُنَى ثَالِثَةٍ ذِي أَرْسَمٍ دُرْسٍ فِي الْأَرْسَمِ الدُّرْسِ)
الْمُنَى ، وَالْمِيسَاءُ ، وَالْمَسَاءُ : وَاحِدٌ ، كَالصَّبْحِ ، وَالصَّبْحُ ، وَالصَّبَاحُ . أَى
لَوْلَا هَذِهِ الظُّبْيَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، لَمْ أَتَفَّ عَلَى رَسُومِ هَذِهِ الدَّارِ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

أَسأَلَهَا . وَلَمْ يَرُدَّ أَمَةً . وَقَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ إِقْفَارِهَا ، لِأَنَّ الدَّارَ لَا تَدْرُسُ
بَعْدَ ثَلَاثٍ .

وَلَمَّا عَنِيَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهَا ثَلَاثًا ، وَصَفَتْهُ الْجِسْمَ بِأَنَّهُ ذُو أَرْسَمٍ دُرُّسٍ ،
ذَهَبَ فِيهَا إِلَى نَحْوِهِ وَاعْتَمَأَتْهُ . وَاسْتَمَارَ لَهُ أَرْسَمًا حِينَ شَبَّهَ بِهَذَا الرَّيِّحِ الدَّارِ
وَالْأَرْسَمِ ، كَقَوْلِهِ فِي صَفَةِ الدَّارِ :

مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمٍ الرَّوْقِ يُنْجِلُهَا . وَالشَّوْقُ يُنْعَلِي حَتَّى حَكَّتْ جَسَدِي
وَهَذَا الْبَيْتُ أَبْلَغَ فِي نَحْوِ جِسْمِهِ ، لِأَنَّهُ جَلَّ الدَّارَ بِحِكْمِ جِسْمِهِ فِي النُّحُولِ ،
فَإِذَا جِسْمُهُ أَهْمَلُ مِنْهَا .

وَفِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْنَى (وَلَا وَقْتُ يَحْسَمُ . .) لَمْ يَجْعَلْ لَجِسْمِهِ فَضْلًا عَلَى
الدَّارِ فِي النُّحُولِ .

وَدَّرُسُ : يَمْحُزُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ دَرِّسٍ وَأَنْ يَكُونَ جَمِيعُ دَرُّوسٍ ، كَهَبْرٍ
وَصُبْرٍ ، وَأَنْ يَكُونَ جَمِيعُ دَارِسٍ كِبَاذِلٍ وَبُزْلٍ .

(مَا ضَاقَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاءٍ وَلَا سَمِعْتُ بِدِيْبَاجٍ عَلَى كُنْسٍ)
يَقُولُ أَنْتَ كَالرَّشَاءِ فِي الْحَسَنِ ، وَسَاقُ الرِّشَاءِ دَقِيقَةٌ ، فَكَيْفَ خَالَفْتَ أَنْتَ
الرِّشَاءَ ، بَأَنَ ضَاقَ خَلْخَالُكَ عَنْ سَاقِكَ . وَلَوْ أَلْبَسْتَ سَاقَ الرِّشَاءِ خَلْخَالًا ، جَالًا
عَلَيْهَا وَلَمْ يَثْبُتْ .

(وَلَا سَمِعْتُ بِدِيْبَاجٍ عَلَى كُنْسٍ) : أَيُّ عَلَى هُوَ دَجْكَ سَتُورِ دِيْبَاجٍ . وَلَمْ
نَسْمَعْ قَبْلُ بِدِيْبَاجٍ عَلَى كُنْسٍ . إِنَّمَا الْكُنْسُ غُصُونُ أَوْ أَسْوَقُ شَجَرٍ أَوْ تَحَاوِرِ
أَرْضٍ . وَأَنْتَ قَدْ خَرَقْتَ لِلْمُخَادِ ، بِكَوْنِ الدِّيْبَاجِ عَلَى كُنْسِكَ . وَمَنْ رَوَاهُ عَلَى
كُنْسٍ ، أَرَادَ عَلَى ذِي كُنْسٍ . وَهَلَّا عَلَى النَّسَبِ ، إِذَا ضَلَّ لَهُ . وَظَاهِرُهُ
مَا حَكَاهُ سَيَبُوهُ : جَرِيحٌ ، وَسَقِيَّةٌ ، وَطَعِيمٌ وَتَهْرَبٌ ، وَأَنْشَدَ :
« لَسْتُ بِبَلِيٍّ وَلَسْكَنِي نَهْرٌ » أَيُّ : ذُو نَهَارٍ .

فأما قراءة من قرأ ﴿ في أيام نَحِسَاتٍ ﴾ ، فذهب الفارسي إلى أنه من باب
فَرَقٍ وَتَزَيٍّ ، وتوهموه على القمل وإن لم يكن له قمل ، لم يقولوا نَحِسُ
النهار .

وهذا الذي قاله الفارسي غير قوي عندي ، أحسن منه أن يُحمل على
النسب ، لأن نظيره كثير ، كما قد حكينا عن سيبويه ، وتوهم القمل في مثل
نَحِسٍ قليل في كلامهم .

- ٧ -

وله أيضا :

(فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مِثْلَ مِثْلِي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّامِيلَ)
يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ . أحدهما : أنه أراد : لما جُلُّ قَدْرِكَ عما تناله يدي ولم تبلغه
إلا هبة يدك التي هي كفاؤه ، جعلت ما تهديه إليّ ، هدية مني إليك ، فما يبدل
جلالة قَدْرِكَ إلا جلالة جودك ، وجعلت ظرفها تأميلي أن قبلها مني .
والآخر : أن يكون استحققه قال : ما علت أن (ما) تصغى به
أو تزودني به لخلق ، سبيلك أن تمنك عن ولا تُطلقه ، وأن تمدّه هدية مني
إليك ، بما ساكت عن إهدائك إني .

- ٨ -

وله أيضا :

(أَتُنْظِرُ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَفْرُقُ)
أَيُّ إِنْ عَطَاكَ جَاوَزَ الْقَدَارَ ، فَكَأَدَ يَقْتُلُ الْمُعْطَى فَرَحًا ، فَتَلَاَفَ عُنَانَكَ
منه ، لثلا يبلغ بهم الحسد للهالك ، فيكون كاللآلئ المَفْرُوقِ ، كقول أبي تمام :
تَسْتَشِيرُ الْقَلْبَ لَوْلَا اتِّصَالُهَا بِحَسَنِ دِفَاعِ اللَّهِ وَسُوسِ سَائِلِهِ

وقد يجوز أن يكون قوله : (انظر إلى برّحة) أى لا تكلفنى من الشكر قدر الواجب فيهلكى ذلك ، فكفى عن ضغفه عن الواجب عليه من الشكر بالترقى . وقال ثروة وهو يبنى السحاب لأن السحاب جمع سحابة ، وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، فلك تأنيته وتذكيره ، وجمعه وإفراده .

- ٩ -

وله ايضا :

(وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا وَبِالْحَيِّنِ فِيمَا دَرَّتْ كَيْفَ تَرْجِعُ)

يتمجب من ذلك . أى قلبك فى الدنيا ، وهو من السمة بحيث لو دخلت الدنيا فيه بنا وبالحين ، أعجزنا الرجوع ، ونهنا فى شغفه ، فكيف وسعت الدنيا قلبك ؟ وهلا ضاقت عن حمله ، لصغرها عن عظمه . يبينه ما قبله ، وهو قوله :

أَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ وَصَفَكَ مُعْجَزِي : وَأَنْ ظَنُّونِي فِي مَمَالِكِ تَطْلُعُ
وَأَنْتَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرِكَ فَيْكَمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

- ١٠ -

وله ايضا :

(طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْقَنَاءِ طَوِيلُ السَّنَانِ)

النجاد : حمله السيف ، فطوله كناية عن طول القامة ، وذلك لما يمدح به كقوله هو :

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا أَبْدَانُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَمَلُوا
وكتوله :

وَعَالٍ فَصُولُ الدَّرْعِ مِنْ جَنْبَانِهَا عَلَى بَدَنِ قَدْ الْقَنَاءِ لَهُ قَدْ

وطولُ العاد : كنايةٌ عن السُّدُود ، وأصلُ العاد : ما عُمِدَ به البيت ،
 أى أقيم . يقال : عَمَدَتِ البيتَ وعَمَدَتْهُ ، وعِمَادِيْدُ الحِلَّةِ : مَرْمُوقٌ يَقْصِدُ ،
 فَكَأَنَّ عِمَادَهُ ، وإن سارَى عُمِدَ أهلِ الحِلَّةِ ، أطولُ بِكَثْرَةِ الشَّاعِرِينَ لَهُ ،
 والقاصدين نحوه . وطولُ القناةِ والسَّنَنِ : كنايةٌ عن الحِذْقِ بالطَّعْمَانِ . ولَمَّا
 وصفتِ العربُ أَرْمَاحَهَا بالطولِ ، يريدونَ جودةَ العملِ بها ، والقوةَ على
 تصرُّفِها ، لا أَنَّهَا طَوَالٌ فِي ذَاتِهَا ، لِأَنَّ طَوْلَهَا مُبْعَدٌ عَنِ الْقَرْنِ ، وَلَا يَحْصُدُ
 ذَلِكَ إِلَّا الْجَبَانَ . ولو كَانَ طَوْلُ الْقَنَاءِ فِي ذَاتِهَا عَمُودًا ، لَكَانَ السِّيفُ لِكَوْنِهِ
 أَقْصَرَ مِنْهَا .. مَذْمُومًا . وَإِنَّمَا صِفَةُ الْقَنَاءِ بِالطَّوْلِ ، كَصِفَةِ السِّيفِ بِالطَّوْلِ .
 لَا يَرِيدُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ إِلَّا الْحِذْقَ بِالضَّرَابِ وَالطَّعْمَانِ .

ومما يَذْكُرُ عَلَى أَنَّ طَوْلَ الْقَنَاءِ غَيْرُ مَحْمُودٍ ، أَنَّ طَوْلَ الْقَنَاءِ قَدْ يُؤْزِرُهَا انْطِلَاقًا .
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : طَوْلُ الْقَنَاءِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ وَأَقْصَرُهَا سَبْعٌ وَلِلْمَدُوحِ يَنْبَغِي ،
 وَهُوَ مَا كَانَ طَوْلُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :
 وَأَسْتَرَّ حَظِيًّا كَانَ كُفُوبُهُ ثَوِي الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ

وكذلك قال البحتري :

كَالْمَرْحِ أَذْرَعُهُ عَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ فَمَا اسْتَبَدَّ بِهِ طَوْلٌ وَلَا قِصْرٌ
 (يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كَفَتْ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي)

أَيُّ أَنَّهُ مَاضٍ يَقْطَعُ كُلَّ عَضْوٍ يَلْقَاهُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْقَلْبِ ، فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا
 قَطَعَ مَا دُونَ الْقَلْبِ مِنَ الْأَعْضَاءِ حِينَ رَأَى الْقَلْبَ ، فَهَتَكَ إِلَيْهِ الْحُجُبَ الَّتِي
 دُونَهُ ، إِذْ لَمْ يُمْكِنْهُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِاخْتِرَاقِهَا الْهَبْوَةِ ، وَأَرَانِي هُنَا : مِنْ رُؤْيَا
 الْعَيْنِ ، لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَعَدِّيَةٍ ، فَكَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَرَى نَفْسِي ، لِأَنَّ فِعْلَ
 الْفَاعِلِ إِذَا كَانَ حَسِيًّا ، لَمْ يَجْعَدْ إِلَى ذَاتِهِ بِكَنَائِيَةِ الْمُسْكَمِ . لَا يَجُوزُ ضَرْبُنِي ،

وإنما يتعدى فعل الفاعل إذا كان حسيًّا إلى ذاته بلفظ النفس . يقولون : ضربت نفسي وفي التزيل (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) إِلَّا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ عَنْهُمْ قَدْرٌ ثَنِي وَعَدْمِثَقٌ ، وهذا نادر غير معمول به .

لكن لما كانت أرى التي هي للمعين مطابقة اللفظ لأرى التي هي للقلب ، تتعدى على هذه الصورة ، لأنها غير حسيّة ، كقولهم : أَرَانِي ذَاهِبًا . استجاز أن يُجرى (أرى) التي للمعين مجراها .

وعلى هذا أوجه أنا ما حكاه سيبويه من قول العرب : أَمَا تَرَى أَى بَرْقِ هَامِنًا ؟ فَمَلَّتْ فِيهِ أَرَى . ورؤية العين لا تُتَلَقَّ وإنما تعلق رؤية القلب ، ورؤية القلب بصريّة لانفسانية . لكنها لما طابقت في اللفظ (ترى) التي هي للقلب ، وكانت هذه تعلق استجازوا تعلق التي للمعين . على أن الفارسي قد ذهب في هذا القى حكاه سيبويه إلى أنها رؤية قلب .

- ١١ -

وله ايضا :

(رَمَانِي خِسَالُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهٍ وَأَخَرُ قُلُوبٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ)
يذهب إلى أن عدوه ضدّه . هُوَ جَمُّ الْفَضَائِلِ ، وعدوه جَمُّ النِّقَاطِصِ وَالرَّذَائِلِ ، ولذلك وقع بينهما التنافر ، لأن الضدَّ مُحَارِبٌ لِمُضَدِّهِ ، والشكل مُسَالِمٌ لِشَكْلِهِ فهو يقول : لا يصادفني إلا ناقصٌ لجري : المادّة بمادّة ذى النقص لتيّ الفضل . فلذا عابني — والإجماعُ قد وقع على فضلي — فهو لامحالة ناقص . وقد صرح عن ذلك بقوله في الأخرى :

وإذا أنتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كاملٌ
أى أنه لو كان فاضلاً مثلي ، ماذمّتي لنتشاً كلنا في الفضل ، ولأنه لو كان

فاضلاً لتَقصَّ وَفَضَلَتْ . فأوجب ذلك تَصَادُفاً وتمازياً كقول أبي تمام :
 قد آسفَ الأعداءَ مجدُّ ابنِ يوسفٍ وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مَوْلَعُ
 وقوله : (من صائب أسبته ، وآخر قطن) : أراد من بين صائب يرميه ،
 وآخر هذه صفته ، أى أنه ضيف يمدى ضمُّه الجندل فيضنف ، حتى لا يؤثر
 كما لا يؤثر القطن إذا رُمِيَ به .

وصائبُ أسبه : أى مُصِيبها . يقال : صابَ الشيء وأصابه .
 وخص ذكر أسبته من بين سائر الأعضاء لوجهين :

أحدهما : قصدُ الاستغفاف به في ذكر ذلك منه ، والآخر أن هذا الناقص
 المتنقص لى مطلوب مهزوم . وللهزوم لايقع سلاخه إلا على مايلى ظهره ، فخص
 هذا العضو للأمرين جميعاً .

والأجود عندى أنه إنما قصد الاستغفاف ، والشتم ، والسب بذلك
 كثير . ولذلك سميت السببة والسب .

وأصل الناس : الأناس ، حذفوا الهزة لكثرة استعمالهم إياه ، وذلك مع
 اللام ، وقد جاء محذوفاً ولا لام فيها ، كما جاءت الهزة فيه مع اللام فيما أنشده
 أبو عثمان من قول الشاعر :

إِنَّ الْإِنْسَانَ يَبْطِلُنْ عَلَى الْإِنْسِ الْأَمِينِ

ولما ذكر سيديوه اسم الله تعالى ، وكون الألف واللام فيه خلقاً من
 الهزة قال : ومثل ذلك . أناس : فإذا أدخلت الألف واللام قلت الناس . إلا
 لأن الناس قد تفرقة : الألف واللام ويكون نكرة . والله تعالى لا يكون
 فيه ذلك ، وهو فصل معروف في باب ما ينتصب على المدح والتعظيم والشتم
 في باب النداء .

وقوله : (وَآخَرَ قُطْن) الجيد في قُطْن الرُغْ ، لأنه جوهرٌ والجوهر لا يوصف به . إلا أن الجِرَّ في مثل هذا قد يَتَوَخَّع ، وذلك على توهم الصفة ، يُقْبَلُ الجوهر صفة بقدر ما يَحْتَمِلُهُ وضعه ، نحو ما حكاه سيبويه عن العرب من قولهم : مَرَرْتُ بِسَرَجٍ خَزَّ صَفْتُهُ ، لأن الخَزَّ وإن كان جوهرًا فهو في معنى كَيْلَن . صَفْتُهُ . قال : ومن العرب من يقول : (مَرَرْتُ بِقَاعٍ عَرَفَجٍ) . فيجعلونه كأنه وصف . قال الفارسي : كأنهم يقولون : مَرَرْتُ بِقَاعٍ خَشِنٍ كله . وإنما قَدَّرَهُ بِخَشِنٍ ، لأن العَرَفَجَ شاك ، والشوكُ خَشِنٌ لللس . فإذا جَرَّ قال : (وَآخَرَ قُطْنٍ مِنْ يَدِيهِ الْجِنْدَلِ) فكأنه قال : وَآخِرُ لَيْنٍ أَوْ ضَعِيفٍ مِنْ يَدِيهِ الْجِنْدَلِ .

(وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ) .
 (وَيَجْهَلُ أَي مَالِكُ الْأَرْضِ مُفْسِرٌ وَأَنْتَى عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنٌ رَاجِلٌ) .
 ومن جاهل : معطوف على (صائب استه) . أي أنه قد اشتغل بالجهل .
 وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ جَاهِلٌ ، بالغ في استجهاله ، فلم يُبَيِّنْ له أثرًا من العلم ، إذ لو علم أَنَّهُ جَاهِلٌ لَكَانَ لَهُ جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ .

وكذلك أيضًا بالغ في استجهاله بقوله :

« وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ »

يقول : لا علم له اليقظة ، وكذلك يجهل قدرى عند نفسه ، فلا يعلم أنى إذا ملكت الأرض ، كنت مُبْدِمًا عند نفسي ، لقصور ذلك عن قدرى ، وأنى إذا علوت السماكين ، كنت عند نفسي راجلًا ، لأن دَانِيَّ أعظم قدرًا وأكرم خطرًا . و (مَالِكُ الْأَرْضِ) : حال ، والنية فيه الانفصال ، أي مَالِكًا لِلْأَرْضِ . والظرف في قوله : (عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنٌ) متعلق بمحذوف أي مستقرًا عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنٍ ، وهو حال ، فالجورور في موضع الحال ، وأراد

على (ظهور السماكين) ، أو (ظهري السماكين) فوضع الواحد ، موضع ذلك . ومثله كثير ، وحسن ذلك أن السماكين يذكران كثيراً معاً ، فصاروا كالواحد .

(فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ وَلَا صَدَرَتْ عَنْ بَاطِلٍ وَهُوَ بَاطِلٌ)
أى لم تردّ سُيُوفُنَا رُوحَ امْرِئٍ إِلَّا صَارَ لِنَفْسِهِ ، إِمَّا يَكُونُهُ إِلَى النُّصْرَةِ
وإِمَّا لِنَفْسِهِ عَلَى الْمَذْهَبِ الَّذِي لَيْسَ بِمُجِيدٍ . وَلَا وَرَدَتْ بِإِخْلَافٍ بَالَهُ وَذَاتَهُ ،
فَقَدَّرَ أَنْ يَبْخُلَ عَلَيْهَا بَهُمَا ، أَوْ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

(يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِيحِي وَأَنْتَى فِيهَا مَا قَوْلُ الْعَوَازِلِ)
خَيَّلَ لَهُ الشَّيْءَ وَخَيَّلَ إِلَيْهِ : أَيْ شَبَّهَ حَتَّى حَسَبَهُ كَأَنَّهَا ، يَقُولُ : قَوْلُ
الْعَوَازِلِ لَا يَثْبُتُ فِي شَيْءٍ ، كَمَا لَا ثَبَتَ أَنَا فِي بَلَدٍ . وَأَنْتَى فِيهَا مَا يَقُولُ
لِي الْعَوَازِلُ ، مِنَ النَّهْيِ لِي عَنِ التَّقَرُّبِ وَشُرُوبِ التَّصَرُّفِ ، كَقَوْلِهِ :
أَوَأَنَا فِي بَيْوتِ الْبُذُرِ رَحْلِي وَأَوْنَةُ ظَلِي قَدْ بَلَغَ
وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي شِعْرِهِ .

- ١٢ -

وله أيضا :

(ابْتَدَأَ بَدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لِأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ)
(ابْتَدَأَ : أَيْ أَهْلَكَ . بَدَأَ الشَّيْءُ بَدَأً : هَلَكَ ، وَبَدَأَ بَدَأً : ضِدُّ قُرْبٍ .
وَدَعَاؤُهُ عَلَيْهِ بِالْبُتْدِ : أَبْلَغُ مِنْ دَعَاؤِهِ عَلَيْهِ بِالْبُتْدِ ، لِأَنَّهُ إِذَا هَلَكَ قَدْ صَارَ إِلَى
الْعَدَمِ ، وَإِذَا (بَدَأَ) كَانَ فِي الْوُجُودِ وَإِنْ لَمْ يُقْرَبْ . وَالْبُتْدُ أُنْعَى لَهُ مِنَ
الْبُتْدِ . وَقَوْلُهُ (بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ) : أَيْ لَا بَيَاضَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَلَا يَحْدُثُ
عَنْهُ بَشَرٌ وَلَا فَرَحٌ .

والعربُ تَصِفُ الحُزْنَ بالسَّوَادِ ، والسُّرُورَ بِالْبَيَاضِ . وهو معنى
وله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۖ وَوَرَّادًا ﴾ (ابتعدَ بَعِدَتْ ذَا بِيَاضٍ) ، لأنه إنما
يُخَاطَبُ الشَّعْرَ الْأَبْيَضَ ، لا الْعَرَضَ الَّذِي هُوَ الْبَيَاضُ . (لأنَّ أسودَ في عيني
من الظلم) أيها الشيب .

فأما قوله : (أَسْوَدُ في عيني من الظلم) ، فخطأه فيه قوم . قالوا : إن
(فِئْل) (افْعَلَّ) هذا على أكثر من ثلاثة أحرف ، وهو (أسودُ)
فلا تقع المفاضلة فيه إلا بأشَدَّ وَأَبْيَنَ وغيرهما من الأفعال الثلاثية ، التي تصاغ
لِيُوصَلَ بِهَا إِلَى التَّعْجِبِ مِنَ الْأَفْضَالِ الَّتِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةٍ .

وهذا منهم غلط . ليست (أَفْعَلَّ) هنا للمفاضلة ، ولا (مِنْ) متعلِّق
بأسود ، على حد تعلّق (مِنْ) بأفضل في قولك : زيد أفضل من عمرو . وإنما
هو كقولك لأنَّ أسود ، مملود من للظلم في عيني . (كَيْفَ) غير متعلقة
بأسود ، كتعلّق (مِنْ) بأفضل التي للمفاضلة ، وإنما هي في موضع رفع ، حالة
حل الظرف ، بمنزلة في قول الأعرابي :

فلست بالأكثر منهم حمى وإنما العزة للكاهن
فلا يجوز أن تكون (مِنْ) متعلقة بالأكثر ، لأن اللام تُعاقِبُ
مِنْ وإِنَّمَا هي هنا بمنزلة الظرف . ولأنك جل الفارسي (مِنْ) هنا بمنزلة ساعة
في قول أوس بن حجر :

فلما رأينا العرضَ أخوج ساعةً إلى الصُّون من رَبط رعايتهم
(بِعُوبٍ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبُ تَفْذِيَتِي هَوَايَ طِفْلًا وَشَيْبِي بِالْغِ الْحُكْمِ)

أى عَذَبْتُ نفسى بحب هذه التى قطنى حبها بالشيب . فأما تنذيتى نفسى
 بالحلب فى حال طفولتى ، وأما فى الشيب ، فى حال بلوغى الحلم ، أى هَوَيْتُ
 وأنا طفل ، وشَيْتُ من ذلك الحب وأنا مُحْتِمٌ ، جَعَلَ الْحُبَّ وَالشَّيْبَ لِنَفْسِهِ
 غِذَاءَيْنِ وَهُمَا مُهْلَكَانِ لَامْتَمَتَيْنِ . واليهاء فى تنذيتى تكون فى موضع الفاعل ،
 فىكون المفعول حينئذ محذوفاً ، أى تنذيتى نفسى ، كما تقول : عَجِبْتُ مِنْ
 ضَرْبِ زَيْدٍ عَمْرَأً . ويموز أن تكون فى موضع المفعول الذى لم يَسْمَ فاعله ، أى
 غُذِيتُ . وهَوَاى : ييموز أن يكون مبتدأ وخبره الحال التى هو طفلٌ
 كقولك : أَكْثَرُ شُرْبِ السُّوْقِ مَلْثُونًا . والقول فى شيبى وبالغ الحلم ،
 كالقول فى هَوَاى طِفْلاً . وكأنه قال : يالنا الحلم .

ويموز أن يكون هَوَاى فى موضع جر على البدل من حُمى ، وشَيْبى حينئذ
 فى موضع جر معطوف على هَوَاى . والأول أقوى .

(شَيْخٌ يَرَى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُبَّاجِ فِي الْحَرَمِ)
 يعنى بالشيخ هنا : المَجْرِبُ إِذْ لَا تَكُونُ التَّجَرُّبَةُ لَنَيْرِ ذَوَى السَّنِ
 وَالْحُسْنَكَةِ ، كقول الراعى :

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشَدُّى وَنَجْدَتْنِى مُدَاوِرَةُ الشُّثُونِ

وفى كلامهم : ابن خمسين : ليث عرين ، وقد قال هو فى موضع آخر :
 (سَأَطْلُبُ حَمًى بِالْقَنَا وَمَشَايِخَ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا التَّقَمُّوا مُرْدُ)

مشايخ : جمع مشيخة ومشيوخاء على حذف الزائد . (يرى الصلوات
 الخمس نافلة) : أى أنه لا يعنى بمفروضات الدين ، ولأنه مما يشاء إذا أمكنه
 ماطلبه . ويستحل دم الحباج فى الحرم : أى أنه مباح فى المضاء والنفاذ ، حتى
 لا يردّه النحر الذى يوجب الدين فضلاً عما سواه . ويرى هاهنا : من رؤية

القلب ، لأن الصلاة فعل عَرَضِي ليس بجوهر محسوب ، فكأن حاسة البصر واقعة عليه . وفي الحرَم تميم بديع .

(وَرَبَّ مال قَصِيراً من مُرُوتِهِ لم يُثَرِ منها كما أَثَرِي من التَّدَمُّ)

أى أن اللثيم النقي يمنع نفسه حظها ، والفقير السَّخَّح إذا وجد أعطاها حظها ، فالفقير مع السَّخَّح أجدى على صاحبه من النقي مع الأثوم ، كقول حسان بن حفظة :

إِنَّا لَنَعْتَرُ أَيْمَكَ يَخْمدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُقْتَرِبًا عَلَى الإِقْلَالِ
وقد ير البيت : لم يثر هذا اللثيم النقي من غناه ، كما أثرى هذا الفقير السَّخَّح من التَّدَمُّ .

وقد يجوز أن يعنى أن ثروة هذا اللثيم النقي من الفقر ، أكثر من ثروته من النقي ، أى أن حالة المُدَمِّ أظهر عليه من حالة النَّقِيِّ .
فأما قوله :

(يَجْنِي النَّقِيُّ لِلثَّامِ لَوْ عَقَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ)
فمعناه المبالغة . أى أنهم يمنعون أنفسهم حظها في حال النقي ، فلا يقدرون بل يذمُّون بظهور حال الفقر عليهم ، وإن كانوا أغنياء . وأما إذا ظهرت عليهم حال التَّدَمِّ وهم مُعَدِّمُونَ ، فلا ذَمَّ عليهم ، بل هذرم في ذلك بين .

— ١٣ —

وله أيضا :

(حَلَقَى الرَّقِيبَ فُضائِلُهُ ضَمائِرُهُ وَغَيَّضَ اللَّعْمَ فَانْهَلَتْ بَوَادِرُهُ)
يريد : استغنى الرقيب ، وأخرجه مما كان يعرف سره ، لأنه كان في أول أمره ييوح بسرّه إلى بعض إخوانه ، ويخفى ذلك عن الرقيب . فلما تبادى

ذلك به أفرط عليه ، إلى أن بجل وبكى ، وذَلَّ وشكا ، فلم الرقيب ذلك منه .
 (غاب الأمير فغاب أخير عن بلده كادت لفقد أسفه تبكى مدياره)
 كان هذا الأمير المجهول مخطوباً له بمحص أيام ولايته إياها ، فأزيل عنها
 فاطمط الاختطاب باسمه على منابر هذه المدينة ، فحنت للنابر وبكت لذلك .
 (قد اشتكت وحشة الأخياء أربعة وخبرت عن أسى الموتى مقابرهم)
 الهاء في مقابرهم : لبلد ذاك ، كما كانت في المنابر له . أى توحش إليه
 الأحياء ، وهذا ممكن ، والأموات ، وهذا غير ممكن ، لكنه بالغ بالموتى ،
 وأفرط بقوله : إنَّ للناظر نُخْبَةً من أسى الموتى ، فالتنصيف الثانى أغل من
 الأول ، لأن الأحياء يتوحشون ، وإن كن فيه علواً أيضاً لإسناده الشكوى إلى
 الأربع فيه . وكان الأربع إنما اشتكت رِقَّةً لما تراه من توحش أهلها ،
 وبعداً بذلك .

وإن شئت قلت : خلَّيت الأربع بعد الأمير من سكانها ، فشتت
 توحشها إلى الأحياء (وهذا) أولى ، لتطابق إسناد الأسى إلى الموتى .
 (تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بِمُسْوَاهُ أَوْ عَشَائِرُهُ)
 أى إن السُّيُوفَ تحمى على أعدائه معه ، تصعباً له وجهاً حتى كأن السُّيُوفَ
 من مظاهرتها ونصرها له ، وتبليغها إياه ما شاء من عدوه ، يتوَّن له أو عشائره .
 قال أبو الفتح : وهذا أبلغ من قول أبى تمام :

كأنا هـ فى الأوداج والنهْ وفى الكُلَى تجدُ أنفيظ الذى تجدُ
 لأن أبا الطيب قد جعل السُّيُوفَ بينه له وعشائره . وإذا كانت المناسبة
 استعصمت العصبية ، وازدادت الأنفس حمية ، وأبو تمام لم ينطُ يته بشيء من
 معنى المناسبة .

(إِذَا انْقَعَاها لِحَرْبٍ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبَاسِئُهُ لَعِينٌ ظَاهِرُهُ)
 انقضاءها : جردها . أى إن الدم الذى هو باطن الجسد يفيض فيصير
 ظاهراً . وقيل تقطع الأشلاء وقدّ الجلد ، فيظهر من الجسم ما كان باطنا .

- ١٤ -

وله أيضا :

(وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرِكِ الشَّمُّ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِئْلٌ)
 أى أن الشتم نال كل طائفة من طوائف جَسَدِي : اللحم والعصب
 والعظم ، فأحمله وبراها ، حتى الشعر الذى هو أرق طوائف جسي ، فإنه أثر
 فيه بالشيب . والشيب سُقْمٌ ، لأنه مُشْعِرٌ بفناء ، كما أن الشتم كذلك .
 ولذلك قال بعض الشعراء فى صفة الشيب :

هو الشتم إلا أنه غير مؤلم ولم أر مثل الشيب سُمًّا بلا ألم
 وقد يميز أن يعنى أنه قدّف فى أصفر طوائف جسي ، وهو الشعر ،
 بهله النازلة المظيمة الشنيعة ، وهو الشيب . قيس على سائر الجسم بمثل هذا
 القيس ، كما يُستدلُّ بالأصفر على الأعظم ، وبالأقل على الأكثر ، أى إذا كان
 فعله فى الشعر هنا ، فما ظنك باللحم ، وما يحمله من العصب والعظم ؟

(هُمَا إِذَا مَا قَارَقَ الْغَمَدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْفَتْلُ)
 أى أن مضاده كضاد السيف ، وبشره وبشاشته كفرلده وصقائه ، فانت
 تشكّ فيهما حتى لا تميز أحدهما من صاحبه . وهذا كقول أبى تمام :

• مُنْصَلِّتًا كَالسَيْفِ عِنْدَ سَلَةٍ •

وقال رؤبة : • كَأَنِّي سَيْفٌ بِهَا إِصْلِيلٌ •

ونحوه عندى قوله هو أيضاً :

• كَفَرَنْدَى فَرَنْدُ سَيْفِي الْجَرَايزِ •

أى كبشرى عند القتال وبشاشى وفرحى بتأثيرى فى أقرانى، فرند سيفى
 هذا الجُرازُ : القاطع ، وذهب قوم إلى أنه عتَى فرنده نفسه : سهُومه
 وتغييره من السفر والجِدِّ والتعب . فكفى عن ذلك الشُّثم بالقرند ، لدلالته
 على شرف المهمة ورضة النفس ، وإنما الصحيح الأول كقولهِ فى موضع آخر:
 أرى من فرندى قلعَةً من فرندِهِ

وَجُودَةُ ضَرَبِ الْهَامِ فى جُودَةِ الصَّقْلِ
 إِذَا قِيلَ حِلْمًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْقَتْلِ فى غير مَوْضِعِهِ جَهْلُ
 أى طلبُ الرفق فى موضع التَّزَالِ خديعة لا يخلد إليها أريب ، كقولهِ :
 يناشدنى حاميمٌ والرمح شاجرٌ فهَلَّا تلا حاميمٌ قبل التَّضَمُّمِ
 وإنما يروم بذلك قِرْنَهُ منه التماسَ نَهْزَةٍ أو حَذْبًا إلى كشف شدة
 عن نفسه .

(ولولا تَوَلَّى نَفْسِهِ سَحَلَّ حِلْمُهُ عَنِ الْأَرْضِ لَانْتَهَدَتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ)
 الحِمْلُ : المصدر ، والحِلْمُ : الاسم . وناء بها : أحمَلها ، وفى التَّنْزِيلِ
 (مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ) . ولا يقال (نَاءَ) إلا فى حَسَدِ الْإِتْبَاعِ
 لِسَاءٍ ، يقال : (له عندى ما سَاءَ وناء) ، وقد يكون مع الْإِتْبَاعِ صَيِّغٌ لا توجد
 فى حَسَدِ الْإِنْفِرَادِ ، كقولهم هَنَاءُ وَمَرَاءُ ، فإذا أفردوه قالوا أَمْرَاءُ . وقالوا :
 إِنْى لَأَتِيَهُ بِالْقَدَايَا وَالْمَشَايَا ، والغداة لا تَجْمَعُ على غَدَايَا ، لأن (قَلَّةَ)
 لا تُكْسَرُ عَلَى فَعَالٍ . لكنهم يجوزوه لما قرنوه بالمَشَايَا ، ولا عليك أَنْ يَسْعَ
 الثانى الأول ، أم صَيِّغُ الْأَوَّلِ على حَكْمِ الثَّانِى ، لأن مذهب العرب فى ذلك ،
 أن تصوغ الكلام من وجه واحد طلباً للشاكلة .

ومعنى البيت : أن حلمه رَزِينٌ فلم يتوَلَّى سَحَلَّ نفسه بنفسه ، ووكل

الأرض بحمله ، أثقلها فانهت . وإنما يوصف الحلم بالرزانة لما يتبعه من
الوقار ، كقول الآخر :

أحلامنا ترن ألبالَ رزانةً وتزيد جاهلنا على أجهال
وقد قال هو أيضاً :

وبقيات حلمه عافت النا من فصارت ركانةً في الجبال
(وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِجْمَازٌ وَعْدٍ وَلَا مَطْلٌ)

أى أن عطايه بلا عِدَّة . والإجماز والمطل : عَرْضَان أو خاصَتَان للوعد .
فوجودهما بوجوده ، فإذا ارتفع الوعد ارتفعت خاصتاه اللتان هما الإجماز والمطل ،
وكذلك كل خاص وعخصوص ، إذا اتفقت الخصوص اتفقت الخاصة ، كالضعف
وقبول العلم والأدب اللذين هما خاصتا نوع الإنسان .

وإنما مثلت الوعد بالإنسان ، وإن كان الوعد عرضاً ، والإنسان جوهرًا
تَمَرِيكًا وتَلْبِيكًا . فلا تظن بنا غير ذلك ، ولو وهنا يفهم بى الزمان ، لتبيننا عن
إطالة البيان .

(كَفَى مُعْلًا فُخْرًا بَأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لَأَنْ أُمْسِيَتْ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلٌ)

أى ودهرٌ يكونك من أهله . أى دهر مستحق لذلك . وَرَفَعَهُ بِفعل مُضمر
أى وليفخر دهرٌ ، وحسنُ هذا الإضمار ، لأن قوله : (كَفَى مُعْلًا فُخْرًا بَأَنَّكَ
مِنْهُمْ) فى قوة قوله : لتفخر مُعْلٌ ، فحمل الثانى على المنى ، فكأنه قال :
لتفخر مُعْلٌ وليتفخر دهرٌ ، والحمل على المنى كثير ، فأهل : صفة لدهر ، وأراد
كفى الفخر مُعْلًا فُخْرًا بكونك منهم .

وله ايضا :

(أَبْرَحَتْ بِأَمْرَضِ الْجَفُونِ يَمْرَضِي مَرِيضَ الطَّيِّبِ لَهُ وَعِيدَ الْمَوَدِّ)

أَبْرَحَتْ : بالنت في تعذيبه ، وتجاوزت النهاية ، ومنه قولهم : أَبْرَحَتْ فارسا : أى بلغت الناية ، وتجاوزت النهاية . ومَرَضَ الجفون : فتورها . والمرض : يعمى نفسه ، لأن مرض الجفن أمره ، فيقول : بالنت يمرض الجفن يمرض مريض ، مَرَضَ الطَّيِّبُ لَهُ : إقارحةً ، وإما عجزا عن شفائه . وَمَرَضَ الْمَوَدُّ لشدّة ما رأوا به فَعِيدُوا .

ولابن جني في هذا البيت كلام أجله عن أن أعزوه إليه .

وقوله : (مرض الطيب له) ، فله : في موضع الصفة للمريض ، ومعنى له : أى (من) أجله . وقد يكون في موضع المفعول كقولك : أنا هليم بك ووكيل عليك .

(فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمُ وَالْقَدَفْدُ)

يريد أنه قصد بنى عبد العزيز ليشفوه ما به ، ولم يأخذ سيرته الذين يأخذون بقول امرئ القيس : (وإِنَّكَ لَمْ تَقْلَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ) .. البيت ، لأنهم يَرونَ البعدَ من اللصوب ما يُرْمَح . فترك هو هذا ، ونحأ إلى بنى عبد العزيز ، يذهب إلى أن شغل بنى عبد العزيز هؤلاء أن يُرْمَحوا من هذا للمرض ، وشغل كل ركب أن يركبوا الميس ، ويَسْهُوا في القفار .

وبعض الناس يقول : إن العيس لبنى عبد العزيز ، والأحسن ما بدأنا به .

(نَقِمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمانِ يَصْبُها نَعِمٌ عَلَى النَّعَمِ الَّتِي لَا تُجَدُّ)

أى نعمه البوادي المود : تدفع نَقَمَ الزَّمان ، فتتق من قهر ، وتفتك من

أُسْرٍ ، والأسر من رِقَم الزمان ، فهو يَصَبُّ هذه النِّعَم فينْقُصُ بها من رِقَم الزمان ، لأن جُودَه وغيائِه إذا أزالا الفقر والأسر ونحوهما من النِّعَم ، فقد اقتضا منها ، فهن إذَنْ حِمٌّ على النِّعَم الزمانية ، ونِعَمٌ على الأسير والفقر ونحوهما ممَّن أصابه الضر ينقعه .

(مَنْ فِي الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ مَنْ فِيكَ شَأْمٌ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ)

الشَّأْمُ ، مذكر ، وتقدير البيت : مَنْ فِي الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ بِإِثْنَيْهَا ، وَلَا تَقُلْ (مَنْ فِيكَ بِإِثْنَاءُ) ، فخص بذلك الشَّأْمَ وحده ، فإنه أَوْحَدُ الدُّنْيَا جَمِيعًا . لَا أَوْحَدُ الشَّأْمَ وحده .

(أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ غَيْرُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ)

أى مَنبِجُ هذه أرض شريفة ، وغيرها مثلها ، لولا كونك بها ، فلما شرفت على البلاد بك لابنائها .

(وَبَقِيتَ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَبَقِيتَ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدٌ)

أى أَغْنَيْتَ غَنَاءَ الْكُلِّ ، فَكَأَنَّكَ كُلُّهُمْ كَقَوْلِهِ : (إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ) .

وبقيت بينهم كأنك مُفْرَدٌ ، أى لم يكن فيهم من يجوز أن يَمْدَّ ثَانِيًا لَكَ ، وَإِنْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ .

(مَا شَارَكَتَهُ مَنِيَّةٌ فِي مُهْجَةٍ إِلَّا لَشَفَرْتَهُ عَلَى يَدَيْهَا يَدٌ)

العرب تقول : لَكَ عَلَى فُلَانٍ الْيَدُ الْبِيضَاءُ ؛ أى المزية الظاهرة .

ففى البيت : لِنَ شَفَرْتَهُ الْأَمْرَ الْأَظْهَرَ ، فَلِذَا أَنْ يَكُونَ ؛ لِأَنَّ تَأْثِيرَ السِّيفِ أَظْهَرُ مِنْ تَأْثِيرِ الْمَنِيَّةِ ، لِأَنَّ تَأْثِيرَ السِّيفِ جَسَافِي عَلَيْهِ يَقَعُ لِلْحَسْرِ ، وَتَأْثِيرُ الْمَنِيَّةِ ضَعْفَى ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ حَسٌّ .

وقد يجوز أن تكون للشجرة اليد على النية ، من جهة أن النية معلولة
 للسيف ، والسيف على لها . والملة أشرف من الملول ، فوجبت المزية للسيف
 بذلك .

وقد يتوجه البيت على أن كل شريكين ، فن المتاد الأغلب أن يكون
 أحدهما أقوم بالأمور ، فعملو يده يد صاحبه ، فإذا شاركت النية سيفه فحكمه
 أمضى ، والأول عندى أقوى .

(قَطَعْتَهُمْ حَسَدًا أَرَامُ مَا بِهِمْ فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لَنْ لَا يَحْسُدُ)

أرام ما بهم : أى كشف لهم عن قصورهم عنك ، ولو اتزن له أرام ما به
 كان أدخل فى الصناعة المنطقية ، فتقطعوا حسداً لمن لا يحسد : أى من
 يحسدوك لتقصيرهم عنك ، وأنت لا تحسد أحداً ، لأن الفضائل كلها متجمعة لك ،
 فلم يبق لك ما تحسده عليه غيرك .

وقوله : أرام ما بهم ، جملة فى موضع الصفة .

(أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمُ وَأَبُوكَ وَالتَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ)

هذا محل من القول وسقته ، أى أنك أنت الإنسان والجن ، وأبوك
 محمد ، هنا يبنى أباً للمدوح ، فما لهذه البرية وادعائها آدم أباه ، وهذا من
 قبيح الضف ، وطريق السخف ، وقد دخل به العقاب فى أنه لم يحسن تأليف
 البيت ولم يوفق لإقامة إعرابه . ألا تراه فصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية
 فى قوله : (وأبوك والتقْلانِ أنت محمد) . وموضع الكلام : أبوك محمد ،
 والتقْلانِ أنت . وهذا لا يكاد يسغه لنفسه الذى يقول :

ضحك الناس وقالوا شمر وضاح الإيمان
 إنما شمرى قيدٌ قد عمِدَ بخُلجانٍ

وقال أيضا :

(طَلَبْتُ جَسِيمَ مَا طَلَيْ وَإِنَّا نَخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَهْجِ الْعِظَامِ)

أراد جسيمَ طلي ، و (ما) : زائدة . والنظام هاهنا : كناية عن العز والشرف .

أى يقول : أنت إنما تخاطر فى طلب الملك بالمهج العزيزة التى لاخلف منها إذا هتعت .

(وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا . لَأَدْبَى رَأْسَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي)

أى لو شخص الدهر لأثرت فيه بسيفى ، والدهر ليس بشخص لأن وجود النور وعلمه ، لاختلف حركة الفلك ، فتمناه هو شخصا ليوقع به ، غلوا منه وعلوا ، وعليه دائرة السوء .

(إِذَا امْتَلَأَتْ عَيُونُ الْخَيْلِ مَقَى فَوَيْلٌ لِلتَّقِيظِ وَالنَّامِ)

أى أروغهم بئس مقيظيل ، ويعلمون بى ، وذلك بما بقى فى قوسهم من الروع ، كقوله هو :

يرى فى النوم رُحَكَ فى كَلَاءٍ . وَبِخَشَى أَنْ يَرَاهُ فى الشَّهَادِ

ومادة كل ذلك قول الشاعر :

وَكَلَى عُدُوكَ يَا بَنَ نَمَّ عَمَدٍ رَصَدَانِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْإِغْلَامِ

فإذا تنبّه رُغْتَهُ وَإِذَا هَذَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

وأراد للتنبى : إذا امتلأت عيون فرسان الخيل ، غف للضاف ، وأراد فويل لها فى التيقظ والنام ، فأسد الويل لئنها مجازاً لا حقيقة ، لأن التيقظ والنام عرّضان لا يلحقهما ويئل .

وقد يجوز أن يضع المصدر موضع الاسم، كأنه قال: غويلٌ للمُتَيْقِظِ والنائم،
كقولهم: ماء غَوْرَ: أى غَارَ؛ ومثله كثير.

- ١٧ -

وله أيضا :

(أَذَا الْمُنُّ أَمْ ذَا الدَّعْصُ أَمْ أَنْتَ فَنَّةٌ)

وَذَيًّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَمَرُ)

أى: أَفَذَلِكَ غُصْنٌ؟ أَمْ رِذْفُكَ دِغْصٌ؟ و (ذَيًّا)، تصغير (ذَا)،
وإنما صغره، لأنه أشار إلى الثمر؛ والثمر يوصف بالصغر، ألا ترى إلى قول
النظام يصف عجبه من امرأة طرحت خاتمها في فيها فقال:
* مِنْ رَفِيهَا الْخَاتَمُ فِي الْخَاتَمِ *

شبهه فأما بالنظام لصغره و (أَمْ أَنْتَ فَنَّةٌ): يكون فيه (أَمْ) التبديلة
لأن الاستفهام، وتكون منقطعة كَهَلْ، وقد اعترض السؤال عن الجملة،
أعنى قوله: (أَمْ أَنْتَ فَنَّةٌ) بين أثناء الكلام عن الأجزاء، لأن القَدْ،
والرِذْفُ، والثمر، كلها طوائف، وأنت جملة. وإنما كان ينبغي، لو استقام
له، أن يقرع بالسؤال عن الطوائف، ثم يُجمل، أو يُجمل مبعدها فيقول: أَنْتَ
فَنَّةٌ، ثم يأتى بالطوائف.

وأما هذا الفصل عندى بين النظائر بالريب، فقلق غير متمكن، وهنا
إنما (يحكيه) أهل اللطيفة. وكذلك قوله: (وَذَيًّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ
ثَمَرُ) كان أصح أن يقول: (يَرْتَقُ)، لكان (ثَمَرُ)، لأنها نكرتان.
! (فَتَى كُلَّ يَوْمٍ يَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ الْمَالِ لَا الرُّدَيْنِيَّةُ الشَّمْرُ)
تُضَيِّرُ عَلَى مَالِهِ رِمَاحُ الْمَالِ، يعنى للمنايح. أى أن رماح للمنايح التى تُضَيِّرُ
بها المالى، تُضَيِّرُ عَلَى مَالِهِ، كقول أبى تمام:

• رَأَاهُ فَادِرٌ عَلَيْهِ فَسَالَبُهُ •

وقال : رماحُ للمالِ ، ولم يقل سيوفُ للمالِ ، توطئةً للرديفية الشعر ..
وقوله : (نَفْسُ مَالِهِ) ، ليس للمالِ نَفْسٌ في الحقيقة ، إنما تَجَوِّزُ بذلك ،
كما تَجَوِّزُ بأن جعل للمالِ رماحاً ، وليس هناك رماح ولا نَفْسٌ ، وعلى هذا
أَوْجَهُ أنا قوله :

أَلَسْتُ مِنَ الْقَوْمِ الْآلَى مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُهْخُلِ
لما استعار البُهْخُلُ مهجةً مقتولةً ، جعل للندى رُمَاحاً قتلوا به مهجة البُهْخُلِ .
لا على ما ذَهَبَ إليه أكثرُ مفسري هذا الشعر ، من أنه حتى بقوله : (من .
رماحهم ندام) : أنهم يهودون ، وإنما يهودون بما تُقَى عليهم رماحهم من
النَّهْبِ . وما أدري ما أعمام عن هذا على وضوحه .

— ١٨ —

وله أيضا :

(وَلَا أَلْدِيَارُ الَّتِي كَانَ الْحَيِيبُ بِهَا تَشْكُو لِي وَلَا أَشْكُو لِي أَحَدٌ)
شكوى الديارِ إنما هي باعتبار النُّظَارِ من سوء آثار الزمان عليها . كقول
على رضى الله عنه غاطباً القبور : فإن لم تُجِبْكَ جَهَاراً ، أجاوبتك اعتباراً .
ويقول الشاعر :

وَعَظَمْتُكَ أَجْدَاثٌ صُمْتُ وَمَعَكَ أَلْسَنَةٌ خَفْتُ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجُو تَبَيَّاهُنْ صَوْرٍ سُبْتُ

فيقول : إن دعى حال دون تأملِ آثار البلاد في الديار ، فيقوم مقام
شكواها لِي ، أى : لولا مَنَعُ اللمع لِي من التأمل ، لرأيت سوءَ صنْعِ
الدهر بها ، لكن اللمع كَفَّاهُ وَحَمَاهُ النَّظَرَ ، كقول الآخر :
فَمِنَاهُ طَوْرًا تَفَرَّقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعَقَى وَطَوْرًا تَحْـمِرَانِ فَأَبْصَرُ

ولهذه الملة يقول الشاعر منهم رفيقه : تبصروا نظراً ، كقول امرئ القيس :

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ غُلَامَيْنِ سَوَالِكَ تَقَابِلَيْنِ حَزْمِي شَمِيمِ
وقال آخر :

• بَلْ تَبَصَّرْ ، فَأَنْتَ أَبْصَرُ مِنِّي •

أى أن السمع قد حال بيني وأنا ، وبين التأمل ، بإفراقه ناظرى ؛ وقد بكيت حتى أَكَلْتُ الملعُ بصرى . (ولا أشكو إلى أحد) ، أى أنها قفر لا أحد فيها . فأشكو إليه ، أى ليس بها أحد يُشْكِي إليه ، فأنا أدع الشكوى لذلك ، وفيه الملام هنا كقول النابغة :

(هَيَّيْتُ جَوَاباً وَمَا بِالْبَرْقِ مِنْ أَحَدٍ)

وقد يتوجه البيت على أنه لم يبق في الدار فضل للشكوى بما همهما وأبادها من البكى ، ولا فى أنا فضل للشكوى . أى قد ضفت عن ذلك ، والأول أوجه .

(أَيْ الْأَكْفُ تُبَارِي الْفَيْثَ مَا اتَّفَقَا) حتى إذا انترقا عادت ولم يَمُدَّ الأَكْفُ : جمع كَفَتْ ، قال سيويه : ولا يكتر على غير ذلك . أى كَفَتْ سوى كف هذا الممدوح تعارض الفَيْثُ ، أو تباريه ؟ حتى إذا أقلع الفَيْثُ عادت الكف للندى . وهى تلك الكف بينهما ، ولم يَمُدَّ الفَيْثُ ، لأن ذلك الفَيْثُ بعينه لا يعود أبداً . وفى قوله : (عادت) ، إشعار بأنها أَقْلَعَتْ وإنما قاله توطئة لقوله : (ولم يَمُدَّ) ، ومثل هذا كثير فى كلامهم ، كقوله تعالى : (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) ، واتصاف المؤمنين من الكفار ، ليس باعتداء ولا ظُلم ، ولكنه ذكر الاعتداء هنا لتقدم (فمن اعتدى) . ومثله قول الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَعَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
وقوله :

... تَبَارَى النِّيثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَدُ
يسمى ترجيعا ، قد وقعت المساواة بين الكف والنيث بلا فضل
لأحدهما على صاحبه . فإذا أُلغى النيثُ ودامت الكف تجود ، فقد فَضَلَتْ
النيثُ الكفُ ورجعت عليه .

- ١٩ -

وله أيضا :

(وَفَشَتْ مَرَاتِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفْنَا تَعْرِيفُنَا قَبْدًا لَكَ التَّصْرِيحُ)
أى لما جَهِدْنَا التَّعْرِيفَ ، استروحنا إلى التصريح ، فانتهك السَّتر . وإن
شئت : لما عَرَضْنَا ؛ ظهرت دلائل الحُبِّ عَلَيْنَا كفيض السمع ، وتغير اللون
فدأ التَّعْرِيفُ تَصْرِيحًا ، بهذه الأدلة التي أعربت عن الحب ، وصرحت به ،
وإن كنا نحن لم نُرِدْ التَّصْرِيحَ ، فتقديره . فبدأ لك التصريحُ من تَعْرِيفُنَا .
ومعنى شَفْنَا على هذا القول : نقص نصبرنا ، وَغَيَّرَ تَجَلَّدْنَا ، وقد يكون وَشَفْنَا :
أى شَفَّ قُوَّتُنَا عَلَى التَّكْتُمِ فَبِكَيْتَا ، فحصل التَّعْرِيفُ تَصْرِيحًا .

(شِمْنَا وَمَا حَجَبَ السَّمَاءُ بَرُوقَهُ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ)

شِمْنَا : أى نظرنا . وهو يستعمل في البرق والتار . قال :

نَشِيمُ بَرُوقَ الْمَزْنِ أَيْنَ مَصَابُهُ . وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا بَنَةَ عَفْرَا

وقال ابن مقبل في التار :

وَلَوْ تُشْتَرَى مِنْهُ لِبَاعِ ثِيَابِهِ بِنَبْحةِ كَلْبٍ أَوْ بِنَارٍ تَشِيمُهَا

أى شِمْنَا البروق ، ولم يُحْجِبِ السَّمَاءُ . أى لا غيم هنالك ، فيُحْجِبُ أَيْم

السماء ، وإنما على غايل يديه ، وإن شئت قلت : إن الجو يسلم بالبرق بعد
تبشئه بالنسيم ، وهو يبقى أبداً ، فيرقه في صبحه ، ولا يلحقه عبوس ، فيسكون
ذلك العبوس كأنهم . فجوده هنيء ، وليس النيث كذلك ، لأنه وإن حلّى
الأفق بالبرق ، فإنه يجلب حسن السماء ، وجمال سمتها ، ويحببها بالنسيم وهذا
قريب من قوله هو :

فَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً . الشمسُ تشرقُ والسحابُ كَنُهوراً

عنى بالسحاب الكنهور : نداء ، وبالشمس : بشره ، وحسن وجهه الرضى ،
وسنشيع شرح ذلك في القصيدة التي هو فيها إن شاء الله تعالى .
(وَحَرَى يَمُودُ وَمَا مَرَّتَهُ الرِّيحُ) . أى حَرَى أَنْ يَمُودَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمُرَّ بِهِ
الرَّيحُ .

ينهب إلى تخليص جود هذا المدحج من الكدر ، وقضيه على المطر ،
لأن ماء المطر وإن كان طهوراً نافعاً ، فإن هناك ما يكدره ، وهو النسيم الذي
يطمس نور الشمس ، فيؤلف الكربة في النفس والريح التي يتوقع منها الآفات
وأشواع الحوائج . وإن شئت قلت : إن الريح هنا مستمرة ، وإنما كنى بها عن
السؤال ، لأن السؤال يستخرج النوال ، كما أن الريح تثرى الماء . فيقول :
جوده متبرع يُقْنَى عن السؤال ، كقوله هو :

وَلَمَّا غَنَوْنَا بَطَانَهُ عَنْ هَزِهِ وَآلَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَآلِهِ
وَلَدَلِكْ قَالَ هُوَ أَيْضاً :

وَأَلْجَرَأَحَاتُ عِنْدَهُ تَقَلَّتْ سَبَقَتْ قَبْلَ تَمْلِهِ إِسْوَالِ
وسياق شرحه في موضعه :

ونظيره قوله :

• وَحَرَى يَمُودُ وَمَا مَرَّتَهُ الرِّيحُ •

وعلى هذا القول الأخير قول البحترى :
 مواهباً ما تَجَسَّمْنَا السُّؤَالَ لَهَا إِنَّ النِّمَامَ قَلِيبٌ لَيْسَ يُصَقِّفُ
 ويَجُوزُ (وَحَرَى يَحُود) بِإِضْمَارِ (أَنْ) ، أَيْ وَحَرَى أَنْ يَحُودَ .
 (ما مرته الريح) . جملة فى موضع الحال .

— ٢٠ —

وله ايضا :

(لَمْ يَلَقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَفَا)
 جَلَّ الطَّمَانُ مِنَ الْعُلَمَانِ مَلَاذًا)
 إِنَّ شَيْئًا قُلْتَ مَعْنَاهُ : أَنْكَ تُلْقِي نَفْسَكَ لِلطَّمَانِ مُحْضَرًا لَهَا ، لَهَا بَكَ
 الْأَقْرَانِ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ مَعْنَاهُ : إِنَّكَ تَلُودُ مِنَ الطَّمَانِ بِطَمَنِكَ لِمَدُّكَ ،
 عَلِمَا أَنَّكَ إِنْ تَهَيَّجْتَهُ وَلَمْ تَطْمِئِنِّهِ طَمَنَكَ فَإِنَّمَا تَدْفِئُهُ بِالْإِقْدَامِ ، لَا بِالْإِحْجَامِ ،
 (لأنه) تمكين للعدو .

ولهنا قالت العرب : إِنْ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ : أَيْ إِنْ الشَّرَّ إِنَّمَا يَدْفَعُ
 بِمِثْلِهِ . كَقَوْلِ قَطْرَى :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ أَلَمْ أُجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
 وَقَالَ اللَّيْثُ فِي نَحْوِهِ أَيْضًا :

فَإِنْ تَكُنِ الدُّوَلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِيَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزَّوَامَ تَدُولُ
 لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِيَبْيِضَ فِي هَامٍ السَّكَاةَ صَالِلِ
 (لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُعَمَّدًا) فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَيْيَكَ مُعَاذًا

أى (ذكروا) يرويتهم إياك عثك وأباك . يذهب إلى قوة شبهه
 بهما كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة ، أى مثله ، وقد قال المتنبي فى هذا المعنى :
 لو تَفَكَّرْتَ فى المَكْرِّ يَقُومُ حَلْفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ

- ٢١ -

وله أيضا :

(وكأنا عيسى بن مريم ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عازرَ شَخْصُهُ الْقَبُورُ)
 عازرُ هنا : أحياه عيسى ، وأقامه من قبزه ، فكذلك ذكر هذا الميت
 يحييه ، كما أحيا المسيح عازر . وترك صرف عازر لأنه أعجبى . .

- ٢٢ -

وله أيضا :

(تُشَقِّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا بَدَتْ وَتُخَضَّبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ)
 (تشقق منهن الجيوب) . أى إن البعولة والبنين يقتلون بها ، إذا جرّدت
 من أغمارها ، فيشقّق الثُّكَالَى جيوههن . (وَتُخَضَّبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ)
 أى يُخَضَّبُنَّ بالدم ، حتى يُشَكِّلَ الشَّابُّ وَالْكَهْلُ وَالشَّيْخُ ، فلا تعرف الثُّكَالَى
 بملها من ابنها .

(يُعَاجِى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ ؟ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ)

الصمت والنطق : ضدان ، والضدان لا يجتمعان فى محل واحد ، فى وقت
 واحد ، لكن هذا الملك ينطق السيفُ عنه وفه ساكت ، فالأخجية من
 البيت فى الشطر الأول وتحليلها فى الثانى . وتُنطق السيفُ عنه ؛ عمله فى عُصاته
 وعُداته ، إذ السيفُ حَاجِدٌ ، والهجَادُ لَانطق له . وإنما هو كقوله :

• وقالت الأنساعُ البطنِ الخُور •
ولو قصيت هذا لظال الكلام ، لأن في مثله بطولُ المثال .

- ٢٣ -

وله أيضا :

(وَتُنْكِرُ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنَادِ)
أكثرُ الموتِ الواقعِ في البهائم ، إنا هو عند الرِّعَاءِ يَطْلُوعُ سُهَيْلٌ ، قَدْ
أُضْدَاهُ مِنْ جَهْلِهِمْ . بَهَائِمٌ يُؤْتَمُّهُمْ سُهَيْلٌ . قَالَ :
وَكَانَ أَضَرُّ فِيهِمْ مِنْ سُهَيْلٍ إِذَا أُوتِيَ وَأَسَامُ مِنْ قُدَارٍ .
وَقَالَ الْمُتَجَمِّعُونَ : طُلُوعُ سُهَيْلٍ طُلُوعُ ضُرٍّ وَقَوْلٌ . فَيَقُولُ هُوَ : طُلُوعِي
ضَرَّرَ عَلَى أَوْلَادِ الزَّنَادِ . وَلَمْ يَنْ يَنْفَكْ أَنَّهُمْ لَزْنِيَّةٌ فِي أَنْسَابِهِمْ ، إِنْ أَرَادَ
أَنَّهُمْ يَمْتَرُونَ إِلَى الْفَضْلِ وَلَيْسُوا مِنْهُ ، كَمَا يَنْقَسِبُ بَنُو الزَّنَادِ إِلَى غَيْرِ آبَائِهِمْ .
وَسُهَيْلٌ : اسْمٌ جَاءَ عَلَى هَاءِ التَّصْنِيعِ

- ٢٤ -

وله أيضا :

(مَلَامُ النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ كَلَمٌ بِهَا مِثْلَ الْقَدَى بِي مِنْ سَقَمٍ)
أَيُّ أَنَّ مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا لِي ، وَاسْتَشَارَهَا بِمَحَبَّتِي غَايَةُ الظُّلْمِ ،
لَأَنَّ فِي الْإِمْكَانِ ، وَطَبِيعَةُ تَأْثِيرِ الزَّمَانِ أَنَّ تَكُونَ النَّوَى عَاشِقَةً لِهَذَا الْمَحْبُوبِ
كَشَقِي ، فَيُورِثُهَا ذَلِكَ سَقَمًا كَسَقَى ، فَطَلَبَكُمْ إِلَّا أَلْوَمَهَا ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْثِرْ
عَلَيْكَ إِلَّا نَفْسَهُ فَلَيْسَ بِمُؤْثِرٍ عَلَيْكَ أَحَدًا .
وَبَالِغُ قَوْلِهِ : غَايَةُ الظُّلْمِ ، مُقَدَّرًا أَنَّ بِالنَّوَى مِنَ الْوَجْدِ مِثْلُ مَا بِهِ . وَذَكَرَ

الشَّقْم ولم يَذْكُر الشَّق استغناء بذكر المُسَبِّح عن السَّبَب . وأراد ملائح للنَّوَى ،
فأضاف المصدر إلى المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾
(طُورِ الْاَلِ الرُّدِّيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي وَيَبِيضُ الشَّرِيحَاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي) .
لأن شئت قلت : إن دمه يقصف الرمح بحدته وقوته ، أى أنه أقوى من
الرمح . (ويبيض الشَّرِيحَاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي) : أى أنه أخذ من السيف ، فهو
يؤثر في السيوف تأثير السيوف في غيره .

وقد يكون أن الرماح والسيوف تنهب عنه ، ولا تؤثر فيه البتة . فكان
دَمَهُ كَرَّرَ الرمح ، وكان لَحْمَهُ قَطَعَ السيف . وقد يجوز أن يبنى أنه من:
نفسه وعشيرته في منعة . فإذا أصابه طعن أو ضرب ، أكثر الطعن في طلب
نأره ، حتى تَقْصَفَ الرماح ، وتقطع السيوف .

(مُذِلُّ الْأَعْزَاءِ الْمَيِّتُ وَإِنْ يَشْنُ بِهِ يُقْتَمُّه قَالِمُومٌ الْجَابِرُ الْيَتِيمُ)
أى مُذِلُّ عِخَالِيهِ الْمَادِينِ لَهُ ، وَمُزِيْزُ عِخَالِيهِ الْمَاعِزِيْنَ لَهُ . وَإِنْ يَشْنُ :
أى يقرب به يقتُمهم ، أى يَمُ أبنائهم يقتله أبائهم ، فإنه يجبر يقتُمهم بعوقبه
عليهم ؛ واكفاله إياهم بعد الآباء .

وقد يجوز أن يؤتم قوماً ويَجْبُرُ يَتَمَّ آخِرِينَ ، لم يكن هو الذى أَيْتَمَهُمْ ..
(إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ اسْمَاعُهُمْ صَرِيرَ الْمَوَالِي قَبْلَ قَتْمَةِ الْجُحْمِ) .
أى يطوى مره ؛ ويغنى حسه ، حتى يكاد يُغْرَسَ الْجُحْمُ فَلَا يَغْرَسُ ..
وهذه مبالغة فى طي الخيل .

وقد يجوز أنه اعتقل الرمح أولاً ، فلن أمكنه إلقاء القوس ؛ وإلا ركبته
غير ملجم .

(مع الحزم حتى لو تمعد تركه لألحقه تضميمه الحزم بالحزم)

أى أن حزمه طبعى ؛ فلو تعمد تركه لا نكس تضييعه الحزم حزمًا ،
إذ ليس فى قوته غير ذلك .

(وفى الحرب حتى لو أراد تأخرًا لأخره الطبع الكريم إلى القُدَمِ)
أى إن طبعه إثبات الفضائل ، وتكسب الرذائل ، فلو رام التأخر مُتَمَحِّيًا
لطبيعته تلك ، لتأتى عليه الطبع ، فردّه إلى التقدّم .

وقد اطرّد هذا المعنى فى غير هذا الموضع من هذا الشعر ، كقوله :
(لَهُ رَحْمَةٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضَبُهُ بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ)
يُحْيِي الْعِظَامَ : مبالغة فى قوتها على الإحياء . وغضبه : أى إذا أغضبه
الجُرمُ الجانى تجاوز له غضبه قدر جُرمه ، فلما تجاوز به قدر جرمه فأهلكه ،
ولما تهاون به فكره .

(دُعِيتُ بِتَقْرِيطِكَ فى كُلِّ مَجْلِسٍ فَظَنَ الَّذِى يَدْعُو ثَنًاى عَلَيْكَ أَسْمِىَ)
أى أُنِى تَزِمْتُ مَدْحَكَ ، وَخَصَصْتَ مَدْحَكَ ، حَتَّى عُرِفْتُ بِذَلِكَ ، وَغَلِبَ
عَلَى اسْمِى الْمَدْحُ وَكُنْتُ وَنَسِى ، وَظَنَّ الَّذِى يَدْعُو ثَنًاى عَلَيْكَ اسْمِى : أى قيل
لى : يا مَدَحُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، ذَهَابًا لى أَنْ ذَلِكَ اسْمِى لَا اسْمَ لى غَيْرُهُ ، وَأَرَادَ
يَدْعُونِى ، فَخْتَلَفَ الْمَفْعُولُ . وَثَنًاى وَاسْمِى : مفعولا ظن . وإنما أراد الصفة
المشتقة من ثنائى عليك ، كقوله : يا حامد ، ويا مداح . ولم يرد المدح ولا الحمد ،
لأنهما بحرّضان ، والمسيى جوهر ، فلا يُدعى الجوهر بالمرضى .

(وَتَقَنَّا بَأَن تَعْلَى فَلَوْ لَمْ تَجِدْ لَنَا لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ)
ينهب إلى أنه لو عُدِمَ فضيلة فى وقت ، لظن فيه أنها موجودة أو تيقنت
وذلك لما يُتَادُّ من وجود النضائل فيه ، وهذا كالصادق يَكْذِبُ فَيُتَوَهَّمُ
كذبه صدقًا ، لما جرت به العادة من صدقه .

وقد عَظُم إعْيَاهُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ جَدًّا .
فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَكَسَ الْأَمْرَ بَيْنَ الْفَاعِلِ فِي بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ (طَوْلَالِ
الرُّؤْيَا)) .

ومنه : أَنَّهُ جَعَلَ الضَّدَّ يُنْقَلِبُ إِلَى ضَدِّهِ كَقَوْلِهِ : (لِأَخْفَةِ تَضْيِيعِهِ الْحَزْمُ
بِالْحَزْمِ) . وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ تَضْيِيعِ الْحَزْمِ أَنْ يَفْتَحَ الْحَزْمُ .
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخُرًا لِأَخْرَجَهُ الطَّبَعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقُدَمِ
فَجَلَّ التَّأْخُرُ يَتَعَكَّسُ إِلَى التَّقَدُّمِ .
ومنه : أَنَّهُ جَعَلَ الْمَدَمَّ يُظَنُّ بِهِ الْوُجُودُ ، كَقَوْلِهِ :

(. . . فَلَوْ لَمْ تَجِدْ . . . لَنَلْنَاكَ قَدْ أُعْطِيتَ . . .)
(بِفِكْمٍ قَاتِلٍ لَوْ كَانَ ذَا الشَّعْصَعِ نَفْسُهُ . لَكَيْلَانَ قَرَأَهُ مَسْكَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ)

النَّفْسُ رُوحَانِيَّةٌ ؛ فَإِنَّمَا تَعْظُمُ عَظْمًا رُوحَانِيًّا كِعَظْمِ الْمَالِ الْمَلُوءِ . وَالْجِسْمُ
جَوْهَرٌ مُتَكَثِفٌ ، فَلَوْ تَجَسَّسَتْ هَذِهِ النُّفُوسُ لِعَظُمَ جِرْمُهَا ، وَكَانَتْ ذَاتَ طَوَافٍ
جِسْمَانِيَّةٍ عَظِيمَةٍ . فَكَانَ ظَهَرُ هَذَا الْجِسْمِ يَسْتُرُ وَرَاءَهُ عَسْكَرًا عَظِيمًا فَيُحْجِبُهُ ،
وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : لَوْ كَانَ شَخْصُهُ عَلَى قَدَرِ نَفْسِهِ فِي الْعِظَمِ ، لَكَانَ ظَهْرُهُ مَسْكَنًا
عَسْكَرٍ كَبِيرٍ . وَخَصَّ الظَّهْرَ ، لِأَنَّهُ لَا غُضُونُ فِيهِ ، فَالْكُمُونَ فِيهِ أَصْعَبُ .
(عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً)

تَوَاضَعْتُ وَهُوَ الْعُظْمُ عَظْمًا عَنِ الْعُظْمِ ،
أَيُّ عَظُمْتُ عَظْمًا طَبِيعِيًّا ، فَلَأَنَّ الصُّدُورَ هَيْئَتُكَ ، حَتَّى لَوْ تَكَلَّمْتَ
فَأَرَحْتَ مَا بِالنَّاسِ مِنْ تَهَيُّبِهِمْ لَكَ ، تَوَاضَعْتُ عَظْمًا هُنَّ لِلْعُظْمِ ، وَهُوَ الْعُظْمُ فِي
الْحَقِيقَةِ ، لِأَنَّ الْعَظْمَةَ وَالْكَبْرِيَاءَ إِنَّمَا يَلِيقَانِ بِالْأَعْظَمِ وَهُوَ الْبَارِي .

و (عَنْ) في قوله : (عن العظم) ، متملق بقوله عظمًا : بمعنى تماظم
وهو نصب على الحال أو المصدر . وتقدير البيت : تواضعت عظمًا عن العظم
وهو العظم أى ذلك التواضع هو العظم الحقيقى .

- ٢٥ -

وله ايضا :

(أحادٌ أم سداسٌ في أحادٍ لِيَلْتَنَّا المنوطةً بالتنادى)

أى أواحدة لِيَلْتَنَّا هذه أم سِتٌ في واحدة . لِيَلْتَنَّا : صفرها تصغير .
التعظيم ، كقول أوس :

مُوَيْقٌ جُبَيْلٌ شَاهِقُ الرَّاسِ لَمْ يَكُنْ لِيَلْفُهُ حَتَّى يَكَلَّ وَيَعْمَلَا
قَالَ جُبَيْلٌ . والجبل الذى هذه حاله ليس بجبيل ، وإنما هو جبيل .

وإنما وجه تصغير التعظيم ، أن الشئ قد يعظم ، فى قومهم ، حتى ينتهى
إلى الناية ، فإذا انتهى إليها ، عكس إلى ضده ، لعدم الزيادة فى تلك الناية ،
وهذا مشهور من رأى القسماء الفلاسفة الحكماء : أن الشئ إذا انتهى انعكس
إلى ضده ، ولذلك جبل سيبويه الفعل الذى يتعدى إلى ثلاثة مفعولين ، وهى
نهاية التعدى بمنزلة الفعل الذى لا يتعدى إلى مفعول . قال : لأنه لما انتهى فلم
يتعدَ صار بمنزلة ما لا يتعدى . وهذا منه غريب جداً .

والتنادى : التيامة ، لما جعل اليلة سِتًا استطلما بعد ذلك ، فجعلها هو
أكثر مدة ، قال : إنها منوطة بالبحث .

وأحاد : خبر مبتدأ مقدم ، ولا يكون مبتدأ لأنه نكرة ، وَلِيَلْتَنَّا معرفة ،
فهو أولى بالأبتداء ، وصنر اليلة على القياس .

(مَنْ لَحَظَتْ بِيَاضَ الشَّيْرِ عَيْنِي قَدْ لَحَظَتْ مِنْهَا فِي السَّوَادِ)

أى حزننى على بياض شيبى كحزننى عليه لو رأته عيني فى سواد ناظرها .
كقول أبى دلف :

فى كل يوم أرى يضاء قد طلعت كأننا طلعت فى ناظر البصر
(مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى قَدَّ وَقَعَ انْتِفَاسِي فِي أَزْدِيَادِي)
أى إذا ازدادتُ مُعْراً بعد تناهى الأشد ، فقلت الزيادة فى سِنِّي نقصان
مِنِّي ، لأنه قد بلغ غاية النماء ببلوغ الأشد ، فهو آخذ بعد ذلك فى التحلل إلى
بسيط المنصر ، كقوله هو وقد مدح بعض الأمراء بشعر عدد أبياته أربعون :
فبعضنا بأربعين مهراً كلُّ مَهْرٍ ميدانه إنشادة
عَدَدَ عِشْتِهِ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرْبَا لَا يَرَاهُ فِيهَا يُزَادُهُ
أى عدد عِشْتِهِ أيها المدوح ، لأن سِنَّ المدوح حينئذ ، كانت أربعين .
فسوى عدة الأبيات بعدة سنيه ، وقال : (يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرْبَا لَا يَرَاهُ
فِيهَا يُزَادُهُ)

يعنى بالأَرْب : النماء ، ولا يكون إلا إلى الأربعين ، فإذا زيد عليها حوا
لم يَرِ الجسم فى ذاته تمامه ، إنما هو راجع عن التركيب إلى التحلل .
(وَأَيْمَدُ بُعْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي وَأَقْرَبُ قُرْبَنَا قُرْبُ الْإِبْعَادِ)
يقول : كنت منه بعيداً ، فكان البُعد منى حينئذ قريباً ، والقرب
بعيداً .

فلما جئته وقربت منه ، انعكست الحال ، فعاد البعد بعيداً وكان قريباً ،
وعاد القرب قريباً وكان بعيداً .

ونسب الإبعاد والتقريب إلى هذا المدوح ، لأن انعكاس الحال ، إنما
كان بسببه . فولا هو لم يَبْعُدْ البُعد الذى كان قريباً ، ولا قرب القرب الذى كان

بنيذا ، وإخراجه مصدر أبعد وقرَّب على بُعْد وقرَّب ، وإنما مصدرهما إبعاد
 وتقريب ، على قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ أى :
 نبَّثُم نباتا . وكذلك أبعد وقرَّب ، مطاوعهما بُعْد وقرَّب ، فأخرج المصدر
 عليهما ، ومثله كثير .

(وَأَمَّا لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَيَاتُكَ أَنْ يُلقَبَ بِالْجَوَادِ)

أى لم تترك هَيَاتُكَ أحداً غيرَكَ يستحق أن يُلقَبَ بالجواد إذا قيس بك .
 ولنخمس ذلك : أى لا تجود هَيَاتُكَ عَلَى أَحَدٍ بهذا الاسم ، وإن كانت
 لاتمنع غيره من ضروب العطايا ، (فَأَنْ) . عَلَى هذا القول نَصَبُ إسقاط الحرف
 أى بَأَنْ يُلقَبَ . وهَيَاتُكَ فاعل بتجود . ولا تكون التاء فى تجود للخطابة
 ويكون (هَيَاتُكَ) بدلاً من الضمير الذى فى تجود ، ولا يجوز ذلك البتة ، لأن
 المخاطب لا يُبدل منه البتة . ومن هنا منع سيبويه البديل فى قولك : بك
 المسكين مرت . إنما تنصبه عَلَى الترحم ، أو على نية إسقاط الألف واللام فى
 قول يونس ، فيكون منصوباً على الحال . وقد كره هو أيضاً قول يونس
 وقال : ولو جاز هذا قلت : مرت بمبدأ الله الظريف تريد ظرفاً .

- ٢٦ -

وله أيضا :

(إِذَا مَكَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِمَاجًا لَهُ لَوْلا سَوَاعِدُهَا تَزُوعَا)

أى إِنَّمَا مَتَعَةٌ تَهْتَزُّ فى مَشِيَّتِهَا : فلولاً سواعدها ليزها اهتزازها ثوبها .
 (تَرْفَعُ ثُوبَهَا الْأُرْدَافُ عَنْهَا فَيَقِي من وشاحيها شُوعَا)
 أى يرفع ردفها ثوبها عن جسمها . والوشاح عن الخصر ، فيبعد بينهما
 وبين الثوب ، كقوله :

أَهْتَ الرَوَاقِفُ وَالْتَدَى قِمْنُهَا . مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا .
(ذِرَاعَاهَا عَدُوًّا دُمْلَجِيهَا يَخَالُ ضَجِيحُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيحَا) .

إِنْ شئتَ قلت : إِنْ الدُّمْلَجَيْنِ يَلْزَمَانِ القِرَاعَيْنِ لَأَنَّهُمَا عِبْلَتَانِ كَقَوْلِهِ :
تَجُولُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى . لَمَلَّةً خَلْعَالًا يَجُولُ وَلَا قَابًا .

وإِنْ شئتَ قلت : إِنْ القِرَاعَيْنِ عَدُوًّا دُمْلَجِيهَا ، لَأَنَّهُمَا يُفْصِيَانِ
الدُّمْلَجَيْنِ ، وَيُشِيحَانِيهَا ، حَتَّى يَكَادَا يَكْسِرَانِيهَا . وَهُوَ عِنْدِي كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

لَهَا قَصَبٌ رِيَانٌ قَدْ شَجِيحَتْ بِهِ . خَلَائِلُ سُلَى لِلصَّمَاتِ وَسُورُهَا

سُورٌ : جَمْعُ سِوَارٍ . وَكَقَوْلِ النُّطَائِمِ فِي صِفَةِ امْرَأَةٍ :

• إِذَا عَمِلُ عَلَى خَلْعِهَا انْقَسَمَا •

وَيُرْوَى : (أَهْمَا) . وَيَقْوِيهِ : (ذِرَاعَاهَا عَدُوًّا دُمْلَجِيهَا)

وَلَوْ أَرَادَ الْأَوَّلُ قَالًا : سِوَارَاهَا عَدُوًّا سَاعِدِيهَا .

عَلَى أَنِّي لَا أَحْبَبُّ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْعَدُوَّ مِنْ بَابِ الْمَضَافِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ
أَعْنَى أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ عَدُوًّا لشيءٍ كَانَ لَكَ عَدُوًّا . فَقَوْلُهُ : ذِرَاعَاهَا عَدُوًّا
دُمْلَجِيهَا كَقَوْلِهِ : دُمْلَجَاهَا عَدُوًّا ذِرَاعِيهَا .

(يَخَالُ ضَجِيحُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيحَا) : أَيُّ زَنْدِهَا عِبْلٌ يَظُنُّهُ الضَّجِيجُ مِنْ
عِبَالَتِهِ جَمًّا .

(أَحْبَبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَسْلٍ كَثِيرًا وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيْمًا)

مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْأَيْدِيهِ ؛ أَيُّ إِنِّي أَحْبَبُّكَ حَتَّى يَجْزَأَ الْبَنُّ كَثِيرًا . وَهَذَا
لَا يَكُونُ عِنْدَ أَحَدٍ أَبَدًا . وَحَقٌّ يُقَالُ : رِيْعُ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى
هَذَا لِلتَّنَزُّعِ لَا لِلرَّاعِ .

وقد أحسن في هذا الاستطراد وإن كان قرنه إمكانيًا ، أغنى بقوله :

(وابن إبراهيم ربيع) فتأمل وهو قوله : (أو يقولوا جرّ نعل ثيبرا) ، لكن الثاني عنده في الامتناع كالأول ، وإن كان في تحصيل الحقيقة ليس مثله ، وكذلك حبّه إياها إلى أن يمر الغمل ثبيراً شمر كذب .

(وليس مُودِّباً إلاّ بِنَصْلِ كَفَى الصَّمَامَةُ التَّمَبُ التَّطِيما)

أى أُرهب سيفه الناس ، حتى ليس تفعل في أيامه ما تستحق عليه السوط فضلاً عن غير ذلك ، قد كفى سيفه السوط التَّمَب . وإن شئت قلت : إنه لا يُنزل عقوبة بجهان إلا القتل ، لا يضربه بسوط ، قد استغنى بالسيف عن السوط . وكفى السوط التَّمَبَ لذلك .

(فلا عَزَلٌ وأنت بلا سلاح لحاظك ما تكون به مَنِيما)

المَزَلُ : عَدَمُ السلاح عامّة . والاعطاف : جمع لحظة ، وقد يكون مصدر (لاحظ) ، أى ملكك هيئتك القلوب ، فنظرتك تُفنى عن السلاح ، فإن هيئتك إذا نظرت قاتلة ، لإقدامك وإن كنت بلا سلاح .

قوله : (بلا سلاح) جملة في موضع الحال ، أى فلا عَزَلَ بك ، وإن كنت غير مسلح . وقوله : (لحاظك ما تكون به مَنِيما) يجوز أن تكون فيه (ما) بمعنى الذى ، فيكون على هذا ما بعدها صلة لها . ويجوز أن تكون نكرة بمنزلة شيء ، فأبديها في موضع الصفة ، لأنها إذا كانت نكرة لزمها الصفة ، كما أنها إذا كانت معرفة لزمها الصلة . وظنيره في الوجهين قوله تعالى : (هذا ما لئى عتيدي) .

ويجوز أن تكون (ما) زائدة كأنه قال : لحاظك تكون به مَنِيما .

وَمَنْعَ : يجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ، أى ممنوعاً تحميماً ، وأن يكون
 فاعل تَكْرِمَ . يقال : مَنْعَ مناعة فهو مَنِيْعٌ كَرَفْعَ رَفْعَةٍ فهو رفيع .

(وَجَاوَدَنِي بِأَنْ يُعْطِيَ وَأَحْوَى فَأَغْرَقَ نَيْلَهُ أَخَذَى سَرِيَا)

أى نازعنى الجود : بأن يُعطى هو ، وأخذ أنا ، ولم يكن للتنبى هناك
 جُودٌ ، لكن الأَخْذَ لما كان : يَجُودُ هنا الجود ، صار كأنه جُودٌ . وهو
 أحسن عندى ممن قال : إن جود للتنبى إنما كان بالأخذ .

ونظير هذا القول الذى ذهبت أنا إليه قوله تعالى : ﴿ مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
 فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ وليس قتل هؤلاء المأمورين للمتدين عليهم اعتداء . ولكنها
 مكافأة اعتداء ، فسمي باسم السبب الذى هو الاعتداء . وكقول عمرو بن
 كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

(فَأَغْرَقَ نَيْلَهُ أَخَذَى سَرِيَا) : أى مَلِكُ الأخذ ولم يَسَلْ هو العطاء .

- ٢٧ -

دوله ايضا :

(أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْيَمِّمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدًا بِهَا الْقِدَمُ)

العافى : العارس . وَالْيَمِّمُ : جمع هَيْمَةٍ وقد قيل قَمَّةٌ بالفتح . ولا يشتمح أن
 يكون هِمَمٌ جمع لَهْمَةٍ أيضاً ، قد جاءت قَتْلُهُ مكسرة على (قَتَلَ) كَبْدَرَةٍ
 وَبَدَرٍ وهَضْبَةٍ وَهَضَبٍ . ومن المثل ، ضَيْعَةٌ وَضِيْعٌ ، وَخَيْمَةٌ وَخَرِيْمٌ .

ومعنى البيت : أنه يَسْفَهُُ الناسُ فى بكائهم الدَّيَارَ والأطلال إذا هفت ، ويقول
 لهم : أولى عَافٍ بدموعكم همُّ الرؤساء فى هذا الزمان ، قد عَفَّتْ حتى صار

أَجَذَّبَ عَهْدَ بِهَا قَدِيمًا ، فَمَا تَقْضَلُ مِنْهُمْ عَنْ مَلَاذُ بَطُونِهِمْ وَفِرْجِهِمْ ، فَيُطَاعُوا
فَابْكُوا لَا الدَّيَارَ ، فَهِنَّ أُولَى بِالْبِكَاءِ عَلَيْهَا مِنْهَا ، لِأَنَّ أَلَمَةَ الْمَدُومَةِ أَمَرٌ قَدِيمٌ
مِنَ الدَّارِ . وَإِذَا كَانَ أَحَدُ عَهْدَ بِهَا قَدِيمًا ، فَمَا ظَنُّكَ بِخَيْرِ الْأَحْدَثِ .

(مِلْتُ لِي مِنْ يَكَادُ يَنْكَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ)

يَخَاطَبُ صَاحِبَهُ ؛ أَيْ أَتَرْتُ بِقَصْدِي وَتَأْمِلِي مِنْ لُوسَاتِمَاءٍ وَلَا شَيْءَ
لَدِيهِ إِلَّا شَخْصَهُ لَا قَسَمَ يَنْكَا شَقِيقَيْنِ ، اعْتِيَادًا لِلنُّوَالِ وَالْأَلَا يَرُدُّ ذَوِي السُّؤَالِ .
(يَرْيَكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبُهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلَقُ النَّسَمُ)

إِنْ شِئْتُ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ لَطَفَ خَلْقَهُ لِلنَّسَمِ كَمَا شَاءَ ، حَتَّى دَقَّ عَلَى الْوَرَمِ
تَصَوُّرُ كَيْفِيَّتِهِ ، وَلِهَذَا الْمَدُومُ غَرَائِبُ مِنْ خَلْقِهِ تُوَصَّلُهُ إِلَى اقْتِنَاءِ الْمُسْكَارِمِ ،
تَقَرُّبُ وَتَلَطُّفُ ؛ فَمَنْ تَأَمَّلَهَا ، فَكَأَنَّهُ قَدْ تَأَمَّلَ خَلْقَ اللَّهِ لِلنَّسَمِ . وَذَلِكَ تَعْظِيمُ
لِقَدْرِ مَا يَأْتِيهِ ، لِشَبْهِهِ بِخَلْقِ اللَّهِ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ !

وَإِنْ شِئْتُ قُلْتُ : إِنَّهُ بِحَسَنِ أَعْمَالِهِ وَيُمْنِهَا تَحْيَا النُّفُوسُ ، فَكَأَنَّهُ بِذَلِكَ
يُحْيِيهَا وَيَنْشِئُهَا وَلَيْسَ انْطِلَاقُ عِنْدَهُ فِي قَوْلِهِ (يَرْيَكَ فِي خَلْقِهِ غَرَائِبُهُ) انْطِلَاقُ الَّذِي
هُوَ إِعْجَادُ الْمَدُومِ ، وَإِخْرَاجُهُ إِلَى التَّكُونِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِزْمَةٍ
جَلِّ وَعَزٍّ ، وَإِنَّمَا انْطَلَقَ مَا هُنَا : كِنَايَةً عَنِ الصَّنِيعِ ، وَكَفَى عَنْهُ بِالْفَهْمِ انْطِلَاقُ ،
ذَهَابًا إِلَى ابْتِدَاعِ هَذِهِ الْغَرَائِبِ ، وَهَذَا مِنْ شَدِيدِ الْمُبَالَغَةِ . وَرَبَّمَا كَفَى بِانْطِلَاقِ
عَنِ الصَّنِيعِ . وَبَيْنَ انْطِلَاقِ وَالصَّنِيعِ فَرْقٌ ، لَا يَلِيْقُ بِإِضَاحِهِ بِهَذَا الْكِتَابِ .
وَالنَّسَمُ : جَمْعُ كَسَمَةٍ ، اشْتَقَتْ مِنَ النَّسِيمِ ، كَمَا اشْتَقَّتِ الرُّوحُ مِنَ الرِّيحِ ، وَالنَّفْسُ
مِنَ النَّفْسِ .

(تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ؛ كَأَنَّهُمْ فِي نَفْسِهِمْ شَيْئٌ)

لَا شَيْءَ أَصْنَى وَلَا أَبْطَلُ مِنَ النُّورِ ، فَلِذَلِكَ تَوْصَفُ الْجَوَاهِرُ الصَّافِيَةُ بِهِ .

وأولى شيء بذلك الأمور النفسانية ، لأنها أذهب في البقاء وعلم الشراب
من الجسمانية : والشئمة نفسانية ، والوجه جسماني . والعرض : يجوز أن يكون
بالجسم ، فلم يخلص إلى النفسانية كخلوص الشئمة ، فشبه أبو الطيب الأعراض
والأوجه بالشئمة في الشروق والصفاء ، وتناهى البقاء . وإن شئت قلت : وضع
هذا الكلام على أنه قد علم أنه شئمة مُشْرِقة علماً عاماً ، وقدّم ذلك لمزية
الشئمة ، وهي الطبيعة ، على الوجه والعرض ، فحمل الوجه والعرض بعد ذلك
عليها ، تشبيهاً لهما بها . والأوجه ما قلعهما من أن الشئمة نفسانية ، فهي أملك
بالصفاء ، والوجه والعرض جسمانيان ، فحملها عليها .

(كأنها في نهارها قمرٌ حَفَّ بها من جناها ظلمٌ)

شبه البعيرة في استدارتها بالقمر كقول ابن الرومي يصف رفيقاً :

ما بين رؤيتها في كفه كُرَّةٌ وبين رؤيتها قوزاء كالقمر

وشبه الجنان على حافاتها ، بالظلم من شدة خُصرتها ، وذلك لأن النبات

إذا اشتدت خضرته اذْهَمَ ، كقوله سبحانه وتعالى في وصف الجنة

(مُدْهَاتَانِ) وقال الراجز يصف سائمة عدت على كلاً ناجم مُخْضَر :

فصَبَّحَتْ أَرْقَلَ كَالنَّبَالِ ومظلم ليس على الدغال

وقال : (في نهارها) يستغرب وجود الظلم نهاراً ، واختار ذلك لكان القمر ،

إذ القمر في غالب أمره ، لا يكون إلا مع الليل ، وهذه البعيرة بالشام وليست

البعيرة تصغير بحر ، لأن البحر مذكور ، فلا ثبت الماء في تصغيره ، إنما هي

تصغير (بَحْرَة) ، وهو القاع العظيم يُنبت السدر ، كقول النير بن تولب

في صفة روضة :

وكأنها دَقْرَى تَخِيلُ نَبْهًا أَفَّ يغم الضال نبتُ بحارها

(نائمة الجسم لا عظام لها لها بَنَاتٌ وما لها رَجِمٌ)

وصفَ جَسَمَهَا بالنِّعْمَة لِأَنَّهُ ماءٌ ، والنِّعْمَة إِنَّمَا تَكُونُ فِي النَّامِيِّ ، وَهِيَ
الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ ، وَأَمَّا الْمَاءُ ؛ فَلَا يَقْبَلُ نَمَاءً . وَإِنَّمَا كَثُرَتْهُ بَعْدَ الْقَلَّةِ كَمِيَّةٌ
لَا كَيْفِيَّةٌ . لَكِنْ لَمَّا كَانَ النَّاعِمُ صَافِيَ الْبَشَرَةِ ، وَكَانَ الْمَاءُ صَافِيًا ، اسْتَمَارَ
لَهُ النِّعْمَة ، كَمَا يُقَالُ فِي الْبُرُودِ ذَوَاتِ الدَّرَرِ وَالْفَرَائِدِ : نَاعِمَةٌ . وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى
الِاسْتِمَارَةِ .

(لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ) : أَغْرَبَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْبَنَاتَ مَوْلُودَاتٌ ، وَلَا تَلِدُ
إِلَّا الرِّحْمَ ، فَهَذِهِ ذَاتُ بَنَاتٍ بَنِي رَحْمٍ وَلَدَتْهُنَّ . وَعَنِ الْبَنَاتِ : سَمَكُهَا ؛
كَأَنَّهُ لَمَّا رُبِّيْنَ فِيهَا وَاعْتَذَّيْنِ ، صَرْنَ لَهَا بَنَاتٌ .

وإِنْ شئتَ قُلْتَ : إِنْ الْمَاءُ لِلْمَسْكِ كَالَّذِينَ لِلْمَوْلُودِ . فَلَمَّا غَذَّتْهَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ .
بِمَا فِيهَا ، صَارَتْ كَالْوَالِدَةِ الْمَرْضُوعَةِ . وَقَدْ أَلَمَّ الْمُتَنَبِّيُّ فِي هَذَا بِقَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ
يَسْتَهْدِي سَمَكًا :

وَبَنَاتُ دِجْلَةٍ فِي نَبَائِكُمْ مَأْسُورَةٌ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
إِلَّا أَنْ الْمُتَنَبِّيُّ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : (وَمَا لَهَا رَحِمٌ) ، فَأَغْرَبَ .

(يُبْتَقَرُ عَنْهُمْ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكَى وَمَا يَسِيلُ دُمٌّ)

يُحَاجِي بِذَلِكَ ، لِأَنَّ شِقَ الْبَطْنِ الْحَيَوَانِيَّةِ يُشْكِي وَيُدْمِي . وَهَذِهِ
الْبَحِيرَةُ يُشَقُّ بَطْنُهَا عَنْ سَمَكِهَا ، فَلَا تَشْكِي وَلَا تَدْمِي بِدَمِهَا الْحَيَوَانِيَّةِ .
(وَقَدْ تَوَالَى الْعَهْدُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَلَدَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي تَسِيمُ)

الْوَسْمَى : أَوَّلُ الْمَطَرِ ، لِأَنَّهُ يَسِيمُ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَالْعَهْدَةُ : الْمَطَرَةُ ،
تَأْتِي بَعْدَ الْوَسْمِيِّ ، تَهْدِي الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ .

وَاعْتِيَادُ الشَّرَاءِ الْاعْتِدَاءَ عَلَى الْمُلُوكِ جَعَلَ مَدْحَهُمْ فِيهِمْ ، وَتَهْمِيدَهُمْ
بِذَلِكَ الْحَقُوقَ عَنْهُمْ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

لها أخوات غيرها قد سمعتها وإن لم ترُغْ في مُدَّة فسقسم
 فيقول : هذه القصيدة الثانية من جملة المهاد التي تهمد الأرض ، وأما
 القصيدة الأولى التي كانت كالوسمي قد جادت .

- ٢٨ -

وله أيضا :

دارُ الملم لما طَيفَ يُهدِّدُنِي لِيَلًا فَا صَدَقْتَ عَيْنِي وَلَا كَذَّبَا

أى تهمدنى الطيفُ بالمهجر ؛ كما كانت رؤيته تفعل في اليقظة ، والعلم
 جارٍ على عاداته في اليقظة ، فاكذب الطيفُ فيما تهددُنِي به ، لأن المهجرَ
 واقع . وما صدقت عيني في رؤية الخيال ، لأنه زور لا حقيقة . والألف واللام
 في (الملم) للراءة ، وانفل للطيف ولها . واللام فيها للاستعناق لالملك
 لأن الطيف غير مملوك ، وإنما هي مستحيقة له من حيث كان إلها في المعنى .
 (مُحَرَّرُ الدُّوِّ إِذَا لَأَقَاهُ فِي رَهَجٍ أَقْلٌ مِنْ مُحَرَّرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا)
 ليس للوهوب بمحوى فيصح قوله : أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا ، لأن
 ما فارقه بالهبة ، فليس في ملكه ، وإنما عني : إذا أراد أن يهب . فاكتنى
 بالمعول الذي هو الهبة عن العلة التي هي الإرادة .

(وَتَنْفِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ وَتَحْسُدُ الْخَلِيلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبَا)
 غيبت الرجل : إذا تمتعت ماله من النعمة ، ولم تُرد زوالها عنه .
 وحسدته : إذا تمتعت ماله بزواله عنه . فجعل الأرض تنفط ، لأنها جِرم واحد

متصل : والذات الواحدة لا يريد بعضها ببعض كزاحة ، وجمل الخليل تحسد لأنها جمع غير متصل الأجزاء ، ولا متداخلها وإنما هي أشخاص مفترقة ، وإنما ضمها نوع فهي متغايرة بالشخص ، ومشاركة بالنوع ، والأشخاص مقساة كلة ومتصادية . فنن للآلوف أن يحب بعضها بعض .

و (أيها) : منصوب بركب لا ولا يكون بتحصيد ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا أن يكون حرف جر .

(بكل أشقى يتقى للوت مبسماً حتى كأن له في قلبه أرباً)

أى أنه يستبشر بالنية إذا كانت في سبيل المعالة ، لأن ذلك يعقبه ذكراً رقيقاً ، ومثله كثير ، كقول الشاعر :

إذا قتلوا أفرانهم لم يروهم وإن قتلوا لم يشعروا من القتل

إلا أن أبا الطيب أقرب بقوله : (مبسماً) ، فهو أبلغ في قلة اللبالة بالنية من قوله : (لم يشعروا) . وقال أبو تمام :

يستمدبون مناياهم كأنهم لايتأسون من الدنيا إذا قتلوا

إلا أن الابتسام أبلغ من الاستعذاب ، لأن الأجسام مشعرة بقلعة فسانية .

- ٢٩ -

وله أيضاً :

(بأبى الشمس الجانحات غوارباً اللابسات من الحرير جلايباً)

الشمس هنا : النساء . والجانحات : الموائيل للغروب . فإن شئت قلت :

إنه شبههن بالشمس في هذه الحال ، لأنه يقين ، فأظهرن الضفر ، أو خفرن

فسترن بعض محاسنهن ، وأيقن بعضاً : إما للنيابة ، وإما لأنهن لم يتمكن

إلا ذلك ، فجلسن كالشموس التي أخذت في الغروب ، نغنى بعضها ، وبقى بعضها ، كقول قيس بن الخطيم :

تراءت لنا كالشمس تحت غمامة بدًا حاجبٌ منها وضعت بحاجبٍ

وإن شئت قلت : إن هؤلاء النساء غيبن في الغدور والموداج ، فكأنهن شمسٌ غوارب . هذا قول أبي الفتح ، وليس عندي بقوى ، لأنهن إذا غيبن في الغدور والموداج ، فهن غير محسوسات ، والشمس إذا جنبت للغروب فبعضها محسوس ، وبعضها غير محسوس . ولم يقل الشاعر : بأى الشمس غواربا ، فيأتول عليه أنه غنى النساء اللواتي أخفتن الغدور ، وإنما قال : الجاححات ، والجنوح لا يقتضى كِلِيَّة الغروب .

فإن قلت : قد قال : (غواربا) ، فأشعر ذلك بنروب كلى ، قلنا : قد أثبت الجنوح قبل ذلك . وإنما قال : غواربا ، وهو يذهب إلى أنها آخذت في الغروب ولما تغرب بعد . كقولهم في الليل إذا يلى منه : هو ميت ؛ وإن لم يمت . وقد يجوز أن يقع غواربا على الكل حين غرب الجزء مجوزاً لاحقة .

- ٣٠ -

وله أيضا :

(سلامٌ فلولاً الخوفُ واليخلُ عنده قلتُ أبو حفصٍ علينا المسلم)
أى إنى ارتعت بسلام هذا الطيف على ، كارتياحى بسلام هذا للمروح ، فكان سلامه على تسليم أبى حفص على . لكن الفرق بين الخيال وتسليم أبى حفص أن تسليم الخيال يتخلل بالخل بتمام الوصل وتحقيقه ، والخوف من فراقه ، وألم معاقبته على يعلم النقص بعده . فقلبيبه كدّر بهذه الآفات ، وتسليم أبى حفص لا يلحقه بخل ولا خوف ، بل هو الشرف السابق المفيد .
(وأغربُ من عناه في الطير شككه وأعوزُ من مسترفدٍ منه يُحرم)

ليس الشكل هنا : الصورة لأن صورته موجودة ، وعتقاء مُعَرَّب معلوم
الْبَيْتَةُ : فلا يقال في موجود إنه أغرب من معلوم . والشكل هنا : المثل ، أى
أن شكله اسم واقع على غير مُسمى ، أى لا شكل له ، كما أن المنقاء
اسم لنير مسمى . وإنما يوجد للشكل مقبولا به في نقي الشكل عنه ، أعنى في
قولك : ماله شكل ، فنتهته ، فإنه معنى منطقي .

(وأعوز من مُستَرَفِد منه يُحرم) : أى أن نظيره عدم ، كما أن مسترفداً
منه محروماً عديم .

وقال : (أعوز) وإنما هو أشد إِعْوَازاً ، لأنه جاء به على حذف الزائد .
هذا قول أبى الفتح . وليس على حذف الزائد كما قال ، لأنه يقال : عَازَهُ الأمر
وأَعْوَزَهُ . فأعوز في بيت للتبني على (عَازَ) ، لاهل (أعوز) .

وإنما يقوم حذف الزائد إذا لم يوجد عنه منسوخة ، كقولهم : ما أعطاه
للدرم وآتاه للجميل وأولاه للمعروف ، فإن هذه كلها على حذف الزائد .
وللمسترفد : طالب الرُّقْد ، لأن باب استعمل في غالب الأمر ، وإنما هو للطلب
والمعاولة ، كاستخرج واستنم واستجاد .

قال سيبويه : وقالوا مرَّ مستجلاً ، أى مرَّ طالباً ذلك من نفسه ،
متكلفاً إياه .

- ٣٩ -

وله أيضا :

(أُرْكَابِيَّ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَمَا تَطِسُ ائْتَلُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَرْمَمَا)
أى أن اللمع يؤثر في ائتلود تأثير كن في اليرمع ، وهو الكذبان .
وتطس : تمكير ، وليس هناك كثر ، وإنما بالغ في التأثير ، فكسفى
عنه بالكسر ، للتكثير .

(نَظِيتَ مواهبُهُ عَلَيْهِ تَمَازِجًا فَاعْتَادَهَا فَلِذَا سَقَطْنَ تَفَرَّعًا)

أى اعتقده فى مواهبه أنها تقيه اللدائم كاعتقده فى التمام أنها تقيه السوء ، فلذا خلا منهن تفرع ، كتفرع ذى التمام إذا سقطت عنه . وإنما ضرب ذلك مثلا . ولو قال : فلو سَقَطْنَ تَفَرَّعًا : لكان أشبه بالمعنى ، لأن قوله : (فلذا) يُشعر بسقوطهن فى بعض الأوقات ، لكن سقوطها إنما يكون لمدَم مالم أوانقطاع سؤال ، فهذا توجيه قوله : (فلذا سقطن) ، و (تَمَازِجًا) منصوبة على الحال ، وإن كانت اسما ، لأن فيها معنى حَوَارِيس ، وقد يكون الاسم الجامد حالا ، على توم الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ . قال سيبويه : (وسمنا من العرب من يقول : الحبُّ من بُرٍّ مَرَزْنَا به قبلُ ، قفيزا بدرم قفيزا بدرم) قفيزا بدرم حال ، وهذا واسع كثير .

(يَهْتَدِى الْجَدْوَى اهْتَازَ مُهَنْدِرٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الْوَعَى)

أى اهْتَازَهُ للعطايا والجدوى ، اهْتَازَ السيف عند الْوَعَى ، والوعى : صوت الحرب . وللفنن أعلى فى الحرب . وإنما الْوَعَى والوعى : الصوت ، فسميت الحرب بهما المكان الصوت .

- ٣٢ -

وله أيضا :

(وَرَبِيعًا يَضْحَكُ النَّيْتُ فِيهِ زَهْرُ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي)

أى أنه مَظَنَّةٌ للنم ، وأهل لوافر التسم ، كما أن الربيع مظنة للخصب وزمن للإسراع ، مع ما فيه من الاعتدال ، وتساوى الأحوال . فذلك سُمى هذا المدوح ربيعاً . أى أنه مشتمل على النم التمرُّبُوبَة بالشكر كشتمال زمن الربيع على ضروب التواوير ، وأنواع الأزاهير . وقوله : (يَضْحَكُ النَّيْتُ فِيهِ) : غنى

بالنيت النعمة . وجعل الشكر زهرا ، لأن النعمة هي التي أنبتت الشكر ، كما
 ينبت النيت الزهر ، فهذا المدوح كلما أنعم عليه شكر . وإذا كان حيث
 وزهر ، فلا بد من روضة ، وهي الأرض . التي تنبت الزهر ، وكل ذلك
 مستعار .

(والجراحاتُ عندهُ فنّاتٌ سبقتُ قبلَ نيلهِ بسؤال)

من طبيعة الكريم ، أن يبادر بالنوال من غير أن يُمحج إلى السؤال ،
 لأن في ذلة السؤال ما لا يلي به فضلُ المستول . فإذا كان نَدَى من غير مسألة
 فهي اليد البيضاء التي لم يَشْنُها تكدير ، ولا خالطها تنقيص . فإذا سبقت
 المسألة نَوَالُ المستول الكريم ، سرَّ بذلك سرورا مشوبا بالكراهية ، إذ
 بإشارته الجود قبل السؤال ، فنّات السائل عنده ، كالجراحات التي تُصيب
 الشجاع فتسرّه من جهة الثبات ، سرورا يخالطه الكراهية ، لما يلحقه من
 الألم . وإن شئت : لم تمثل ذلك بجراحات الشجاع ، وقلت : إن فنّات سائله
 جراحات عنده تؤلمه ، إذا لم يكن نيله له من غير سؤال .

(وَيَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ فَصَارَتْ رَكَاةً فِي الْجِبَالِ)

كانه استبدَّ بالوقار أجمع ، إلا أنه بقيت منه بقية ، فذلك البقية عافت
 نوع الإنسان ، ليأرأته به من قلة الاحتمال لها ، والمعجز عن الاستقلال بها ،
 انضمت مُنْتَهَى وَوَحْي قوته . فعدلت إلى أجسم الجواهر الأرضية ، وهي الجبال ،
 إذ لم تجد جوهرها يستقل بها إلا إياها .

وإن شئت قلت : إن لوقاره (هَيُولَى) خُلِقَ منها فما فَضَّلَ من تلك
 الميولَى يكون رَكَاةً في الجبال . وهو قريب من القول الأول .

(واستعارَ الحديدَ لونا وألقى لونه في ذوائبِ الأطفالِ)

الحديد هنا : كناية عن السيوف والأسنة والنصال ، ولونهن الفريزي :
 البياض لكن استعارت لونا غيره ، وهو احمرارها بالدم ، ولذلك جعله مستمرا ،
 لأنه لون غريب . إنما هو المكان القدم التي صَبَّغَها به ، فيقول : لما صَبَّغَ سيوفه
 ورماحه بالدم ، أشاب بأهوالها الأطفال فكأنهن لما استعارت غير لونها ، أطارت
 لونها ذوائب الأطفال . وكان لونها قبل ذلك السواد . كما كان لون السيوف
 البياض قبل ذلك .

- ٣٣ -

وله أيضا :

(أَسْنَى عَلَى أَسْنَى الَّذِي دَلَّهْنِي عَنْ عِلْمِهِ فِيهِ عَلَى خَفَاءِ)
 ليس يأسف في الحقيقة على الأسف ، إنما يأسف على تمييزه الذي كان
 يَمُتِّلُ به أسفه . حقيقة الكلام ، أَسْنَى عَلَى عَقْلِ الَّذِي كُنْتُ أَحْصِلُ بِهِ أَسْنَى .
 (فِيهِ عَلَى خَفَاءِ) : أَيْ أَنْكَ قَدْ دَلَّهْتَنِي حَتَّى مَا أَشْعُرُ بِأَسْنَى .

وقد كان ينبغي له أيضا أن يذهب عليه ، لو كان مُدَلِّهَا ، أسفه على هذا
 الأسف ، إلى ما لا نهاية له ، لكن هذا مَقْطَعُ شِعْرِي فَلَا تَقْصِينِ بِالْمَنْطِقِ ،
 فيفسد . وما أحسن هذا المثل العامي ، الذي هو قولهم : الاشتقاع فَرْقَةٌ ،
 وَلَا تَسْتَخِفَّنْ بِذِكْرِ هَذَا الْمَثَلِ ؛ قَدْ ذَكَرَهُ أَبُو نَعْرٍ الْقَارِئُ فِي بَابِ مِنَ
 الْبُرْهَانِ .

(وَشَكَيْتِي قَدْ السَّامِ لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَنَا كَانَ لِي أَعْضَاءُ)
 وهذا البيت أيضا يشبه الأول : لما لم يَشْكُ قَدْ السَّامِ لَأَنَّهُ مَكْرُوهٌ ،
 والمكروه لا يستوحش أحدٌ من قده ، ولكن شكاه قد أَعْضَاءَهُ ، لأن السَّامِ
 عَرَضُ وَالْعَرَضُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْجَوَاهِرِ ؛ فَإِذَا عَدِمَ أَعْضَاءَهُ قَدْ عَدِمَ السَّامِ .
 وإنما شكَا في كُلِّ الْأَكْبَرِ ، واستعمل الأصغر .

(فَحَيْتُ تُسَدُّ مُسْتَدًّا فِي نِيهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْصَاءِ)

الإسّاد : سرعة السير ، وقيل : سير الليل . والثّنى : الشحم . وتقدير البيت : فتبيت تُسندُ مُسنداً الإنشاء في نيتها إسّاكها في المَهْمَة . والإنشاء : المزال . أى أن الإنشاء الحادث عليها من الثّعب ، يُسند في نيتها أى يَسْرِي فيه مُسرعا ، فيأخذ منه ، كما تُسندُ هي في هذا المَهْمَة الذى تقطعه . يقول : يأخذ السيرُ من جسمها كأخذها هي من المَهْمَة ، قد أفناها السيرُ كما أفنت هي المَهْمَة ، فلم يبق من جسمها شيء كما لم يبق من المَهْمَة ، فسنداً في اللفظ حال من الضمير الذى في تسند ، وهو في الحقيقة للإنشاء والإنشاء : فاعل بقوله : مُسنداً .
وَوَعَقِيقُ الْحَالِ فِي ذَلِكَ ، أَنْ قَوْلَ : فَتَبَيْتُ تُسندُ ، وَالْإِنْشاءُ مُسندٌ فِي نَيْهَا ، وَالْمَائِدُ إِلَى الضمير الذى في تُسندُ من هذه الحال اللفظية ، مَا فِي نَيْهَا وَإِسّاكها من الضمير .

وتقدير لفظ البيت ، على ما صورته لك يُؤدّيك إلى حقيقة إعرابه ، لكنّي ذهبتُ إلى التبيين .

(وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ يَبْكُدُ سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ)
أى أنه يَبْكُدُ الذهب ويصرفه في كل وجه ، فكأنه بكثرتَه يَسِيلُ وَيُمَاعُ ، حتى يجعل الماء من كثرته ، فيقف حائراً . يقال : قام الماء : إذا جمد فلم يسَل . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ أى ثابتاً غير منصرف ، ألا ترى قوله بعد هنا : (جَدَّ الْقِطَارُ ...) وإن شئت قلت : يَجْعَلُ القطر من سيلان الذهب ، فيمود سيلانه — بإضافته إلى سيلان الذهب — جُمُوداً ، إلا أنه يجمد عن السيلان .

(مَنْ يَهْتَدِي فِي الْقِيلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَقْمَلَ الشُّعْرَاءُ)
أى هو من يَهْتَدِي فِي الْقِيلِ إِلَى مَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ الشُّعْرَاءُ فِي الْقَوْلِ حَتَّى

يفعل . يقول : ذهنب في الفعل أنفذ من أذهان الشراء في القول ، فإذا أغربوا في مدحه لم يلزم ذلك الإغراب من غوص أذهانهم على المعاني . إنما نظروا إلى ضله الذي غاص عليه هو بذهنه . فاهتدوا إلى القول بما رأوه من فعله .

ولولا ذلك لم يهتدوا ، فإذا فعلك تعلموا وصفه من فعله .

(مَنْ قَعَهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُهُ فِي تَرْكِهِ تَوَقَّطَن الْأَعْدَاءُ)

إنما جعل قعه في أن يهاج ، لأنه إذا هيج أوقع بالأعداء ، فأغار وغنم ، وأثرى ، واتسعت كفه للجود . وتلك بغيته من الثروة . وضربه في تركه إذا سولم سآم ، وهو في ذلك يهود بما عنده حتى يتقد ، فلا يجد ما يهود به . فهذا وجه ضربه في تركه .

وإن شئت قلت : البأس وحب الحرب في طبيعته ، فإذا هيج مكَّن بما في طبعه ، والإنسان ينفعه تحريكه إلى مافي سجيته ، لأن في ذلك كل بلوغ أمينته ، وضربه في تركه : أي أنه مشتته للقتال بطبيعته ، فإذا سولم اشتاق إلى مشاهدة مافي طبعه ، فضره شوقه إلى ذلك إذا لم يمكنه مشاهدته ، كقوله هو : فلا تَبْلِنَاهُ مَا أَقُول فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَيَّ أَذْكَرُّهُ الْعَمَنَ يَشْتَقِي والقول الأول عندى أحسن ، لقوله بعد هذا :

(فَالْسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ يَنْوَالِهِ مَا تَجَبَّرُ اللَّهِيَجَاءُ)
أي أنه يوجد بماله فيئثلَم ، ثم يُنِيرُ فتَجَبَّرُ الهيَجَاءُ ما ائثلَم ، ثم يسالم فيعود إلى طبعه الأول من الجود ، فكلا هاضت السَّلْم ماله جَبَرْتها الحرب ، وبالعكس ، أي كلما جَبَرْتها الحرب هاضته السَّلْم .

(لَا أَثْبَاهَا الْمُخَيَّا عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ)

(أحياء عليه روحه) : بأنه لم يستوهبه ولو استوهبه لأعطاه فمُدرِم ، فلن لم يستجده

روحه أحيآله . وَعَدَّيْ (الْمُخَيَّا) بِمَلَى ، لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَجْبُوسِ عَلَيْهِ رُوحُهُ .
(اِخْذْ عُفَاتَكَ لَا تُضِحِّتْ بِقَدِّمِ فَلْتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاءِ)

يقول : اِحْدَمْ عَلَى أَنْ لَمْ يَسْتَجِدُّوكَ رُوحَكَ ، إِذْ لَوْ اسْتَجَدُّوكَ إِيَّاهُ ،
لَحِقَّتْكَ طَبِيعُ الْكِرَمِ وَالسَّخَاءِ عَلَى هَيْبَتِهِ لَمْ ، قَدْ اسْتَوْجِبُوا أَنْ تَحْدَمْ عَلَى تَرْكِ
هَذِهِ الرُّوحِ لَكَ ، لَأَنَّهُ عَطَّلَا مِنْهُمْ لَكَ ، كَمَا يَنْبَغِي لَمْ أَنْ يَحْدَمُوكَ عَلَى
مَا أُعْطِيتُمْ مِنْ مَالِكَ فَهَمْ يَتَضَعُونَكَ الشُّكْرَ عَلَى عَطَائِهِمْ ، كَمَا تَتَضَعُهُمْ أَنْتَ
إِيَّاهُ عَلَى عَطَائِكَ لِأَنَّ الْمَطَى بِطَبِيعَتِهِ يَجِبُ أَنْ يَشْكُرَ . فَاعْطِ مِنْ شُكْرِكَ أَيْهَا
الْمَدْحُوحُ ، كَمَا تَطْلُبُ مِنْ غَيْرِكَ . بَلْ أَنْتَ أَوْلَى بِشُكْرِهِمْ ، لِأَنَّ الَّذِي تَرَكُوا لَكَ ،
وَهُوَ الرُّوحُ ، أَنْفُسُ مِنَ الَّذِي أُعْطِيتُمْ ، وَهُوَ الْمَالُ .

وقوله : لَا تُضِحِّتْ بِقَدِّمِ : إِنَّمَا هَذَا الصَّنِيعَةُ أَنْ تُشْكِرَ لِأَنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ
حَيَّتْ وَإِذَا كُفِّرَتْ مَاتَتْ ، لِأَنَّ كُفْرَهَا لَهُ مَوْتٌ .

فيقول : لِأَمَانَتِ صَنَائِعِكَ عِنْدَ عُفَاتِكَ بِكُفْرِهَا وَقَلَّةِ شُكْرِهَا . دَعَا بِذَلِكَ لَهُ
وَلِنْ شَتَّى قَلَتْ : لَا تُضِحِّتْ بِقَدِّمِ : أَيْ لَا تَارِكْتَكَ لِلرَّوْدَةِ ، فَيَفْضِي بِكَ فِرَارَهَا ،
إِلَى ضِدِّ عَفَاتِكَ لَكَ .

(لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قَلَّةٍ إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ)
أَيْ أَنَّ الْأَمْوَاتَ أَقْلَاءُ ، حَتَّى تَعُودَ فِيهِمْ ، فَيَكْثُرُونَ حَيْثُذ .

وقوله : (إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ) : بَعْجَةٌ عَنْ قَوْلِهِ : إِلَّا إِذَا
مِتَّ ، أَيْ إِذَا مِتَّ وَشَقِيتَ الْأَحْيَاءَ بِقُدْرَتِكَ ، قَلَّتِ الْأَحْيَاءُ ، وَكَثُرَتِ الْأَمْوَاتُ .
وَقَالَ : كَثْرَةُ قَلَّةٍ : لِأَنَّ الْأَمْوَاتَ وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهَا ، فَهِيَ قَلِيلٌ لِمَسْمِيهِمُ
لِلْقَى ، وَأَخْذُهُمْ فِي الْفَنَاءِ .

وإن شئت قلت : كثرة قلة : أى كثروا بك وأنت واحد ، والواحد قليل ، فكثرت بك تكثرة قلة .

وقد يتجه هذا البيت على معنى آخر ، وهو أن الأحياء إنما يتلون الحياة بِنَدَاهُ ، فإذا عُدِمَ بلوت ، مات الأحياء الذين كانوا يعيشون بذلك ، فكثرت الأموات بموت هؤلاء الأحياء بعده .

وقد يجوز أن يعنى بالأحياء هاهنا أعداءه . يقول : لانكثرت الأموات إلا إذا ضاربك أعداؤك ، فقلبتهم وقتلتهم ، فحينئذ تكثر الموتى بهم . وشقاه الأعداء به قتله لإلزام ، وقال : كثرة قلة : لأن ما يدخل تحت الفناء قلة في الحقيقة ودل ذلك على أن أعداءه كثير . والقولان الأولان عندي أوجه .

أخبرني بعض أهل بغداد ، أن المدوح بهذه القصيدة أدركته الوفاة بعد إنشاد المتنبي إليه هذا الشعر بأيام قليلة ، فكان يقلب على فراشه ويردد هذا البيت الذي فسرناه .

(أبدأت شيئاً منك يُعرف بدؤهُ وأعدت حتى أنكر الإبداء)
أى أعدت أعظم مما بدأت به ، حتى لا يسي المبدأ به بالإضافة إلى المعاد .

وإن شئت قلت : أعاد المعروف كثيراً ، حتى صار كأنه لا بدء له .
(لم تسم يا هارون إلا بعد ما أقدمت وتزعزعت اسمك الأسماء)
أى تنافست فيك الأسماء ، رغبة في الشرف بذاتك ، وتنازلت فلبجت إلى الاقتراع قاز هذا الاسم وهو هارون بك . وتقديره لم تسم هارون يا هارون فاكفني من ذكر المفعول الثاني بقوله : يا هارون ، لأن نداه إياه به دليل على أنه اسمه . وهذا من أحسن الخلف وأوجزه .

(فَفَدَوْتَ واسْمَكَ فِيكَ غَيْرُ مَشَارِكِ)
والناسُ رِيَاءً فِي يَدَيْكَ سَوَاءً)

أى لم تُسَمِّ بِغير هذا الاسم من الأسماء التى نازعته فيك ، والناس فيما لديك سواء : أى أنه وإن لم تشترك فيك الأسماء فالناس مشتركون فى مالك شريك تساوي .

(وَلَجَدْتَ حَقِّي كِدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا)
للتنتهى ومن السرور بكاء)

إن شئت قلت : بلغ جودك الغاية . ومعروف أن الشيء إذا انتهى انكسر . حينئذٍ فكذلك جودك ، لما انتهى فلم يك مزيداً ، كاد أن يستحيل بخلاً . وقوله : ومن السرور بكاء : (أى) أعلمت أن الشيء إذا انتهى عاد إلى ضده كالسرور إذا أفرط كان بكاء . وقال : (كدت تبخل) ، ولم يقل : حتى يَخِلَّ ، استقباحاً منه أن يُوجب عليه البخل .

وإن شئت قلت : تَنَاهَيْتَ فى الجود ، فبخلت أن يُشاركك أحدٌ فى اسمه ، فخل الجودُ بخلاً ، كما يحول السرورُ بكاءً .

والقول الأول عندى أوجه ، إذ لو كان على القول الأخير ، لم يكن يَكِدْتُ معنى لأنه نقصانٌ من مدحه ، إذ يُخْلُهُ بأن يُشاركك فى اسمه الجود غير مذموم . وأما فى القول الأول فالبخل المطلق مذموم . فبخلته ، فإنه جيد لطيف .

وقوله : للتنتهى : أى من أجل الانتهاء .

(لَمْ تَحْكُ فَاظْكِ السَّعَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحَضَاءُ)
الرُّحَضَاءُ : عرق الحمى يُرْحَضُ : أى يغسل . أى لم يحاركك السعاب

بمطره ، ولا ناولك ، لأنه معترف أنك أنتدى منه . وإنما تأمل بذلك وأيقن بالمجز عنه ، فحسبك فحيم حتى حساده ، فطرهما إنا هو عرقى نحاما .

(لو لم تكن من ذا الورى ألد منك هو)

عَقِمَتْ بمولد نسلها نحواء (

جمل الورى جزءاً منه ، بعد أن جعله جزءاً من الورى . فالأول حقيقة ، والثانى مجاز ، لا يكون الكل جزءاً للجزء . هذا خلف ، لكن جعلهم منه ، إشتاراً أنه جال هذا النوع ، به عرف ، وإليه نسب ، فكأنه إنا يكون منه ، كقوله :

أنى يكون أبا البرايا آدم وأبوك والنقلان أنت محمد

وهذا قبيح داخل فى الشنع .

وقوله : عَقِمَتْ بمولد نساها حواء : أى لو لم تكن من ولديها كان نسلها كلاً نسل ، حتى كأنها عقيم ، لم تلد قط .

وقوله : بمولد نسلها : أى عدت عقيماً على أنها قد ولدت .

- ٣٤ -

وله ايضا :

(يحول بين الكلب والتأمل)

إن شئت قلت إن الظنى يجهد الكلب فيشغله عن التأمل . وإن شئت قلت : إنه يمنع للكلب أن يتأمله بسرعه ، كقول البحترى يصف فرساً :
جَارَى الْجِيَادَ فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبَقًا وَكَادَ يَطِيرُ عَنْ أَوْهَامِهَا
وهذا أبلغ من قول أبى الطيب ، لأن سبق الوهم أدل على السرعة من

سبق الطرف مع لفظ الطيران ، والطيران أبلغ في السرعة ، ولذلك شُبِّهت
العرب خيلها بالطير كقول ليبيد :

وَكَأَنِّي مُلْجِمٌ سُوْدًا زَقَا

وكقول الآخر :

كَأَنَّ غُلَامِي إِذَا عَلَا حَالَ مَنَعِهِ عَلَى ظَهْرِ بَازٍ فِي السَّمَاءِ مُحَاقٌّ

(لَهُ إِذَا أَدْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ)

أى أنمن تيقظه يُراعى جهاته ، فكأنه يرى ما وراءه كرويته ما أمامه ..

(شَيْبَةُ وَسَيِّئُ الْخَضَارِ بِالْوَلِيِّ)

الوسمى والولى هنا : مستار ، وأصلهما فى المطر ، الوسمى الأول .

والولى الثانى . يقول : ثاى جريه مثل أوله كقولهم : فرس ذوقغب .

أى جريه الثانى كجريه الأول ، وذلك لشده وصلابته ، حتى إن إعياءه
كجأه .

وهذا كقوله فى موضع آخر يصف فرسا :

وَأَقْتُلْ أَيْ الْوَحْشِ قَفِيَّتَهُ بِـ وَأَنْزِلْ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

أى أنه من المتعة والنشاط فى آخر عدوه ، مثله فى أوله ، وحسن .

استعاراته الوسمى الأول الجرى وآخره ، لأنهم يستعملون فقط النيت فى هنا .

التعو كقولهم : فرس سكب ، وقَيْضٌ وَغَمَرٌ ، ويَحْرُ . كل ذلك جواد .

وهُنَّ مِنْ صِفَاتِ النَيْتِ وَالْمَاءِ . وَقَالُوا : شَائِبُ الْجَرَى ، كقولهم شَائِبُ

المطر ، وهى الدُّفْعُ منه .

(وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتَفُ التَّنْقُلِ)

أى إذا رأى الكلبُ الظليَّ والتَّفَتَّلَ وهو ولد الثعلب ، كان عَقْلَةً للظلي
بأخذه ويمتعه من الحرب ، ويهلك التفتل . وهذا كقول امرئ القيس :

بُئْسَ جَرْدٍ قَيْدُ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

أى أن هذا القرس قيدٌ للوحش ، فكذلك هذا الكلب ، عَقْلَةٌ للظلي ،
وحَفْتُ للتفتل . وقد قال المتنبي أيضاً مثله فى هذا اللوضع :

بَتَقْبَلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطْهِمٍ أَجَلِ الظَّالِمِ وَرَبَقَةَ السَّرْحَانِ

قول : ربة السرحان كقول امرئ القيس : قيد الأوابد ، وزاد عليه
أجل الظلم . فبيته هذا الأخير مكافئ لبيته الأول ، لأن الحُتْفَ كالأجل
والرَبَقَةَ كالعُقْلَةَ . وصح له الشرف على امرئ القيس .

(لو كَانَ يُبْلَى السُّوْطَ تَحْرِيكَ بَلَى)

أى أن هذا الكلب يجْدول مضمر كالسوط ، فكما أن السوط لا يُبْلِيه
التحريك ، كذلك هذا الكلب لا يبليه شدة عذوه ولا ينقصه ، ولو كان
السوط الذى شبيه له فى الجدول الضمير والاستعمال له يُبْلَى لبلَى الكلب .

(فَحَالَ مَا لِقَفْزِ التَّجْدُلِ)

أى صُرِّحَ فصارت قوائمه التى كانت للقفز إلى التجدل . أى اللزوق
بالجدالة وهى الأرض .

(وَصَارَ مَا فِى مَسْكِهِ فِى الْمِرْجَلِ)

للرجل : قنبر النحاس خاصة ، مذكّر من بين أسماء القنبر ، يقول : سُلِّخَ
عنه جلده ، وأدخل فى القنبر ، فصاد ما كان من لحمه فى الجِلْدِ رهين المِرْجَلِ ، وأراد :
ما كان فى مَسْكِهِ ، قفى مسكه من صلة الذى ولا يكون خبراً لكان هذه
المرادة ، لأن تلك لا تضمر ، وتكمل ، لأنها فعل كوفى غير مؤثر ولذلك

منع سيبويه إضمارها وإعمالها ، فقال : (واعلم أنه ، لا يجوز لك أن تقول : عبد الله المقتول ، وأنت تريد : كُنْ عبد الله للمقتول) . ولذلك حل الفارسي قوله تعالى : ﴿ فوجد فيها رجلاً يفتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴾ على الحكاية ، لا على إضمار (كان) استدلالاً بما قلتمت من كلام سيبويه .

- ٣٥ -

وله أيضاً :

(رَأَيْنَا بَبْدِرَ وَأَبَاهُ لَبْدِرَ وَلَوْدًا وَبَدْرًا وَلِيدًا)

معنى هذا البيت : التعجب من خرق المادة ، وهو من ظريف المعالجة .
فبدر الأول : اسم المدوح . والآخرون : غنى بهما البدر المعروف .

يقول : ليس من طيبة البدر الفلكي أن يلدَ ولا أن يولد . فلما رأينا بدرًا هذا المدوح وأباه وجدنا بوجودنا إياه بدرًا مولودًا ، وجدنا بوجود آبائه وَلُودَ البدر . فقد خرق علينا المعتاد ، فوجب التعجب .

وحاصل البيت : وجدنا ببدر هذا المدوح بدرًا وليدًا . ولا كبير فائدة في وجود الآباء ، لأن المولود والوالد من باب المضاف والمضاف إليه . فإذا وَجَدَ بدرًا مولودًا ، فلا حاجة أن له والدين . فلإذن ذكره الآباء هنا حشوً ، إلا أن يُفيدنا بذلك أن آباه بُدُور . وليس بكبير فائدة أيضاً ، لأن النوع لا يلدُ غير نوعه ، ففهمه .

(طَلَبْنَا رِضَاهُ بِبَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السَّجُودَا)

أى رضينا أن نسجد له إذا رأيناه إكباراً له وإظهاراً ، لأنه لا يريد ذلك منا ، لأن هذا إنما ينسب لله عز وجل ، فطلبنا نحن حينئذ رضاه ، بترك السجود الذى رَضِينَا لَهُ . فقد مدح بدرًا هنا بشيئين :

أحدهما : جلالة القدر ، حتى رُئِيَ أَهْلًا لِلسُّجُودِ . والآخر : تَوَرَّعَ
بدر عن هذا الذي رضيهِ المتنبئ له ، قُبْعًا لِكَلَامِهِ ، وَتَهَرَّأَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
وَأَشْبَاهَهُ لِنِظَامِهِ .

وقوله : فَزَكَا : معطوفٌ على طلبنا ، ولا يكون معطوفاً على رضيْنَا ،
لنفسد المعنى ، وأن (القدي) لا يسود عليه من المعطوف على صلته شيء .

(بِهَجْرِ سَيْوَفِكَ أَنْغَادَهَا تَمَتَّى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ النُّمُودَا)
أى أن سيوفك مَسْلُوءَةٌ أبداً ، فَأَغَادَهَا خِلَوةً ، والسيوف في الطلَى ، بمعنى
الطلَى أن تكون الأغَادَ ، لتخلو منها كما خَلَّتِ النُّمُودُ .

(فَأَنْتَ وَحِيدٌ بِهَيْ آدِمٍ وَلَسْتَ لِغَفْدٍ تَغْلِيهِ وَجِيداً)
أى : واحدم في الفضائل ، وكرم الشائِل ، ولم يحترم الزمان نُظْرَاءَكَ .
بل لك نظراء في حب المجد ، والسعى إلى ابتناء الحمد ، ولكنهم لم يُؤْتُوا مِنْ
ذَلِكَ مَا أَوْثَقَتْهُ وَلَا حُبُّوا بِمَا حُبِّيَّتُهُ ، وليس أوانك خِلَوةً مِنَ السَّادَةِ ، فَكُونَ
أَنْتَ لِمَا سُدَّتْ تُخْلَوُ الْوَقْتُ مِنْ ذَوَى السِّيَادَةِ ، لِأَنَّ تِلْكَ سِيَادَةً لَا تَقْبِلُ لَهَا
مَزِيَّةً . وإِنَّمَا الْفَخْرُ أَنَّكَ ذُو نِظْرَاءٍ ، وَأَنَّكَ مُؤَفٍّ عَلَيْهِمْ ، بِخِلَافِ قَوْلِ
الشَّاهِرِ :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَقَرُّدِي بِالسُّوَدِّ

- ٣٦ -

وله أيضا :

(حَذَقْتُ بُلْدِي مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَارٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ)
أى أَنَّهُ يُدْرِكُ كُلَّ مَظْلُومٍ فَيُقَيِّدُهُ مِنْ وَائِرِهِ وَيُنْصِفُهُ . إِلَّا مَنْ قَتَلْتَهُ
هَذِهِ الْحَذَقُ ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى جَلَالَتِهِ ، لَا يُقَوِّى مَظْلُومَهَا وَلَا يُقَيِّدُ قَتِيلَهَا .
وهنا نحو قوله في سيف الدولة :

وَقِيَ الْأَمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِأَسَهِ وَسَخَائِهِ
 (وَكُنَّا غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادْفَى لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا)
 تسحب من الأسد كيف آتته . ولقاؤه من أجل الخطوب . لكن عين
 الأسد غرته ، فلم تره إلاه على صفته التي هو عليها من المهابة والجلالة ، فأقدم
 لذلك ، ولو أرتة عينه إلاه على ماهو به ، لأحجم ولم يُقدم ، وهذا كقول
 في موضع آخر :

ذَمُّ الدُّمُسْتَقِ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُبُودُ النَّصَامِ فَظَنُوا أَنَّهَا فَرَعُ
 أَيْ أَنَّ عَيْنِي الدُّمُسْتَقِ احترقنا للسُّلَيْنِ ، فأرتاه جوعهم قليلة ، فأقدم فوقع
 عليه البلاء ، فذمَّ عينيه ، لكنهما حين ألقى الأمر على خلاف ما أومتاه . ونحوه
 قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذَا التَّفَيمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّبُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ .
 إلا أن رؤية الدُّمُسْتَقِ والأسد لما ألتفاه دون ماهو به ، خلاف هذا الذي في
 التَّنْزِيلِ من جهة وموافق من جهة ، وذلك أن قليل الكفار في أعين المؤمنين
 إنما كان تثبيتاً لقلوب المؤمنين ، فذلك خير أريد بهم ، كما أريد بالأسد
 والدُّمُسْتَقِ الشرهما . وأما قوله تعالى : ﴿ وَيُقَلِّبُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ فهذا مطابق لحال
 الأسد والدُّمُسْتَقِ لأن الله تعالى إنما قلل المؤمنين في عيون الكافرين ليحترقوا
 قِيَمَتُهُمْ . ولذلك قال تعالى ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَتَعُولًا ﴾ أي إنما قلل
 الكفار في أعين المؤمنين ليكون أجراً للمؤمنين عليهم ، وقلل أولئك في أعين
 الكافرين ليقدموا عليهم ، فتصور عليهم دائرة السوء .

- ٣٧ -

وله أيضا :

(أَبَدْتُ نَائِي الْمَلِيحَةِ الْبُخْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تَكَلَّفُ الْإِبْلُ)
 جعل النأي أنواعا ، أبدها الْبُخْلُ ، إذ سائر أنواع النأي يرجى دونه ،

إِنَّمَا يُرِيدُ الْمَحْبُوبُ وَإِنَّمَا يَجْعَلُ السَّيْرَ إِلَيْهِ . فَأَمَّا الْبُخْلُ فَلَا اِحْتِيَالَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ
 مِنْ قِبَلِ الْمَحْبُوبِ نَفْسَهُ ، لِأَمْنٍ قَبْلَ تَأْيِي أَوْجَبِهِ . وَلِذَلِكَ قَالَ : (فِي الْبُعْدِ
 مَا لَا تَكَلَّفُ الْإِبْلُ) : أَيْ أَنَّ بُخْلَ هَذِهِ الْمَلِيحَةِ مَسَافَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ لِلْإِبْلِ
 فِيهَا عَمَلٌ ، فَلَا تَكَلَّفُهَا وَلَا تَتَمَكَّلُ فِيهَا . إِنَّمَا تَكَلَّفُ الْإِبْلُ قَطْعَ
 الْأَرْضِ .

وهنا كقولُه هو :

لَوْ عَدَا عَنْكَ غَيْرُ هَجْرِكَ بُعْدٌ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مَعَ السَّنَاقِ
 أَيْ لَوْ كَانَ بَعْدُكَ مِنْ جِهَةِ الْمَسَافَةِ الْأَرْضِيَّةِ لِأَعْمَلْنَا إِلَيْكَ الْإِبْلَ حَتَّى نَهْزِلَهَا
 وَلَكِنْ بَعْدُكَ نَفْسَانِي . إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ هَجْرِكَ . فَالْهَجْرُ هُنَا كَالْبُخْلِ فِي
 يَتَنَّهُ الْأَوَّلُ إِلَّا أَنَّ الْيَتَّ الْأَوَّلَ أَوْجَزُ ، لِأَنَّهُ اتَّظَمَ قَضِيَّتَيْنِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
 مُسْتَفْتِيَةً بِنَاتِهَاهَا مَعَ قَصْرِ عَرُوضِهِ .

(مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلٌ)
 أَيْ أَنَّهَا تَمَلُّ كُلَّ دَائِمٍ ، إِلَّا مَلَلَهَا فَإِنَّهُ دَائِمٌ ، وَهِيَ مَعَ دَوَامِهِ لَا تَمَلُّهُ .
 (فَقَا) طَلَّ هَذَا مَفْعُولٌ بِمَلُولَةٍ ، لِأَنَّ مَفْعُولًا عِنْدَ صَاحِبِ الْبِكْتَلَابِ عَمَّا
 يَحْدِثُ .

وَمِنْ رَوَاهُ تَدْوِمٌ : جَلَّ (مَا) جَعَلْنَا ، أَيْ مَا تَنْتَبِهُ . دَامَ الشَّيْءُ : تَمَيَّزَ .
 حَكِي سَبِيوِيَّةٌ عَنِ الْعَرَبِ : (مَا تَدْوِمُ لِي أَدْوِمُ لَكَ) أَيْ أَدْوِمُ لَكَ مَا تَدْوِمُ
 لِي . وَأَرَادَ مَا تَدْوِمُ صِلَتَهَا أَوْ مَا تَدْوِمُ لِلْمَلَلِ .

(بِصَارِمِي مُرْتَدٍ بِمُخْتَرِي مُجْتَرِي بِالْفَلَاحِ مُشْتَمِلٌ)
 أَيْ لِصَاحِبِ لِي فِي سَفَرِي إِلَّا سَفِينِي مُرْتَدِيًا بِهِ ، وَلَا دَلِيلَ لِي إِلَّا خَيْرِي
 بِالْقَلَاةِ ، وَلَا مَانِعَ لِي مِنَ الْأَعْدَاءِ سِوَى الَّذِي يَسْتَرْنِي عَنْهُمْ .

وقوله : (بَمْخَبَرْتِي مَجْزِيٌّ) : كقوله :

ذَرَانِي وَالْفَلَاحَةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْمَجِيرَ بِلَا لِيَامٍ
ورفع ذلك كله بإضمار مبتدأ ، أى أنا مُرْتَدٍّ بِمَخْبَرَتِي مُشْتَمَلٌ ... الخ .
(أَصْبَحَ مَالًا كَمَا هِيَ الدَّوَى الْخَا جَةً لَا يُبْتَلَى وَلَا يُسَلُّ)

أى نُصَرِّفُهُ عَلَى احْتِكَامِنَا وَاقْتِرَاحِنَا ، كَمَا يُصَرِّفُ مَالَهُ ، فَلَا هُوَ يَبْتَدُّنَا
بِالْمَعَادِ ، وَلَا نَحْنُ نَسْأَلُهُ . أى فَكَمَا أَنَا لَا نَسْتَأْذِنُ مَالَهُ ، بَلْ نَأْخُذُهُ مُخْتَكِمِينَ ،
كَذَلِكَ لَا نَسْتَأْذِنُ بَدْرًا فِي أَخْذِ مَالِهِ . قَدْ اسْتَوَى هُوَ وَمَالُهُ فِي أَنَّهُمَا
لَا يُسْتَأْذَنُ ، وَلِلَّهِ قَالَتِ الْعَرَبُ : مَا هُوَ إِلَّا هَشِيمَةٌ كَرَمٌ ؛ أى يَأْخُذُهُ
الْوَارِدُ كَيْفَ شَاءَ ، لَا يَسِرُّ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، كَمَا أَنَّ الْمَشِيمَةَ ، وَهِيَ الْعُودُ
الْيَابِسُ لَا تَتَعَنَّرُ عَلَى مُخْتَطِئِهَا وَلَا تَمُوجُهُ إِلَى نَعَبٍ فِي تَنَاوُلِهَا .

(إِنْ أَذْبَرْتُ قُلْتُ : لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتُ : مَالَهَا كَقُلُّ)

التَّلِيلُ : الْعُنُقُ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْعَذَرِ ، أى صَدْرُهَا الْمُقْبِلُ يَحْجُزُ عَنْ كَفْلِهَا ،
وَكَفْلِهَا الْمُدْبِرُ يَحْجُزُ عَنْ صَدْرِهَا ، فَأَنْتَ مِنْ حَيْثُ تَأَمَّلْتَهَا رَأَيْتَهَا مُشْرِقَةً ،
وَالْمُسْتَحَبُّ مِنَ الْفَرَسِ أَنْ تَهْزَ مَقْبِلَةً وَتَنْصَبَّ مُدْبِرَةً ، فَبَاهِتْرَازَهَا مَقْبِلَةً يَحْفَى
الْكَقْلُ ، لِإِشْرَافِ التَّلِيلِ ، وَبِإِنْصَابِهَا يَحْفَى التَّلِيلُ لِإِشْرَافِ الْكَقْلِ .

(أَنْتَ قَيْضُ اسْمِهِ إِذَا اخْطَلَتْ قَوَاضِيُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبْلُ)

جَعَلَ اسْمَهُ وَهُوَ بَدْرٌ ، دَالًّا عَلَى صُورَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْبَدْرَ إِذَا
يَسَى بِهِ الْقَمَرُ إِذَا قَابَلَ الشَّمْسَ فَامْتَلَأَ نُورًا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَمَدٌ لَا تَنْحَسُ .

يقول : فَأَنْتَ خِلَافُ هَذَا الْاسْمِ ، أى خِلَافَ طَبِيعَةِ الْمَسْمُومِ هَذَا الْاسْمِ
فِي الْحَرْبِ ، لِأَنَّكَ فِي السَّلْمِ طَلَقْتَ نِيرَ ، وَحِظْتَ السَّعَادَةَ ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْبَدْرِ
وَفِي الْحَرْبِ عَبُوسٌ مُهْلِكٌ ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ زُحَلٍ . فَأَنْتَ فِي الْحَرْبِ عَلَى غَيْرِ

ما أنت به في السلم طبيعة . قد وجب لاسمك في الحرب أن يكون غير اسمك في السلم . وقال : (أنت تقيض اسمه) ولم يقل ؛ ضِدَّ اسمه ، لأن التقيض أشدُّ مباينة لتقيضه ، من الضدِّ لعدوه .

(أَنْتَ لَتَعْبِرِي الْبَدْرَ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى زُحْلُ)
أى أنك سَمَد في السلم ، وشيبتك في الحرب ضدَّ ذلك ، وليس بالبدْر ولا بزُحْل في الحقيقة ، وإنما عَنَى بالبدْر أنه مُسْتَعِد ، وبزُحْل أنه مُنْجِس ، والمُنِير هنا : مفيد لأن البدْر قد يَتَلَبَّه النِّيم فلا يُبَيِّن .

(مَدَدْتَ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدَايَ وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمَلَ)
أى كُنْكَ مجتمِع الآمالِ قد انصَلَّتْ بها ، كَأَنَّ عُرُوقَهَا قد صارت آمالاً ، والطَّيِّبُ لِمَعْرِفَةِ لِهَ بِيضِغِ الْأَمَالِ ، ولا بِمَعَانِيهَا ، إنما بِمَانِي الْأَبْدَانِ ، فلا تَلَحُّقُهُ مَلَامَا ، لِأَنَّكَ كَلَّفْتَهُ مَا لَا يُحْسِنُ ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَلَامُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِيمَا يُعْزَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ قَصْرَ فِيمَا لَا يَسُ مِنْ حِلْمِهِ فَفَيْرَ مَلُومٌ .
وقوله : (كَيْفَ يَقَطِّعُ الْأَمَلَ) لم يُردِ الْقَطْعُ الْمُنْفِيدُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ كَيْفَ يَقَطِّعُ الْأَمَلَ لِلْإِصْلَاحِ .

- ٣٨ -

وله أيضا :

(فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَزْمَعْتُ هُنَّ أَرْضٍ زَوَالًا)
أى أَنَّى مَلَاظِمَ لظَهْرِ بَعِيرِي ، فَكَأَنِّي مُقِيمٌ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ سَائِرٌ . فِيمَا كَانَ يَقْضِي مَا بَيْنَ الْحَالَيْنِ . لَأَنِّي لَا ظَاعِنٌ وَلَا قَاطِنٌ .
(إِلَى بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلَالَا)
الْبَدْرُ يَبْدُو هِلَالًا ثُمَّ يَتَزَايِدُ ، وَلَا يُسَمَّى بَدْرًا حَتَّى يَكْمَلَ ، وَبَدْرِ بْنُ عَمْرِو بْنِ

لم يك قطُ هلالاً ، بل لم يزل كاملاً . وهذا منقطع شرعاً ، لأنه لم يك قطُ
 هلالاً ولا بدرًا . وكأنه لم يزل بدرًا ، لأن ذلك لم يزل اسمه . وهذا للبيت
 وإن كان المقصود به المدح ظاهراً قد يجوز أن يقصد به الذم باطنًا . لأنه لا بد
 على الحقيقة إلا وقد كان في غرة الشهر هلالاً . وهذا لم يكُ هلالاً ، فليس
 إذن بدرًا .

فالْحاصل له من ذلك ، أنه بَدَرٌ بالتسمية ، لا بالطبيعة ، فيكون ذلك مقتضياً
 لِهَزْوٍ ، نَفَرَجَ مُشَبِّهاً لقوله :

وفارقتُ شَرَّ الأرض أهلاً وتوبةً بها عَلَوِيَّ جَدَّهُ غَيْرُ هاشمٍ
 (جوابُ مُسائِلِ أَلِهْ نَظِيرٌ وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا ، أَلَا ، لَا)
 تَديرُ البيتَ : جوابُ مُسائِلِ : (أَلِهْ نَظِيرٌ) : أَلَا ، لَا ، أَى ليس له نظير ،
 فلا جَعدٌ ، وألَا : استنجاح (ولَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ) نَظِيرٌ ، لَا ، أَيها السائل ،
 فلا الثانية توكيد ، وإنما حاجة الكلام : وَلَا لَكَ أَيُّهَا السائل نظير ، إذا
 شككت في أنه لا نظير له ، حتى أحوَجَكَ ذلك إلى السؤال . فقوله : (أَلَا ،
 لَا) : خبر للبَعدِ الَّذِي هو قوله : (جوابُ مُسائِلِ) . وقوله : (وَلَا لَكَ)
 معطوف على قوله : (أَلَا ، لَا) فَعَكَّسَ ، بأن قدم المعطوف على المعطوف
 عليه .

(وَقَالُوا : هَلْ يُبْلَغُكَ الثَّرِيَّا هَلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفْلَا)
 أَى أَنامه فوق الثريَّا ، فإذا أردت أن يبلغنى إياها ، فلمَّا أبلغها بأن
 يَحْطِئَ إليها ، فأنا لا أريد منه بلوغ الثريَّا ، إِلَّا أن أشاء التَّسْفَلَ لأنَّ المالَ
 لا يبلغ ما هو أخفض منه إِلَّا بأن يَحْطَ إليه .

وهنا كقولُه :

فَوْقَ البَءِ وفوقَ ما طَلَبُوا فإذا أرادوا خَايَةً نَزَلُوا

أى أن علوهم الآن فوق كل غاية ، فإذا أرادوا غاية محدودة ، نزلوا إليها ، إلا أن هنا البيت الآخر أنعم معنى . وأصل ذلك قول البحترى لحمد ابن على :

لحمد بن على الشرف الذى لا يُلحَظ الجَوَازُ إلا من على
أى أنه فوق الجوزاء ، فإذا لحظها فإنما يلحظها من فوقها .

(فَقَدْ وَجِلْتَ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى عَدْتَ أَوْجَالَهَا فِيهَا وَجَالًا)

أبى وَجِلْتَ قُلُوبُهُمْ ، حَتَّى عَدْتَ أَوْجَالَهُمْ ؛ فَوَجِلْتَ الْأَوْجَالُ ، وعلوه مباينة كتولم : جُنْ جُنُونُهُ . وقالوا : شِعْرٌ شَاعِر . ومثله كثير حكامه سيبويه وسائر أهل اللغة . قال سيبويه : سألت الخليل عن ذلك ، قال : أرادوا المباينة والإشادة . ووجال : جمع وجيل كوجع ووجاع ولو قال : وَجَالَى ؛ يريد جمع وجيل ، لكان كحبيج وحباجي وحبيط وحباطي .

(يُفَارِقُ سَهْمَكَ الرَّجُلَ الْمَلَّاقِ فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجُلَ جَالًا)

أى إن سَهْمَكَ كما لاقى رجلاً خَرَقَهُ وَفَقَدَ مِنْهُ عَلَى مَا هُوَ بِهِ مِنْ قُوَّتِهِ الأولى هند فراق القوس ، وذلك دأبه ما لَقِيَ الرَّجَالَ وَإِنْ كَثُرُوا . بصفه بمجودة الرمي وقُوَّةُ النَّزْعِ . فإ : منصوبة على الظرف ، والقوس : في موضع نصب . أى فراقه القوس . فأضاف المصدر إلى المفعول ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْغَيْرِ ﴾ .

- ٣٩ -

وله أيضا :

(أَفْلَيْتِ الشُّوَدَعَةَ الَّتِي أَتَبَّمْتُهَا نَظَرًا مُرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتِ ثَنَا)

أى خَصَرَ الرَقِيبُ فَحَذَرَهُ ، قَلَّتْ نَظَرَاتُهُ ، وَغَلَبَتِ الْحَسْرَةُ ، فَكَثُرَتْ

زَفَرَاتُهُ . حَتَّى كَانَتِ الزَّفَرَاتُ ضِعْفَ النُّظَرَاتِ . فَلذَلِكَ جُمِلَ النُّظَرَاتُ
فِرَادَى ، وَالزَّفَرَاتُ ثَنَاءً . وَاحْتِاجٌ إِلَى قَصْرِ (ثَنَاءً) وَثَنَاءٌ مَعْدُولٌ عَنْ
(اِثْنَيْنِ اِثْنَيْنِ) لِلتَّقْضِيَةِ (ثَنَتَيْنِ ثَنَتَيْنِ) ، وَلَا تَكُونُ مَعْدُولَةً عَنْ (اِثْنَيْنِ
اِثْنَيْنِ) لِأَنَّ الْمَعْدُولَ يَمْدَدُ لِلْمَعْدُولِ عَنْهُ . وَقَالَ . زَفَرَاتٌ فَأَسْكَنَ الْفَاءَ لِلضَّرُورَةِ ،
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

أَبَتْ ذِكْرًا عَوْدَنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَرَقَصَاتِ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ
(وَتَوَفَّدَتْ أَهْأَسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ يَبْنِنَا)

أَشْفَقْتُ مِنْ احْتِرَاقِ الْمَعْدُولِ مَعَ شَفَاكَهُ لَهُ ، خَشْيَةً أَنْ يَنْبِمَ احْتِرَاقُهُ بِمَا هَا
عَلَيْهِ مِنْ تَوَقُّدِ النَّفْسِ . قَالَ : إِنْ الْعَوَازِلُ إِنَّمَا احْتَرَقْنَ بِتَوَقُّدِ أَهْأَسُمَا عِنْدَ
الْقَائِمِ بِهَا ، وَأَرَادَ (أَنْ تَحْتَرِقَ الْعَوَازِلُ) أَيْ (مِنْ أَنْ) لِحَذْفِهَا ، وَأَبْجَلُ
حَالِهَا بِحَذْفِهَا . وَإِنْ شَتَّتْ نَصَبَ الْفَعْلِ عَلَى مَكَانٍ (أَنْ) فَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ
مَوْثُرٍ غَابَ وَبَقِيَ تَأْثِيرُهُ دَالًّا عَلَيْهِ .

(مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طُلُقَانِهِ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَانَ مِنْ حِينَا)
يَقُولُ : عِيْدَاهُ قَتْلَاهُ وَأَسْرَاهُ ، وَمَنْ أَقْلَتْ مِنْهُمْ فَإِنَّا هُوَ طَلِيقُهُ ،
بِصَفْحِهِ عَنْهُ .

(وَمَنْ لَيْسَ مِنْ دَانَ مِنْ حِينَا) دَانَ الرَّجُلُ : أَطَاعَ . أَيْ مَنْ لَمْ يَكُنْ
مِنْ حَائِثِيهِ فَهُوَ مِنْ مُحِيطِيهِ . وَأَرَادَ : دَانَ لَهُ ، لِحَذْفِ اللَّامِ بِهَا . وَمَنْ هُنَا
بِمَعْنَى الَّذِي ، كَأَنَّهُ قَالَ : الَّذِي لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مَعْدُودٌ فِي طُلُقَانِهِ ، وَالَّذِي لَيْسَ
مِنْ حَائِثِيهِ مُحِيطٌ . وَقَوْلُهُ : (مَنْ طُلُقَانِهِ) فِي مَوْضِعِ خَيْرِ الْمَبْتَدَأِ ، الَّذِي هُوَ
(مَنْ) الْأَوَّلَى . وَقَوْلُهُ : مَنْ حِينَا خَيْرِ مَبْتَدَأٍ ، الَّذِي هُوَ (مَنْ) الثَّانِيَةِ .
(وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَكَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقْتُ الضُّحَى وَالْمَوْحِيَا)

أى أنفيت الأمكنة والأزمنة والركائب . وكان يجب أن يقول : ووقى الضحى والتوهين لأن التوهين نحو من الزمن القليل ، نصف الليل . والضحى : أول الزمن النهاري . قابل هو التوهين الذى هو نصف الزمن . الليل ، بالضحى ، الذى هو أول الزمن النهاري . ولو قال قائل : عني بالضحى اليوم كله ، وبالتوهين الليل كله ، وأقام الجزء مقام الكل ، كما أقيم الكل مقام الجزء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ وَيَاللَّيْلِ ! لكان جائزا ، فتفهّمه فإنه لطيف .

(أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوَفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقَرَّبَ الْأَقْصَى فَتَمَّ لَهُ هُنَا)
 إن شئت قلت : متى قال غيره : سوف أفضل ، قال هو : قَدْ فعلت ، فسبق . ومتى قال غيره : تَمَّ النجم أو السماء مستقبلا ، قال هو — (هُنَا) مستقرا .

وإن شئت قلت : إذا نوى أمرا سابق نِيَّته بفعله ، فصار المستقبل ماضيا ، ومتى لحظ أمرا بعيدا عملَ هزمه ، قَرُبَ عليه فتناوله .
 (نَيْطَتْ حَامِلُهُ يَمَاتِقَ مِصْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكْرُ وَتَمَّ انْتَقَى)
 إنما يكون الكرُّ بعد الانشاء فلا إنشاء عِلَّةَ له ، فلذا لم يكن انشاء لم يكن كَرُّ ، لأنه إذا ارتفعت الِئِلَّةُ ارتفع الملول ، فيقول : هذا المِصْرَبُ ما كَرَّ لآله لم يَنْ ، فَيَقِيبُ الانشاء بالكرُّ .

(نَتَقَّاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَمْلَاكُ فِيهِ وَالْذُّنَا)

غاية ما أدركت الأفهام ، تلك وما فيه ، فأما ما هو فيه ، فلم يُدْرِكْ وَهَمٌّ ولا فَهَمٌّ : فيقول : إدراكه مُعْوِزٌ لإدراك ما فيه الدنيا والفلك . والذُّنَا : جمع الدنيا ، كالملا جمع الدنيا ، وهذا مُطَرَّد .

(لَا يَسْتَكْرِهُ الرَّهْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ إِلَّا يُحْسِنَا)

أى لا يتصور الخوف بين ضلوعه ، ولا يتصور أيضاً بينهما العلم بالأيحسـن .
بل هو مُحسِنٌ لأنَّ يُحْسِنَ . أى الإحسانُ غلبه . والإحسان هنا أن يكون
المعرفة ، كقول فلان مُحسِنٌ لـعلم كذا ، ويميز أن يكون الإحسان الذى هو
ضد الإساءة ، فكأنه قال فى كل ذلك : ولا يُحسِن ترك الإحسان ؛ إنما يُحسِن
الإحسان . وهذا كقول الآخر أَنشَدَناه أبو الفتح :

تُحْسِنُ أَنْ تُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رُمْتَ سِوَى الْإِحْسَانِ لَمْ تُحْسِنِ
إِلَّا أَنْ هَذَا الْبَيْتَ بَعِيدٌ ، لِأَنَّهُ نَسَبَ إِلَى الْمَدْحِ مَرَامَ غَيْرِ الْإِحْسَانِ .
(سَلَكْتَ تَمَاثِيلَ الْقِيَابِ الْجَنِّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَذَرَنْ فَيْكَ الْأَعْيُنُ)
أى سَلَكْتَ الْجَنِّ صُورَ الْقِيَابِ ، لِنَظَرِ إِلَيْكَ شَوْقًا ، وَإِنَّمَا قَالَ :
(تَمَاثِيلَ الْقِيَابِ) وَلَمْ يَقُلْ (الْقِيَابِ) ، لِأَنَّهُمْ يَزْهَوْنَ أَنَّ الْجَنِّ تَأْلَفَ
التصوير الموضوعة على أشكال الحيوان . وقد قيل : إِنَّمَا كَرِهَ اتِّخَاذَهَا فِي
الْقِيَابِ وَالسُّورِ وَالْبُسْطِ لِهَذَا .

(وَعَجِبْتُ حَقًّا مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّلْمِ وَرَأَيْتُ حَقًّا مَا رَأَيْتُ مِنَ السُّلْطَانِ)
الظُّلْمُ : السُّيُوفُ . وَالسُّلْطَانُ : الضُّوءُ . أَى عَجِبْتُ مِنَ السُّيُوفِ حَتَّى أَسْنَتُ
بِالسُّجْبِ ، وَأَخْلَدْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ أَعْجِبْ بَعْدَ ، وَرَأَيْتُ لِمَا هُنَّ حَتَّى عُشَى بَصْرَى
فَلَمْ أَر . فَصَلَّى الْبَيْتَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

حَلَّى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ مَرَّزْنَ كُلَّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ
(فَطَنَّ النَّوَادُ لِمَا آتَيْتُ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ يَنْطَلِبَا)
أى لَمْ تَقْصُرْ عَلَى الْعِلْمِ بِمَا صَنَعْتُ ، حَتَّى عَلِمْتَ مَا تَرَكْتَهُ مَخَافَةً أَنْ يَنْطَلِبَا .
بـ . وَقِيلَ مِنْهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ شُكْرَى وَثَمَائِي عَلَيْكَ ، وَهُوَ الَّذِى

فَلَنْ فُزَاذِكَ لَهُ . وَكَذَلِكَ قَطَنَ أَيْضًا لِمَا تَرَكْتُهُ ؛ خَوْفًا أَنْ يَقْطَنَ لَهُ ، مِنْ تَنْفُصِكَ أَيْضًا ، فَلَمْ يَكُنْ تَرَكِي لَذَلِكَ إِلَّا خَافَةً أَنْ يَقْطَنَ فُزَاذِكَ لَهُ ، فَكَيْفَ وَطَبِيعَتِي فَيْكَ خِلَافُ ذَلِكَ . وَالْيَتِ يَتَضَعِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِخْلَالِ بَقَدْرِ بَذْرِ بْنِ عَمَّارٍ . وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ :

(أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَمْتُ شَيْئًا هَيِّنًا)
أَيُّ عُوقِبْتُ عَلَى تَقْصِيرِي عَنْ وَاجِبِكَ ، بِفِرَاقِكَ الشَّدِيدِ عَلَى الْكُرْهِ
إِلَى ، فَلَيْسَ الَّذِي لَا قِيَّتَهُ مِنْ فَلَكَ بَهَيِّنٍ ، أَيُّ يَسِيرٍ . وَلَا يَرِيدُ الْمُسَيِّنَ الَّذِي
مُوحَّدُ الْمَرْزِزِ .

- ٤ -

وَلَهُ أَيْضًا :

(يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْمَ - لِأَلِ جُودًا كَانَ مَالًا سَقَامًا)
أَيُّ يَتَشَاوَى بِالْجُودِ ، حَتَّى كَانَ لِلْمَالِ مَرَضٌ يَبْنِي إِزَالَتَهُ ، وَالْإِقْلَالُ
بُرءٌ يَطْلُبُهُ .

وَقَوْلُهُ (كَانَ مَالًا سَقَامًا) — أَرَادَ كَانَ وَجُودَ مَالٍ ، لِأَنَّ الْمَالَ لَا يَقَالُ
لَهُ سَقَامٌ إِذَا وَجَّهَ وَالسَّقَامُ عَرَضٌ .

(حَسَنٌ فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ أَفَدَ بَجْعٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ)
أَيُّ هُوَ حَسَنٌ الصُّورَةَ غَايَةً إِلَّا فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ ، لِمَلَمٌ يُعْلَلُ كَمَا إِيَّاهُمْ ،
أَفْبَحَ مِنْ ضَيْفِهِ فِي عَيُونِ السَّوَامِ ، لِمَلَمَا إِذَا رَأَتْ الضَّيْفَ أَنَّهَا مَنَحُورَةٌ ،
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

حَبِيبُ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مَنَاحُهُ بِنَيْضٍ إِلَى الْكَوْمَاءِ وَالْكَلْبُ أَقْصَرُ
وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ . قَوْلُهُ : (فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ) : ظَرْفٌ لِأَفْبَحَ ، وَلَا يَتَصَلَّقُ

بحسن ، لأنه لا يحسن في عيون أعدائه . وتقدير البيت : حسن في عيوننا معشر
أحبابه ومن لا يشقى به ، لكنه بخلاف ذلك في أعين عداه . وقد بالغ بالقيح ولم
يبالغ بالحسن ، لأن قبحه في عيون أعدائه ، أمدح له من الحسن في عيون
أحبابه .

(وعَوَارٍ لَوَامِعٌ دَمُّهَا الْحِلُّ وَلَكِنَّ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ)

اللوامع : السيوف لبريقها . ووصفها بالرؤى : لاعتيادها مفارقة أغمادها .

وعَوَارٍ : جمع عار ، لاجمع مُرْوان ، لأن مُسلان لا يكسر على (فَواعِل)
(دَمُّهَا الْحِلُّ) : أى أنها مستعلة للدماء ، على أن زِيَّهَا الإحرام : أى أنها
مجردة أبداً كالْحُرْمِ والحُرْمِ لا يَسْنِفُكُ الدماء . فقد اجتمع في هذه السيوف
طبيعة الحل وزِيَّ الإحرام .

(وَمِنْ الرُّشْدِ لَمْ أُرْكَ عَلَى الْقُرْبِ عَلَى الْبُشْدِ يُعْرِفُ الْإِتِّسَامُ)
كان قريباً منه فلم يَزُرْهُ ، ثم بَعْدَ فزاره ، ليكون ذلك أدلّ على إجلاله
وإعظامه له ، فأوجه . وأراد : من الرُّشْدِ أنى لم أُرْكَ . وقوله (على
البعد) : متعلق بـيعرف . وعلى القرب متعلق بأُرْكَ .

- ٤١ -

وله ايضا :

(تَخْلُو الدِّبَارُ مِنَ الظُّبَاءِ وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ تَائِبَةٍ خَيْالٌ خَازِلٌ)

كفى بالظباء عن الحسان . أى تخلو الديار عن كان بها . والخيالُ خير
مفارق لى . وكفى بالتائبة عن صغارها ، لأن الجدياية وهى الصغيرة من الظباء
تتبع أمها . ولما جعل للمرأة غزاةً جعل الخيال خازلاً ، كما تَخْذُلُ الظبية عن
القطيع ، أى تتأخّر .

ولإن شئت قلت : جعل الخيال بمنزلة ولد الغزال ، وَرِيَّةَ الخيال بمنزلة الغزال . فتابعة بمعنى متبوعة على هذا القول . وجعله الخيال بمنزلة الولد لما تستف لأن الخيال رُوْحاني ، فهو أَلْفٌ من روية الخيال ، كما أن الصنهر الجسم أَلْفٌ من الكبير . وخاذلٌ : أى خَذَلْها وزارنى . قَيْنٌ — على هذا — تكون التبعيض والجنس ، فَتَفَهَّمْهُ .

(كَافَأْتَنَا عَنْ شَبِيهِينَ مِنَ التَّمَا فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ)
كَافَأْتَنَا : من الكَفُوْءُ ، وهو اللثْلُ ، والمها : بقرا الوحش : يُشَبِّه النساء بهن في سواد الخلق . والحبائل : الشُرْكُ ، واحدها : حِبَالَةٌ ، أى صِدْنَا لها وهن أشباه النساء ، بحبائل منصوبة لهن في التراب ، فكافأْتَنَا عن فعلنا بأشباههن بأن صِدْنَا كما صِدْنَاهن ، طلباً نأرهن ، إلا أن النساء صِدْنَا بحبائل لم تُنصب لنا في التراب ، وهى الأعين والخلود وغيرها من المعاسن الظاهرة ، كالباسم والأعطاف والقدود ، وكلهن حبائل إلا أنها لا تثبت في التراب .

(مِنْ طَاعِي مُغَرِّ الرُّجَالِ جَادِرٌ وَمِنْ الرَّمَاكِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ)
كُنَى بِالْجَادِرِ هنا عن النساء ، كما كُنَى عَنْهُنَّ فى البيت الذى قبله بِالظُّبَاةِ أى يلبى أن تعدَّ جَادِرُ الْإِنْسِ من طَاعِي مُغَرِّ الرُّجَالِ ، لأنهن يملن من القتل ما لا يفعل الطاعن . ويلبى أن يُعَدَّ الْحَسْلُ من السلاح ، لأنه سلاح النساء ، كقول الأعشى :

إِذَا هُنَّ نَازِلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ الْمِصَاعُ يَمًا فِى الْجَوْوْنِ

يعنى بما تَصَبَّهَتْ الْجَوْوْنُ من الطَّيْبِ وسائر أنواع الزينة . ولو جعل السلاح محاسنهن لكان أليق بالشعر . ولكن لما كان السلاح فى المقاد ليس بجزء من التسلُّح ، جعل سلاحهن ما ليس بجزء ، وهى الدَّمَالِجُ وَالْخَلَاخِلُ وَكَانَ مَصْرُوعُ الْهَبِ وَالْفَضَّةِ ، كَمَصْرُوعِ الْحَدِيدِ لِرُجَالِ الْحَرْبِ .

وقد يجوز أن يكون أراد . من طاعني ثغر الرجال جأذراً ، ومن السلاح
 دُمْلَجٌ وَخُلُتَالٌ يذهب في ذلك إلى التعجب . وحذفت الألف التي لفظها
 الاستهزام ، ومعناها هنا الإنكار . لأن اللفظ مكسفٍ بذاته ، لما فيه من
 معنى التعجب ، كقول أبي تمام :
 أَسْرَبِلُ هُبَيْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
 أَيْ أَسْرَبِلُ ، لحذف الألف . ومثله كثير إذا تضمن الكلام معنى
 الإنكار والسجب .

- ٤٢ -

وله أيضا :

(صَفَرْتُ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتُ عَنْ لِكَأَنَّهُ وَعَدَدْتُ سِنَّ غُلَامٍ)
 أَيْ فَكَلْتُ الصَّنَائِعَ الْحَسَنَ . فَصَفَرْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ جَسِيمَةٍ فَعَلَهَا غَيْرُكَ ،
 بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا . وَجَلَلْتُ عَنْ التَّشْبِيهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَنْظِيرَ لَهَا فِي الْعَالَمِ .
 كَالْتَّمَسَ وَالْبَدَرَ وَالْبَحَرَ . وَعَدَدْتُ سِنَّ غُلَامٍ : أَيْ نِلْتُ هَذِهِ التَّهَابَةَ ،
 وَبَلَّغْتُ تِلْكَ النِّهَايَةَ فِي حَدِّ صَبَاكَ . فَذَلِكَ أَغْرَبَ وَأَشْرَفَ .

فقوله (وعددت سن غلام) جملة في موضع الحال . كأنه قال : بليت
 كل ذلك غلاماً ، وكان يفني أن يقول : (صَفَرْتُ كُلَّ عَظِيمَةٍ) مَكَانَ
 (كَبِيرَةٍ) لِأَنَّ الصَّغَرَ عِنْدَ الْأَوَائِلِ ، إِنَّمَا يُقَابَلُهُ الْعِظَمُ . وَلَكِنَّهُ حَمَلَ عَلَى طَرِيقِ
 الْقَنَةِ ، لِأَنَّ الْكَبِيرَ وَإِنْ كُنِيَ بِهِ عَنِ السِّنِّ ، قَدْ يَكُونُ لِلْعَظِيمِ . إِلَّا أَنْ خِيرَ
 الْمُشْتَرَكُ فِي التَّقَابُلِ ، خَيْرٌ مِنَ الْمُشْتَرَكِ ، فَهَئِنَا .

(مَهْلًا أَلَا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي مَحْرُوحَاتِ وَصَبَةِ الْأَغْتَامِ)

أراد عمرو حابس ، فرخم للضاف اضطراباً ، كقوله أنشدته سيبويه :

أَوْدَى ابْنُ جُلْهَمٍ عَبْدَ بَصْرَمَةَ ابْنُ ابْنِ جُلْهَمٍ أَمْسَى حَيَّةَ الْوَادِي
 قال : أراد بن جُلْهَمَ ، والعرب يُسمون الرجل جُلْهَمَ ، والمرأة جُلْهَمَ .
 كل ذلك حكاية سيديويه .

والأهتام : جمع أَهْتَمَ . كَسَرَ أَفْعَلَ على أفعال ، وهو قليل . ونظيره
 أَغْزَلَ وَأَغْزَالَ ، وهو الذي لاسلاح له ، وأَغْرَلَ وَأَغْرَالَ وهو الذي لم يُخْتَنَ .
 (أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضِهِ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ يَبِيضُ فِي سَمَاءِ قَتَامِ)
 لما استملأ للدم أرضاً ، استعجاز تسمية جُثْثِ القتل أَحْجَاراً وشبه البييض
 بِالْمَمَانِهَا فِي الْقَتَامِ بِالنُّجُومِ فِي الظَّلَامِ .

(وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةٌ سَمَلَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ)
 أى وفي ذلك المَعْتَرَكِ أَذْرَعُ قَطَعْتَ مِنْ قَوْمٍ كَانُوا يُكْنَوْنَ أَبَا زَيْدٍ ،
 وَأَبَا عَمْرٍو ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُنْيَةِ . فَلَمَّا قَطِعتْ مِنْهُمْ
 حَاتُوا ، فَكُنِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَبُو الْإِيْتَامِ .

- ٤٣ -

وله أيضا :

(عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلُ الْخُدُورِ)
 عَذَارَى : أى خُطُوبٌ أَبْكَارٌ لَمْ تُنْصَبْ أَحَدًا قَبْلَ . هُنَا مَعْنَى الْعُدْرَةِ فِيهِنَّ .
 وَ (مِنْ) هَا هُنَا لِلتَّبْيِينِ . أَيْ لَيْسَتْ هَؤُلَاءِ الْعَذَارَى مِنَ النِّسَاءِ ، إِنَّمَا هِيَ
 مِنْ أُمُورِ النَّهْرِ ، أَيْ أَعْزَرَى ، أَوْ مَنْ عَازَرَى ؟ وَقَوْلُهُ : (سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلُ
 الْخُدُورِ) جُمْلَةٌ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِعَذَارَى ، وَبِهَذِهِ الصِّفَةِ مَعَ قَوْلِهِ : (مِنْ أُمُورٍ)
 خَلَصَ عَذَارَى الْخُطُوبِ هُنَا : مِنْ عَذَارَى النِّسَاءِ ، لَا يَسْكُنُ الْجَوَانِحَ إِنَّمَا

يَسْكُنُ الْخُلُودَ . فَأَقَامَ جَوَانِحَهُ لِمَذَارِي الْمُؤْمِمْ مُقَامَ الْخُلُودِ لِمَذَارِي النِّسَاءِ .
بَدَلَ غَرْفٍ . أَيْ مَكَانَ الْخُلُودِ ، كَمَا حَكَاهُ سِيَبَوِيهِ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : إِنْ
بَدَلَكَ زَيْدًا ، أَيْ إِنْ مَكَانَكَ . قَالَ : وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : اذْهَبْ مَعَكَ بَفْلَانٍ ،
فَيَقُولُ : مَعِيَ رَجُلٌ بَدَلَ فُلَانٍ ، أَيْ يَتَنِي غَنَاءَهُ ، وَيَكُونُ فِي مَكَانِهِ .

- ٤٤ -

وله أيضا :

(مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا تَفْذَى وَتَرْوِي أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَقْظَأَ) .

أَيْ أَنَّ ضَرَّهَا لِنَفْسِهَا مَنَفْعَةٌ لَهَا ، إِذَا جَرَّ ذَلِكَ نَفْعًا لغيرِهَا تَقْوَتْهَا بِالْمَجْدِ ،
وَاحْتِسَابِ الْأَجْرِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ﴾ . أَيْ طَلَبًا لِلْأَجْرِ . ثُمَّ فَسَّرَ قَوْلَهُ : (مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا) .
بِالنِّصْفِ الثَّانِي ، فَقَالَ : (تَفْذَى وَتَرْوِي أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَقْظَأَ) . أَيْ أَنَّهَا
تَجُوعُ لِتُخَصَّ غَيْرُهَا بِطَعَامِهَا ، فَهِيَ تَفْذَى بِذَلِكَ الْجُوعِ وَلَا يُؤْثِرُ فِيهَا ، بَلْ
هُوَ نَمَاءٌ لِجَسَدِهَا . وَتَعَطِّشُ لِتُخَصَّ غَيْرُهَا بِشَرَابِهَا ، فَذَلِكَ الْعَطَشُ رِيٌّ لَهَا .
إِذْ هُوَ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ .

فَتُلْخِصُ الْقَضِيَّةُ . أَنَّهَا تَفْذَى بِالْجُوعِ ، وَتَرْوِي بِالْعَطَشِ . وَكَانَ وَجْهُ
الْعِنْمَةِ — لَوْ اسْتَقَامَ لَهُ الْوِزْنُ — أَنْ يَقُولَ . تَشْبَعُ وَتَرْوِي . يُقَالُ بِلِ الْجُوعِ
بِالشَّبَعِ ، كَمَا قَابَلَ الْعَطَشُ بِالرَّيِّ . لَكِنْ لَمَّا كَانَ فِي التَّفْذَى مَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ رَيْبَةٌ
كَانَ مَعَهُ الشَّبَعُ ، تَسَمَّحَ بِهِ ، وَأَرَادَ (أَنْ تَقْظَأَ) فَأَبْدَلَ الْهَمْزَةَ إِبْدَالًا
صَحِيحًا ، حَتَّى أُلْحَقَهَا بِمَجْرُوفِ الْعَلَّةِ ، وَذَلِكَ لِحَاجَتِهِ إِلَى الْوَصْلِ ، لِأَنَّ الْهَمْزَةَ
لَا يُوَصِّلُ بِهَا الرَّوِيُّ ، وَلَا يَطْرُدُ هُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّهُ خَفَّفَ الْهَمْزَةَ تَخْفِيفًا قِيَاسِيًّا ، لِأَنَّ الْهَمْزَةَ إِذَا

خففت تخفيفاً قياسيًّا ، لم توصل به ، لأنه في نية الهمزة . فن حيث لا يوصل بالهمزة مُخَفَّفَةٌ ، لا يوصل بها عطفة تخفيفاً قياسيًّا ، فضمته فإنه لطيف .

(إِذَا قُلَّ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ فَأَبَدَ شَيْءٌ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزَمًا)

أى أن الممكن من المطالب ، إذا لم يعزم عليه طالبه ، كان بمنزلة المتنع . والفرق بين الممكن الذى لا يجد عزمًا وبين المتنع ، أن الممكن إذا عزم عليه نيل ، والمتنع لا يتأَلُّ البتة ولو عزم عليه . وقوله : (فَأَبَدَ شَيْءٌ مُمْكِنٌ) : يريد فأبعد الممكنات ممكن لا يُعَزَّم عليه . ويجوز أن يكون شىء هاهنا يجمع الممكن والمتنع ، لأن العقل لا يشك في أن المتنع أبعد الأشياء .

وتلخيصه : إِنْ قُلَّ عَزَمِي بَعْدَ مَطْلَبِي فَأَبَدَ مِنْهُ مَطْلَبٌ مُمْكِنٌ ، لَمْ يَجِدْ لَدَىَّ عَزَمًا .

- ٤٥ -

وله أيضا :

(سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدَ مَوْصُوفَاتِهَا)

السُّرْبُ : القطيع من الظِّبَاءِ والشَّاءِ والبقر . وعَنَى (بالسُّرْبِ) هنا النساء ، تشبيهاً لهنَّ بالظباء . والحاسنُ : واحدُها حُسْنٌ على غير قياس . وذواتها : صَوَاحِبُهَا . أى هَوَايَ سِرْبٍ حُرِمَتْ ذَوَاتِ مُحَاسِنِهِ ، وَذَوَاتِ الْحَاسِنِ مِنْ ذَلِكَ السُّرْبِ . فكأنه قال : حُرِمْتُه ، بأن حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وقد يجوز أن يكون سِرْبٌ مُبْتَدَأٌ ، ومحاسنه مُبْتَدَأٌ آخِرٌ ، أو بدلاً من سِرْبٍ . وَحُرِمَتْ ذَوَاتُهَا : خبر عن الحاسن ، والمبتدأ الثاني وخبره ؛ خبر عن سِرْبٍ . فلا يحتاج على هذا القول إلى إِضْمَارِ (هَوَايَ) . وَأَنْ يَكُونَ سِرْبٌ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَضْمَرٌ : أَوَّلَى كَمَا قُلْنَا ، قُبْحُ الْإِبْتِدَاءِ بِالنِّكْرَةِ . ثُمَّ قَالَ : (دَانِي الصِّفَاتِ

بعيدٌ موصوفاتها) : إنما دنت صفاته عليه ، لأنه يقدّر على وصفه بما أوتيته من اللسن ، والمنطق الحسن . وبعدت موصوفات السرب لأنهن مقصوراتٌ محجوباتٌ ، أو ممتعات ، والضمير في (موصوفاتها) : راجعٌ إلى السرب وإن كان مذكراً . لكن جاز ذلك ، لأنه في معنى الجماعة . ولا يجوز أن يكون راجعاً إلى الصفات ، لأنه نوع من إضافة الشيء إلى نفسه .

(وكانّها شَجَرٌ بَدَأَ لَكُنْهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الثمرَ من ثمراتها)

أى كأنّ العيس شَجَرٌ من علوّه . وللسرب شبه المحول كثيراً بالنخل ، وذلك لما يضعون على الموارج من الرقّ والمهون الملوّنة ، فيشبهون ذلك بالزهور والبسر الملوّن . ولم يشبه التنبى الموارج وما عليها بذكر النخل ، وإنما عني علوّ الإبل ، فشبهها بالشجر عامة ، ثم قال : (لكنّها شَجَرٌ جَنَيْتُ الثمرَ من ثمراتها) ، معنى بذلك : إبعاد الإبل حبايبه عنه ، وقد بين ذلك بقوله :

(لا سرت من إبلٍ لوّاني فوقها لَمَحَتْ حرارة مَدَمَعِي سِمَاتِهَا)

دعا عليهن ألا يسرن ، إشفاقاً من بعد حبايبه عنه إذا سارت .

(وترى المروّة والفتوة والابوة في كلّ مليحة ضرائها)

بعض أن الملائح يفسقنه ، وهو يورث عليهن المروّة والابوة والفتوة ، وذلك أن هذه الثلاثة ينهينّه عن عشق النساء ويأمرنّه بحجبهن أنفسهن . فعلم الملائح أن هذه الخصال الثلاث يضررنّ بينّ عنده ، كما تضر المرأة عند أهلها ضرائها ، إذ لولاهن لواصلهن .

(ومقائير بمقائير غادرته أقوات وخشي كن من أقواتها)

المقنب : القطة من الخيل . أى صرفت مقنب غيرى بمقنبي . فهذا معنى

قوله : (وَمَقَانِبُ بِمَقَابِ غَادَرَتَهَا) وقوله : (أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا) أى صرعت هذه المقانب ، فركبتها أقواتا للوحوش ، التى كانت من أقوى هذه المقانب ، فساد الأمر بالمكس ، وجعل الوحش الآكلة لهم مما كانوا يقتاتون به ، لأن العرب تأكل الذئب ، والضبع والهملياع والنهد ويحوم ذلك من آكلة الإنسان . وقد شبه بعضهم هذا البيت بقول البحترى :

كلانا بها ذئبٌ يحدث نفسه بصاحبه والجِدُّ يقبضه الجِدَّة
وليس مثله ، لأن البحترى لم يأمل أكل الذئب كما أمل الذئب أكله
وإنما قال : كلانا قاتل لصاحبه ، الذئب يريد أكله ، وأنا أريد قتله .

(أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْحَيَادِ كَأَنَّمَا أُيْدَى بَنَى عِمْرَانَ فِي جِبَّهَاتِهَا)
الكرمُ يوصف ببياض اليد ، وهى الخيل التى أقبلتها هذه الوجوه .
مَنْ غُرَّرَ ، فكان غُرَّرَهَا أيدى هؤلاء موضوعة فى جبهاتها . بنى أقبلتها خيلاً
سابقة ، يُقبلون جيباتها كما قبَّلُ أيدى بنى عمران . فهذا معنى التشبيه .
(تَكْبُورًا وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحْمَدُ قُرْحٌ لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَانِهَا)
القرح هنا : كناية عن الرجال الكهول المذَّكَّين . وأصله فى الخيل ،
واحدها قارح ، وهو الذى آتى عليه خمسُ سنين من نتاجه . فشبه المدوح
بفرسٍ جواد ، وشبه مبارزيه بخيل قُرْح ، كقوله :

فَدَى لَأَبَى الْبَيْتِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهَمِ
أى بفرسٍ أذم . وخصه بالذممة ، لأنه عنى به كافوراً .

وقوله : (لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَانِهَا) : أى ليست قوائمه آلات لها
لأنها تمر وتكبو وتضف عن مجاراتها ، فكان هذه القوائم ليست من آلاتها

إذ لو كانت آلاتها لتصرّتها ولم تحنها ولا أظهرت فضلك أيها المدوح على هذه القرّح . وإنا قوائمه من آلاتك أنت ، لدلائها على سبقك ، إذا كبت هذه القرّح وراك ، فمن آلاتك المبيّنة لفضلك لا آلاتها ، لأن من نصرّك وخلل مناوئك ، فإنها هو آلة لا لمناوئك ، وإن كان أهلاً له ، وجزءاً منه ، كتوله تعالى : ﴿ يَأْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أى ليس من أنصارك ولا مضايديك ، إنما هو من أعدائك . ولم ينفِ أنه ابنه حقيقة ، لأن نساء الأنبياء لم يتجنّرن .

وذكر القوائم هنا ، لذكر الخليل ، ذهاباً إلى الصنعة . وإنا للقوائم هنا كناية عن الخصال والفضائل النفسانية . وقيل : إن الضمير في آلاتها «وراءك» ، أى لا يتبكم إلا خيل قوائمه أئمت من قوائم هذه القرّح . وأما قوائم هذه فقشرة عن منابتك ، والصبر على مجاراتك .

(سُقِّتْ مَنَابِقُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى بِبَنْدَى أَبِي أَيُوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا)

الصنعة سارية في هذا البيت ، وذلك أنه جعل للنفوس منابت ، وليست للنفوس نباتية فنتبت ، وإذا لم تنبت فلا منبت لها ، ومعناه : سقى الله أهل هذا المدوح بنداؤه لأنهم أجواد ، فإذا أفاض عليهم جوده ، أفاضوه على من سواهم . وقوله : (وخيرُ نباتها) الهاء للمنابت . ودعا للمنابت بسقيا النبات لها ، وتقديتها إيّاها ، قلباً للمادة . لأن المنبت ينبت للنبات ، والنبات لا يقبّدى المنبت ، إذ المنبت غير نائم ، ولكنه أغرب بملك ، وجعل المدوح خير نبات المنابت التي هو منها ، لأنه أشرفها وأوسطها ، فالباء التي في قوله : (بندقى أبي أيوب) على هذا التفسير متعلقة بسقّيت . وقد يجوز أن تكون متعلقة بسقّت . ويكون سقى المنابت غير مبيّن . فكأنه قال : سقّيت منابتها ، وأمسك ولم يذكر ما سقى به .

(لَوْ مَرَّ بِرَكْنٍ فِي سُلُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ حِيَانَهَا)
 يصفه بالخلق في التروسية . وخص المهر لتكون أغرب ، لأنه إذا فعل
 ذلك بالمهر وهو غير ماهر ولا مرتاض ، كان أقدر أن يفعل ذلك بالقادح ،
 لارتياضه واقياده .

(بَضَعُ السَّنَانِ بِمِثْ شَاءٍ مُجَادِلًا حَتَّى مِنْ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا)
 يصفه أنه حاذق بالطن ، حتى إنه يضع السنان في خرت الأذن . وقوله
 مُجَادِلًا : حال مُتَمِيعَةٍ . وَالْمُجَادِلُ : الْمُجَارِي فِي مَتَدَانِ الطَّنِ ، وذلك أنه إذا
 فعل وهو جائلٌ في الحرب ، كان أقدر عليه وهو في الميدان وادع .

(لَاخْلُقُ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى تَقْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا)
 أي المعروف عنك الجود بكل ما سئلكه ، فلا أحد أسمح منك إلا إنسان
 عرف هذه الشيعة منك ، فلم يسألك نفسك . وجعله أسمح منه ، لأنه ترك له أنفس
 الأشياء ، فكأنه قد جاد عليه بما لم يجد هو بمثله على أحد ، لأن الجود بالنفس
 أسمى غاية الجود وهذا كقوله هو :

يَأْتِيهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ بِأَتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاةُ
 وَقَدْ أَنْعَمَ شَرْحُهُ فَيَا تَقْدِمُ . وَرَأَى : مَقْلُوبَةٌ عَنْ رَأَى ، قَالَ الشَّاهِرُ :
 فَلَيْتَ سُودًا رَأَى مَنْ قَرَّ مِنْهُمْ وَمَنْ جَرَّ إِذْ يَحْدُوهُمْ بِالرَّكَائِبِ
 وَيَدُلُّكَ عَلَى أَنْ (رَأَى) مَقْلُوبَةٌ عَنْ رَأَى ، أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لَهَا مَعْدَرُ ، إِذْ
 الْأَفْضَالُ الْمَقْلُوبَةُ لَا مَصَادِرَ لَهَا عِنْدَ سَيِّبَتِهِ ، وَلَا أَصْرَفَ أَحَدًا خَالَتَهُ . وَلَوْ كَانَتْ
 (رَأَى) لَفَةً فِي رَأْيَتِهِ ، لَكَانَ لَهَا مَعْدَرُ . وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ التَّصْرِيفِ ،
 فَضَمُّهُ .

وَأَخْلُقُ فِي هَذَا الْبَيْتِ : بِمَعْنَى الْخَلْقِ . وَلَقَدْ أَهْبَلُ (عَارِفٌ) مِنْهُ .

إذ لو كان انطلق مصدرًا لم يُجْزَ إبدال عارف منه ، لأن الجواهر لا تبديل من الأعراض . وإنما كان يَنْصَبُهُ على الاستثناء المنقطع ، مع أن المصدر لا معنى له في هذا البيت . ولما حَذَرْنَا منه إغراباً (بالإعراب) .

(غَلِيَتْ الْقَى حَسَبَ الْعُشُورِ بَآيَةٍ تَرْتِيْلُكَ الشُّرَاتِ مِنْ آيَاتِهَا)

غَلِيَتْ في الحساب ، وَغَاطَتْ في القول . هذا فرق - وقيل : هما سواء . يمدح إمام أنطاكية ، فيصفه بتجويد التلاوة ، وحسن التأدية ، حتى جل حَسَنَ لفظه وترتيله للقراءة في الإعجاز ، بمنزلة الآية ، فيقول : يجب أن تكون قراءتك هذه مضافة إلى الآيات ، تُنْذِرُ بصورة في النفس آية ، قد غَلِطَ حُسَابَ الْعُشُورِ إذا لم يُمَدُّوا قراءتك منها . وكان يجب أن يقول : ترتيلك للعشور من آياتها ، أو الأقسام من آياتها ، فكان أذهب في الصنعة .

وهذا البيت كله (خَلْف) من وجهين . أحدهما : طريق القُلُوبِ الذي لا مسلخ له في القات اللقية الثبينة . والآخر : أن الترتيل عَرَضٌ في اللفظ وليس بذات لفظ ، والآية لفظ . وإنما الترتيل في ذات اللفظ كالعرض في الجوهر ، فلا ينبغي أن يُمدَّ ما هو عرض في الجوهر جزءاً من ذات الشيء ، فَنَهَمَهُ ، فإنه لطيف المعنى .

(لَا تَعْدُلْ لِلرَّعْصِ الْقَى بِكَ ، شَائِقٌ أَنْتَ الرَّجَالِ ، وَشَائِقٌ عِيَالِهَا)

كان هذا الممدوح عيلاً ، فيقول : لا تلم المرض المعتدل ، والحال بك ، لأنك محبب إلى النفوس وإلى أحوال النفوس ، فكأنك تشوق النفوس فتلهب نحوك ، وتحل بك ، كذلك الأحوال ، والعهدة نوع من الحال ، فلا عتاب عليها في جها لك .

فتلخيص البيت : لا تعدل مرضك ، لأنك تشوق الرجال ، وتشوق عيالكها

فشائق : خبر مبتدأ مقدم ، وأنت مبتدأ . أى أنت شائق الرجال وعلها . ولا يجوز أن يكون شائق مبتدأ ، وأنت فاعل بشائق ، لأن اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفعل إذا كان (معتمداً) على شيء قد عمل في الاسم قبله ، أعنى ، كأنه يكون خبراً لمبتدأ ، أو فاعلاً لفعل ، أو صفة لموصوف ، أو حالا للذي حال ، ونحو ذلك ، فأما أن يكون يعمل عمل الفعل وهو مبتدأ ، فلا يجوز . فلو قلت : ضاربٌ زيداً تُريد : اضربْ زيداً كان خطأ .

(فَإِذَا نَوْتُ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْتُهَا فَأَضَفْتُ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالًا لَهَا)

هذا البيت متعلق بهذا البيت الذى قبله : أى أن الرجال إذا نوت سَفَرًا^(٢) إليك سَبَقْتُهَا بإضافتك أحوالها ، قبل إضافتك لها . وإضافته لخالاتها قبوله لها بجسمه ، لأنه في ذكر المرض ، عَرَضَ ، والعَرَضُ يطلب تحلاً ، ونحوه الجسم . ويشبه ذلك قوله بعد هذا :

(وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ قُلْنَا مَا عَذَرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرًا لَهَا)

أى إذا كانت الأمراض أعراضاً ، ولم يكن للعَرَضِ بُدٌّ من جسم ، وأمكن العَرَضَ جَسْمُكَ الذى هو خير الجسوم ، فكيف يُمنر على تركه .

(فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الْقَى لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ التَّوْبَةِ لَأَسْتَقَلَّ هَيْبَتَهَا)

هذه الهاء في موضع الفعول به ، أى لاستقلَّ أن يهيبها العالم آخر . فكان يجب على هذا أن يقول : لاستقل هيبتها : لأن الهبة هنا المصدر ، لا الموهوب ، ولكنه جمع المصدر ، لأنه عنى به الموهوبين ، ولأنه مصدر متنوع ، لأنه كان يهيبها فرداً ومثنى ، ومازاد على ذلك من الكم ، فقد تنوع المصدر باختلاف الأعداد ، فاستجاز الجمع لذلك .

(مُسْتَرْخَصٌ نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرْتُ ، وَعَثَرْتُ رِجْلَهُ بِدِيَارِهَا)

« مَا يَهْ نَفَرَتْ » : يعنى أعين البرية . أى أن النظر إليه رخيص
بأعينها يعنى بفقدها الأعين . وكذلك عثرةُ رجله لو اشترت بديات البرية
لكانت رخيصة .

- ٤٦ -

وله ايضا :

(وَتَرَكْتُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَمَّا تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْقَشْرُ)

يعنى لا يسمع شيئاً ، كقول النابغة : « وَتَلَّكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِيعُ »
والدَّوِيُّ : الصوت . وهذا البيت مضمن بما قبله . أى إنما المبعذُ السيفُ ،
والفتكةُ البكرُ ، وأيامُ حربٍ يُسْمَعُ لها من اجتماع الأصوات المختلطة الواصلة
إلى الأذان ، مثل صوت البعاز الذى يسمعه الإنسان إذا أطبق أذنيه بأمله .

والأَمَلُ هنا : الأصابع ، واحدها أَمْلَةٌ ، من باب تَمَرَةٍ وتمر ،
وليس بتكسير أَمْلَةٍ لأن هذين البنائين إنما يكسران على (أَفْعَلُ) . وقوله
« تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ » : يجوز أن يكون السمع اسماً للأذن ، فلا يحتاج في هذا
القول إلى حذف . ويجوز أن يكون السمع هنا : الحِسَّ لا الجوهر الذى يُحَسُّ
به ، فإذا كان ذلك ، فلا بد من حذف ، كأنه قال : تداولَ موضعَ سَمْعِ الْمَرْءِ
وإلى هذا ذهب أبو على في قوله تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَكَفَى سَمْعِهِمْ)
وجّهه على الوجهين جميعاً .

(إِذَا النَّضْلُ لَمْ يَرْتَقِكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ)

عَلَى هَيْئَةٍ فَالنَّضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ)

أى إذا اضطررت إلى ناقص فضضلك عليك فشكرته قد حصل النضل لذلك
الناقص فن الحق أن تتعاضى رجاء الناقص ، ثلاثين لك فضلاً منه عليك ،

فَيَكُونُ الْفَضْلُ لَهُ . وَقَالَ : (الْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ) أَيْ : الْفَضْلُ لِلشَّاكِرِ ،
لَا لِلْمَشْكُورِ ، لِأَنَّهُ يُشْرَفُ هَذَا النَّاقِصُ بِشُكْرِهِ ، أَوْ بِنَفْعِهِ بِهِ .

(وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تَحَقُّقَهُ أَنَّ عَامِرًا عَلَا كَيْمَتِ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرٌ)

عَامِرٌ : جَدُّ هَذَا الْمَدُوحِ . يَصِفُ سَحَابًا بِكَثْرَةِ الْمَاءِ ، حَتَّى كَانَ عَامِرًا
عَلَا إِلَى الْفَلَكَ فَأَمَطَرَ النَّاسَ جُودَهُ ، أَوْ دَفَنَ فِي السَّحَابِ ، فَهُوَ يَجُودُ بِالْمَاءِ وَإِنْ
كَانَ فِيهَا مَيِّتًا .

وَقَوْلُهُ : (لَمْ يَمِتْ) بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ : (عَلَا) . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا
مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي عَلَا أَيْ عَلَا فَيَرَى مَيِّتًا .

(أَوْ ابْنُ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلَى بَنٍ أَحَدٍ يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أُجْزَ وَيَدِي صِفْرٌ)
أَيْ لَوْلَا أَنِّي جُزْتُ بِهِ خَالَي الْيَدِ مِنْهُ ، لَمَا شَكَّكَتُ أَنْ أَحْدَهُمَا هُنَا .
وَيَدِي صِفْرٌ : جَمَلَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ .

(إِلَيْكَ طَعْمًا فِي مَدَى كُلِّ مَنَصَفٍ)

بِكُلِّ دَآخِرِ كُلِّ مَا قَعِيتُ نَحْرًا

أَيْ قَطَعْنَا إِلَيْكَ الْأَرْضَ الْبَعِيدَةَ بِكُلِّ نَاقَةٍ مُوَثَّقَةٍ ، فَتَعَلَّ فِي الْأَرْضِ
الْبَعِيدَةِ مَا تَعَلَّ الطَّعْمَةُ فِي النَّحْرِ . وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا تَتَوَهَّلُ الطَّعْمَةَ فِي الصُّدْرِ ، وَتَبْلُغُ
النَّفَاةَ ، كَمَا تَبْلُغُ الطَّعْمَةُ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْقَلْبِ .

(إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْمَةِ مَرِحَتْ لَهَا كَانَ نَوَالًا صَرَّ فِي جِلْدِهَا النَّهْرُ)
النَّهْرُ : دَوْبَةٌ تَلْسَعُ الْإِبِلَ ، فَتَتَعَبَّطُ مَوَاضِعَ لِسْمِهَا وَتَرِمُ ، يَقُولُ : إِذَا
لَسَمَهَا النَّهْرُ لَمْ تَأْتِهِ ، لِاعْتِيَادِهَا إِيَّاهُ ، وَطَلَبِ نَفْسِهَا ، وَفَرِحَتْ لَهُ ، حَتَّى كَانَ تِلْكَ
الْأَلْسَةُ الَّتِي أُورِمَتْ جِلْدُهَا ، صَرَّتْ فِيهَا نَوَالًا لَهَا ، فَهِيَ تَفْرَحُ لِذَلِكَ ،
كَأَنَّهَا تَفْرَحُ الْمُعْطَى بِالْعَطِيَةِ .

وقوله : « كَانَ نَوَالاً » : يجوز أن يكون نوالاً منصوباً بكان ، والجملة التي هي (صرّ في جلدها النَّبْر) : خير كان . وفيه ضعف لأن اسم (إن) نكرة غير مؤيدة بالصفة . وخير منه عندى أن يكون في (كان) إضمار الشأن أو الحديث ، أى كان الأمر أو الحديث ، ونوالاً : مفعول لصرّ .
 وقوله : « نَوَالاً صَرَّ فِي جُلْدِهَا النَّبْر » : تفسير للمضمر الذي في (كان) .

(فَحِثْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى)

وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ)

قوله : (دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى) حال أى جثتك وأنت أقرب إلينا من الشمس والبدر ، وهما دونك في المجد وشرف القدر .
 (لِسَانِي وَمَعْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمِّي أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْتِهْلَامِكَ وَالشُّطْرُ)
 الأود : . الاحياء ، واحدم وُد . فيقول : هذه الأعضاء منى تُحب ما قابلها من أعضائك التي أسماؤها هذه .

وقوله : (وَالشُّطْرُ) : أى كان هذه الأعضاء منى شقيقة سميتها منك ، حتى كأنهما اقسمتا جزءاً من المنصر الذي منه كَوْنُهَا . وإذا كان هذا في الأعضاء ، فكان لسانى مواضعاً لسانك ، يقول ما تقول ، ومعنى مطابقة لسانك تستحسن ما تستحسن ، وفوادی ملائم لفؤادك ، يهوى ما يهواه ، وهذه مُعَدَّة أعضاء الإنسان . فالجملتان شقيقتان . فنحن إذْ نَشَقِيقَان .
 وأما قوله : وهَمِّي ، فزيادة ، لأن الفؤاد محل الهمة ، فهو يفتى عنها .

- ٤٧ -

وله أيضا :

(أَقْلُ فَصَالِي بَلَهَ أَكْثَرُهُ تَجْدُ وَذَا الْجُدُ فِيهِ نَلْتُ أُمُّ لَمْ أَقْلُ جَدُّ)
 بَلَهَ : يُنْصَبُ بِهَا وَيَجْرُ ، النصب على أنه اسم للفعل كرويد . والبحر على

أنه مصدر، وإن لم يكن له فعل، قد وجدنا مصدراً دون فعل، كويل وأخواتها. أى أقلُّ فَعَالٍ شرفٌ. دَعَّ أكثره، كقول القائل فكيف أكثره. وهنا إفراط في القول، لأنه ليس فوق الشرف منزلة، فيكون أكثر فعله أعلى من الشرف. إلا أن الشرف يتفاضل في ذاته، فإذا كان أقلُّ فعلاه شرفاً، فأكثره شرفٌ أعلى من ذلك.

وقوله: (وَذَا الْجِدِّ فِيهِ نَلْتُ أُمِّ لَمْ أُنَلْ جِدًّا). الهاء عائدة إلى الجَدِّ، أى ود الجَدِّ في طلبه جَدًّا.

الجَدُّ: الاجتهاد والتشهير. والجَدُّ: اللَّيْثُ. ويقول: جَدِي في الأمور جَحْتُ. وإن لم أُنَلْ به جَحْتًا، لأن الجَدَّ معدود في السعادة، لكونه من الفضائل النفسانية، التي يبعث عليها الأنفة والشهامة، كما أن التواضع يُدَعَّى في الشقاوة لكونه من الرذائل التي يبعث عليها العجز والسامة، يقول: فأنا إن لم أُنَلْ بسعي حَقًّا نلت به عند نفسي وغيري عُدْرًا أَحْصَلُ به على راحة نفسي، لا يلعنني كلام من أخذ: كتوبه: (وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجَحٍ)؟

(سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالنَّارِ وَمَشَائِخِرِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا لَقَسُوا مُرْدُ)

مشايخ: جمع مَشَيْخَةٍ، حكيانه عن أبي زيد، وقد يجوز أن يكون جمع مَشْيُورَاءَ، الذي هو اسم لجمع شَيْخٍ، فكان ينبغي على هذا (مَشَائِخِ)، لكنه اضطرر غنظ، كقوله:

وَالْبَكَرَاتِ الْقُجَّجِ الْعَطَامَا

فشبههم بالزُّرْدِ، لأنهم التَّمَوُّا حتى لم تظهر لحامهم، كما لم يظهر للرُّدِّ لِحْيَتُهُ. ولو اتزن له لكان أحسن أن يقول: كأنهم من شدة ما التَّمَوُّا، لأن كيفية

الالتئام حَبِيتَ لحام ، بإحكامهم إياها . والثنية كيفية ، والطول كمية .
فالكيفية أولى بما ذهب إليه .

وإن قلت : إنهم أطلوا الالتئام حتى حُسِبُوا مُرَدًّا كان له وجه .

(تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لَسِيْنِي كُلُّ بَاكِيةٍ خَدَمِ)
أى أن جفونى مساربٌ للمع لا يخلو منها ، حتى كأنها خدَمٌ
لكل باكية .

فالمع يلازمها كما يلازم خَدُّ الباكِية .

وإن شئت قلت : ذهب في ذلك إلى غزير المع . أى أن جفون دموعى
مُجْتَمِعُ الموع ، حتى كأنها خد لسينى كل باكية .
(سَرَى السِّيفُ مِمَّا تَطْعِمُ المَندُ صَاحِبِي)

إلى السيفِ مِمَّا يَطْعِمُ اللهُ لا الهَند)

صاحبي : نمت للسيف . ولا يكون على حد قولك (ضاربى) المنقولة من قولك :
زيد ضاربٌ عمراً ؛ لأنه لا يقال : زيد صاحبٌ عمراً ، وذلك أن هذه الصفة جُرِّدَتْ
من معنى الفعل ، فلم يَدْثُوها من المصادر ، وقولهم : (اللهُ دَرْكٌ) فدرك : مصدر
وقد أجمدوه حتى قال سيبويه : هو بمنزلة قولهم : (اللهُ بلادك) وقوله : (عما تطعم
المَندُ) ، يعنى السيف الذى عنصره الحديد ، وهو الذى يَطْعِمُ المَندُ . والسيف
الثانى : هو الممدوح ، وهو الذى يطعمه اللهُ لا الهَند ، لأن الهَند لا تَخْلُقُ وإنما
الخالق اللهُ وحده :

(يَكَادُ يُصِيبُ الشئَ مِنْ قَبْلِ رِضِيهِ وَيُسْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ)

يصفه بالقوة فى الرماية ، واللم بها ، فيقول : يصرف سهمه كيف شاء ، حتى
لو أراد رَدَّهُ بعد إرساله مثلاً ، أمكنه ذلك . و (يمكنه) : يجوز أن يكون

مطلوقاً على (يصيب) . فيكونان جميعاً داخلين تحت (يكاد) . ويمحوز أن يكون من الفعل الذى هو خبر (يكاد) فيكون ذلك أبلغ . وكلنا القضيتين داخلة فى الامتناع ، لا يحوز أن يصيب شيئاً قبل رميه له . ولا أن يقارب ذلك . وكذلك القول فى القضية الثانية . والهاء فى (رمية) يحوز أن تكون ضميراً لشيء . فيكون محروراً فى موضع نصب . كأنه قال : من رميه هو . ويمحوز أن يكون ضميراً لفاعل ، والمفعول على هذا محذوف ، أى من قبل رميه إياه .

- ٤٨ -

وله أيضاً :

(حَرَلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلَقٌ

تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِعَيْنٍ)

أى أنهم لا يقولون و (مَنْ) إنما يستفهم بها عن يعقل ، فإذا استفهمت عن هؤلاء بمن فانت تخطئ . إذ لا حظ لهم فيها وإنما حظهم (ما) التى هى لما لا يعقل ، وإن شئت قلت : إنهم وإن كانت صورهم صورَ الناس ، فهم بهائم ، لجهلهم ، وإنما تُعامل الأنواع بطبائنها لا بأشكالها ، ولذلك أخذت الحكماء فى حدودها طبائنها دون صورها ، حتى إن بعضهم قال استضمناك للعدو المأخوذ من الصورة : (فإنه لا يُستنكر أن يكون إنسان على شكل سمكة ، كما لا يستنكر أن تكون سمكة على شكل إنسان) . وأراد (تُخْطِئُ) ، فأبدل إبدالاً صحيحاً للضرورة ، كما أشد سيبويه : (فارعى قزارة لا هناك المرنع) .

ولو خفف تخطئ قياسياً فجعلها بين بين ، لا تنكسر البيت ، لأن الهزمة المخففة بين بين عند سيبويه برمتها مخففة .

(وَمُذَقِّعِينَ يَسِيرُوتِ صَحْبَتُهُمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنَ)

أى ورب قراء بأرض قفر صحبتهم وبليت بهم (عارين من حلل) :
أى هم اللصوص لا يتسربلون ، (كاسين من درن) : يصف شعثهم وقشعهم . وإعلاء
يُمدد ما مئى به ولى ، من مكاره الأيام ، وصحبة من لم يكن أهلاً للصحبة .
(كَمْ تَخْلَصَ وَعُلاَ فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَفَلَةٍ قُرْنَتْ بِالْأَمِّ فِي الْجُبْنِ)

أى : كم إنسان أقدم ، فلم وعلا مع إقامته ، ولم يضره اتصامه المهلكة ،
وآخر جبن ، قُتِلَ مع جبنه ، ومات مع ذلك ، مذموماً على نكوله مَلُوماً .
وقوله : « فِي الْجُبْنِ » متعلق بقفلة ، كأنه قال : وقفلة في الجبن قرنت بالألم ،
كما أن قوله (في خوض مهلكة) متعلقة بمخلص وعلا .

(مَدَحْتُ قوماً وإن عشنا ظَلَمْتَ لَهُمْ
قَصَائِدًا مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ)

عنى بالقصائد: الجيوش، وإنما كنى عنها بذلك ، قوله : (مدحت قوماً) .
واستعمل النظم مكان التشديد ، لكان القصائد، وجعلها من جياد الخيل والحصن .
لأنه عنى بالقصائد المساكِر ، والمساكر إنما تأتلف من الخيل وفرسانها، ولو قال :
(من إنائك الخيل والحصن) لكان أذهب في الصنعة ، لأن الحصن : الفحول .
من الخيل ، فكان يطابق الإناء ، قوله تعالى : ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً ﴾ . وأما (من جياد الخيل والحصن) ، فسمه غير سائلة ، لأن الحصن .
قد تدخل في جياد الخيل ، وكذلك جياد الخيل قد تدخل في الحصن ، إذ بعض
الجياد حصان ، وبعض الحصن جواد . ومن عنى بالحصن الجياد ، ما ذهب في .
باب التَّبَحُّج ، لأنه لا يوجب قسستها ، إذ الجياد هي الحصن .

(تَحْتَ الْعَبَاجِ قَوَائِفُهَا مُصَرَّةٌ إِذَا تَنَوَّضَدْنَ لَمْ يَدْخُلَنَّ فِي أَذُنِ)

عنى بالقوافى الخليل ، وخصها بالذكر لأنها أشرف ما فى الشعر ، لاشتمالها على اللوازم ، كالرؤى والصلة والخروج والرّدف والتأسيس ، وغير ذلك من حلوائف التنافية ، وإذا جادت القوافى ؛ سرّت جودتها فى الشعر . واستعجاز أن يجعل القوافى (مُضمّرة) ، لكنائته بها عن الخليل .

(إذا تُفَوِّشِدُنْ لم يدخلن فى أذن) : فرق مابيح صحيح ، لأنهن لبسن فى الحقيقة قوافى ، فخلج فى المسامع ، وإنما من خيل ، وليس هناك تناشد . إنما استعجازه لفظ التقصائد والقوافى .

(فَضُّ الشَّبَابِ بِمَيْدٍ جَبْرَ لَيْلِيهِ مُجَانِبُ الْجَفْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ)

يستغرب العبادة مع الشباب . و (بميد فجر ليلته) : أى لا ينام ، فأخر ليلته بميد من أولها . (مُجانِبُ الطرف للفحشاء والوسن) : هذا اختصار مليح . وما أحسن مقابله الشباب بالفحشاء ، والسهر بالوسن . وكأنه قال : فُضُّ الشباب ، مجانب الطرف للفحشاء ، طويل الليل ، مجانب الطرف للوسن .

(أَلْقَى الْكَرَامُ الْآلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ

طَلَى الْغَصْبِيُّ عِنْدَ الْقَرْصِ وَالسَّخْنِ)

(الآلى) : بمعنى الذين بادوا من صلة (الآلى) . أى باد هؤلاء الكرام وألقوا مكارمهم على هذا المدوح ، كأنهم كَفَّلُوهُ إِيَّاهَا ، كما يُكْفَلُ الوَصِيُّ اليَتِيمَ .

(فَهْنٌ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَّضَتْ

لَهُ الْيَتَامَى بَدَأَ بِالْجَدِّ وَالْيَمَنِ)

فَهْنٌ : يعنى هذه المكارم الملقاة عليه التى كَفَّلَهَا . يقول : هذه المكارم التى مات أهلها ، وبقيت يتامى فى حجر هذا القاضى المدوح ، فهو يفرق أمواله

فيهم ، ويبدأ منهم بالجهد والمثنية . فهما من جملة الأفعال ، يظهرهما ويؤثرهما .
 كما يفعل الرابُّ المشيّل . وقوله : (بدأ) : أراد (بدأ) فأبدل إبدالاً
 صحيحاً للضرورة . كما تقدم في تخطي ونحوها .

- ٤٩ -

وله ايضاً :

(لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ مِّنْ حَازِهِ بَعْدُ فَيَا لَيْتَنِي بَعْدُ وَيَا لَيْتَنِي وَجْدُ)

أى الوجد خلقى قد حازنى ، والبعد خلقه قد حازه ، يقول : فياليتنى
 بُد لأحوزه كما حازه البعد وليالته وجد فيحوزنى كما حازنى الوجد ، فنجتمع
 ولا نفرق .

(سَهَادَاتُنَا مِثْلِكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرِّ بَكْمٌ وَزُدُ)

استحسن كل مكروه أتى من قبلهم ؛ واستلطف كل جاف لهم ، حتى
 جعل الشهاد رُقَاداً ، والقلام — وهو ضرب من الحمض — وَزْدًا . كل
 ذلك لحبه إليهم .

(إِذَا غَدَرْتُ حَسَنَاهُ وَقَتَّ بِمَهْدِهَا وَمِنْ مَهْدِهَا أَلَّا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ)

شيمة المرأة : القدر . وهى التى عهدت عليه فتى غدرت قد أوفت بمهدا
 (وَسَيَنِي لِأَنْتَ السَّيْفُ لَمَا تَسَلُّهُ لِيَضْرِبَ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَيْدُ)

أقسم بسيفه ، ثم تنهى القسم بقوله المدوح ، لأنت السيف ، أى إنك أمضى
 من السيف بل أنت السيف فى الحقيقة ، إذ لو لأك لم يكن للسيف غناه كقوله :

إِذَا ضَرَبْتَ يُعْنَاهُ بِالسَّيْفِ فِي الْوَعَى

تَكَيِّفَتْ أَنْ السَّيْفَ بِالْكَفِ يَضْرِبُ

(وماً السيف منه لك النمد) : الشيء إنما يُصان بما هو دونه في القدر ،
 ليكون له وقاء . يقول : فأنت أشرف من السيف ، لأن السيف مطبوع من الحديد ،
 وأنت تلبس الدروع والجواشين والترك ، فمن لك كالنمد . وإذا كنت
 أنت مصوناً بما السيف منه مصنوع ، فلا محالة أنك أشرف من السيف ، لأن
 السيف مساوٍ للدرع في القدر ؛ لأن جوهرهما سواء . والدرع لك لباس .
 والنمد في قوله : (وما السيف منه لك النمد) : مرفوع بالابتداء . وخبره :
 (عما السيف منه) ، فضلك من الحديد الذي طُبع منه السيف .

(كَانَ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرُ كَفَيْهَا الْيَدَيَّ وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ)

المسكر إنما يأتلف من الخليل والرجال . وهذا سبب الخليل والبيد . فهذا
 وجه الكيفية في تشبيهه عطايه بالساكر . ثم يكثر هبة هذين النوعين ،
 حتى يمد في كثرة السكر . فهذا تشبيهها بالساكر من جهة الكمية .
 والعطية : الممطى لا المطاء إذ لو كان ذلك لم يميز تشبيه الرّض بالجوهر ،
 خففة .

(حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا . خَافَةَ سَيْرِي لِأَنهَا لَنَوَى جُنْدُ)
 (وَشَهْوَةَ عَوْدِي إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثَنَاءُ ثَنَاءَ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ)

أى أعطاني الدنانير دون الخليل ، خافة أن أبين عنه ، لأن الخليل جند
 للنوى وأعوان . و (شهوة عودي) أى أراد أن أقيم فيؤا إلى عطايه . إن
 جود يمينه ثناء ثناء : أى أياديه مثنى ؛ وهو في ذاته فرد . وإن شئت
 غنيت بالعدد ، أنه معدوم النظير في جوده ، كما يقال : رجل واحد : لا مثل له ،
 قال أبو ذؤيب :

يَحْمِي الصَّرِيحَةَ أَخْذَانُ الرَّجَالِ لَهُ صَيْدٌ وَتُجْتَرَى بِاللَّيْلِ مَهْمَسُ

فَكَانَهُ قَالَ : وَالْجَوَادُ بِهَا أُوتِخَدُ .

(فَهُمْ فِي جُوعٍ لَا تَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةِ وَهُمْ فِي ضَجِيحٍ لَا يُحْسُ بِهِ اُنْخَلَدُ)
ابن دأية : الثُراب ، سُئِيَ بذلك لأنه يقع على دأية البعير ، وهي قنارته ،
فيقرها . والرب تصف الغراب بصحة البصر ، حتى عنوا به فقالوا : أبصر
من غراب ، واغلك : فأرة عُمياء لا تسمع بها ، زعموا . يقول : فإيرام الحديدُ
البصر ولا يُحْسِ بهم الذكوى الحس مبالغة . وليس يذهب في ذلك إلى قلة
جموعهم ، وجفوت لُجْمهم ، إنما يذهب إلى احتقارهم ، وقلة خنائهم ،
ومثله في ذلك الاستضعاف قوله :

كَتَبْتَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوَرَكَنْتُ بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الْفُطُلِ مَسْتَعْلًا

- ٥٠ -

وله أيضا :

(أَرَاكِضُ مُنَوِّصَاتِ الْقَوْلِ قَسْرًا فَنَأْقُتُلَهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ)

أى أنا ذو بديهة ، فإذا عورضت في قول الشعر فرغت وغيرى يد في
ناصيته وتسديته ومعاناته ، وليس هناك قتل ولا طراد ، وإنما استعارهما
وأقنلها : بمعنى أصيبتها وأملكها كقولهم : قتل الأمر علما . والمنوِّص :
الأئى المتنع .

- ٥١ -

وله أيضا :

(أَنَا لَا نَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَاهِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي يَنْ تِلْكَ لِلْعَالِمِ)
قوله : (أَنَا لَا نَمِي إِنْ) كقولهم : أنا مملك إن فلت كئنا . أى ضرنى الله

مثل لائى فى قلة اللب والجهل بالحب. وقيل أراد : أنا لائم نفسى أى جلى الله
لائماً لها ، وهذا أضعف فى العربية ، إنما تستعمل العرب فى مثل ذلك أنا لائم
نفسى هذا مذهب سيويه . وقد أئشد بعض الكوفيين :
(قلتُ على ما كان منى علمتى)
فعلى هذا يجوز (أنا لائى) أى لائم نفسى .

يقول : إن كنت علمت بحالنى وعقلت أمرى بين تلك العالم ، كقول
الأشتر :

بَقِيتُ وَفَرَى وَاعْرِفْتُ عَنِ الْمَلَأِ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ هَبُوسٍ
إِنْ لَمْ أَشُنْ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً تَعْدُو بَيِضُ فِي الْكَرْبَةِ شَوْسٍ
(وَلَكِنِّي مِمَّا شُدُّهُ مُتِّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَاتِمٍ)
أى ولكنى متيم كسالى بما شُدُّهُتُ وَذَهَلْتُ . أى قد أفرط ذهولى ،
حتى كَانِي ذَهَلْتُ مِنَ الْمَوَى ، فَمُتُّ كَالسَّالِي ، ومعنى كل ذلك أنه يريد :
لم يخلص لى حال ولا يثبت لى حقيقة ، وإنما يقول إنه بقى قعيد القلب ، ومن
قَدَّعَقْلَهُ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ تَذَكُّرٌ وَلَا سُلُوكٌ ، وبحسب هذا قوله تعالى فى صفة أهل
النار : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ . وإن شئت قلت : ذَهَلْتُ عَنِ الشَّكْوَى ،
حتى كَأَنَّي سَالٍ وَذَهَوُلَهُ عَنِ الشَّكْوَى إما أَنْ يَكُونَ عَدِمَ حِسَّهُ بِتَلَاثِي جِسْمِهِ
كقوله هو :

وَشَكَّنِي قَدُّ السَّعَامِ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لِمَا كَانَ لِي أَعْضَاءُ
وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَاتِمٍ : أى أنه قد ظهر على الحب ، فكأن قلبى بأَيْحٍ به
وهو مثل كاتم ، أى أنه لم يقصد إظهار ذلك . ومعنى كل ذلك نفى القصد
لا طوله .

(عَنْ الْمُتَنَبِّى بِذَلِكَ التَّلَادِ تِلَادَةً وَتُجْتَنِبُ الْبُخْلُ اجْتِنَابَ الْحَارِمِ)

أى يقتنى بذلّ التّلاّد مكان تّلاده ، فأعقبه ذلك ذكرّاً في البذل ، فكانه قال : عن المقتنى الذّكر الجليل ، يبذل التّلاّد مكان تّلاده . الذى كان اقتناه ، لما فى تّلاده من البقاء فى الذّكر الجليل المقتنى مكانه . من البقاء .

تّلاّده هندی — منصوب بالظرف ، كما أنّك لو أظهرت المضاف المحذوف قلت : مكان تّلاده ، كان منصوباً على الظرف ، فلما حذّف المضاف، عمل القمل فى المضاف إليه ذلك العمل نفسه ، كقوله تعالى : ﴿ واسألِ القرية التى كُنتَ فيها ﴾ . ولو قال : (تّلاّده) ، فرفعه بالمقتنى على السّمة لجاز . أى كأنّ ماله يدعوه أن يبذله فيُقتنوه بذلك نفراً . فكانّ اللّيل هو المقتنى له ذلك . ولا كلام فى قوله : (ومُجتنب البخلِ اجتنبِ المحارم) لظهوره .

(كأنّك ما جاودتَ من بّانِ جودُهُ هَلِكٌ ، ولا قاومتَ من لَمّ قَوايمِ)

إن شئت قلت : إن حسادك جاودوك فى الجود والبأس ، حتى غلبتهم فيها ، فكانك بعد غلبك إياهم ما جاودوك ولا قاتلوك . ثم جعل للفضية مثلاً مطلقاً ، أى أيها الإنسان من غلبك بعدما غلبته فكانك ما غلبته ، وإن شئت قلت : كل من جاودته فتته ، وكل من حاربته غلبته ، حتى كأنك إنما اخترت من المُجاودين والمُعاريين من وقت يظهر لك عليه ، ولم يكُ ذلك قصدك ، إذ لو كان ذلك لم يكُ محموداً منك ، لأنك لم تشجّع إلا على من علت أنه روتك ولا جاريت فى النّدى إلا من علت أنك فوقه . هذا كله لا يُسمع به . ولكنك إنما كنت الظاهر على المُجاودين المُحاريين ، بفضيلتك النفسانية ، ومزيتك الطّبيعية إلا أنّك اخترت من هو دونك . وقوله : (من لم قاوم) كقوله : ولا قاتلت ، من بانت شجاعته عليك ، فهذا اللفظ المسلوب فى معنى لفظ آخر مُثبت ، وإنما ذكرت لك هذا لتثبت قدمك فى تّبينه .

وله ايضا :

(غَدَا النَّاسُ مِثْلِيهِمْ بِهِ لِأَعْدِيَّتِهِ وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا)
أى فيه من الفضائل ما فى كل الفضلاء . قد صار الناس به ناسين .
ولا يبنى بالناس جميع نوع الإنسان ، لأن فى جماع النوع رفيماً ووضيماً ، وإنما
عنى بالناس الفضلاء من الناس ، ولولا ذلك لم يقتض مدحاً ، كقول
أبي نواس :

كَيْسَ عَلَى اللَّهِ بُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ
لَمْ يَرِدِ الْعَالَمُ كُلُّهُ ، إِنَّمَا عَنَى رُقَعَاءَهُمْ وَخِيَارَهُمْ .
(وأصبح دهرى فى ذراه دهوراً) :

يقول : جنيت من لديد تمر العيش فى دهرى عندّه ، ما جناهُ أهل كل
دهر من حُلُو تمر دهرهم ، فصار دهرى بذلك دهوراً .

وله ايضا :

(وَكَمْ مِنْ عَائِيٍّ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَقْنَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّعِيمِ)

قد يكون القول صحيحاً فى ذاته ، ولا تلوح صحته إلى الجاهل به ، فسيئته ،
لأنه يظنه على خلاف ما هو به . من كلام الحكماء : (من علم أنس ، ومن
جهل استوحش) . وقال تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
تَأْوِيلُهُ) : أى لو فهموه لملوه ، فأمنوا به . ويشبه هذا البيت قوله هو :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرَّ مَرِيضِي يَمِيزُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

وله ايضا :

(كَمَرِنْدَى فِرِنْدُ سَتِيغِي الْجُرَازِ لَقَائِهِ الْعَيْنِ عُمْدَةً لِلْبِرَازِ)

الفرند : ماء السيف ، فارسى معرب . إنما هو ما بين الباء والقاء . والعرب
تسرب مثل هذا بالقاء المحضة ، والباء المحضة . هذا قول سيبويه فى باب
اضطراد الإبدال فى الفارسية .

الجرّاز : للامضى النافذ . وإنما شبه فرنده بفرند السيف ، لأن فرند السيف ،
دليل على مضاه حده . وعنى بفرند نفسه هنا شحوبه ، وتغير لونه من الأسفار
والنسب ، فجعله فرنداً ، لأنه دليل على مضاه عزمه ، كما أن فرند السيف
دليل على مضاه حده .

فى ذلك شبه فرنده بفرند السيف ، وإن لم يكن شحوبه فى الحقيقة فرنداً ،
بل هو خلاف الفرند ، فإنما سماه به ، لأنه محمود منه ، كما أن ذلك محمود من
السيف . ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم (لَنُخْلِفُ فَمَ الصَّائِمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ
الْمِسْكِ) وليس الخلوْف بطيب ، ولكن لدلالته على ما يحبه الله عز وجل
من الصيام .

وأما ابن جنى فقال : عَنَى أن جوهر سيقى كجوهري . فإن كان عنى
بالجواهر النيرند ، نخطأ ، لأن الفرند إنما هو صفاء السيف بما يحدث من
الصقال ، فهو لنا عرض .

وإن كان عنى بالجواهر سينخ هذا السيف ، أى أن سينخى فى نوع
الإنسان كسينخ سيقى هذا فى نوع الحديد ، فصفاء فهمى من جهة شرف
جوهري ، كما أن صفاء هذا السيف من جملة شرف جوهره ، فهو حسن .

ويقوى ذلك أنه قد استطرد في أبيات السيف من هذا الشعر ، تشبيهه
نفسه به ، وجعله قصة في نوعه ، كسيفه في نوعه . ثم أخبر عن نفسه فقال :
هو لذة العين ، أى أنظر إليه فأستماحه ، وهو أيضاً عُدَّةٌ للقتال .

(ودقيقٌ قدى المباء أنيقٌ مُتَوَالٍ فى مُسْتَوٍ هَزَاهَا)

أى وفيه فِرْنْدٌ دقيق ، قدر المباء فى شكله وتضارؤه . متوالٍ : متتابع .
فى مستوٍ ، أى فى متن مُسْتَوٍ . فأقام الصفة مقام الموصوف ، وقواها بهزها ،
فحسن ذلك .

(يَأْمُزِيلُ الظلامَ عَنِّي وَرَوْضِي يَوْمَ شُرَيْي وَمَقِيلِ فى الْبَرَّازِ)

البرَّازُ : الصحراء . يقول لسيفه : إذا اسودَّت الدنيا على بنزول اللَّمَّاتِ ،
كشفتها عني وفرجتها . وقد يضى به أنه يزِيلُ الظلامَ عنه بِمائه وضياته .
(وَرَوْضِي يَوْمَ شُرَيْي) : شبهة بالروض فى خُضْرَتِهِ ، وجعله روضة يوم شربه ،
على ما تجرى به عادة الشجاع من تلقفه سيفه وتزبيبه طرفه فيه ، متأملاً لحسنه
وما فيه جَوْهَرِهِ . وكان أذهب فى الصنعة أن يقول : (ورَوْضِي) لأن الرِّوض
جمع ، وهو غمَّاطٌ واحدٌ ، ولكن هذا واسع كثير . (وَمَقِيلِ فى الْبَرَّازِ) : أى
انى أمتنع بك إذا امتنع فبرى بمصن ، لأن الشجاع إنما يلجأ إلى سلاحه لا إلى
مقتل ، كقوله هو :

(جواشئها الأسنَّةُ والسيوف)

وكقوله : (فلا أحارب مدفوعاً إلى جُدُرٍ)

وإن شئت قلت : إذا كفتُ فى الصحراء فلم أجِدْ مَقِيلًا ، فأنت أيها السيف
هناك مَقِيلِي .

(إِنْ بَرَّقَ إِذَا بَرَّقَ فَصَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَّتْ رِيحِي)

يذهب بذلك إلى التّضريب بين نفسه وسيفه ، لئلا أن مثل نفسه به في جوهره
أراد أن يكل تشبيهها به في أغراضه ، فيقول : أيها السيف ، لا تظنني مُقَصِّراً
عنك ، بأن لا أتمتع لي كلمتك ، ولا صليل لي كميلك ، فإنك إن قدّرت
ذلك ، فأنت مخطئ ، لأن ما يؤازي أمك وصلبك مني ، أشرف من كلمك
وصلبك . أنا أفضل بك يوم الرّوع ما يكسو جيني وسائر وجهي ضياء ،
استشاراً به وفرحاً . فذلك البشر هو برقي للوإزي لبرقك ، وأرتجز بشعري
إذا صلت فيقوم ذلك مقام الصليل لك فإنني لا يقصّر حالي عن حالك .

(وَرَقَطَمِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكَلَانَا لِحِلْسِهِ الْيَوْمَ غَازٍ)

وهذا أيضاً زيادة في تقريبه بين نفسه وسيفه . يقول : أنا أقتل أقراني وم
جنسي ، وأنت تقطع عليهم الدروع والمخافر والدرّك ، وكل ذلك جنسك ، قد
حكيت فلك في نوعك ، فعلى في نوعي . أنا إنسان أقتل إنساناً ، وأنت حديد تقطع
حديداً . وهذا من أبداع الصنعة ، مثل نفسه بذاته ، في سيفه بذاته ، ثم عزّضه
المتصل به الذي لا يتعداه ، كالبرق والصليل ، ثم في عزّضه الذي يؤقّعه بغيره ،
عن حركة واستعمال ، وهو قلعته الحديد ، قدّم ما هو من الذات لا يتعداها ،
وأخر ما يمتدى الذات . فضمة فإنه غريب .

(كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا)

(وَهِيَ لَا يَبِينُ شَكَاها الرّازِي)

أي كيف لا يشتكي هذا المدح وهو الذي يتعمل المتألم ، ويتكلف
المؤن بذاته ، وماله فيه الرّازي . وكيف تشكاها هؤلاء وقد احتملها هو عنهم
فالمجب من شكواهم ولا رزء بهم ، ومن يحتمل الرزية عنهم لا يشتكي .
فتقدير القضية : وهِيَ الرّازي لا يبين شكاه .

والمرازي : جمع مَرَزَاة ، وكان حكمه المرزاي ، فأبدل إبدالاً صحيحاً
قياسياً ، لأنه لا يوصل بالهمزة المخففة إلا هكذا ، أعني أن نبدل إبدالاً محضاً ، حتى
تلتحق بحروف اللثة ، ولذلك استشهد سيبويه على أن الهمزة تبدل إبدالاً صحيحاً
في حال الاضطرار ، كبيت عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

وَكُنْتُ أَذْلًا مِنْ وَتَيْدٍ بَقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفَيْهْرِ وَاجِحٍ
اعتقد البديل في واج صحيحاً ، لأن القطعة جسمية ، فالوصل ياء محضة .

وهذا الاستشهاد من دقائق سيبويه ، ولطائفه التي يبرز فيها الماري ،
وسبق المجاري .

- ٥٥ -

وله ايضا :

(قَتَيْتِي أَقَوْمُ بِشُكْرِي مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فَيْكَ عَلُوٌّ قَدَرٍ الْقَائِلُ)
أي أن مدحك يشرف مادحك ، فكما شكرتك على نواذك بالشعر ، رفع
شعري فيك من قدرى ، فاقضاني الشكر على ذلك شكراً آخر ، إلى غير
نهاية . (فتى أقوم بشكرك) يؤنس نفسه من القيام بشكرك ، ويعمله داخلياً
في الامتناع .

فهذا استفهام فيه معنى النفي ، أي ألا أقوم بشكر ذلك أبداً .

- ٥٦ -

وله ايضا :

(كَأَنَّ عَلَى الْجَوَانِبِ مِنْهُ نَارًا وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةُ الْقَرَّاشِ)
أي على جوانب هذا السيف نار . شبه لَمَعَهُ إِذَا هَزَّ بِلِسَانِ النَّارِ ، وشبه
أَيْدِي الْقَوْمِ فِي تَطَايُرِهَا حَوَالِي نَارِهِ بِالْقَرَّاشِ الْمَهَابَةِ فِي النَّارِ . وقال : أَجْنَحَةُ
الْقَرَّاشِ ، لأن طيراتها إنما يكون بالأجنحة . وقد كان معنى ذلك الكلام : وَأَيْدِي

القوم فراش . ولكن أبداع بقوله : (أجنحة الفراش) ولامعنى لرواية من روى
(كان على الجناح) قوله : «وأيدى القوم» وإنما كان يسوغ لو قال :
وهن أجنحة الفراش يعنى الجناح . فلما كون السيوف على الجناح كالنار
وتطاير الأيدى مع ذلك ، فقتليه بيده .

(يَدْمَى بَقْعُ أَيْدَى الْخَيْلِ بَقْعًا وَمَا بِمُجَايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَاشٍ)

المُجَايَة : عَصِيَّةٌ فوق الحافر . والارتهاش : أن تضطرب يد الفرس ،
فتتمتع ذراعاه ، لأن ذلك الاضطراب يحدث عنه احتكاكاً . فيقول : إنما دمت
أيدى هذه الخيل بسجلة المزنة ، والازدحام فى الحرب ، لارتهاش كان أصابها .
ولو وصفها بالارتهاش ، كان ذلك عيباً لها ، ولم يقتض مسلحاً .

(قَوْهَ حَاسِرًا فِي دِرْعٍ مَرَبٍ دَقِيقِ النَّسِجِ مُلْتَمِصٍ الْحَوَاشِي)

أقام الضرب فى مُحصِنه له ، مُقام دِرْعٍ دَقِيقَةِ النَّسِجِ . ووصفها بالتهاب
الحواشي ، ذهاباً إلى حِدَّةِ ضربه .

(مِنْ الْمُتَمَرِّدَاتِ يَذُبُّ عَنْهَا يَرْمُحُ كُلُّ طَائِرٍ الرِّشَاشِ)

أى قومى هذه متبردة كالشيطان للريد ، أذُبُّ عنها بالطنن الرِّشَ .
ولو قال : يَذُبُّ عنها رمحى بكل طائره الرشاش ، لكان أليق ؛ لأن
الرمح فاعل لطننته . والطننة منقطة له . فكأنه عكس إذلالاً واتساعاً .

(عَلَيْكَ إِذَا هَزَلْتَ مَعَ الْيَلَى وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشِ)

الهزال هنا: مَثَلٌ لِإِدْبَارِ الدُّوَلِ ، وَالسَّمْنُ : مَثَلٌ لِإِقْبَالِهَا . يقول : إذا
ساعدك الزمان بالإقبال عليك تهاوشوا فى طلب للنفعة حواليك .

وذكر الهراش تحسباً لهم ، لأنه من فعل الكلاب . فإذا ألمت بك نوابه
فهم عليك أعوانه . والعرب تكفى بكفى على خلاف ما تكفى معه بمع .

فع واللام : للموالة . وعلى : للخلدان وللمعادة . قال تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ومعنى هذا البيت متناول كثير . ومنه قول بعض المُحدِّثين :

وَكُنْتَ أَتَى يَا أَخَا الزَّمَانِ قَلْبًا نَبَا صَرْتَ حَرْبًا عَوَانًا

وتقدير البيت : عليك مع الليالي إذا هزلت ، وحولك في هراش إذا سمعت أى أنهم هم كذلك .

- ٥٧ -

وله أيضا :

(خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَّا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرْوَجٌ لِمِثْلِهِ)

الصِّرْمُ : الجملة من الناس ، أى أنه خال عندي وإن كان فيه أهل ، لأنهم غير أجبائي الذين عهدت بها ، وهو موحش وإن كان فيه صِرْمٌ من الناس ، لعدم أولئك الأحياء . ويقويه بعد هذا :

(لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَقْلَهُ)

ولما تحسن الأمكنة في عيون المعين باختيارها المحبوبين . وقوله : (وفيه أهل) : جملة في موضع الحال . وكذلك قوله : (وفيه صِرْم) جملة في موضع الحال أيضا ، فإذا رددتها إلى الأفراد ، فكأنه قال : خلا عامرا ، وأوحشنا آملا .

(يَنْصُرُهَا النَّيْتُ وَفِي ظِلَامَتِهِ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَظَلَةٌ)

ينصرها : يُسْتَقِيها . قال :

مَنْ كَانَ أَخْطَاهُ الرِّبْعُ فَإِنَّمَا نُصِرَ الْحِجَازُ بِنَيْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

وإنما قيل في المكان المستقَى : نصره النيث لأن المكان في غالب الأمر
 إنما يُهَجَّرُ لَجَذْبِهِ . فذلك المجر خَذَلَهُ . فإذا سَعَى أَعْشَبَ وَأَخْصَبَ فاستلحقى
 مَنْ رَحَلَ عَنْهُ ، فكأنه نَصَرَ بِالْعَاوِدَةِ ، كما خَذَلَ بِالْأَرْكَ ، ولذلك دُعِيَ للدار
 بالسُّقْيَا ، لتَنْصِبَ فَيَاوِدَهَا مِنْ حُلِّ بِهَا ، فَيَمُودَ عَامِرًا مَا كَانَ مِنْهَا غَامِرًا .
 يقول : الدار ظامئة إلى مَنْ رَحَلَ عَنْهَا ، إِلَّا إِلَى الْغَيْثِ الَّذِي يَنْصُرُهَا
 هَسَلًا وَسَجَبًا هَيَّالَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَيْلُغٌ فِي اسْتِفْرَابِ الظُّلَا . وما أشبه
 هذا بقوله :

إذا أردت كَيْتَ الْوَنِّ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحِيْبُ النَّفْسِ مَقْقُودُ
 قوله : (وهى ظامئة) : جملة فى موضع الحال . وكذلك (وسجبا هائلة)
 والشَّعْبُ : جمع سَحَابٍ لاجمع سَعَابَةٍ لَأَنَّ (فَمَالَةً) لَانْتِكَاسَ عَلَى قُفْلٍ .
 إنما جمع سَعَابَةٍ : سَحَابٍ .

(وَاحِرِبًا مِنْكَ بِإِجْدَائَتِهَا مُثِمَّةً فَاعْلَمِي وَمُرَّحِمَةً)

الْجِدَايَةُ : الظَّيْبَةُ . أَيْ : وَاحِرِبًا مِنْكَ بِإِظْلَامِ هَذِهِ الدَّارِ . أَقْتِ أَوْ ارْتَحَلِي ،
 لِأَنَّكَ إِنْ رَحَلْتَ عَدِمْتُكَ ، وَلَا خَفَاءَ بِحَالٍ مِنْ عَدَمِ حَيِّبِهِ . وَإِنْ أَقْتِ مُنِعَتْ
 مِنِّي وَقُصِرَتْ عَنِّي . فَتَقَامُكَ وَارْتَحَالُكَ سَوَاءٌ ، كَلَامُهَا عَائِدَةٌ عَلَى بِالْحَرْبِ ،
 وَهُوَ الْمُنْكَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(وَالْقَرِيبُ الْمُنَوَّعُ مِنْكَ بِمِيدُ) . وَقَوْلُهُ : (مِنْكَ) : أَيْ مِنْ خُبْرِكَ
 وَمِنْ أَجْلِكَ . وَاسْتَمَلَ (نَا) هُنَادُونَ (بَا) . لِأَنَّهُ أَشْهَرُ أَعْلَامِ التَّنْصِغِ
 وَالنَّدْبَةِ .

(وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كَنَاءُهُ أَوَّلُ تَحْمُولِ سَيِّئِهِ الْحَمَلَةَ)

جعلهم محمولين حاملين لأنهم إذا حملوا إلى اللطين البدر والنياب كانوا

في جلة الهبات فكأنهم حلوا أنفسهم مع حلهم الهبات . وقوله : (أول محمول
 سببه) قدمهم في السبب لأنهم أشرف أنواعه . وقال : (بيض خلانه)
 يعني : الصقلب والروم لأنهم آمن من الزنج والنوب وأحسن في الأعين
 وهذا البيت كقوله :

كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرُ قَبِيهَا الْعَبْدِيُّ وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ

(وراكب الهول الهول لا مفتره لو كان للهول محزّم هزلة)

أى أنه يركب الهول دائماً ، لا يفتره ولا يبرحه ، فلو تجسم الهول ،
 فكان مركوباً يُشدّ عليه الحزام ، لهزل ذلك المحزّم ، بدوام الركوب
 وملازمته ، وغصن المحزّم دون طوائف الجسم ، لأنه موضع الركوب
 والهزّ .

(قَدْ هَذَبَتْ فُهْمَهُ الْفَقَاهَةُ لِي ، وَهَذَبَتْ شِعْرِي الْفَصَاحَةُ لَهُ)

والفقاهاة : الفهم . قول العرب : ماله قفاهاة ولا فصاحة .

يقول : قفاحته في الشعر قد هذبت فهمه لى ، باستحسانه ما أفتح من
 شعري فيه ، حتى ما يستحسن غيره من الشعر المتصفّ بالخشوب .
 وهذبت فصاحته شعري له ، أى لما علمت أنه فصيح ، قويت ألقاظ شعري
 واستجلبتها ، فكانت فصاحته هى التى هذبت شعري .

(فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِي قَمَلَهُ)

أى أعظموا فعل أبى الشاعر ، وأصفره هو ، أى استصفره ، لأنه صغير
 بالإضافة إليه ، كما هو عظيم بالإضافة إليهم . ثم قطع قال : « أكبر من
 فعله الذى فعله » : أى الفاعل أكبر من الفعل المنفصل عنه .

(فَصَرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدَهُ مَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ سَمَلَهُ)

لَهُ ، أَجَادَ الْقَمِيمِ عَنِي ، كَأَجَادِ الضَّرْبِ بِالسِّيفِ ، فَأَنَا كَسِيفُهُ فِي أُنَى أَحَدٍ .
فَهْمُهُ ، كَمَا يَحْمَدُ السِّيفُ يَدَهُ . إِلَّا أَنَّ السِّيفَ يَحْمَدُ مِنْهُ جُسْثَانِيَا وَهُوَ يَمُدُّهُ .
وَلِنَامَا أَحَدٌ مِنْهُ فُسَانِيَا وَهُوَ فَهْمُهُ .

(مَا يَحْمَدُ السِّيفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهُ) : أَيْ لَيْسَ كُلُّ حَامِلٍ لَهُ يَجِدُ الضَّرْبَ
بِهِ ، فَيَكُونُ حَامِلًا لِكُلِّ مَنْ حَمَلَهُ . وَكَذَلِكَ أَنَا ، لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ
يَفْهَمُ شَعْرِي ، فَأَحَدُهُمْ كَمَا حَدَّثَ هَذَا الْمَدُوحُ .

- ٥٨ -

وَلَهُ أَيْضًا :

(أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ)

إِنْ شِئْتَ قُلْتُ : طَالَتْ لَيْلُ الْفَلَاحِ ، وَأَسْهَرَنِي الْحُزْنَ فَلَارُقَادُ ،
وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَغِيبِ مَنْ أَحْبَبْتُ . فَيَقُولُ : أَعِيدُوا الْكَوَاعِبَ إِلَيَّ ، فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ قَصْرَ لَيْلٍ ، وَجَاءَ الصَّبَاحُ . وَرَدُّوا الْحَبَائِبَ إِلَيَّ ، فَإِنَّ رُقَادِي هُنْدَهْنُ ،
فَإِذَا عُدْنَ عَاوِدِي نَوَى .

وَأِنْ شِئْتَ قُلْتُ : غَابَ عَنْهُ الصَّبَاحُ بِمَغِيبِ الْكَوَاعِبِ ، لِأَنَّ الدُّنْيَا تُظْلِمُ
عَلَى الْحُزُونِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُرَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، اسْتَدْعَى أَنْ يُرَدَّ إِلَيْهِ الرُّقَادُ .
لَأَنَّهُ قَدْ كَانَ يَرَى الْخِيَالَ فِيهِ وَفِي الْخِيَالِ أَنْسُ فَلَمَّا عَدِمَ الرُّقَادَ ، عَدِمَ الْخِيَالَ الَّتِي
كَانَ يَأْنَسُ بِهَا .

وَقَوْلُهُ : (فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ) أَيْ أَنَّ سَبَبَ رُقَادِي نَظَرِي إِلَى مَنْ ، فَإِذَا لَمْ
أَلْحِظْهُمْ سَهَوْتُ قَرَضًا إِلَى مَنْ .

« أَرَاكَ غَلَنَتِ السَّلَكُ جِسْمِي فَشَقَّتِهِ

عليك بِدُرٍّ مِنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ)

السلك : الخيط . يقول : عهدت جسي ناعلاً ؛ فلما رأيت السلك
حسبته إياه ؛ ومن عادتك البخلُ بالصدق . فَحَصَرْتَ بَيْنَ السَّلَكِ وَبَيْنَ تَرَائِبِكَ
بنظام الذر عليه ، جرياً على ما اعتدتيه من البخل .

وقوله : (عليك) : ظرف في موضع الحال .

(إِلَيْكَ فَلَا لِسْتُ مِنْ إِذَا اتَى عِضَاضُ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ التَّقَارِبِ)

مَرُّ القرب ، أسهل من مَرُّ الْأَفَاعِي ، فهو يزجر عاذلته على اقتحام
المهلك ، والاحتجام على صواب المسالك ، فيقول لها : إِلَيْكَ ؛ فإني لا أصبرُ
على الصنير من الأذى ، فَرَقًا مِنَ الْعَظِيمِ ؛ وَإِنْ كَانَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ ؛ كَمَا
أَنْ سَمَّ الْقَارِبَ أَخْفُ مِنْ سَمِّ الْأَفَاعِي ؛ وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ :

• لِمَنِ النِّيةُ عِنْدَ التَّلِّ قَتِيدُ •

(أَتَانِي وَعِيدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنْتَهُمُ أَعَدُّوْا لِي السُّودَانَ فِي كُفْرٍ عَاقِبِ)

(كَذَرُ عَاقِبِ) : موضع بالشام ، وأرصد له فيه قوم يريدون إهلاكه .

(وَالْأَدْعِيَاءُ) : ناس ادَّعَوْا إِلَيَّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلام .

(وَلَوْ صَدَّقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ)

أَيُّ لَوْ صَدَّقُوا هَؤُلَاءِ الْأَدْعِيَاءَ الْمُؤْعِدُونَ لِي ، فِي ادَّعَائِهِمْ قُرْبِي عَلَى عَلَيْهِ
السَّلام ، لَحَذَرْتُهُمْ لثَرَفِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ ، فَهَلْ فِي وَحْدِي يَكُونُ
قَوْلُهُمْ صَادِقًا ، كَمَا يَكُونُونَ فِي نِسْبِهِمْ ، كَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي تَوْعُدِهِمْ لِيَأَيَّ .

(بأى بلاد لم أجِرْ ذوائبي وأى مكان لم تَطَاهُ رَكَائبي)
 أما جِرْهُ ذوائبه : فكناية عن الفزك والتفتق ، كقول الآخر :
 أَيْتَامَ أَسْحَبُ لِمَتَى عَقِدَ لِللَّاءِ وَأَغْضُ كُلَّ مُرْجَلٍ لِزَيْتَانٍ
 وأما وطء رَكَائبه للكان ، فكناية عن الغزو ، يقول : كل مكان قد
 شاهنت إما طالبَ غَزَلٍ ، أو غَزَايَ أَمَلٍ .

(كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ فَأَنْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ التَّوَاهِي)
 أى أن مواهب هذا المدوح مُشْرِقَةٌ وَمُتَرَّبَةٌ . فكأن رحيل كان من كَفِّهِ ،
 وهى مكان المطايا ، فَأَنْبَتَ كُورِي فى ظهور مواهبه فهى تُشْرِقُ بى وتُتَرَّبُ .
 ووجه اتصال هذا البيت بالذى قبله ، أى لم أَدْعِ موضعاً إلا أتيتُه ، كما أن
 مواهب طاهر لم تدع موضعاً إلا أتته . وإنما صح لى ذلك إثباته رحلى على ظهور
 مواهبه السَّيَّارَةِ .

وجعل للمواهب ظهوراً ، لذكره الكُور الذى موضعه الظهور . وهذا مجاز ..
 إذ لا تظهر لمواهبه ولا بطن .

(فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فَنَاءَهُ وَهْنٌ لَهُ شَرِبٌ وَرُودٌ لِلشَّارِبِ)
 بِحَقِّقْ تَشْرِيقُ مواهبه وتزريقها . وأخذها من الدنيا فى كلِّ أَفْقٍ وَقَطْرٍ .
 فيقول : لم يبق خَلْقٌ إلا وقد وردت هبات طاهر فناءه ؛ إما قادمًا بها .
 من لدنه ، وإما محمولة إليه . والخلق هنا : بمعنى الخلق ، إذ لا معنى للمصدر
 فى هذا للوضع .

(وَهْنٌ لَهُ شَرِبٌ وَرُودٌ لِلشَّارِبِ) : أى وهى وإن كانت مشارب للآملين .
 فإنها تطلب الآملين الزوار ؛ مع طلبهم إياها طلب العطاش للمشارب . وقوله :
 (وَهْنٌ لَهُ شَرِبٌ) : يتعجب من أنها لم تشرب ، وهى تطلبهم طلب الظمان
 للماء . وهذا نحو قول أبى تمام :

فَأَضَحَّتْ عَطَائِهِ تَوَازِعَ شُرَدَا يُسَائِلُنَ فِي الْآفَاقِ مِنْ كُلِّ سَائِلٍ
إِلَّا أَنْ يَهْتَ أَيْ الطَّيْبِ أَغْرَبَ . وَتَلْفِيزُهُ : فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَجِدْ
فِيهِهِ وَزُودَ الْمَشَارِبَ ، عَلَى أَنَّهُنَّ شَرِبَ لَذَلِكَ الْخَلْقِ .

(قَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ)
أَيُّ دَعَا صِيَّتُهُ فِي السَّخَاهِ النَّاسَ حَقِي غَابُوا عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، مُسَافِرِينَ إِلَيْهِ .
ثُمَّ أَغْنَى هَؤُلَاءِ السَّفَرُ ؛ فَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، وَكَفَّاهُمْ عَنِ السَّفَرِ إِلَى غَيْرِهِ ،
بِمَا أَقَادَمَ لَهُمْ . قَالَ بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ : وَهَذَا كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَإِذَا الْمَلِيُّ بَنَا بِلَدَهُ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوا مِنْهُ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
وَلَيْسَ عِنْدَكَ مِثْلُهُ ، لِأَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ قَالَ : أَغْنَى هَذَا الْمَدْحُ قُصَادَهُ ، وَرَدَّهُمْ
إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، فَكَفَّاهُمُ السَّفَرُ . وَأَبُو نُوَّاسٍ قَالَ : إِذَا بَلَّغْتَ لِلْمَلِيِّ بَنَا هَذَا
الْأَمِيرِ ، حَرَمْنَا ظَهْرَهَا عَلَى الرِّجَالِ ؛ أَيْ لَمْ تَرْكَبْهَا أَبَدًا ؛ وَلَا امْتَنَاهَا ، جِزَاءَ
لَهَا عَلَى تَبْلِيغِهَا إِيَّانَا أَمَلْنَاكَ مِنْ لِقَائِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ عَطَاءَ ؛ وَلَا كِفَايَةَ سَفَرٍ ، إِلَّا تَرَاهُ
يَقُولُ بِهِ هَذَا ؛ مُبَيِّنًا لِمَا تَحْرِمُ ظَهْرَهَا عَلَى الرِّجَالِ :

قَدْ بَلَّغْنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى قَلْبَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةً وَذِمَامًا
(أَنَسٌ إِذَا لَاقُوا عِدِّيَ فَكَأَنَّا سِلَاحُ الْقَدَى لَاقُوا غُبَارَ السَّلَاحِ)
السَّلَاحُ : الطُّوَالُ مِنَ الْخَيْلِ وَغَيْرِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : سِلَاحُ أَهْلِهِمْ
بِمَنْزِلَةِ غُبَارِ الْخَيْلِ فِي أَنَّهُ لَا يَمْبَأُ بِهِ . وَخَصَّ السَّلَاحَ ، لِأَنَّ الطُّوَالَ أَخْفَ ،
فَغُبَارُهَا أَخْفَ .

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : إِنَّ سِلَاحَ مَنْ تَقِيهِمْ إِنَّمَا هُوَ إِثْرَةُ الْغُبَارِ بِالْهَرَبِ
وَالْإِنْزِمِ ، وَجَلَّ ذَلِكَ سِلَاحَهُمْ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَقِيهِمْ كَمَا يَقِي
السِّلَاحُ غَيْرَهُمْ ، أَيْ ذَلِكَ الَّذِي يَقُومُ لَهُمْ مَقَامُ السِّلَاحِ .
وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : كَانَ السِّلَاحُ هُنَا الدَّرُوعُ وَالْجُنَّ أَيْ هِيَ عَلَيْهِمْ
أَوْ هِيَ نَسْجًا مِنَ الْغُبَارِ تَحْزِقُهَا الرِّمَاحُ ، كَقَوْلِهِ فِي صِفَةِ الرِّمَاحِ :

قَوَاضٍ قَوَاضٍ نَسَجَ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَّتْ فِيهِ كَنَسَجَ الْخَدَرُ نَقِي

الْخَدَرُ نَقِي : المنكبوت ؛ شبه الدروع في خرق الرماح لها ، وسهولة ذلك منها عليها ، يبيت المنكبوت .

(رَمَوْا بِتَوَاصِيهَا الْقَيْسَى فَجَعَلَتْهَا دَوَامِي الْهُوَادِي سَالَمَاتِ الْجَوَانِبِ)

أَي رَمَوْا نَوَاصِي هَذِهِ الْخَلِيلِ بِالْقَيْسَى ، فَكَسَ ، (وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ) ؛ فَجَعَلَتْ دَوَامِي الْهُوَادِي ، وَهِيَ الْأَعْنَاقُ وَالْقَاوِمُ ، لِإِقْدَامِهَا . وَسَلَمَتْ جَوَانِبُهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَسْتَعْرِضْ وَلَمْ تَسْتَدِيرْ . وَكَتَبَ بِالْجَوَانِبِ هُنَا عَنِ الْأَعْجَازِ وَالْأَقْطَافِ جَمِيعًا ، وَهِيَ يَصِفُونَ الْمُقَدِّمَ بِأَنَّهُ جُرِّحَ فِي أَمَامِ جَسَدِهِ ، وَالْمُذِيرَ بِخِلَافِهِ ، كَقَوْلِ الْقَطْمَلِيِّ :

لَيْسَتْ تَجْرُحُ فَوَارًا ظُهُورُهُمْ - وَفِي النُّحُورِ كُلُّوْمٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ

وَقَوْلِهِ : (دَوَامِي الْهُوَادِي) : أَرَادَ دَوَامِي ، فَسَكَنَ اضْطِرَارًا .

(يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى)

فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ)

أَثَرُهَا بِإِحْتِلَاحِهِ عَلَيْهَا . يَقُولُ : أَثَرُ هُوَ فِي الْكَوَاكِبِ ؛ وَهُوَ مِنَ الْوَرَى فَكَيْفَ زَعَمُوا أَنَّ الْكَوَاكِبَ تَوْثُرُ فِي الْوَرَى . يَذْهَبُ إِلَى تَكْلِيدِ النُّجُومِ ، فَيَقَعُ فِيهَا هَوَاؤُهَا وَفُحْشُهَا وَأَفْعُشُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : إِنْ هَذَا الْمَسْمُوحُ أَثَرُ فِي النُّجُومِ فَضْلُهُ عَلَيَّ . وَهَذَا بِحَقِّ قَوْلِهِ :

فَبَا لِدِينِ عَيْدِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدْعِي أَنَّهَا تَقْتُلُ

وَقَدْ عَرَفْتَكَ فَا بَالُهَا تَرَاكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ

(بَرَى أَنْ هَامَا بِأَنِّ مِنْكَ لَضَارِبٍ بِأَقْتَلِ عَمَّا بَانَ مِنْكَ لِمَائِبِ)

أى يرى أنه ليس الذى بان منك لضارب ، بأقتل ميّا بان منك لئالب .
 أى الميب أقتل من الضرب . ففى (أن) مُضْمَرٌ عَلَى شَرْيْطَةِ التفسير ، وما
 الأولى ففى ، والثانية بمعنى الذى والجملة بكليتها تفسير المضمر على شريطة التفسير .

(سَحَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً)

سَقَاهَا إِلْجَاجًا سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ

الحديقة : الروضة . شَبَّهَ القصيدَةَ بِهَا فى حَسَنِهَا ، إِلَّا أَنَّ الذى قَامَ لَهَا مَقَامُ
 السَّحَابِ لِلْحَدِيقَةِ ، إِنَّمَا هُوَ عَقْلِيٌّ ، يَأْتِي سَقَاهَا بِفِكَرِهِ وَبِأَمَلِهِ ، سَقَى السَّحَابِ
 الرِّيَاضَ ، كَقَوْلِ أبِي تَمَامٍ فى صِفَةِ الشَّعْرِ :

وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ الْمُقُولِ إِنَّمَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْطِيَ بِسَحَابٍ
 وَأَرَادَ سَقَى السَّحَابِ الرِّيَاضَ فَفَصَلَ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ اضْطِرَافًا .

- ٥٩ -

وله أيضا :

(كُنْتُ حُبَّكَ حَتَّى عَنَكَ تَكْرِمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فَيْكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي)
 أَيْ كُنْتُ حُبِّي مِنَ الْإِنْسَانِ ، حَتَّى عَنَكَ تَكْرِمَةٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ كِتَابُهُ تَكْرِمَةً لَكَ ،
 ثُمَّ غَلَبَنِي ذَلِكَ فَاسْتَوَى سِرِّي وَجَهْرِي أَيْ أَظْهَرْتُ مِنْهُ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَخْفِي .
 (كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاقَ عَنْ جَسَدِي)

فَصَارَ سَقَى بِهِ فَي جِسْمِي كَيْتَمَانِي)

أَيْ كَانَ الْحُبُّ زَادَ حَتَّى سَعَتُ ، فَفَاقَ بَعْضُ سَقَى إِلَى جِسْمِي كَمَا فَى ،
 فَرَضَ الْكَيْتَمَانَ ، وَبَطَلَ ، فَظَهَرَ الْحُبُّ . وَهَذَا اعْتِدَارُهُ مِنْهُ إِلَى مَحْبُوبِهِ فَي
 إِعْلَانِهِ بِحُبِّهِ . أَيْ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِهَذَا . وَاسْتِمَارَ الْكَيْتَمَانَ جِسْمًا ، وَإِنْ كَانَ
 عَرَضًا ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ الشُّمَّ ، وَالشُّمَّ عَرَضٌ ، وَالْمَرَضُ لَا يَدُ لَهُ مِنْ مَحَلٍّ .

وان شئت قلت : الهاء في كأنه راجعة إلى الكتمان . وإن لم يعبر له ذكر ،
 فقولہ : من كَلَّبَ كان شرا ؛ أى كان الكلب شراله . حكمه
 سيئويه . ومثله كثير في التنزيل وغيره . فيكون المعنى على هذا ، كأن
 الكتمان فاض عن جسدى ففتش الجسم ؛ واستقر السقم الحال فيه باستتار
 جسمي ، لأنه إذا استتر الجوهراً الحال فيه العَرَض ، استقر العَرَض في أغلب
 الأمر . ولما قال إن الكتمان مشتمل على الجسم كاشمال الثوب ، استبجاز
 أن يعمل الكتمان جسماً مؤلفاً ، وقد خفي جسمه وظهر ما فاض عليه من الكتمان ،
 فكان الشتم في جسم الكتمان .

- ٦٠ -

وله ايضا :

(وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَطِيعُهُ لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ)

أى علمنا أننا في طاعة القراق والاضداد له ، فثبقتنا الموت ، الذى هو أشد
 أنواع القراق ، لأنه اضطرارى الوجود ، وغيره من أنواع القراق ممكن لا واجب ،
 وكأنه قال : نحن متيقنون لوقوعه ؛ لعلمنا أننا نموت . وذكر الطاعة ، لأن
 الامتناع من الموت ممتنع .

ومن ظريف هذا البيت : إعجابه إطاعة الجنس ، وجعله حلة ذلك إطاعة
 النوع الضرورى ؛ لأن النوع قابل لاسم الجنس . وهذا منه قلنسف
 منطقي بديع .

- ٦١ -

وله ايضا :

(أَغْلَى قَنَازِ الْحُسَيْنِ أَوْسَطُهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ)

(فيه) : أى فى المأزق . ومنه : أنه لما طعن بها الفارس تَحَنَّتْ ، وتَفَوَّسَتْ .
أحد طرفيها فى المَطْنِ والآخر فى يد الطامع ، فيتمتع عليه ، فصار أوسطها أعلى
أنبوب فيها . (وأعلى الكى رجلاه) أى يطنُّ الفارس فيخبر مكبواً : أعلاه
رجلاه وأسفله رأسه .

(مُنْشِدُ أَثَوَابِنَا مَدَائِحَهُ بِالسُّنِّ مَالَهُنَّ أَفْوَاهُ)

أى تدل من رآها أنا قد مدحناه ، فأخذنا مدحه ، فتخبر عن جودة
المدح بمجودتها ، إذ لا يكافؤ المدحُ الناقِدُ بالجيد إلا على الجيد .
وقيل : عنى أنها جُدد ، فهى تُقَمِّعُ . وهذا لا يلتفت إليه .

(إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَسْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنِ مِسْمَعِهِ عَيْنَاهُ)

(بها) : أى بالحلل . يقول : إِذَا رَأَى الْأَسْمَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْحُلُلَ الَّتِي كَسَانَاهَا :
أبو السَّائِرِ ، عَلِمَ أَنَّنَا دَاعُونَ لَهُ مِنْ أَجْلِهَا ، وَشَاكِرُونَ عَلَيْهَا ، لِمَا يُرَى مِنْ
بَهَائِهَا وَسَنَائِهَا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ شُكْرَنَا إِلَيْهِ ، وَلَا دَعْوَانَا لَهُ . فبِهَا تَمُوتُ بِهِ .
بل هو أشد إعراباً عن ذلك من اللسان . لأن اللسان ربما حنف إما اختصاراً
وإما الكثرة . ونحو هذا البيت قوله هو :

خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعِيُونِ كَلَامَهُ كَاخْلَطَ يَمَلًا مَسْمَى مِنْ أَبْصَارِ

ونظير البيت الأول قول الأسود ، وهو نصيب :

فمَاجَرُوا فَأَمْنُوا بِاللَّيِّ أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال قوم لم يكنك يا أبا السَّائِرِ ، قتال :

(قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ هَؤُلَاءِ لَهْمٌ ذَلِكَ عِى إِذَا وَصَفْنَاهُ)

قالوا (أَلَمْ تَكُنْ) : يُضَرَّجُ ظَاهرُهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كُنَّاهُ ، لِأَنكَ إِذَا قُلْتَ
مُفَكَّرًا : أَلَمْ تَكُنْ ؟ فَمَنَاهُ : قَدْ ضَلَّتِ الْقِيَامُ . وَإِذَا قُلْتَ أَقُمْتَ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ

إثبات أنه قام ، وإنما هو إنكار أمر التيام . وللتنهي لم يُكْنِ أبا العشار في القطعة التي قبل هذه . وإنما قال له هؤلاء الطالبون للتعقبون لَزَلَهُ : (أَلَمْ تَكُنْهِ) ؟ وهم مستضهون لا منكرون ، فلم يشعر هو لمكرم ، فاعترف لم ، قال : لا . ثم أعلم ما حاكوه هؤلاء الحاسِدُونَ منه ، قال هذا الشعر معتقراً ، وحكى ما واجهوه فمن لنظ الاستفهام .

(لا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَّارِ مِنْ كَبْسِ مَنَافِي الْوَرَى بِمَفْهَاهُ)
 أى إن صفاته مُفْنِيَةٌ عن تسميته وَتَكْنِيَّتِهِ ، لأنه مفرد بها لا يُشْرِكُ (فيها) إذ هي صفات لا يُحَلَّى بها غيره . فصارت كالاسم ، بل هي أشد اختصاصاً له من الاسم والكنية ، لأن حُسَيْناً وأبا العشار كثير . والصفات التي لأبي العشار هذا ، لا تَلْحَقُ إلا إياه . فصارت لذاته كالحُدُودِ للنوع المجهود . ولذلك سَمِيَ تَكْنِيَّتَهُ مع وصفه إياه عِيّاً .

— ٦٢ —

وله أيضا :

(كَيْفَ تَرَى الَّذِي تَرَى كُلَّ جَنْ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقٍ)
 أى لا يسمها الرثاء لها كين ، لأنه ليس يبكى من هجرها واحد ، بل كل واحد وإنما كانت ترى لو انفردت بك بالبكاء ، فأما جميع الباكين من هجرها ، فلا يسمهم رثاءً بها لهم . وإن شئت قلت : إن كل جن رآها بكى من هجرها إلا جَفْنُهَا وحدها ، فإنه لا يبكي ، لأنها لا تهجره . ويقوى ذلك بعد هذا :
 (أَنْتِ مِنَّا فَفَنَتْ فَسَكَ لَكِنَّكَ عُوِفْتَ مِنْ ضَنْفٍ وَاشْتِيَانٍ)
 فهي لا ترى لذلك من غيرها ؛ لأنها مُفْنَاهُ منه . وتقدير البيت : كيف ترى التي ترى كل جن رآها راقٍ إلا جَفْنُهَا (فغير جَفْنُهَا) استثناء (وغير راقٍ) حال . وإذا رَدَدْتَ غير راقٍ إلى الاسم المحصل فسكانك قلت : كيف

ترى الى ترى كل جن رآها ياكيا ، لأن (غير راق) معناه : بك . كما
أنتك إذا قلت : زيد غير عالم . فغير عالم كقولك : جاهل وأراد : راقنا ،
فأبدل إبدالا صحيحا ، للوصل .

(لَوْ عَدَا عَنْكَ غَيْرُ هَجْرِكَ بُدُّ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ النَّاقِي)
عدا : صرف . وأرار : زاد . والرسيم : ضرب من السير . والناقى :
الإبل السمان . أى لو كان اللانح عنك بعدا لا هجرا ، لسرنا دأبا حتى تهزل
إبلنا ، فيذوب منها ، فاكفى بذكر المسبب عن ذكر السبب . ومثله قوله :

أَبْدُ نَأَى الْمَلِيعَةِ الْبِخْلُ فِي الْبُدِّ مَالَا تَكَلَّفُ الْإِبِلُ
(وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِنْ أُنْهَابِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ)

الأرماق : البقايا . أى سرنا إليك على هذه الإبل التى كانت تسود أرماقا
ومح كالأفلاس عليها خفة ، لما لصقنا من التحول : كقوله :

بَرْنِي الشَّرَى بَرْنَى الْمُدَى فَرَدَدْنِي

أَخَفَّ عَلَى الْمُرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي

(فتل أنفاسنا) : حال من الضمير الذى فى وصلنا (وعلى الأرماق) ظرف
متعلق بأفاسنا . وإن شئت قلت : ولو وصلنا على هذه الإبل فقد استكرهت
أرماقنا حل أنفاسنا لذلك .

(ككَاثَرْتُ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنْ الْمَالِ بِمَا تَوَلَّيْتُ مِنَ الْإِيرَاقِ)

الإيراق : التجنيب والمنع . يقول : كاثرت عطاء الأمير بمنها . يصفها
بكثرة ذلك منها . فكانه قال : عارضت جوده بينهلها ، ليكون أبغث على حباه
كقول العرب : (تَمَنَّى أَشْهَى لَكَ) . وقد يكون أنه وصفها بالغة ، كما
وصف الأمير بالكرم ؛ أى أن عفتها فى نوع العفة ، ككرم الأمير فى
نوع الكرم .

(يابني الحارث بن قحان لآته سمكم في الوغى معون العتاق)
 في الوغى اختصاص حسن . يصفهم بالشجاعة إذ لا يُذِمُّون ركوب الخيل
 أبدا لإراضتها وسياستها .

(طاعنُ الطعنة التي تطعنُ الفَيْزَ لَمَقَ بِالذُّعْرِ وَالذَّمِّ الْمَهْرَاقِ)
 الفَيْلَقُ : الكتبية . والذعر : الفزع . أى أنها طعنة تملأ صدور
 الكتبية كلها دُعراً ، وإن لم تكن تهم الطعنة إلا يواحد . فكأنه بذلك قد
 حطم الفَيْلَقُ كله ، فيفرون .

(هُمُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنَّطَاقِ)
 أى حَفَّتْ به الأُسنة ، حتى صارت له كالنطاق ، فهُمُ حينئذ في قتل ذوى
 الأُسنة ؛ لهوانها عليه ، وحقاتها لديه .

وقوله : (وأطرافها له كالنطاق) : جملة في موضع الحال ، يستغرب ذلك ،
 وهذه حاله . وشبهه بعض النقاد بقول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسَدَ أَسْوَدَ الْقَابِ هَمُّهَا يَوْمَ الْكُرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
 وليس مثله ، لأن أبا تمام نفى عن الممدوح حُبَّ السَّلْبِ وأبو الطيب
 ذكر أن أبا المثنى لا يعبأ بالأُسنة المحدثه به لشجاعته ، ولم يذكر حُبَّ السَّلْبِ
 ولا ضِدَّه ، وقال : (وأطرافها) ولم يقل (وهى) ، لأن الأُسنة لم تتخالط لحمه
 بعدُ ، وإنما هى على ظاهر جسمه ، فأطرافها هى المحدثه به لا جُمُئِهَا .

(جَاعِلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّةً إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْمَارِ وَاقٍ)
 أى يجعل درعه منيَّةً التى لآهية المار ، إذا لم يجد غير الموت وفاقاً . وكان
 أظهر من ذلك — لَوْ اتَّزَنَ لَهُ — أن يقول : جاعل منيَّةٍ دِرْعَهُ .

(وَالْأَمْسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجَزٌ وَالْأَمْسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ)
يُسَفِّهُ رَأْيَ مَنْ شَحَّ بِنَفْسِهِ وَجَبُنَ . فيقول : لا معنى للأَمْسَى قبل فرقة
الروح ، لأنه في حد الوجود ، فإذا حل به الدَّمُ وأزال الوجود فلا أَمْسَى
هنالك ؛ فمن الحُكْمِ ألا يكون أَمْسَى . وقيل : الأَمْسَى لا يكون بعد الفراق ،
ولأننا هو قبل الفرقة ، فلي هذا يكون صدر البيت تسفيها لرأى الشفيق على
الذات ، وعجزه اعتذار له .

(لَيْسَ قَوْلِي فِي كَمْسِي فَعَلِكِ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ)
جعل فعله شمساً : استعارة لحسن أفعاله وإنارتها . فيقول : ليس ثنائى
عليك في نوع الثناء ؛ مثل فعلك في نوع الفعل ، ولكن فعلك شمس وثنائى ،
إشراقها ، أى أن ثنائى يكثُر فعلاً وَيُبَيِّنُهُ كما يُظْهِرُ الْإِشْرَاقُ جَوْهَرَ الشَّمْسِ .
وَكَمَّى عَنْ فَعْلِهِ بِالشَّمْسِ ، وعن ثنائه بالإشراق ، لأن الشمس أشرق من
الإشراق ؛ من حيث كانت جوهرأ والإشراقُ عَرَضٌ فيها .

— ٦٣ —

وله أيضا :

(وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرُهُ بِالْخُلُودِ)

غير أعدائه : الحُجَماء الطيبى . فيقول : لو لم أَخَفْ عليه الموت إلا من قبل
أعدائه لتيفت أنه خالد ؛ لقصور عداؤه عنه . وهو نحو قول جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مِربا أبشر بطول سلامة مايربح

إلا أن قول أبي الطيب أبلغ ، لأن جريراً بَشَّرَ مِربا بطول السلامة ،
ولم يفصح بالخلود . وأبو الطيب أراد أن يبشّره بالخلود .

وله أيضا :

(قَطَعْتَ ذِيَّكَ الصُّمَارَ بِسُكْرَةٍ وَأَدْرَنْتَ مِنْ سَخِرِ الْفِرَاقِ كُثُوسًا)
 الصُّمَارُ : أخف من السكر . فيقول : كنت أشكو هجرتك مع القرب ،
 فأتيمني بينك ، وهو أشد من الهجر الذي كان مع دُنُوِّ النار ، وقرب المزار .
 وكثيراً ما يستعمل هذا النحو ، أعني أنه يستعصر النظام ، بإضافتها إلى ما هو
 أعظم منها ، كقوله :

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَشْتَعْلِمُ النَّوَى

قد صارت العُصْرَى التي كانت العُظْمَى

وكقوله :

وَلَمْ يَسْلُهَا إِلَّا النَّالِي وَإِنَّمَا أَجَلُ مِنَ السَّيِّمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّتْمَا
 (وَبِهِ يُضَنَّ عَلَى الْبَرِيَةِ لَأَيِّهَا . وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَأَعْتَبُهُ يُوسَى)
 أى يَقِينُ عَلَى الْبَرِيَةِ أَنْ يُعَذِّبَ مِنْهَا وَإِنْ كَانَ مِنْ تَوْحُهَا ، لَأَنَّهُ أَشْرَفُ
 مِنْهَا جَوْهَرًا وَفَضْلًا . فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا يُعَذِّبُ فِي نَوْعٍ آخَرَ غَيْرِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ،
 وَلَا يُنْفَسُ بِالْبَرِيَةِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ خَطَرُهُ أَنْفُسُ مِنْ خَطَرِهَا ، فَتَقْدِيرُهُ : لَأَيِّهَا
 عَلَيْهِ . « خَلَفَ عَلَيْهِ » لَعَلَّهَا ، وَكَذَلِكَ يُحْزَنُ عَلَيْهِ مِنْهَا : أَى يُحْزَنُ عَلَى
 أَنْ يُعَذِّبَ مِنْهَا ، فَيُبَيِّنُ حَقَّهُ ، وَلَا يُحْزَنُ عَلَيْهَا مِنْ كَوْنِهِ مَعْدُودًا فِيهَا بِالنَّوْعِيَّةِ ،
 لِأَنَّهَا دُونَهُ فِي الْقَدْرِ وَالْخَطَرِ .

وإن شئت قلت : إنه إنما يُحْزَنُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ إِذَا هَلَكَ ، لَا عَلَيْهَا إِذَا
 هَلَكَتْ ، لِمَجْزِ غَنَائِهَا عَنْ غَنَائِهِ .

فَمِنْ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لِلْعَلَّةِ أَى مِنْ أَجْلِهَا ، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي بِمَعْنَى مِنْ
 بَيْنِهَا .

وأراد : (يُؤْتَى) ؛ فأبدل إبدالاً صحيحاً للرَّدْف ، في قول أبي الحسن .
وهو تخفيف قياسي في قول أبي عثمان ؛ لأنه يرى الرَّدْف بالتخفيف القياسي
معاملة لفظ .

— ٦٥ —

وله أيضا :

(مَرَّتْكَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَفَرِ

فَهَيُّنَتْهَا مِنْ شَارِبِ مُسْكَرِ السُّكْرِ)

أى أنت سكران صاحباً بأرمية خلتك ؛ فإذا شربت الخمر أسكرتها بفضل
سكر أرميتك . وقال مُسْكَرِ السُّكْرِ ولم يقل مُسْكَرِ الخمر لأن إسكاره
السُّكْر أبلغ من إسكاره الخمر . وهو أذهب في الشر وأغرب ؛ لأن الرَض
لا يَحْتَلُ عَرَضاً ؛ ففهمه . وقال : مَرَّتْكَ ؛ وإنما هو مَرَّ أَنْكَ ؛ فأبدل إبدالاً
صحيحاً ، كقولهِ : (فَارْعَى فِزَارَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْنَعُ) .

— ٦٦ —

وله أيضا :

(يَا أُخْتَ مُؤْتَنِقِ الْقَوَارِسِ فِي الْوَحْيِ

لَأَخُوكِ ثُمَّ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ)

(يَرْتَوِ إِلَيْكَ مَعَ الْمَغَافِ وَعِنْدَهُ أَنْ الْجَوْسَ تُصِيبُ بِفِيَا نَحْمُ)

قيل : يخاطب محبوبته . جعلها أخاً تنفقا عنها ، وتزورها حين الفجور بها .
(.لَأَخُوكِ) : يعنى نفسه . (ثُمَّ) : أى في موضع القتال . و (احتناق
القوارس) أرق منك في الهوى وأرحم ، ذلك على قساوته في الحرب ، يرنو
إليك مع المغاف . . . البيت .

أى أن أخاك وهو يبنى نفسه ينظر إليك فيعجبه حسنك ، إلا أنه يفت
تشرقا لا تدينكا ، وعنده مع عفته ، أن الجوس تصيب فى حكمها الذى هو
نكاح الأخوات .

وإن شئت قلت : إنه ينزل بأخت رجل شجاع ، فيقول لها : أخوك على
شدته وبسأله ، أرتى منك وأرحم ، ثم أخبر عنه أنه يبنى إليها مع العفاف الذى
توجبها متافرة الطبيعة لنكاح الأخوات ، فيذم نفسه على ذلك العفاف الطبيعى .
وعنده أن الجوس تصيب فى نكاح الأخوات .

وقد قيل فى هذين البيتين قول لا يبنى أن يلتفت إليه ليستغفه .

وقوله الجوس : أراد الجوسيين ، فذلك أدخل عليه الألف واللام . ولو
عنى القليلة لقال إن الجوس كقوله :

أحار أريك برقاً هباً وهذا كئار جوس تستغير استعماراً
(راعيتك رامة البياض يمارى ^(٣) ولو أنها الأولى لراع الأسحم)

الرامة : أول ما يظهر من الشيب . والعرب تصف للمرعى بالسواد ، فإذا
حلت الشيبة جلوها (راعية) لهاب السواد ، كما تذهب الراعية من
الماشية خضرة للرعى .

(ولو أنها الأولى لراع الأسحم) : أى لو تقدم البياض قبل السواد ، ثم
أعقبه السواد لكان أروع ؛ لأن السواد أروع من البياض وأهول .

(والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فيلعل لا يظلم)

للنقى : والظلم من تأليف خلق النفوس . ومعنى الظلم : وضع الشيء فى
غير موضعه . وتأليف النفوس من أربعة أشياء متنافرة : من حار رطب ،
وبارد رطب ، وحار يابس ، وبارد يابس . وهى ما اعتدلت صلح الجسم ، وإذا
اختلقت فسد الجسم ، فهل يوجد ؟

(وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ)
 أى يعظم ساكناً بهيته ، فيغر من رآه ، فإذا تكلم صغر من لسته ،
 كقوله :

وَكَاثِنٌ قَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُنْجِبٍ
 زِيَادَتُهُ أَوْ قِصْرُهُ فِي التَّكَلُّمِ
 (وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ) : أى إذا تنامى فى الكذب أقسم
 عليه أنه حق له .

- ٦٧ -

وله أيضا :

(كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّاحُ قَدْ آمَنَ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ)
 اللُّجَّةُ مَهْلِكَةٌ لِلْأَرْوَاحِ ، وَالسَّاحُ مَهْلِكٌ لِلْمَالِ . فيقول : أيتها الساح
 اعظم ، حتى تكون لُجَّةً مَهْلِكَةً لِمَا لَهُ ، فإن سيفه يحلف عليه بالإغارة
 والنهبية جميع ما تملكه أنت . ولما جعل الساح لجة استعار اسم الفرق للفر .
 ونظير هذا قول الشاعر :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مَنَا يَمُشُ بِحُسَامِيهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلُ
 وقال : كن لُجَّةً ، ولم يقل : كن بَحْرًا ، لأن اللُّجَّةَ أهول مافى البحر ،
 ألا ترى أن العرب تسميها (الْعَوْطَبُ) ، لما يتحدث فيها من العطب أو يخاف ،
 ولم يُسموا جملة البحر عَوْطَبًا .

- ٦٨ -

وله أيضا :

(أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُبْذَاغُ عَنْكَ فَكْرُهُ)
 الكريم يكره ذكر إحسانه إلى مؤمليه ، حلوا أن يُظنوا ذكر ذاك

اعتداداً به عليهمَ ومنا ، فكان من يذكره عنه ؛ يُشيع عنه ما يكره إشاعته ؛
ويُنمُّ به . والنقطة رائية ؛ ولا تكون هائية ؛ لأن بعد هذا البيت بيتاً آخره .
(نصره) ؛ فهذه هاء إضمار ؛ متحرك ما قبلها ؛ وهاء الإضمار المتحرك .
ما قبلها ؛ لا تكون رويًا .

فإن قال قائل : قد قال في المصراع الأول من هذا الشعر (أنا . بالوشارة إذا
ذكرتك أشبه) فتَقَى بالهاء . قُلْتُ : لم يُقَفَّ بهاء . وليس الشعر بمصرع .
وإنما هو في البعد من التصريح ، بمنزلة لو قال : (إذا ذكرتكَ أمثلُ) مع
قوله تذكره . فهذا احتيالٌ لطفه له أهل بغداد .

والذي عندي أن أبا الطيب كان جاهلاً بصناعة التوافي ؛ فانها مهنة دقيقة .
يجز عنها الشعراء ؛ ويغلطون فيها . نعم ؛ وقُلَّ من يعرفها من النحويين إلا
الخليل وأبا الحسن إماميهما قليلاً بعدها .

— ٦٩ —

وله أيضا :

(وَمَنْ خِذْتُ مِنْكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أصابَ الحَدَوْرَ السَّهْلِ فِي المَرْتَقَى الصَّعْبِ)

أى أن قلبي منزعه بمناعته ؛ أى بشجاعته ؛ دافع عن نفسه بيبأسه . ولكن
من كانت له عين كمينك ، أصاب الأمر الصعب بالسعى السهل . أى فذلك
يمكن لك منى على تمنعه على غيرك . والاعتماد سهل ، والارتقاء صعب . فمن
كان الارتقاء عليه في سهولة الاعتماد ؛ فكل صعب له سهل ؛
كقول البحري :

وَمُصْعِدٌ فِي مَضَابِ المَجْدِ يَطْلُمُهَا كَأَنَّهُ لِيَسْكُونِ الجَأْشِ مُتَحَدِرٌ

وقد بالغ أبو العليب بالمقابلة بين الحذور السهل والرتقى الصعب ؛ لمرى
طبيعة الضد في الوصفين والموصوفين . قابل الحذور بالرتقى ، والسهل
بالصعب . ولو أمكنه أن يقابل الحذور بالصعود ؛ لكان أذهب في الصنعة .
ليوازن اللفظين .

- ٧٠ -

وله أيضا :

(وَفَاؤُكُمْ كَالرَّيْحِ أَشْجَاءُ طَائِسُهُ بَأَنْ تُسَيِّدَا وَالْدمْعُ أَشْفَاءُ سَاجِدُهُ)
يخاطب خليله . وإنما كثرت مخاطبة العرب خليلين وصاحبين ؛ دون أقل
أو أكثر ؛ لأن أقل السفر المتراقين ثلاثة ، فالواحد يخاطب صاحبيه .
يذهبون في ذلك إلى أنه إن اختلف الاثنان قتل الأقوى الأضعف . فإذا كان
لهما ثالث ؛ توسط غال بينهما في الأغلب . فلذلك لم يصطحب في الأكثر أقل
من ثلاثة لهذه العلة . هنا معنى مخاطبة العرب في أغلب الأمر الاثنين ، حتى
تجاوزوا في ذلك إلى أن خاطبوا الواحد بمخاطب الاثنين ؛ كقوله تعالى :
(أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) . ومن كلامهم : بِأَحْرَسِيْ أَضْرِبَا عُنُقَهُ . وقال :
فَلَنْ تَزُجُرَانِيْ يَا بْنَ عَقَّانِ أَزْدَجِرْ

والطاسم : الطارس . وأشجاء : أشدّه إشجاء وإحزانًا . ولا يكون فعلاً ،
لما بلته إياه بقوله : أَشْفَاءُ . وأشقى : اسم لافعل . يقول : وفاؤكما أيها الخليلان
. بأن تسعداني على بكائي في هذا الريح الطارس ، كهذا الريح الذي يكبته ،
وذلك في ترك المساعدة في الوقوف به معي ، ففي ذلك أشبه وفاؤكما للريح
دروساً وطُوساً . ثم قال : (والدمعُ أَشْفَاءُ سَاجِدُهُ) : أي لا تلوماني على البكاء ،
فإن أَشْفَى الدَّمْعُ سَاجِدُهُ . وقد يجوز ، (الدَّمْعُ أَشْفَاءُ سَاجِدُهُ) : أي بالإسعاد
. وبالدمع الذي أَشْفَاءُ سَاجِدُهُ . أي : وفاؤكما بالإسعاد لي ، والبكاء معي .

(دارسٌ) قد قارب العدم ، كما أن الربيع كذلك ، فكلًا كما أشجاءه لي
 مآذرس ، وقد يقع الشوق من صاحبه أن يقف معه على الربيع عاذلاً ، أو عاذراً ،
 وإن لم يشركه في شوق ولا بكاء ، كقول البحتري :

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزينا أو مُعيناً أو عاذراً أو عذولاً
 قد يجوز أن يكون أبو الطيب عديم هذا كله من خليليه ، وأياً موافقته
 على وجه : لامتشوقين ولا مسعدين ، عاذرين .

والجمع على هذا ، معطوف على موضع (بأن تسعدا) أى بالإسعاد .
 وبالجمع الذى أشفاه ساجمه ، بنى بكاءه معه . والباء فى (بأن تسعدا) :
 متعلق بمحذوف أى وفاؤكما بالإسعاد . ولا تكون متعلقة بـ « وفاؤكما » الأولى ،
 لأنك قد أخبرت عنها بقولك : (كالربيع) فعال أن تخبر عن الاسم وقد بقى .
 ما يتعلق به ، لأن هذا للتلقي به جزء منه . فكما لا يخبر عن الاسم قبل تمام
 حروفه ، كذلك لا تخبر عنه وقد بقى ما هو جزء منه .

(سَمَّاكَ وَحَيَاتَنَا بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَاثِمَةٌ) .
 جرى فى هذا البيت على مذاهب العرب وطرائقهم ، لأنهم يُعْثِيُونَ بالنوَّارِ
 وأصناف الأزهار . فلما أبصرها فى الخلدور جعلها نوراً فى ركة ، فدعا له
 بالشقيا ، ليتم ويحسن . ودعا لنفسه أن يحيا بذلك النور .

(إِذَا ظَلَمْتَ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظَرَةٍ أَثَلَبَ بِهَا مُعْنَى الْمَطْيِ وَرَازِمُهُ) .
 يريد أن للنظر إليها سبب قول الشعر فيها ، والتغنى به فى الطرق .
 وجميع ما يتصرفون به ، ويحدون به ، فتشط الإبل لذلك ، إذ من طبعها أن
 تشط للحناء .

(فَبِنِ تَقَرَّمَ الْأَوَّلَى مِنَ الْأَعْظِ مُهَجَتِي)

بِجَانِيهِ وَالْمُتَلِفُ الشَّيْءُ غَارِمَةٌ .

يقول : لَحَظْتُكَ فَأَهْلَكَتِ اللَّحْظَةُ مُهْجَتِي . قَفَى عَلَى حَقِّ الْحَظِّكَ
أُخْرَى ، قَرَرْتُ عَلَى مَا أَذْهَبَتِ الْأُولَى ، وذلك أن لكل نظرة أنظرها تأثيراً
في ، فإذا قد عديمت المهجة بالأولى ، فعلت الثانية ردّها ، لأن الشيء إذا انتهى
في ضدّ انعكس إلى ضده .

(وَتَكْلِيلَةُ التَّيْشِ الصَّبَا وَعَقِيْبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ)

أى كمال العيش ، يعنى جميع طبقاته ، فأولهن الصبّا : وهو من النشوة
إلى الشباب ، وعَقِيْبُهُ الشباب ، وبعده غائب لون العارضين ، وهو الشيب
مالم يقدّم ، فإذا قسم فقد كمل العيش ، وما بعد الكمال إلا النقص . والماء في
(قادمه) راجع إلى اللون ، ولا يكون راجعاً إلى (غائب) ، فيكون من
إضافة الشيء إلى نفسه ، وليس كذلك إذا كان مضافاً إلى اللون ، لأن اللون
جنس انقسم إلى نوعين : غائب وقادم ؛ والنوع غير الجنس ، فكأنه قال :
ونكحة العيش الصبّا وعَقِيْبُهُ ، وسواد الشعر وبياضه ، لأنه إذا كان البياض
ظالماً ، فالسواد حاضر .

(وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ حَيًّا بَارِقِي فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ)

قوله : (في فائزة) يعنى فائزة ديباج ضربت لسيف الدولة ، والحياهنا :
الخصب ، ويعنى به سيف الدولة . والشام : الناصر .

(إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّمَا تَجُولُ مَلَاكِيهِ وَتَدَايِ ضَرَاغُهُ)

أى هذه الفائزة معوّرة بصورة خيل وأسند ، فإذا مرت به الريح حركت
الفائزة ، فحركت هذه الصور بحركاتها ، فَتَحْتَلُّ أن مدّاكيبها ، وهى انطيل
الصورة فيها تجول ، وأن ضراغها تدّأى : أى تمرّما سريعاً . ومن روى
(تَدَايِ) : أى تهين للشيء لِتَحْتَلُّ . والغراغم : الأسد . واحداً

ضِرْنَم وَضِرْنَام وَضِرْنَامَة . وأن يكون في البيت جمع ضِرْنَم أولى ، لأنه إن كان جمع ضِرْنَام أو ضِرْنَامَة ، ثم (ضِرْنَم) لأن الألف إذا كانت رابطة في الواحد ، صارت ياء في الجمع ثابتة ، إلا أن يُضْطَرَّ شاعر ، كما أنشد حبيويه :

والبكراتِ الفُسُجِ العَطَامَا

وإنما حكمه المطمئنين ، مخفف للضرورة ، فإن يكن ضِرْنَم جمع ضِرْنَم وهي لغة مشهورة حكاهما ابن دُرَيْد وغيره ، أوجه من أن يُوجَّه على الضرورة .

(قَدَّمَلْ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلْ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحُهُ)

(وَمَلْ اللَّقْنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ وَمَلْ حَدِيدُ الْمَهْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ)

ذكر طاهر بن الحسين أن (تُغَيِّرُهُ) في البيت من الغَيَرَة ، يريد أن الصبح يتنار من كثرة ما اتصل فيه ، من قلبه إلى ضمه ، من شدة القتال ، وكذلك الليل أيضا يتنار من ذلك ، لأنه يُصَيِّرُهُ يوماً ، لإظهاره فيه السيوف والرماح ، من ضيائها .

قال أبو الفتح بن جني : أراد تُغَيِّرُ فيه ، مخفف حرف الجر اختصاراً .

وقال في (تَزَاحُهُ) : أي تَسْرِي فيه ، فاستعمل (تَزَاحُهُ) في موضعها .

والهاء في (تَزَاحُهُ) مفعول به ، وليست بمعنى (تَزَاحِم) فيه . وقال الوَحِيدُ : ليس هنا أراد بقوله (تُغَيِّرُهُ) وإنما أراد أنك تسير في بياض الحديد ، من التبييض والدروع ، فكان الصبح يتنار عليه إذا رأى ضياء غيره قد أَلْبَسَ به .

وقوله : (وَمَلْ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحُهُ) : يعني بالغباء ، كأنه ليل آخر

يزاحم الليل الذى هو الظلمة . وقوله : (وملّ حديدُ الهند بما تُلاطِئُهُ) أى تلاطمه بأمثاله .

(قَبَائِمُهَا تَحْتَ الْمَرَاقِي هَيِّبَةٌ وَأَغْذُمَا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهُ)
يريد أنهم يسترون سيوفهم ويخفونها هيبه وخفاة من سيف الدولة .
وعزائمُه أَغْذُمَا من شفار سيوفهم .

(سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزُحِفُ تَحْتَهَا

سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ)

ويروى : (فَوْقَهَا) ، فيكون قوله : (الْعِقْبَانِ) فى أول البيت كناية
عن الخيل ، كما قال :

تَقْلُنْ فِرَاحُ الْقَتْعِ أَنْكَ زَرْهَا بِأَمَانِيهَا وَهِيَ الْمِتَاقُ لِلْعِلَادِمُ
السحابُ : جمع سحابة . وكل جَمْع يَنْقُصُ عن واحد بهاء ، ذلك
تذكيره وتأنيثه ، فأثت فى قوله (تحنها) ، وذكرى فى قوله : صوارمه ، أخذاً
بالأمرين . ولا يمكنه هنا غير ذلك ، لمكان الوزن ، وأن هذا الشعر موصول ،
ليس له خروج ، أعنى أنه ليس بمدهائه حرف لين . وقيل تأنيث هذا النوع
على الجمع ، وتذكيره على الجنس . أى قد حُشِرَت الْعِقْبَانُ فى أفق جيشه ، ثقةً
منها بما يُقْتَلُونَ ، فيكون رزقاً لهذه الْعِقْبَانِ ، كقول الآخر :

وَتَرَى الطَيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثَقَّةً أَنْ سَقَمَارُ

فَالْعِقْبَانُ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ كَالسَحَابِ ، لِكَأَنَّمَا وَاشْتَقَا كَمَا وَلُونَهَا .
والجيش تحت هذا السحاب ، الذى هو من الْعِقْبَانِ ، سحابٌ آخر . فلذا
اسْتَسْقَتْ السحابِ الأعلى يعنى الْعِقْبَانِ ، سَقَّتْهُ صَوَارِمُ هَذَا السحابِ الأسفل ،
الذى هو الجيش ، بأن تضع لها القتل ، فتزل عليها ، فتخسبُ . وجعل الأسفل

يَسْقَى الْأَعْلَى ؛ إِمْرَاجًا ، لِأَنَّهُ بِكَسٍّ مَاجِرَتْ عَلَيْهِ الْعَادَةُ ، مِنْ أَنَّ الْأَعْلَى هُوَ
الَّذِي يَسْقَى الْأَسْفَلَ .

وَقَالَ : (إِذَا اسْتَلَقْتَ) وَإِنَّا الْعِزْبَانِ وَسَاءَ سَبَاعُ الطَّيْرِ مُسْتَطْعِمَةٌ
لِلْمُسْتَشْفِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ السَّحَابَ ؛ وَالسَّحَابُ مُسْقٍ . كَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ فِي
صِفَةِ السَّحَابِ :

تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفُّتْ

وَمِنْ الْحَسَنِ أَنَّ تَكُونُ الرُّوَايَةُ « يَزْحَفُ » عَلَى لَفْظِ التَّلْذِيقِ ؛ وَتَوَلُّةُ
قَوْلِهِ : صَوَارِمُهُ ، فَيَكُونُ ضَرْبًا مِنَ الْإِشْعَارِ . وَجَعَلَهَا تَزْحَفُ لِكَثْرَةِ الْجَمِيشِ ،
كَأَقَالُوا : كَتَبْتُ جِرَارَةً ، أَيْ لَا تَهْدِرُ عَلَى السَّيْرِ إِلَّا رَوِيدًا ؛ لِكَثَرَتِهَا .

(سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى قَلَيْتُهُ)

حَتَّى ظَهَرَ عَزَمُ مُؤَيَّدَاتِ قَوَائِمِهِ)

الِهَاءُ فِي قَلَيْتُهُ : عَائِدَةٌ عَلَى سَيْفِ الْفَوَلَةِ . وَحَتَّى : مُتَعَلِّقَةٌ بِسَلَكْتُ .

فَالْعَنَى : إِنْ عَزَمَهُ قَوَى مُؤَيَّدٌ ؛ فَاسْتَعَارَ أَنَّهُ رَكِبَهُ وَسَلَكَ صُرُوفَ
الدَّهْرِ عَلَيْهِ .

— ٧١ —

وَلَهُ أَيْضًا :

(أَمْزَحُ الْمَجْدَ عَنْ كَتِفِي وَأَحْلِبُهُ وَأَتْرُكُ الْفَيْثَ فِي غَدِي وَأَتَجَمِّعُ)

كَتَفِي بِالْمَجْدِ عَنِ الرِّمَحِ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَى الْكَتِفِ مُعْتَقِلًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ
الْمَجْدُ يُكْتَسَبُ بِهِ . فَهَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِفْهَاءِ عَنْ ذِكْرِ السَّبَبِ بِذِكْرِ الْمُسَبَّبِ .
وَأِنْ شُكَّ قُلْتُ : جَلَّ الرِّمَحُ هُوَ الْمَجْدُ مِبَالْفَةِ . كَقَوْلِهِمْ : مَا زِيدَ إِلَّا أَكَلٌ
وَشُرْبٌ ؛ وَإِنْ شُكَّ : كَانَ الْخَلْفُ ؛ (أَيْ ذَا الْمَجْدِ) وَهُوَ الرِّمَحُ أَيْضًا ،

لإدراك الجعد به . (وأطلبه) : أى أطلبُ أترأ بعد عين . وأترك النيث
 فى غَدَى : يعنى السيف الذى هو سبب خصب العيشة . وليس النيثُ هنا
 ذات السيف . وإنما عَنَى النيث . ولَمَّا ثَنَتْ قَلْتُ : جَعَلَهُ النِيثُ مِبَالَةً ؛
 إِذْ كَانَ سَبَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ وَأَطْلَبُ الرِّزْقَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ الَّذِى لَا يَكْرُمُ
 عَيْشَ وَلَا يَخْصِبُ إِلَّا بِهِ ، كَقَوْلِ النَّبِىِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْخَيْرُ فِي السَّيْفِ
 وَالْخَيْرُ مَعَ السَّيْفِ » .

وأصل الاجتماع : طلب الكلأ . ثم صار كل طلب : نُجْعَةً . وحسن لفظ
 الاجتماع لتقدم ذكر النيث .

(ذَمُّ الدُّمُسْتَقِّ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَمَتْ سُودُ النَّهَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرْعُ)
 أى غرَّت الدُّمُسْتَقَّ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ تَوَهَّمَ جَيْشَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ قَلِيلًا وَهُوَ
 كَثِيرٌ ، فَأَقْدَمَ اغْتِرَارًا بِمَا خَيَّلَتْهُ إِلَيْهِ عَيْنُهُ ، فَذَمَّ عَيْنِيهِ وَلَامَهُمَا إِذْ لَمْ يَخْبِرَاهُ
 بِالْقَيْنِ ، فَتَرِيَاهُ الْجَيْشَ عَلَى مَا هُوَ بِهِ مِنَ الْكَثَرَةِ ، لِأَنَّهُ لَوْ صَدَقَتْهُ لَمْ يُقَدِّمِ .
 وَالْقَرْعُ : قَطْعُ السَّحَابِ لِلتَّفَرُّقِ . يَقُولُ : ظَنَّ الْجَيْشَ قَلِيلًا كَقَرْعِ السَّحَابِ ،
 وَهُوَ كَسُودِ الْقَمَامِ ، وَلَمَّا شَبَّهَ بِالنَّهَامِ السُّودَ ، لِأَنَّهُ أَهْوَلُ مَنَظَرًا ؛ وَلَأنَّ فِيهِ
 صَوَاقِعَ بِلَاغِيَّةٍ ، فَهِيَ أَشْبَهُ بِصَفَةِ الْجَيْشِ مِنْ جِهَةِ الْعَاقِبَةِ وَاللَّوْنِ ، أَلَا تَرَامُ
 قَالُوا : كَتِيبَةٌ جَاوَاءَ وَخَضِرَاءَ وَخَصِيفَ . وَكُلُّ ذَلِكَ إِلَى السَّوَادِ .

فلخيم البيت : ذم الدُّمُسْتَقِّ عَيْنِيهِ حِينَ أَوْهَمَاهُ الْجَيْشَ قَلِيلًا وَهُوَ كَثِيرٌ ،
 فَأَقْدَمَ ، وَكَانَ أَذْهَبَ فِي الصَّنَةِ لَوْ أَتَزَّنَ دُونَ زِحَافٍ — أَنْ يَقُولَ : (فَظَنَّ) ،
 بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ الدُّمُسْتَقِّ ، وَلَكِنَّهُ حَمَلَ الضَّمِيرَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ
 حَوَّلَهُ .

(كَأَنَّمَا تَتَلَقَّاهُمْ لِنَسْلُكِهِمْ فَالْعَلَمُ يَفْتَحُ فِي الْأَجَوَافِ مَا تَسْمَعُ)
 أى كَانَ خِيَلُهُ تَرِيدُ سُلُوكَ عِيَادِهِ ، كَمَا يَسْلُكُ السَّهْمُ الرَّمِيَّةَ ثُمَّ يَمُرُّ ،

فالطعن يفتح في أجوافهم مانع الخليل ، إشدّاةً بالطعن ، وتشبيهاً له . كقول
قيس بن الخطيم :

سَلَكْتُ بِهَا كَفًى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءَهَا
وَأَرَادَ مَا تَسَعُ الْخَلِيلُ ؛ خَفَفَ لِلْفَعُولِ ، لتقدم ذكر الخليل .

(دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقَرِّ طَائِفَةٌ عَلَى نَفْسِهِمُ الْمُقَوَّرَةُ الْمُرْعُ)

أى قد تَنَسَّهَمُ الْخَلِيلُ حَتَّى صَارَتْ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنَ السَّهَامِ الَّتِي فِيهِمْ ،
مِثْلَانِ وَلَيْسَ بِحَقِيقَةٍ ، لِأَنَّ السَّهَامَ الَّتِي فِيهِمْ ، أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَلِيلِ الَّتِي عَلَيْهِمْ .
و (دُونَ الْقَرِّ) : أَى أَنَّ الْخَلِيلَ تَمْتَعُهُمُ الْفِرَارُ . وَقَالَ : (عَلَى نَفْسِهِمْ) ، وَلَمْ
يَقُلْ عَلَى أَبْدَانِهِمْ ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُمْ قَدْ فَاضَتْ عَنْ أَبْدَانِهِمْ ، فَكَانَ الْخَلِيلُ عَلَيْهَا
دُونَ أَجْسَادِهِمْ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : إِنَّ هَذِهِ الْخَلِيلَ تَسْبِقُ السَّهَامَ وَتَقُوتُ حَتَّى تَغْنَى
عَنِ الْقَرِّ . وَيُرْوَى (دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقَرِّ) فَيَكُونُ الْمُقَوَّرَةُ هَلَى هَذَا
الدَّرَجَةِ الَّتِي قَدْ أَخْلَقَهَا التَّدَاوُلُ ؛ حَتَّى حَادَتْ كَالْمُقَوَّرَةِ مِنَ الْخَلِيلِ وَهِيَ الضَّامِرَةُ -
لِلتَّجَرُّدَةِ (الْمُرْعُ) عَلَى هَذَا : الَّتِي قَدْ تَمَزَّجَتْ أَشْلَافُهَا أَى قَدْ تَمَزَّجَتْ كَمَا يَتَمَزَّجُ
اللَّحْمُ أَى يَبْتَدِدُ . فَيَكُونُ لِلْعَنَى أَنَّهُ لَا يَهَيِّمُ الْكُفَى حَرًّا وَلَا بَرْدًا ؛ وَلَكِنْ
هَذِهِ الدَّرَجَةُ لِلْقَوَّةِ . وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَصَحُّ .

(إِذَا دَعَا الْمَلِجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا أُغْطِيَ مُتَفَارِقٌ مِنْهُ أَخْتَهَا الصَّلْعُ)

رُمِحَ أَغْطَى : أَسْمَرُ ؛ وَقِيلَ : ظَلَمَانَ إِلَى الْبَسَمِ ؛ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ؛ إِذْ لَوْ كَانَ
مِنَ الظَّلَامِ لَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يُسَمَّعَ مَهْمُوزًا ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ كَذَلِكَ . إِلَّا أَنْ مِثْلَ
هَذَا الْإِبْدَالِ قَدْ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ كَقَوْلِهِ : (لَأَهْنَاكَ الْمَرْتَعُ) وَلَا حَاجَةَ
بِنَا إِلَى تَوْجِيهِ ذَلِكَ هُنَا ، إِذْ لِلشُّهُورِ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ أَنَّ الْأَغْطَى : الْأَسْمَرُ .
يَقُولُ : إِذَا تَدَاعَى الْمَلِجَانِ لِلتَّنَازَرِ أَوْ تَشَاوَرِ أَوْ تَنَازَعِ ، حَالَ بَيْنَهُمَا رُمِحَ

أعلى يدخل بين الصَّلمين ؛ فيفرج بينهما حتى يتفرقا . و (منه) : أى من أجله . وحسن ذلك للمارقة هنا قوله : (حال بينهما) . وكان من حسن الصنعة لو أترن له — أن يقول : إذا دعا الملاج صاحبه ليوازى به قوله : (أختها الصَّلحُ) ؛ لأن الأخوة والصحبة من باب للضاف ولكنه ذلك أراد ؛ كأنه قال : إذا دعا الملاج صاحبه أو أخاه .

(كَمْ مِنْ حُشَّاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَفْصَحُهَا لِلْبَّاتِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعٌ)
الحشاشة : النفس . وقيل ، هيئتها . والباترات : السيوف القاطمة .
والأمين هنا : القيد ونقى الورع عنه إغراباً بأمين لا ورع له . وإنما سماه أميناً لحفظه على السيف ما استودعه إياه من الأسارى ؛ حتى يردمهم إليه عند القتل فهو أمين لذلك . وليس له ورع ، لأن الورع إنما يكون عن قصد ، والقصد إنما يكون لدى العقل . وكذلك أمانته غير حقيقية . ولو كان أميناً مطلقاً لكان ورعاً إذ لا أمانة إلا بورع .

(يُقَاتِلُ انْخَطَوْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النُّومَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَلِحُ)
أى تقصر خطا هذا الأسير بضيق القيد ، إذا أراد أن يخطو . ويطرد النوم عنه ترثم حلقه كقول أبى نواس :

إذا قام فنته على الساق حَلَقَةٌ لها خَطْوُهُ عند القيام نصير

والمقاتلة والطراد فى البيت مستعاران .

(قل للذُّمِّسْتَقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا)
خيانتهم إياه : خلافهم له ؛ بسعيهم الى النهب وأسلاب المدد والمزوهين .
وإسلامه لإمام له : تركه الطلب بثأره ؛ أو رضاه لم ناكل بهم .

(وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِهِمْ كَأَن قَتَلْتُمُوهُمْ)
 أى خافوكم ؛ فأتوا نفوسهم فى دماء قتلاكم ؛ لتحصيهم منهم ، فتجافوا
 عنهم ؛ وكأنهم هم المنجوعون بقتلاكم ، يلقون أنفسهم عليهم كاللقاء المنجوع
 نفسه على التتيل تأسفاً . وقيل : كان المسلمون يأتون قتلى الروم يتغلبونهم ؛
 فينظرون من به رمق فيقتلونه ، فيبنيهم كذلك أكب عليهم المشركون
 يقتلهم .

(تَشْتَكُمُ بَفَتْهَا كُلُّ سَلَمَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ)
 (بفتها) : أى بفارسها . ذهب فى لفظ الفتى الى الرفع من شأن الفارس ؛
 كقولهم : (أنت الفتى كل الفتى) لا يذهب به الى فتاء السن : لكنه
 كقولك : أنت الرجل . تمدحه بالعصر والثبات والنجدة ، لا تعنى به الرجولة ،
 التى هى الذكورية (والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع) . ذهب قوم الى أنه
 عنى أن التتلى أكثر من الناجين . وهو لمرى قوبل والذى عندى أنه لم يعن
 بذلك الكم ؛ وإنما عنى أن الضرب يأخذ النفوس ، ويدع الأبدان ؛ والنفس
 فوق الجسم فى لطف الجوهر ؛ وشرف العنصر . فهذا معنى قوله : ما يدع .
 لا الكية التى ذهب اليها أولاً .

- ٧٢ -

وله أيضا :

(يَرُدُّ يَدَا عَنْ قَوِيهَا وَهُوَ قَادِرٌ . وَيَمْنَعُ الْمَوَى فِي مَلِكِيهَا وَهُوَ رَاقِدٌ)
 (يرد يدا عن قويا) : كناية عن العفاف . والثوب هنا : يجوز أن يعنى
 اللباس ؛ وأن يعنى بعض طوائف جسمها ؛ كقول الآخر :

خَرَقُوا جَيْبَ فَتَايَهُمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلِ
 قيل : يعنى بالجيب القبل . قوله (وهو قادر) : أى متمكن بها ، لا يتنى

رفيقاً لأن ذلك في النوم وأثبت لنفسه قدرة في نومه لأنه قد تنهياً للنائم أفضل
 اليَقِظ وإن كانت غير مقصودة، وقد قيل : إن قوله (يرد بدا عن ثوبها وهو
 غادر) : ان هذا إنما هو في اليقظة . وإنما أراد وهو يقظان فلم يترن له ، فكسى
 بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أن قادراً مقلوب لفظ
 راقد . فأنايب المقلوب في المقابلة مناب الضد الذي هو يقظان . (ويعنى الموى
 وهو راقد) : أى أنه يملك نفسه عن شهوته في حال النوم . وتلك حال لا يظلب
 فيه عقل شهوة ، لأن التصصيل حينئذ عازب ؛ فهو يَتَقَرَّبُ بتالكه عن
 محبوبه في حال الرقاد .

وجملة معنى البيت : انه اعتاد العفاف في يقظته ؛ كقوله هو :

وترى المروّة والفتوة والأبوة ةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ صَرَاحِهَا

فإذا رأى الطيف أراه النوم ما تعود من العفة في اليقظة فنف ، فإن ذلك
 من خلق النفس كثير . أعمى أن ترى في حلمها ما تعودته يَتَقَلَّى ؛ ولذلك علة
 ذكرها حذاق القلماء جالينوس وغيره . والطيف قتل من طاف يطوف الآ أنا
 لم نسمع فيه طوفاً . وقد يكون (فعلاً) من طاف بطيف ؛ سُمي بالمصدر ،
 لأن طاف يطيف عندنا من باب باع يبيع واسع ولا أحمله على ما ذهب اليه
 الخليل في طاح يطيح قياساً عليه ؛ لأن باب باع يبيع واسع كثير .

وباب « طاح يطيح » قليل ، لا يوجد لما أخت إلا تاهُ بيقه في لغة من قال :
 تَوَهَّته . وحكى أبو زيد : مَأَت الرَكِيَّةُ تَمِيه وهو من الواو فهي ثالثة « لَطَّاحَ
 وتاه » على قول الخليل :

مُخَضَّبَةٌ والقومُ صَرَحَى كَأَنَّهُمْ وإن لم يكونوا ساجدين مَسَاجِدُ
 أى هذه البلاد مُخَضَّبَةٌ ، الدعاء فيها جارية والأشلاء مُنْكَبَّةٌ وَمَبْطُوحَةٌ
 فكأنها مساجدٌ مُخَلَّقةٌ لانكباب القتل وإن لم يكونوا ساجدين .

(نَفَسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ وَتَطْمَنُ فِيهِمُ الرِّمَاحُ لِلسَّكَايِدِ)

نفسهم : قلبهم على رهوسهم . فيقول : من شأن نفسك لم عن متون خيلهم وهم رُكبان لها . فلما تركوا الخيل ، وركبوا الحصون والقلاع وقُتِنَ الجبال مكان الخيل ؛ فلم يمكنك تفكيكهم بالرمح حينئذ ، كما كنت تفكسهم به فرسانا ، أفت كيدك لهم مقام الرمح فكستهم عن الجبال به . وقوله : (والرماح للسكايد) : أى للسكايد هى التى أظمت مقام الرماح لأنك وصلت بالسكايد إلى مثل : ما كنت واصلاً إليه بالرمح . وقد أجاد فى تطبيقه قوله : (والسابقات جبالهم) بقوله : (والرماح المكاييد) .

(فَتَى يَشْتَهَى طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ تَضَيِّقُ بِهِ أَوْقَانَهُ وَالْمَقَاصِدُ)

أى همته يقصر عنها الدهر فهو يشتهى طول الدهر ليسع همته ، وجيشه عظيم تضيق عنه البلاد فهو يشتهى أن تسع البلاد وتطول لتحمل همه . فالأوقات أزمنة تضيق من همته وللمقاصد أمكنة تضيق عن جيشه . وفى البيت حذف . وتماه — لو ائرن — فتى يشتهى طول البلاد لجيشه وسعة الأوقات لهمته فهت تضيق عنها الأوقات وجيشه تضيق عنه البلاد .

(أَحْيِكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَأَمْنَى فَيْكَ الشُّهُا وَالْقَرَارِدُ)

جعله شمس الزمان وبدره ليخبر عنه بكمال النورية وأنه يعم الليل والنهار بضوئه وهذا أحسن . لأن المدوح موجود نهاراً وليلاً فهو للنهار شمس وللليل بدر ، واختار للبدر لأن القمر ربما لم يُقن ضوؤه كبير غناه مع ما آثره من الوزن . وجل غيره من الأملاك بالإضافة إليه شهاً وفراقد . ولا خفاء بما بين الشمس والبدر وبين الشه والفرائد من المراتب فى الثور . فيقول : أنا أحبك أيها الملك الذى هو فى الملوك كالشمس والبدر فى النجوم اعظم تمك وجسامه

فناثك في نوعك وإن لآتى فيك أملك ؛ هم في الملوك كالسها . والقراقد في الكواكب فكيف أطيع من هو كالسها والقراقد فيمن هو كالشمس والبدر وهما مُنَيَّان عن السها والفرقدين . بل أحدهما مفعن عنهما . والسها والفرقدان لا يتجزءان منها ولا من أحدهما وقال : (والقراقد) . وإنما هو (الفرقدان) لأنَّ جمعهما ، بما حولهما ، أو هل أنه جعل كل جزء منهما فرقداً وقد فلت العرب ذلك قبله كثيراً كقوله :

ودونَ الجَدَى المأمولِ منك القراقد

وحكى سيبويه : أنهم يقولون للبعير (ذو هنانين) جلاوا كل جزء منه هُنُونًا . وقال جرير : أنشدته سيبويه :

قال الموائلُ ما لجهلك بعدما شابَ المفارقُ واكتسَبَ قَتِيرًا

— ٧٣ —

وله أيضا :

(يحيدُ الرمحُ عنك وفيه قصْدٌ وَيَقْصُرُ أن يَنَالَ وفيه طَوْلُ)
أى هيئتكَ في فؤادِ القِرْنِ تَحْذُلُ يده فيعيد رمحَ عنك مهابةً لك بد أن
سَدَّه وَيَقْصُرُ الرمحُ أيضاً أن يَنَالَكَ هذا القِرْنُ به حَلَرَه إقدامك عليه وإن
كان طويلاً . وإنما يعنى بطول الرمح السمل به وجودة التصريف له
لا الطول الذى هو ضد القِصَر . لأنَّ الطَوْلَ عيبٌ وذلك أن الرمح إذا كان
طويلاً خَانَ قَصَصَ .

— ٧٤ —

وله أيضا :

(شَقْنٌ لِيَحْمِسَ إلى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّقُونِ إلى نَزَلٍ) .
الشُّقْنُ : النظر من فوق إلى أسفل . (لحمى) : أى بعد حمى بين يوم
وليلة . والعرب تُتَلَبُّ في مثل هذا المؤنث على المذكَّر ، لسبق الليلة في
تاريخ الشهر .

أَي رَكِبْتَ فُرْسَانَكَ خِيَلَهُمْ إِلَى عَصَاهُمْ وَطَوَّأَ عَلَيْهَا الْمَارِحَةَ لَيْلًا وَنَهَارًا
فَمَا نَزَلُوا عَنْهَا حَتَّى هَجَمَتْ بِهِمْ عَلَى مَطْلُوبِهِمْ . فَكَانَ نَظَرُهُمْ إِلَى مَنْ
طَلَبَهُ مِنَ الْمَدُونِ قَبْلَ نَظَرِهِمْ إِلَى نَازِلِ عَيْنٍ . أَيْ لَمْ يَنْزِلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْهَا
فَتَنْظُرَ إِلَيْهِ . وَإِنَّمَا أَحْرَكُوا مَا طَلَبُوهُ ثُمَّ كَانَ التَّزْوِلُ بَعْدَ ذَلِكَ .

(فَأَقْبَلْنَ يَنْحَرْنَ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْمَاسِلِ)

يَنْحَرْنَ : يَنْفُلْنَ وَيَتَحَوَّزْنَ قَلْبَتِ أَلْوَا أَلْقَا لِفَتْحِ مَاقِلِهَا ، فَانْفَضَى
بِذَلِكَ سَاكِنَانِ لِحَذْفِ الْأَوَّلِ لِفَتْحِهَا . أَيْ كَانَتْ خِيْلُ عَدُوِّكَ أَمَامَكَ
وَهَوِيَ آخِرُهَا مِنْ خَوْفِكَ . وَهِيَ يَبْلُوكُ وَيَبْنُو نَوَافِرَ . فَاقْتَضَى الْبَيْتُ ثَلَاثَ
تَشْبِيهَاتٍ اخْتَصَرَهَا بِأَنْ رَدَّهَا إِلَى اثْنَيْنِ وَشَرَّحَ ذَلِكَ أَنَّهُ شَبَّهِ الْمَدُوحَ
بِالْمَاسِلِ وَعَدُوَّهُ بِالْمَسَلِ الْمَطْلُوبِ لِلتَّوَرِّ وَمَحَابِهِ بِالنَّحْلِ الَّتِي يُفَرِّغُهَا الْمَاسِلُ
لِيَصِلَ إِلَى الْمَسَلِ الْمَطْلُوبِ . وَعَنَى بِالنَّحْلِ هُنَا : أَحْبَابُ الْخِيَلِ . وَاقْتَضَى مِنْ
تَشْبِيهِ عَدُوَّهُ بِالْمَسَلِ لَفْظًا لِأَنَّ كَلَامَهُ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَهُوَ مِنْ حُسْنِ دَلِيلِ
الْخَطَابِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَاسِلٌ وَنَحْلٌ فَهَنَّاكَ عَسَلٌ لِاعْتِلَاقِهِ ، وَقَوْلُهُ : (يَنْحَرْنَ
قُدَامَهُ) : أَيْ يَنْحَازُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

(وَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْمُسْتَعِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْبَائِلِ)

السَّكَاذَةُ : لِحَمِ الْفُخْدِ أَقْبَهُ مُنْقَلِبَةً عَنْ وَادٍ . فَالْوَا ثَوْبٌ مَكُونُودٌ : بَلُغُ
السَّكَاذَةِ . وَالْمُسْتَعِيرُ : الْفَرَسُ الْمُنْفَرِ ، بِنَاهٍ عَلَى اسْتِغْلَالِهِ لِأَنَّهُ طَلِبٌ ، وَالطَّلِبُ
يَأْتِي عَلَى اسْتِغْلَالٍ كَثِيرًا عَلَيْهِ بَنَى سَبِيحُوه بِأَبِ اسْتِغْلَالٍ .

يَقُولُ : قَدْ تَفَرَّجَ مَا بَيْنَ أَنْفَازِ الْخِيَلِ بِالرَّكْضِ ، كَمَا يَنْفَرُجُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا
تَفَارَجَتِ لِلْهَوْلِ أَيْ فَضَعَتْ أَنْفَازَهَا .

(فَقُلَّيْنِ كُلُّ رُدَيْنِيَةٍ وَمَصْبُوحَةِ ابْنِ الشَّامِلِ)

يقول : إن خَيْلَ سيف الدولة تقيت مع الخارجى بعد جهدهما أشدَّ
الأعراب الذين يَقْدُونَ الخيلَ السكرام التى تُؤَثَّرُ باللبن عند قِلَّة . وتقيت
جَيْشًا (الخارجى من الأعراب يقاتل) على ناقة قد تيقن استهلاك أصحابه
دونه . فأعرض عن ركوب الخيل ووصفه بحاله فى كَيْدِهِ ودَعْوَاه .

إنما السائلُ بغير هاء : اللّاقح ، وبالماء : التى خف لبنها . والخيل إنما
تقضى بلبن الشائلة لأن اللب إذا خف مرّاً ونجم وإنما أراد هذا الشاعر
الشائلة فضف الهاء للضرورة .

والمصبوحة : المستقى المصبوح وهو ما اصطُح بالفضاء حارّاً . أى كل
قناة رُدينية وفرس مَلْبُونَةٌ وهى أقوى الخيول . أنشد سيبويه :

لا يحمل الفارسَ إلا الملبُونُ اللّخض من ألاميه ومن دُونِ
(وَلَمَنْ يَجْمَعُ شَذَانَهُمْ كما اجتمعتْ دِرَّةُ الحافلِ)

« شَذَانُهُمْ » : مَنْ شَذَّ مِنْهُمْ . والدَّرَّةُ : اللب يجمع فى الضرع .
« والحافلُ » : إما أن يكون جُملةً فيضى به الناقة فيكون من باب ناقة
يلازل أى من المؤنث التى لاهاه فيه . وإما أن يكون جزءاً فيضى به الضرع
وهو عندى أجود لأنه موضع تحمل اللب . ومعنى البيت : أنه متى
طَلَعَتْ كل طعنة عظيمة تجتمع المتفرقين على صاحبها ، تعجباً من سعتها ، كما
تُجْمَع الدَّرَّةُ فى الضرع المُحْفَل كقول الشاعر :

تركتُ بنى الهُجَيْمِ لهم دَوَارُ إذا تَمْضَى جماعتهم تَمُودُ

والدَّرَّةُ فى الدر كالحلية فى الخلى . أعنى أن هاء التأنيث تصابب الفتحة .
ومثله بَرَكَ وبركة وهى الصمد . وحَبَّ وحبة وهى بذور الصحراء .
(وَأَنْبَتَ مِنْهُمْ ربيع السَّبَاعِ فَأَمْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ)

أقام الأشلاء السباع ، مقام الربيع للماشية . والأول (ربيع السباع) إنما

هو على المثل كما قيل : فلا يَرَعَى في لحوم الناس . يقول : أقيتَ لها
 الأشلاء فأخصبت كما تخصب السَّوام في الربيع . ونحوه قوله :
 وأصبحت بِقَرَى هَرِيظَ جَانِلَةٍ تَرعى الطُّبَا في خصب نبتة اللَّحْمِ
 يَعْنِي الرُّوس جعلها خصيبة إشعاراً بأن أصحابها شُبَّان . وقوله :
 (فأننت — بلحسانك الشَّامِلِ) : مبالغة وإفراط ومذهب شعري غير
 حقيقي . لكن يقول : إن السَّباع قد اعتادت ذلك منهم حتى عَقَلَتْ أَنَّهُ من
 لدُّنُه فَشَكَرَتْ لذلك .

(وَكَمْ لَكَ من خَبَرٍ شَاعِرٍ لَهُ شِيعَةُ الْأَبْلَقِ الْحَائِلِ)
 أى خبرك مشهورٌ ظاهر شهرته كشهرة الأَبْلَقِ الجائل . وذلك أن الأَبْلَقِ
 مشهورٌ في موضعه . فإذا جال كان أشهره ، لأنه يُعرف في مواضع . وكذلك
 خبرك سائر مشهور في كل موضع .

— ٧٥ —

وله أيضا :

(وَاهُ — وَإِنْ وَهَبَ لِلْمَلِكِ — مَوَاهِبُ)

دَرُّ الْمَلِكِ لَدَرُّهَا أَغْبَارُ)

التَّيْرُ : بنية اللبن في الضرع . فيقول : هباتك كأول الدر ، وهبات الملوك
 كبقايا اللبن بعد الحلب . وأوضح من هذا أن يقول : إن مَوَاهِبَ لِلْمَلِكِ
 وإن كَثُرَتْ وَغَزَزَتْ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَوَاهِبِكَ ، كالتَّيْرُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الدَّرِّ الَّذِي
 هو أَخْزَرُ اللَّبَنِ ؛ فهذا أبيض . والأول وجيه . وَاللَّامُ في قوله (لَدَرُّهَا) بمعنى
 إِلَى : أى درها بِالإِضَافَةِ إِلَى درها . وقوله : (دَرُّ الْمَلِكِ لَدَرُّهَا أَغْبَارُ) :
 جملة في موضع الصفة للنكرة . فكأنه قال : وله مَوَاهِبُ دَرُّ الْمَلِكِ لَدَرُّهَا
 أَغْبَارُ . وَإِذَا رَدَدْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ إِلَى الْمَرْدِ ، فكأنه قال : وله مَوَاهِبُ فَاثِمَةٌ .

وقوله : (وإن وهب الملوك) : معناه : أجزّل الهبة . فهذا يُحسن معنى البيت .
ويدلّك عليه قوله : (دَرَّ الملوك) قد أوضح ما أَراده في قوله : (وإن وَهَبَ
الملوك) ولا يكون وَهَبَ هنا مجردة من معنى التزّارة لأن الممدوح إذا فاق
واهباً غير مُجَزَّل ، لم يك ذلك فضلاً إنا فضله أن يفوق المُجَزِّلين .

(وَيَبْدُونَ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْفَعِي الْمَطِيئُ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ)
أى بأقل من هذا الوداد الذى أضمره لك تعمل المطي فى الأسفار إلى المودود
حق تنفعى ، فيقرب بلك ما كان بعيداً . وذلك أن الشوق يحمل على احتينات
المطي وإغذاذ السير كقول الشاعر :

كَأَن عَلَيْهَا سَائِقًا يَسْتَعِثُّهَا كَفَى سَائِقًا بِالشَّوْقِ بَيْنَ الْأَضَالِعِ

وقال :

وَعَوْدٌ قَلِيلٌ اللَّذْبُ عَاوَدَتْ ضَرْبُهُ . إِذَا هَاجَ شَوْقٌ مِنْ مَعَاهِدِهَا كَبِيرُ
وَالْمُسْتَارُ : مُفْتَعِلٌ مِنَ السَّيْرِ . أى : يقرب الموضع الذى يسار إليه .

— ٧٦ —

وله ايضا :

(وَكُنَّا تَطْلُعُ الْبُودُورُ عَلَيْنَا وَكُنَّا تَقَلُّقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ)
أى إن همتك لا تستقر لأن شيمتك الحركة كما أن البدر شأنه الحركة دائماً
كلما غاب من موضع طلع على آخر وكذلك البحر يتعّوج فلا يستقر . وكفى
بالتلق عن التعّوج لأن التلق ضد الطمأنينة والاستقرار . و (كذا) : مجرور
في موضع نصب . أى مثل طلوعك تطلع البُودُور ومثل قلقك تلقى البُحُور ومثل
طلوعه بطلوع البدر وقلقه بقلق البحر إشاراً أن الممدوح كالبدر جالاً وكالبحر
غزواً . وقوله : (العظام) : مؤازرة للبُودُور لأنه لو قال البُحُور ولم يذكر العظام
لم يك مطابقاً للبُودُور ، ففهمه .

(والَّذِي يَضْرِبُ الْكِتَابَ حَتَّى تَتَلَقَّى الْفَهَاءَ وَالْأَقْدَامُ)

الفهاق : ما يلي الرأس من حَرِّ العُنُق . وقيل الفهقة : مَوَاصِلُ الْأَعْنَاقِ فِي
الرُّومِ أَيْ يَنْقُصُ الْأَعْضَاءَ وَيَضَعُهَا ، حَتَّى يَلْتَقِيَ طَرَفَا الْجِسْمِ عَلَى بَعْدِ بَيْنِهَا .
وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ : يَضْرِبُ الْهَامَ ، فَتَسْقُطُ عَلَى الْأَقْدَامِ .

(فَكثِيرٌ مِنَ الشَّجَاعِ التَّوْقِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ الْكَلَامُ)

أَيُّ هَيْئَةٍ تَرُوعُ قُلُوبَ ذَوِي النُّجْدَةِ وَقُلُوبَ ذَوِي الْبِلَاغَةِ لِأَنَّ هَذَا
الْمَدْحَ شَجَاعٌ بَلِيغٌ قَدْ بَلَغَ النَّايَةَ فِي الْفَضِيلَتَيْنِ ، فَأَبْدُ غَالِيَاتِ الشَّجَاعِ وَأَعْلَى
مَنَازِلِهِ أَنْ يُحَسِّنَ التَّوْقِيَّ مِنْ هَذَا الْمَدْحِ وَلَا يَحْدِثُ بِالظُّهْرِ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ
مِنْهُ سَفَهٌ رَأَى . وَأَبْدُ غَالِيَاتِ الْبَلِيغِ أَنْ يَقْدِمَ فَيَسْلُمَ عَلَيْهِ وَلَا يَتَحَدَّثُ بِإِسْهَابٍ
فِي غَضَابِهِ وَلَا إِطْنَابٍ . وَهَذَا فِي أَسْلُوبِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَفْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْقَسِمُ

وَلَأَيُّ الْعَلِيبِ فَضْلُ ذِكْرِ الشَّجَاعَةِ وَالْبِلَاغَةِ فِي يَتِّ وَاحِدٍ وَإِفْرَادِ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَ الْفَضِيلَتَيْنِ بِمَصْرَاعٍ .

— ٧٧ —

وله أيضا :

(ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا)

يَصِفُ خَيْلَ الرُّومِ . وَذَلِكَ أَنَّ سَرِيَّةَ الرُّومِ رَأَتْ جَيْشَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ
فَطَلَّتْ جَيْشَهَا فَهَمَزَتْ مَحْوَهُ تَرِيدُ اللَّحَاقِ ، فَتَبَيَّنَ لَهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِقُوا أَنَّهَا خَيْلُ
الْإِسْلَامِ ، فَانْصَرَفُوا هَارِبِينَ عَنْهَا مُجَدِّدِينَ يَضْرِبُونَهَا بِالسَّيَاطِ لِلْإِدْبَارِ كَمَا يَضْرِبُونَهَا
لِلْإِقْبَالِ . وَ« عَنْ » هَاهُنَا : لَمَّا عَايَا الشَّيْءَ أَيَّ مَبْعُودِينَ عَنَّا لَهَا . وَقَوْلُهُ :
تَعَارَفْنَا : أَيَّ افْتَرَقْنَا فَمَرَفْنَا وَعَرَفْنَا .

(وإن كنت سيف الدولة المصنَّب فيهم
فدعنا نكنُّ قَبْلَ الضَّرَابِ القَنَا اللَّدَنَ)

اللَّدَن : اللين . ذكَّر على اللفظ لأن القنا وإن كان جمع قناة فلفظه لفظ
المذكر وما خرج من الجميع على هذه الصورة جاز تذكيره وتأنينه . يقول :
إن كنت أنت سيف الدولة والسيف أشرف السلاح ، وهو المستنك به
إذا أشد البأس ، لأن الرماح والسهام قد فئت فعدنا نحن حينئذ رملحا
وقدَّمنا ، فإذا فئنا أو قاربنا ذلك فكن أنت سيف الدولة الذى يكون به
الضَّرَاب إذ لا يباشر ذلك إلا مثلك . وهذا نحو قول الآخر .

فلسا لم تَدْعَ قَوْسًا وسَهْمًا مَشِينًا نَحْنُ وَمَشُوا إِلَيْنَا

— ٧٨ —

وله ايضا :

(اخترت دهماً تئين بأمطرٍ ومَنْ له فى الفضائل الخيرُ
أراد دهماً هاتين القرسين ، فاكتفى بالإشارة من التنبيه بقول العرب :
تا ، وهانا ، وتى ، وهاتى . وقوله : بأمطر : يخاطب سيف الدولة جعله مطراً
بوجوده . (ومن له فى الفضائل الخيرُ) : عطف على قوله : (بأمطر) والخيرُ :
جمع خيرة وهو الشيء المختار . أى له من الفضائل أشرفها ، أو من نوع كل
فضيلة أشرفه . أراد ومن له من الفضائل الخير فوضع « فى » موضع « من » ؛
والفضيلة : الخصلة التى يستحق بها الفضل ، وضدّها الرذيلة .

— ٧٩ —

وله ايضا :

(حصانٌ مثلُ ماءِ المزنِ فيه ككُومُ السَّرى صادقةُ المقالِ)
أى هذه المرأة حصان طاهرة هية من الشوب كماء المزن فى المزن

قبل انحطاطه إلى الأرض ومُتَارِجَتَهُ طَبِيعَةَ التُّرابِ . فالهاء في قوله (فيه) :
 راجعة إلى التُّزْنِ . كَتَوَمُّ السَّرِّ : يعنى محاسن خُلُقِها وخُلُقِها ؛ وكتبها إياه : صوتها
 له حتى لا يُطْلَعُ عليه منها . ولما كَثُرَ بالسَّرِّ عن المحاسن الخُلُقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ
 كفى عن صوتها بالكتمان . وكأنه إنما سَمِيَ ذلك سرًّا لأنه مما يجب ألا يُعرف
 من النساء . (صادقة المقال) أي لا تَدْخُلُ في رِيبة فصحاح إلى احتمال التأويل
 والتحصيل للاعتذار، ولكنهما أحسنه الخفايا سائلة الإرادة، فصدقها يُفْنِيها عن التماس
 الكذب . وإن شئت قلت : وصفها بصدق المقال مُطْلَقًا لأن ذلك من أجل
 ما يُمدح به ولا حفاء بزية الصدق .

(فَلَا غِيْضَ يَحَارُكَ يَا جَمُومًا . عَلَى عِلَلِ الْغَرَائِبِ وَالِدُخَالِ)
 بحر جَمُوم : كثير الماء ، وكذلك البئر . والدُّخَالُ : أن تَدْخُلَ بعيرا
 قد شرب بين بعيرين لم يشربا . والغرائب : الإبل الواردة حياض غير
 أهلها فهي مدفوعة عنها ممنوعة دُونَهَا كقول الحجاج (ولأضرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ
 غَرَائِبِ الْإِبِلِ) وغيضت ، قصت غاض الماء وغيضته وفي التنزيل .
 ﴿ وَغِيْضَ الْمَاءِ ﴾ والمَلَلُ : الشرب الثاني من النهل . فيقول : لا غِيْضَ
 بحارِك : أي لا قَصْرَ جودك عن كثرة من يَرِدُهُ من الغرائب وذوات الدُّخَالِ
 وكلاهما نوع غير مستحق للورود، فكفى بهم عن لا يستحق جود هذا المدوح .
 وإن شئت قلت : كفى بهما عن المقيمين والطارئين عليه . أي عمَّ جودك للفرقين .
 يدعوه بذلك .

— ٨٠ —

وله أيضا :

(بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ)
 وهذا الذي يُضَيِّ كَذَاكَ الذي يُبْنِي)

منك : أى من أجلك . تحذيره : بنا فوق الرمل من الحزن بك والأسف عليك ما يُنْحَفُنا ويُضْنِننا كما بك فى الرمل . إلا أن هذا لنا مُضِنٌ وذاك مُبْلٍ وكلاهما مشبهان فى أن عملهما التَّنْقِصُ والتَّسَادُ إلا أن حالك البلى وحالنا الضنى وقال : (وهذا الذى يُضْنِي) فأشار إلى الضنى إشارة التَّوْبُّ لأنه مُشَاهِد . وقال : (كذاك الذى يُبْلِي) : فأشار إلى البلى إشارة البعد لأنه مُتَغَيِّبٌ عنه .

(تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا)

دُمُوعُ تَذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ

هؤلاء النوائى كُجِّلَ الْأَعْيُنُ كَعَدَلًا طَبِيعيًا . وَالكَحْلُ الطَّبِيعِيُّ يَزِيدُهُ الْحَسَنَ حَسَنًا لِأَن كُلَّ طَبِيعِيٍّ يُقَوِّيةُ الْمَكْتَسَبُ لِلشَّائِلِ لَهُ ، فيقول : إِنْ دُمُوعُ الْفَانِيَاتِ الْكُحْلُ لِلْمَكْتَعَلَاتِ فَتُضِلُّ الْكُحْلُ الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي حَسَنِ الْكُحْلِ فَيَزُولُ حُسْنُ الْكُحْلِ وَيَبْقَى حُسْنُ الْكُحْلِ قَدْ زَالَ الْحُسْنُ الْأَكْتِسَابِيُّ الَّذِي كَانَ زِيَادَةً فِي الطَّبِيعِيِّ فَتَقْصُ الْحَسَنُ مَا كَانَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ لِلْمَكْتَسَبِ مَوْجُودًا مَعَ الْفَانِي ، وَكَانَ اتِّمَاعٌ هُوَ الَّذِي أَذَابَهُ وَقَصَّه . وَلَا يُكْنَى فِي حَدِّ الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصُ الْحَسَنِ بِالْإِذَابَةِ لِأَنَّ الْحُسْنَ عَرَضٌ فَلَا يَذُوبُ وَإِنَّمَا تَذُوبُ الْجَوَاهِرُ ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ زِيَادَةُ الْحَسَنِ بِالْكَحْلِ وَكَانَ الْكَحْلُ جَوْهَرًا اسْتَجَازَ لِإِقْنَاعِ الْإِذَابَةِ عَلَى الْعَرَضِ الْحَادِثِ عَنْهُ فَتَفْهَمُ .

(تَبِلُ الثَّرَى سُودًا مِنَ الْمَسْكِ وَحَدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ مُخْرَأُ عَلَى الشَّعْرِ الْجَبَلِ)

أَيَّ بَكَيْنٍ دَمْعًا مَشُوبًا بِدَمٍ لِإِنْرَاطِ الْحَزَنِ عَلَيْكَ تَقَطَّرَتْ خُثْرًا وَوَقَعَتْ عَلَى الدَّوَائِبِ لِلنَّشُورَةِ عَلَى الْخُطُودِ لِلْحَزَنِ وَفِيهَا أَفْوَاهُ الْمَسْكِ فَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ سُودًا بِالسَّكِّ وَحَدَهُ دُونَ الْكُحْلِ لِأَنَّ الْكُحْلَ قَدْ أَذَابَهُ الدَّمْعُ وَأَسَالَهُ .

وَقَالَ (تَبِلُ الثَّرَى) : فَأَشْعَرُ بِأَنَّهَا خَرَقَتْ الْأَرْضَ لَشِدَّةِ وَقُوعِهَا وَغَزَارَتِهَا حَتَّى رَسَخَتْ فِي الثَّرَى .

(الْأَسْتِ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ رَمَحَهُمْ نَدَّاهُمْ وَمِنْ قَتْلَانِمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ)
لما استعار لبخل مهجة مقتولة و جعلها إحدى قتلاهم ، وكان البخل إنما
يُقتل بالندي ، جعل ندام رُحماً يُقتل به البخل . وقيل : من رماهم ندام :
أى يحدون بما أظمت عليهم رماهم . والأول أولى لقوله : ومن قتلاهم مهجة
البخل . وقوله : « مهجة البخل » : تفلسف لأنه إذا قتلت المهجة والمهجة قوام
المقتول أغنى ذلك عن وصف الجملة بالقتل . وهذا منه احتيال مليح للتورية
إعراب الزوى . وليس لبخل مهجة . إنما المهجة للحيوان فاستعاره وسهل ذلك
حين استعار القتل للبخل . وقال : (أست) . فأخرج اللفظ مُتَخَرِّج الاستفهام
ومعناه الإثبات والتقرير كقوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ قال جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لِلطَّيَا وَأَنْدَى الْعَالَيْنِ بَطُونٍ رَاحِ

فعناه أنت من القوم الذين شأنهم كذلك كما أن معنى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ :
أنا ربكم . ومعنى (أستم خير من ركب المطايا) : أنتم خير من ركب المطايا .
(وَيَبْتَنِي عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرْدُ عَلَى الْعَقْلِ)
أى إذا نزلت بك الملمات قُبَّتْ من صبرك وتبين من جللك ما يزيدك
فى النفس جلالاً لأن ذلك عين الخير والمِحنة ، كما أن السيف إذا أخذ منه الصقل
جلا عن جوهره الذى كان يخفيه منه الصدى فازداد شرفاً بذلك ؛ ولذلك
قالوا : خرج منها كالشهاب . أى بين الفضل واضح الشرف . وقابل الحوادث
بالصقل لأن ذلك كله رَوْزٌ واختيار وداعية إلى الوقوف الصحيح من
الشيء .

(بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَدَا مِنْ بَنَدِ حَمَلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمِّ لَانُطَرُوفُ بِالْحَمَلِ)

يعنى أنه عاد من بعد الحمل الذى تبمته الولادة إلى بطن أمه لانضع حملها

يعنى الأرض لأن من تضمنته لا يخرج منها إلا إلى الحشر فجعل تضمينها له كالحمل به ، ونفى عنها التطريق الذى هو ضد الحمل وكل ذلك مستعار .

(وَمَا لِلْوَتِّ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْتَبِي بِلَا رِجْلٍ)
 قوله (: دق شخصه) : كلام شعري لأن الموتَ عَرَضُ والعرض لا يُشَخَّصُ ، إنما التشخيص للجواهر . وقد يُتَجَوَّزُ بِالْعَرَضِ الْحُسُوسُ كالجرة والصفرة . فأما الأعراض النفسانية فلا تُشَخَّصُ وسوغه ذلك قوله فيه (سَارِقٌ) لأن السارق لا يكون إلا شخصاً ، فلما نسب إليه صفة لا تكون إلا فى الجواهر ، وهو السَّرَقَ استعاره التشخيص . (يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْتَبِي بِلَا رِجْلٍ) : أى أنه عَرَضُ والعَرَضُ لَا يَدَّ لَهُ وَلَا رِجْلَ .

(يَرُدُّ أَبُو الشَّجَلِ الْخَمِيسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوَلَادَةِ لِلنَّمْلِ)
 يَقْدِرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي أَنَّهُ لَمْ يَطْلُقْ دَفْعَ الْمَنِيَةِ عَنْ ابْنِهِ . يَقُولُ : إِنِ الْأَسَدَ يَرُدُّ الْخَمِيسَ عَنْ شِبْلِهِ وَذَلِكَ لِكَبَرِ أَجْرَاهُمْ وَعَظَمِ أَشْخَاصِهِمْ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ يَوْلَدِ النَّمْلِ تَأْكُلُهُ إِذْ لَا يَطْلِقُ دَفْعَهَا عَنْهُ لِذَلَّةِ أَشْخَاصِهَا فَكَذَلِكَ الْمَوْتُ لَوْ يَجْمُ لِرُدِّهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مِنْ ابْنِهِ وَلَكِنَّهُ عَرَضٌ غَيْرُ مُتَجَسِّمٍ وَلَا عَحْسُوسٍ ، فَلَا قُوَّةَ بِهِ عَلَيْهِ ، بَلْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَقْدَرُ مِنَ الْأَسَدِ لِأَنَّ النَّمْلَ وَإِنْ دَقَّتْ فَمَهْىَ مَرْمِيَةٍ وَالْمَوْتُ غَيْرُ مَرْمِيٍّ ، فَدَفَعَهُ أَبْعَدَ مِنَ الْإِمْكَانِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ بَعْضِ حِكَمَاءِ الْعَرَبِ يَوْمَى ابْنِهِ : (فَإِنَّمَا تَقَرَّرَ مِنْ تَرَى وَيَفْرُكُ مِنْ لَا يَرَى) . يعنى الموت وهو الذى لَا يَرَى .

— ٨١ —

وله أيضا :

(فَكَأْتُرَجِّى الثَّنُوسُ مِنْ زَمَنِ أَحَدِ حَالِيَةِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ)
 أى أَحَدِ حَالَى الدَّهْرِ أَلَّا يَبْدَأَ لِلْإِنْسَانِ فِي الْعَمْرِ وَيُسَلِّمُهُ ثُمَّ يُفْضَى بِهِ .
 بعد ذلك إلى الملكة وتلك حال غير عمودة لمصيرها إلى ما لا يُحْمَدُ ، لكنها

أحد الحالين ، فاعلمك بالآخر . وإن شئت قلت : أحمد أحوالك بقاؤك بعد صديقك ، وتلك حال غير محمود لما هو به من تمجُّل الوجَل وانتظار الأجل . وهذا إفراط من القول لأنه إذا كان الأحد غير المحمود فهو مذموم لا محالة . فأى صفة تقع على الأذمِّ والمحمود مذموم ما مـى إلا أن الأذمَّ أذهب في باب القم وإلا فالقم مشتمل عليها فذكر محموداً لأنه ذهب إلى الأحد .

(تَحْمِيلُ أَغْدَايَا الْقِدَاءِ لَهُمْ فَأَنْتَقِدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخْدَايِدِ)

الأخدود : للشق الواسع في الأرض يُتخذُ فيها : أى بحفر . شبه الضربة العظيمة بها وكان أبو وائل تطلب هذا ، قد أسرته بنو كلاب ، فضمين لم القداء عن نفسه فكان مكاناً ما ضمن لم من القدية أن غزاهم فأوقع بهم . ألا ترى إلى قوله فيه وفيهم :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَيَانِ النَّصَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّائِلِ
وَمَنَامُ الْخِلَلِ مَجْنُونَةً فَجَنَّ بِكُلِّ فَقَى بَاسِلِ

فيقول : تحمل لم أغدأ السيف ما ضمنه لم من الزرق والتمين وغيرهما ، وذلك منه هُزء بهم أى إنما كان القداء المحمولُ إليهم أن ضربوا بما في الأغداد وهى السيوف . فكانت كل ضربة على قعر الأخدود عِظْماً . ولما كان للمتاد في القداء الذهب والفضة بالأغلب جعل السيوف هوداً والأغداد أكيالاً ، وحسن ذلك لأن السيف من الحديد ، والحديد يشرك الذهب والفضة في أنه جوهر معدنى كما أنها معدنيان . فانتقدوا الضرب ، أى قام لم مقام النقد . وقيل : وقع بهم أجود الضرب كما يختار المنتقد أجود البرام والدنانير ، وكله هُزء . وقوله : « كالأخدايد » : فى موضع الحال . أى انتقدوا الضرب عريضاً ومستطيلاً . والضرب هاهنا يجوز أن يكون الجنس ، وأن يكون جمع ضربة . فقد ذهب محمد بن يزيد فى قوله تعالى : (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ)

إلى أنه جمع توبة، إلا أن أكثر ذلك إنما هو في الجواهر المخلوقة دون الأعراض،
محولوة ولوز، وموزة وموز : وقد جاء في الجواهر المصنوع منه شيء كدواة
ودوي، وسفينة وسفين . فأما في العَرَض قليل كما قلنا . لكني أؤثر أن يكون
الضرب هنا جمع ضربية لقوله (كالأخايد) مع ما آتسنا محمد بن يزيد في
قوله تعالى : ﴿ وَقَابِلِ الْقُرْبِ ﴾ . وأضرب السيوف في قوله : (تحمل أغداها)
للملم بمكانها ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ وأيضاً قد جاء ذكر الجنود
والسيوف متصلة بهم فكأنها مذكورة .

(مَوَقِعُهُ فِي فَرَّاشِ هَامِيهِمْ وَرِيحُهُ فِي مَنَاحِرِ السَّيِّدِ)

الفرّاش : قشور تكون في الرأس على العظم دون اللحم ، وقيل : ما يتطاير من
عظام الرؤوس واحدة بالهاء . و (مَوَقِعُهُ) : وقوعه . أي يقع هذا الضرب
برؤوسهم فتشتم الذئب رائحة الدم فتقطع إليهم لتأكلهم . فالهاء في قوله :
(وريحه) ليست للضرب لأن الضرب لا طبيعة له فيكون ذا ريح ، وإنما
الهاء للدم ، فأضمره لمكان العلم به ، وقد يجوز أن يحمل الريح للضرب وإن كان في
الحقيقة للدم لأن الدم إنما حدث عن الضرب فكأن الريح للضرب . وإن شئت
قلت : إذا وقعت الضربة أرسشت دماً فتغير منه الهواء ، حتى ينشق
الذئب رائحته فيستدل عليه . وقوله (في منابر السيد) كان ينبغي أن
يقول مَنَابر السيد أو في منبري السيد . ولكنه جعل كل جزء من
المنبر مَنَبراً ، ثم جمعه كما حكاه سيبويه من قولهم للبئير : ذو عثانين
كانهم جعلوا كل جزء منهم عثنوناً . وعليه وجه قول العرب : آتيتك عُشَيَّات ،
قال : جمعوا لأنه حين ، كلما تصوبت الشمس ، ذهب منه جزء . وأنشد
قول جرير :

قال المواقِلُ ما لجهلك بعدما شأبَ للفارقِ واكتسبن قتيماً

وإن شئت قلت : إنه عني بالسيد هنا : النوع فجمع المنخر لذلك وكل واسع .
 (ثُمَّ غَدَا قَيْدُهُ الْحِمَامَ وَمَا تَخَلَّصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ)
 صَفَدْتُ الْأَسِيرَ وَصَفَدْتُهُ : أوثقته . وأصفدت الرجل : أعطيته بالألف
 لا غير . فصَفَدْتُ عَلَى صَفَدْتِهِ . وكانت أغلال العرب القد . ولهذا قالوا في
 المرأة السيئة الخلق : حُلَّ قَيْلٌ ، لأنهم كانوا يشدُّون القيدَ على الأسير فيقفل .
 فممنه : كان هذا اللَّيْتُ أَبُو وائل أسيراً في يَدِ الْعِدَا فَأَقْبَذَتْهُ مِنْهُمْ ثُمَّ خَدَا بِمَدِّ
 ذَلِكَ فِي أَسْرِ الْمَوْتِ فَلَمْ يَكْ بِكَ قُدْرَةٍ عَلَى تَنْقِذِهِ مِنْهُ وَمَا يَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ
 مَصْفُودٍ . وَعَذَرُهُ لِعِجْزِهِ عَنْ تَنْقِذِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْمَوْتِ ، فَالَوْتُ لَا يَخْلُصُ مِنْهُ
 مِنْ أَوْثَقِهِ . فَأَنْتَ يَا سَيْفَ الْوَلَةِ غَيْرَ مَعْلُومٍ عَلَى أَنْ لَمْ تَنْقِذْهُ مِنَ الْحِمَامِ كَمَا تَنْقِذْهُ
 مِنَ الْأَنَامِ . (قَيْدُ الْحِمَامِ) : مبتدأ وخبر في موضع خبر غَدَا ، واسم غدا :
 حُضِرَ فِيهَا ، كما حكاه سيبويه من قولهم : (كل مولود يولد يوكه على الفطرة ، حتى
 يكون أبواه أوثاناً يهودانه أو ينصرانه) أضمر اسم يكون فيها ، وجعل الجملة
 في موضع الخبر ، وأنشد :

إذا ما المرء كان أبوه عَيْسَ فحسبك ما تريد إلى الكلام
 ولو قال : (ثم غدا قَيْدُهُ الْحِمَامِ) أو (قَيْدُهُ الْحِمَامِ) ، لكان حسناً
 . لكنه لما كان ذكره إلتزاماً لآبِي وائل ، وقد أجراه كثيراً ، أكد ذلك
 بالمحافظة عليه فأضمره . ألا ترى قوله : (قد مات من قبلها) . . . وقوله :
 « ما كنت عنه » . . . وقوله : (أين الحببات التي يفرقها) إلى سائر ما في
 القطعة من إخباره عن أَبِي وائل ، واستفهامه عنه .

- ٨٢ -

وله أيضا :

(وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرَ النَّقِيِّ لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبٍ)
 فيها : أي في الدنيا . وَشَعُوبٌ : المنية تشبب أي تفرق ، وأنشد يعقوب :

قام إليها بها جازرُ ومن تدعُ يوماً شعوبُ يُجيبها
 يرمي عن الدنيا ويقول إن تمام هذه الفضائل فيها إنما هو بقيتُ القناه . أي
 لولا خوف الموت ، شجع كل الناس وجادوا وصبروا فلم يك أحد مخصوماً بهذه
 الفضائل دون صاحبه ولو كان كذلك لم يك لهذه الفضائل فضل لأن الأشياء إنما
 تخبينُ بأضدادها . فلو عديم الضد خفي ضده . وإن شئت قلت : لو أُمِنَ للموتُ
 لما كان للشجاع فضل ، لأنه قد أُمِنَ للموت . وكذلك السخي والصبور لأن اعتقاد
 بالولود ، وتنقل السر إلى السر والشدة إلى الرخاء مما يسكن النفوس ويسهل
 اليوس . هذا قول أبي الفتح ، وهو حسن . وقوله : (لولا لقاء شعوب) أراد
 لولا تيقن لقاءها . و (الفتح) هنا لا يعنى به فتح السن إنما يراد به المدح .
 كقولك : أنت الرجلُ أي الجَلْدُ الصابر وكقول الهذلي :

فَقِي مَا بَيْنُ الْأَعْرُ إِذَا شَقَوْنَا وَحُبُّ الزَّادِي شَهْرِي قُفَّاح
 كفى بالفتوة عن الكرم ، كأنه قال : ابن الأعرج كرم مُفْتَتٌ ، ولولا
 ذلك لم يعمل (فقي) في (إذا) لأن الظروف لا تعمل فيها الأفعال أو ما هو
 في طريقها ، وإذا قلت زيد فقي تعنى به السن ، فليس فيه معنى فعل .
 (معوّض سيف الدولة الأجر إنّه أجل مُثَابٍ من أجل مُثِيبٍ)
 إن شئت عيّنت بالثاب سيف الدولة ، وإن شئت عيّنت به الأجر الذي
 أُثِيبه .

(إذا استقبلت نفس الكرم مصابها يخبث فقت فاستدبرته بطيب)
 للمصاب هنا الإصابة لأن المصدر قد يخرج على شكل المفعول به لأنه في
 المعنى مفعول ، فن ذلك الميسور والمسور والمقول والمجود فأما فيما جاوز الثلاثة
 فمُطَرَّد كالموق في معنى التوفية ، والمقاتل في معنى القتال أنشد سيبويه :
 أَقَاتِلْ حَتَّى لَا أَرَى لِي مُقَاتِلًا وَأَنْجُو إِذَا لَمْ يَنْجُ إِلَّا الْكَائِسُ

وَالْخُبْتُ فِي هَذَا الْبَيْتِ : كُنَايَةً عَنِ الْجَذَعِ ، وَجَيْشَانِ النَّفْسِ عِنْدَ الْفَزَعِ .
 وَالْعَلِيبُ : كُنَايَةً عَنِ الصَّبْرِ وَالتَّوَلُّطِينَ . أَيْ إِذَا جَزَعَ الْفَتَمُ فِي أَوَّلِ نَزُولِ
 الْمَصَابِ بِهِ رَاجَعَ أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَضَادَ إِلَى الصَّبْرِ . وَإِنْ شَتَّتْ قُلْتُ : مَنْ لَمْ
 يَوْمُنْ نَفْسَهُ لِقَاءَ الْمَصَائِبِ قَبْلَ نَزْوِلِهَا صَمِيتَ عَلَيْهِ عِنْدَ حُلُولِهَا فَلَيْسَتْ شَمْرُ اللَّيْلِ
 التَّوَلُّطُ عَلَى لِقَاءِ الْمَكْرُوهِ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَنَزَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ ، عَظُمَ
 عَلَيْهِ وَجَزَعُ مِنْهُ ثُمَّ يَحُولُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الصَّبْرِ ، لَا يَجْدُو لَهُ فِي الْجَزَعِ . فَلِذَا
 أَنْ يَيْتَدَّى أَوَّلًا بِمَا يَسُودُ إِلَيْهِ آخِرًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

رَأَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَى غَايَةِ فَصِيرٍ آخِرُهُ أَوْلَا

وَقَدْ فَتَّرَ الْمُتَنَبِّي مَعْنَى هَذَا الْمُتَقَدِّمِ بِقَوْلِهِ بَعْدَ هَذَا :

(وَلَوْ أَحْدَ الْحَزُونِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سَكُونُ عَزَاهُ أَوْ سَكُونُ نُفُوبِ)

أَيْ لَا بَدَ لِلْحَزُونِ أَنْ يَسْكُنَ حَزَنُهُ : إِمَّا تَمَرُّبًا وَهُوَ الْحَمِيدُ ، وَإِمَّا إِعْيَاءً وَهُوَ
 النُّفُوبُ . وَإِنْ شَتَّتْ قُلْتُ : إِنْ لَمْ يَصْبِرْ تَمَرُّبًا وَاحْتِسَابًا ، وَإِلَّا صَبَرَ لِنُفُوبًا حِينَ
 لَا أَجْرَ لَهُ وَلَا فَضْلَ .

— ٨٣ —

وَهُوَ أَيْضًا :

(قَلِمٌ لَا تَلُومُ النَّاسَ لِأَمْنِهَا وَمَا قَسَتْ فِي خَاتَمَتِهِ يَذُبُّ لُ)

كَأَنَّ لِأَمْنِهَا لَامَ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ عَلَى عَجْزِهَا عَنِ الْإِسْتِقْرَارِ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ
 وَالْإِعْتِلَالِ لَهُ حِينَ تَقَوَّضَتْ . فَيَقُولُ : لَا يَبْقَى أَنْ تُلَامَ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي وَسْعِهَا ،
 وَلَا اسْتَطَاعَتِهَا ، وَلَيْسَ عَلَى تَارِكِ مَا يَطِيقُ لَوْمَ . فَإِنْ كُنَّ الْإِنْسَافُ أَنْ تُلَامَ هَذِهِ
 الْخَلِيقَةُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهَا ، فَلَمْ لَا تُلُومَ لِأَمْنِهَا عَلَى أَنْ لَمْ يَطُقْ أَنْ يَجْعَلَ

فمن خاتمه يدل ؟ لأنهما قد استويا في العجز وإنما كان ينبغي أن يلومها من أطلاق التخم بهذا الجبل . فلإذن لا أحد يقدر على ذلك فلا تلومن العظيمة على قوضها ، وضعتها من حمل سيف الدولة ، لأن العجز عن الممتنع قد وضع فيه العذر ، و (لِمَ) : لغة في (لِمَ) طاشية معروفة .

(فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيصَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَنْتَقِلُ)
أى لم يقوضها ليحزّنك ، ولكن أشار عليك بل حمل نحو ما اختاره لك من الجهاد ؛ وسلك سبيل الرشاد . والإشارة من الله عز وجل عليه : إنما هي إلهامه إياه ، وليست على حد الإشارة الإنسانية ، لأن منه إنما هي الجوارح . وربنا تعالى يحلّ من ذلك .

(رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنِ النَّزَالَةِ لَا يُفْسَلُ)
وهذا عذر العظيمة في سقوطها ، أى أنها رأت لون نورك في لونها كنور الشمس فرائعها ممالك ذلك ، لأنها غلقتك الشمس ؛ التى هى تلك الكواكب ، فلذلك سقطت لأنها استعظمت حملها لك ، وقوله : (لَا يُفْسَلُ) أى اتصل نورك بها ، حتى صار فيها كالشامة التى لا تمحى بالنسل .

(وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَا بِأَلْهَا تَرَاكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ)
هذا البيت شنع وكفر ليعنى أن هذه الكواكب غير عاقلة لأنها لو كانت عاقلة لعرفتكَ ، وتبينت أن ممالك فوق علمها ، فكانت تنزل إليك فإذا لا تنزل ، فهى غير عارفة بك ، وإنما هى غير عارفة بك ، فهى غير عاقلة . ولمعنى ، فقد ذهب في تلك إلى تكذيب من ادعى أن الكواكب تعقل وإن كان قد خلا .

— ٨٤ —

وقال أيضا :

(وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ عَمَلًا عَقَاهُ مِنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا)

أى لم تغف الريح هذا للزلزل ، وإنما عفاه بقتلهم عنه وإخلاصهم له .
 (نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْمَيْنُ شَكَرْتِي فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَائِقًا)
 شَكَرْتِي : أى مَلَأْتُ لم تقض بعدُ . وَلِلْمَائِقِ : مجمع الدمع . فلما رأيتهم
 متصليين ، فاض الدمع من جميع جوانبها ولم يخص المائِقَ وحده ، بل صارت
 المَيْنُ كلها لِلدَّمْعِ مَجْرَى ، فكانت كلها مَائِقًا ، كقول الشاعر :
 أَقْلَبُ عَيْنِي فِي التَّوَارِسِ لَا أَرَى حِرَاقًا وَعَيْنِي كَالْحَجَّاجَةِ مِنَ الْقَطْرِ
 أى تَمَلَّأَتْ كُلُّهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى عَادَتْ كَالْحَجَّاجَةِ وَهِيَ نَفَاغَةُ الْمَاءِ .
 ولا أقول : إن الألف في « مائِق » مبدلة من الهجمة ، لمكان الرفع ،
 لأنهم قد قالوا « مائِق » بزنة « مال » وكسروه على أمواق كأموال ، فدل
 ذلك على أن ألفه متقلبة عن واو ؛ كألف مال . ولو لم نعرف مائِقًا مكسراً على
 أمواق ، لعلنا أن ألفه متقلبة عن همزة ، لقولم مَائِقٌ مَهْمُوزَةٌ .
 (وَخَصَّرَ تَبَّتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقًا)

إن شئت قلت : إذا نظرته العين استحسنته ، فلم تَمُدَّهُ ، وتبَّتْ فِيهِ . فكثير
 الناظرون إليه من كل جانب حتى كأنه متعلق بالحدق . وإن شئت قلت :
 تبَّتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ لِبُضَاظِهِ وَنَمِيقِهِ ؛ فَكَأَنَّ مَا بَيْتَ فِيهِ مِنْ حَدَقِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ
 نِطَاقٌ لَهُ . وأراد كأن عليه نطاقاً من الحدق المصطدق به .

(أَبَاحَ الْوَحْشَ يَا وَحْشُ الْأَعَادَى فَلِمَ تَقْرَضِينَ لَهُ الرَّفَاقًا)
 الْوَحْشُ مؤنث . وروى (أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادَى) . والأعادى :
 جمع الجمع : عدو وأعداء وأعادٍ ؛ وأصله أَعَادَى كَأَعَادَى ؛ فحذفت إحدى
 الياءين تخفيفاً ، ثم حذفت الأخرى حذفاً لنهر علة ؛ وصار التنوين عوضاً منها .
 وأراد (الْأَعَادَى) لأنه في موضع نصب ؛ بكونه مفعولاً ثانياً لأباح فاضطره

الوزن إلى تسكين الياء . والرفاق : جمع رُفَّة كحُفَّة وحِجَار ، وعلبة وعِلَاب
والمنى أيها الوحش ؛ قد أهلك هذا المدوح أعاديته قتلهم وصَرَعَهُمْ لك ؛
وحَكَمَك في أكلهم ، فلمْ تعرضين له الرفاق السائرة إليه ، وقد أغناكَ عن
الاعتساف والطلب فيمن أجزرك من أعاديته ؛ وجَمَلَه لك أِكِلَة .

(إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ يَمْدُوا جَعَلْنَهُمْ طِرَاقًا)

الطراق : ما طبقت عليه النمل فَخَرَزَتْ به ؛ وهو طبقة النمل . وقيل
الطراق : نمل تُطْرَح تحت النمل ؛ استظهاراً وتوكيداً . أى إنها إذا أنعلت في
طلب قوم أدركتهم فهاستهم ؛ فصارت أشلاؤهم نمالاً تلك النمل .

(أَقَامَ الشُّعْرُ يَنْتَظِرُ الْمَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتْ الْأَمْطَارَ فَاقَا)

انتظر الشعر أن يُحْسِن ، فأشكر وأشمر . فلما فقت عطايك الأمطار ،
فاق شمرى الأشعار كقول البحتري :

قَدْ أَتَكَ الْقَوَائِي غَيْبٌ فَائِدَةٌ كَمَا تَفْتَحُ بَعْدَ الْوَابِلِ الزَّهْرُ
(يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا الْآفَا)

لَأَقَى الشَّيْءَ وَالْآفَةُ : أَمْسَكُ . ولَأَقَى هو قَفَسُ : أَمْسَكُ . أنشد سيبويه :

قَوْلُ إِذَا اسْتَهْلَكْتُ مَا لِيَ لِلذَّيْرِ مُكِبَةٌ حَتَّى لَا يَكْفِكَ لَانِقُ

يقول : يقصر البحر عن يمينك جوداً ؛ ويُقَصِّر ما الْآقَى من الأخلاق ،
حما بذلته أنت . أى إنما تعطيه أنت أكثر مما يمسكه البحر في ذاته .

- ٨٥ -

وله أيضا :

(لَا الْعِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا يَمْتَالِي لَوْلَا إِذْ كَارَ وَدَاعِيهِ وَزِيَالِهِ)

أى مثله لا يستطيع الحلم أن يُصَوِّرَه ، لأنه أرفع من ذلك . لكنى تذكرته

حين نذكرت وداعه ومزايته ؛ فثبت ما امتثلت منه في هاجسي ؛ فأراني النوم .
إياه . فلذن لم يجد له إلا تذكرة له . وهذا رأى بعض الفلاسفة فيما يراه النائم .
وقال أبو تمام :

زَارَ الْخِيَالُ مَا لَا بِلْ أَزَارُكُمْ فِكْرًا إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنْمِ
وإن شئت قلت : إنه بالغ بصفة هجر محبوبه له فقال : لا يسمح لي بمواصلته
في يقظة ولا نوم ؛ وإنما أطلت تذكره ؛ وواصلت ذلك ليلاً ونهاراً حتى رأيت
خياله . وأبلغ منه قول الآخر :

« صَدَّتْ وَعَلَتْ الصُّمُودُ خِيَالَهَا »

فهذا يصف أنه لم يرَ خيالها .

(إِنَّ لِلْعَيْدِ لَنَا لِلنَّامِ خِيَالَهُ كَانَتْ لِإِعَادَتِهِ خِيَالُ خِيَالِهِ)

أى كنا قبل النوم نغفل خيالنا بالتذكر والتفكير ؛ فلما نما رأينا خيال .
ذلك الخيال الذى كنا نغفلناه . وإن شئت قلت : إنه كنى بذلك عن قلة
الزمن الذى استمتع فيه بالخيال . والإعادة بمعنى التمام ، وضع المصدر موضع
الاسم ولا يكون الخيال هو الإعادة ، لأن الخيال جوهرٌ والإعادة عرض .
(نَجِّنِي الْكُوَاكِبَ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ) .
السابق من هذا البيت إلينا ؛ أنه شبه دُرَّ قَلَانِدِهِ بِالْكُوَاكِبِ لِبَيَاضِهِ ،
وَخَلْخَالِهِ بِعَيْنِ الشَّمْسِ لَامْتِدَارَتِهِ وَلَوْنِهِ ، إن كان من ذهب ولكن ألطف من .
هنا أن يقول إن هذا المحبوب ممنوع لا تصل اليد إلى العيث بقلاند جيده .
ولا تمسُّ خَلْخَالَهُ الْأَيْدَى ، فيقول : من مسَّ قَلَانِدَهُ فَكَأَنَّهُ جَنَى الْكُوَاكِبِ .
لِبُيُودِهَا وَمَنَاعَتِهَا ، ومن نَالِ خَلْخَالَهُ ؛ فَكَأَنَّهُ نَالِ الشَّمْسِ لَدَاكَ أَيْضًا مَعَ التَّشْبِيهِ .
الذى تقدم ذكره ولو قال : « وَنَنَالُ الشَّمْسَ مِنْ خَلْخَالِهِ » كان كافياً في المعنى .

لكن قال : « عين الشمس » لأن هذه الجارحة مستديرة . وإن شئت قلت :
 إنه متى بين الشمس حقيقة جوهرها ، لأن هذه الجارحة من الحيوان .
 (يَنْتُمُ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فَيْكُمْ وَسَكَنْتُمْ طَىَّ الْفَوَادِ الْوَالِهِ)
 فيكم : أى من أجلكم ، كما قول : هُجِرْتُ فَيْكَ : أى من أجلك .
 وليست (فى) هنا للوِجاء (وسكنتم طىَّ الفؤاد) : كان يعنى من ذلك أن
 يقول : وسكنتم الفؤاد . ولكنه وطأ بذكر الوطن صنعة وتسيباً ، إلى حفظ
 إعراب القافية وجعل الماء الأصلية فى الواله صلة لأن العرب تصل بها أصلاً كما
 تصل بها زائدة . قال :

حوريةٌ أولِيتُ بِشَهْلَرِهَا فَاصِلَةُ الْحَقَوَيْنِ مِنْ إِزَارِهَا
 يُطْرِقُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ حِذَارِهَا أُعْطِيتُ فِيهَا طَائِثًا أَوْ كَارِهَا
 حديقةٌ غلباءُ فى جِوَارِهَا وَفَرَسًا أَنَّى وَعَبْدًا فَارِهَا
 فوصلَ بالماء الأصلية فى قوله كَارِهَا وفَارِهَا كما وصل بالزائدة فى سائر
 الأبيات .

(فَدَبَوْتُمْ وَدَبَوْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَسَمَحْتُمْ وَسَمَحْتُمْ مِنْ مَالِهِ)
 أى فكر فيكم فأدناكم فؤاده ، ولم تدنوا أنتم بإرادتكم . قالن للفؤاد
 لا لكم ، وسمحتم وسمحك من ماله . أى سمحت له بالزيارة ، وسمحك من لدنه ،
 لأنه إنما كان ليلاً امتثله خاطرهم من ذكراهم ، وتصوّر لقيام . ولما ذكر
 السماح استجاز ذكر المال ، وإلا فلا حقيقة له .

(إِنِّى لَأُبْفِضُ طَلِيفَ مِنْ أَحَبِّتِهِ إِذْ كَانَ يَهْجُرْنِي زَمَانٌ وَصَالِهِ)
 إنما شأناً الطيف ، لأنه وصله أيام هجر الحبيب له ، وهو الموجب لزيارة
 الطيف لأن إمكان الوصل الحقيقى لا يكاد يكون معنى خيال إنما الغيال مع
 عدمه لما يحدث من الشوق والتوق .

وقيل معناه : إذا كان الحبيب يهجرنى زمان وصله الخيال ، وهذا من الضعف بحيث لا يلتفت إليه . وإنما قلته تمجيباً .

(إن الريح إذا عمَدَنَ لناظِرَ أغفاهُ مُقْبِلُها عن استمجالِها)
أى لهذا المدوح من شيمة المبادرة إلى الجود ، ما يفتى عن السؤال ، كما أن للريح من السرعة ما يفتى عن الاستمجال لها . والهاء فى استمجاله إياها يجوز أن تكون للناظِر ، فتكون فى موضع الفاعل ، أى عن استمجاله إياها ، ويجوز أن تكون للمُقْبِل ، فتكون الهاء فى موضع المفعول . وذلك أن الاستمجال مصدر ، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول .

(غَرَبَ النُّجُومُ فَفَزَنَ دُونَ هُمُومِهِ وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ)
أى قد نال ما هو أعلى من النجم ، وهمته فى ذلك غير مقتنعة بما نالت ، ولا مقتصرة عليه ، فهى تطالبه بما هو أبعد من مطالعها ومغاربها .

- ٨٦ -

وله أيضاً :

(النايلُ الفعلَ لم يفعلْ لِشِدَّتِهِ والقائلُ القولَ لم يُترَكْ وَلَمْ يَقُلْ)

أى يفعلُ الفعل الذى لم يفعله غيره ، بل عجز عنه وقصر ، لشدة وتقل مؤنثه ، و (القائل القول لم يُترَكْ) : أى لم يُترَكِ الناس اجتهداً فى أن يقولوا مثله ، فهذا معنى قوله « لم يُترَكْ » : لكن لم يقدروا عليه ؛ فهذا معنى قوله : « ولم يَقُلْ » . وهو كقول البحترى :

فى غايَةِ طُلُبٍ وقصر دُونِها من رَامَها فكأنها ما تُطَلَّبُ

أى لما كان الطلب علةً للإدراك ؛ ثم لم تك هذه الناية مُدْرَكَةً ، كان الطلب كأن لم يكن .

وتقدير البيت : الفاعل الفعل الذى لم يفعل ؛ والقائل القول الذى لم يقل ؛ حذف (الذى) ومثله كثير ؛ أشد سيويه :

لَوْ قُلْتَ مَا فِى قَوْمِهَا لَمْ يَتَّخِمْ يَفْضُلُهَا فِى حَسَبٍ وَمِيسَمٍ
(هو الشجاع يمدُّ البخل من جُبْنٍ وهو الجواد يمدُّ الجُبْنَ من بَخَلٍ)

أى إنه شجاع جواد ؛ لأن إحدى هاتين الصفتين منوطة بالأخرى ؛ لأن الشجاع يجب له أن يعلم أن البخل جُبْنٌ وهَلَعٌ من الفقر ؛ فإن كان بخيلاً فهو ناقص الشجاعة ؛ لحذرهِ من الإقدام ؛ ويَحْتَبِ للجواد أن يعلم أن للجُبْنَ بَخْلٌ بالنفس ؛ فإن لم يك ذا شجاعة فهو ناقص الكرم ؛ لبخله بذاته .

فهذا الممدوح قد تَبَيَّنَ له أن البخل جُبْنٌ ؛ وإن الجُبْنَ بَخْلٌ ؛ فلم يرض إحدى الخطتين دون صاحبتها ؛ فشجِعَ وكرَّم . ومثله قوله هو أيضا :

قُلْتَ إِنْ الْفَقْرَ شَجَاعَتُهُ تُرِيدُ فِى الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرْقِ

وقد اجاد ابن الرومى تلخيص ذلك وتسهيله ؛ قال :

البخلُ جُبْنٌ والسَّحاحُ شَجَاعَةٌ . لَأَشْكُ حِينَ تَصْجَعُ التَّخَصُّبَ

جُبْنُ البخيل من الزمان وصرفه قهيب الإفضال والتنويلا

(وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ كَثُرَتْهُمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ)

أى كانوا كثيراً قد غَطَّوا الأرض بكثرتهم حتى خَفِيتْ ، فكانهم بلا أرض البتة ؛ يقول : قتلهم أنت ؛ علوت تلك الأرض الوطأة بكثرتهم ؛ أرضاً لا ترى فيها رجلاً . وأوقع (كَمْ) على جميع هذا ؛ لأنها خبر .

قال :

كَمْ دُونَ سَلَى قَلَوَاتٍ يَدٍ مُنْضِيَةٍ لِلْبَازِلِ الْقَيْدُودِ

وقوله : (تركت جمعهم أرضاً بلا رجل) جملة في موضع جر ، لأن موضعكم هنا رفع بالابتداء .

(يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاطِرِينَ لَهُ) فيما يراه وحكم القلب في جدل (أي قد أطاعتك آمالك ، وحكمتك الزمان في نيلك كل ما سميت إليه ، وبنيت هواك عليه ، فما فتح عينك من المراتب إلا على ما يسرها ويؤديان به إلى فؤادك ما يخبرك ويسرك . وقال : وحكم الناطرين وحكم القلب : أي حكم ناظر به وحكم قلبه . وكلتا المجتئين في موضع الحال من الضمير الذي في الفعل ، أعني (يسير) أي : يامن يسير مسروراً جدل الفؤاد .

(أَجْرَ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْعِرِهَا) وخذ بنفسك في أخلاقك الأولى (السابق إلى من هذا البيت ، أنه رأى منه تغيراً عما كان عليه من تفضيله على من سواه من الشراء ، فقال له : اعتدل كما كنت فاعلا .

وأما ابن جني فقال : سأنته عن هذا قال : كان سيف الدولة قد ترك الزكوب أياماً ، فعضه بذلك على المعاودة .

- ٨٧ -

وله أيضا :

(إِذَا كَانَ مَذْحٌ فَالنَّسِيبُ الْقَدِيمُ أَكُلُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيْمٍ) من شأن الشراء إذا أرادوا الملح ، أن يقدموا النسب . هذا هو الأغلب ، حتى سموا الشر الذي لا يصدر بالنسب خصياً ، حكى هذا عن أبي زيد . فالتبني قد خرق في هذا الشر عاداتهم ، وأنكرها عليهم ، وجعل ابتداء شعره منح سيف الدولة . ثم قال : (أكل فصيح قال شعراً متيماً) ؟ هذا في اللفظ إنكار ، ظاهره استخبار ، وهو في الحقيقة خبر منفى . أي ليس كل فصيح شاعراً متيماً ، فيلزمه النسب إذا ملح .

(فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ حُكْمُهُ وَيَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مِيسَمٌ)
 أى إذا سَارَ أَثَارُ الْغُبَارِ ، فَحُكْمٌ عَلَى الشَّمْسِ بِالْأَسْوَدَادِ . وَهُوَ ضِدُّ
 لَوْنِهَا . وَإِذَا سَارَ ضَاعَفَ الْغُبَارُ . وَكَتَفَ الْبَدْرُ . وَالْمِيسَمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ —
 مِنَ الْوَسْمِ — الْقِيٌّ هُوَ الْعَلَامَةُ بِالنَّارِ وَالتَّطْعُ ، وَلَيْسَ بِآلَةٍ هُنَا ، إِذْ لَا مَعْنَى لِقَوْلِكَ .
 وَقِيلَ الْمِيسَمُ هُنَا الْحَسَنُ . أَيْ فُلُقُ الْبَدْرِ فِي الْحَسَنِ وَالْأَوَّلُ أَوَّلُ .

وَقَدِيرُ الْبَيْتِ : فَجَازَ لَهُ حُكْمُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ . وَبَانَ
 لَهُ وَثَرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ . وَيُبْنَى أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مَتْنُونًا مَعَ
 حَتَّى ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى جَازَ عَلَى الشَّمْسِ ، وَحَتَّى بَانَ عَلَى الْبَدْرِ ، أَيْ إِلَى أَنْ .
 وَلَا تَكُونُ حَتَّى هُنَا حَرْفَ غَايَةٍ ، وَتَكُونُ دَاخِلَةً « عَلَى » لِأَنَّ حَتَّى وَطَلَى
 حُرْفَانِ ، وَلَا يَدْخُلُ حَرْفٌ عَلَى حَرْفٍ . فَلَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَتَّى (يَلَى أَنْ) . وَإِذَا
 قَدَرْتَهَا يَلَى أَنْ ، فَقَدْ حَصَلَ الْفِعْلُ ؛ لِأَنَّ « أَنْ » لَا بَدَّ لَهَا مِنَ الْفِعْلِ .

(وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ وَالْقَنَّا وَلَا رُسُلُهُ إِلَّا الْغِيْسُ الْمَرْمُومُ)
 أَيْ الَّذِي يَقُومُ لَهُ مَقَامُ الْكُتُبِ ، إِنَّمَا هُوَ السِّیُوفُ . وَالَّذِي يَقُومُ لَهُ مَقَامُ
 الرُّسُلِ ، إِنَّمَا هُوَ الْجَيْشُ الْعَظِيمُ ، يُهْدِيهِ إِلَى عَدُوِّهِ . وَإِنَّمَا نَقِيَ عَنْهُ الْإِخْلَادُ إِلَى
 الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَأَنٍّ ، وَأَخَذَتْ بِالْهُوَيْنَى .

(يَطَّأَنَّ مِنَ الْأُفْطَالِ مَنْ لَحْمَلَنَّهُ وَمِنْ قَصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ)

الْقَصْدُ : كَسْرُ الرَّمَاكِ ، وَاحِدَتُهَا : قَصْدَةٌ . وَالْمُرَّانُ : وَشِيحُ الرَّمَاكِ
 إِذَا لَانَ وَتَخَلَّقَ ، مِنَ التَّرَانَةِ ، وَهِيَ اللَّيْنُ ، الْأَتْرَامُ قَالُوا فِي هُنَا الْمَعْنَى :
 رَمَحَ لَذَنَ . وَاللَّذَنُ : اللَّيْنُ . وَمِنْ هُنَا زَعَمُ سِيدِيهِ أَنَّهُ إِذَا سَمَّيْتَ بِمُرَّانٍ
 صَرْفَتَهُ ؛ لِتَصَوُّرِهِ مَعْنَى مِنَ اللَّيْنِ فِيهِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنْ خِيَلَهُ يَطَّأَنَّ
 مِنْ أَعْدَائِهِ ، مِنْ لَمْ يَحْتَمِلَنَّهُ . فَوَضَعَ الْمَاضِيَ مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ .

وإِذَا تَوَضَّعَ الْأَفْئَالُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ بَعْضٍ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ مَعَ الْحُرُوفِ ،
نَحْوُ قَوْلِكَ : إِنْ فَعَلْتَ فَعَلْتُ : أَيْ إِنْ تَعَمَّلَ أَفْعَلُ ، وَقَوْلِكَ : وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ،
تَرِيدُ : لَا أَفْعَلُ .

(وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يَقُومُ) أَيْ قَدْ بَالَتْ فِي تَعْطِيمِ الرِّمَاحِ وَتَعْوِجِهَا ،
حَتَّى لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَنْ يُجَبَّرَ عَنْ كَسَرِهَا ؛ وَلَا أَنْ يَقُومَ مُنَادُهَا وَقِيلَ :
(مَنْ لَا حِمْلَتَهُ) : دَعَاءُ لِلدَّوْحِ : أَيْ لَا غَلَبَ عِدَائِهِ حِرَابُهُ ، فَيُطْلِكُهَا
خِيْلَهُمْ .

وَالْأَوَّلُ عِنْدِي أَوَّلُ ، قَوْلُهُ : (وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يَقُومُ) فَهَذَا
خَبَرٌ ، إِلَّا أَنْ تَضَعُ (يُقُومُ) مَوْضِعَ (قُومُ) فَيَتَوَجَّهَ مَعْنَى الدَّعَاءِ ، وَقَدْ
يَجِيءُ لَفْظُ الدَّعَاءِ مَسَاوِيًا لَلْفِظِ الْخَبَرِ ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ ، أَتَشُدُّ يَعْقُوبُ :

كَلَمَلِقِي مِثَالِ أَوْ كَمَهْلِكِ مَالِكِ وَابْسِ لِحَيِّ هَالِكِ بَوْصِلِ
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ :

لَيْسَ لِمَتِّ بَوْصِلٍ وَقَدْ خُلِقَ فِيهِ طَرَفُ الْمَوْصِلِ
فَعْنَى هَذَا كُلُّهُ : وَلَا وَصِلَ هَذَا الْحَيِّ بِهَذَا الْمَالِكِ . وَهَذَا دَعَاءٌ قَدْ خَرَجَ
عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ .

(يُقَرُّ لَهُ بِالْقَضْرِ مِنْ لَا يَوْدُهُ وَيَقْضَى لَهُ بِالسُّعْدِ مِنْ لَا يُنْجِمُ)
أَيْ إِنْ فَضَلَهُ ذَائِعٌ شَائِعٌ ؛ يَضْطَرُّ عِدَائُهُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِهِ لَهُ ، مَتَكَبِّا لِمُخْرِقِ
الْإِجْمَاعِ ، وَعِلْمًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أَفْكَرُ ، وَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ دَلِيلًا عَلَى
تَضَنُّفِهِمْ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعِلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يَسْلُمَهَا إِلَيْهِ عِدَائُهُ

(وَيَقْفَى لَهُ بِالسَّيْدِ مَنْ لَا يُتَجَمُّ) : أى قد عهد سعيداً ميموناً مدركة لكل من طلب فيقاس بماضى أفضاله وحاضرها على مستقبلها .

(أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالُبُهُ بِإِرْدٍ عَادٍ وَجُرْهُمُ)

(أجار على الأيام) : حتى منها ومنع ، وجعل نفسه ملاذاً للناس منها ، حتى ظننت أن العابرين من الأمم ستطالبه بأن يردّها إلى الحياة ، وأن يُعديها على الأيام التي تحييتّها وأهلكتها . وخص عاداً وجُرهما قديمهما . وإن شئت قلت : لعظمهما .

(كَأَجْنَابِهَا رَأَيْتُهَا وَشَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمُّ)

عسكر العرب قبيلة واحدة . نخيله وسلاحه وملبوسه كله عربى ، وإنما مدح عسكره بذلك ، لأن الجيش إذا كان من قبيلة واحدة كان أشدّ لهاًسها . هذا قول أبى الفتح .

والذى نؤثره نحن ، أن عسكر العرب إنما هو كما قال ، ألا ترى أن النابتة قد قال :

وَتَقَتْ لَمْ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانٍ خَيْرُ أَشْيَابِ

وهى التى تسمى الحمرة . ومنه قول الخطيبى لعمربن أخطاب : (يا أمير المؤمنين ، كنّا ألف فارس ، ذهية خراء : أى لم يخط بنا أحد ، فهكنا عسكر العرب . فأما عساكر اللوك فكلما تنوعت أجنادها ، كان أعظم لئسكها ، وأقدر للملكها ، لأنه متى تغيرت حرب ما ، قوم بحرب آخر) فيقول إن أجناس عسكرها الملك كثيرة مختلفة بالنوعية ، فينبغى أن تختلف أيضاً أعلامها وريزتها وسلاحها ، لكل نوع من أنواع الخيل ريزى يخالف ريزى صاحبه كقوله هو يصف عسكراً :

تَجْمَعُ فِيهِ كُل لِسْنٍ وَأَمَّةٌ فَافْتَهَمُوا الْحَدَّثَ إِلَّا الْقَرَجُ .
وتقدير البيت راياتها وشعارها وسلاحها كأجناسها. أى أن هذه الحملات
كلها متنوعة في ذاتها ، كما أن الحاملين لها متنوعون . والتنوع الذى ذكرناه
في هذا البيت ؛ إنما هو تنوع بالنسب ، وتنوع بالصورة ، لا تنوع بالفصول
الذاتية ، ولو قال هو كأنواعها ، لكان أشبه ، ولكنه أثر كلام الجمهور .
(يَعْرِفُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ وَالْحَبَا وَبَذَلَ لَهَا وَالْجِدِّ وَالْجِدِّ مُعَلِّمٌ)
أى أنه مُعَلِّمٌ بفكرته في هذه الفضائل كلها مطرورها . ذهب إلى شهرته
وجَهْرَتِهِ .

(ضَلَالًا لِيَهْدِيَ الرَّيحَ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَدْيًا لِمَسَلِ السَّيْلِ مَاذَا يُؤْمَرُ)
دعا على الريح ، لأنها عارضت سيف الدولة فأذت ، ودعا للنيت ، لما شكلته
إياه في طبيعة الجود .

(تَلَاكَ وَبَعْضُ النِّيتِ يَنْتَبِعُ بِمَعْنَى مِنَ الشَّامِ يَقُولُ الْعَادِقُ الْمُتَعَلِّمُ)
تَلَاكَ يعنى النيت ، ويخاطب الملك ، وكان النيت قد صحبه من الشام
إلى ميافارقين وبعض النيت يتبع بعضه : أى أنك فيث ، فلا تلم النيت في
اتباعه إليك ، لأن بعض النيت يتبع بعضاً . (من الشام) : متعلق بتلاك ؛ أى
تلاك هذا النيت من الشام .

(يَقُولُ الْحَادِقُ الْمُتَعَلِّمُ) : إما أن يكون هذا على المثل ، فيكون الحاذق
والمُتَعَلِّمُ نوعين ، أى كل حاذق يتلوه مُتَعَلِّمُهُ ، من أى الطبقات كان . فهذا
وجه المثل الكلى .

وإما أن يعنى بالحاذق سيف الدولة ، وبالمُتَعَلِّمُ النيت ، أى سيف الدولة
هو الحاذق بسلوك طريقة الجود ، والنيت مُتَعَلِّمٌ منه ، فهو يتبعه لذلك .

ولو اتزن له أن يقول : يتلو الْمُعَلِّمُ الْمُتَعَلِّمُ ، لكان حسناً لتعاقبه الفاعل
 بالمفعول المتعول ، ولكن في الحائق مَرَبُّةٌ ، إذ ليس كلُّ مُعَلِّمٍ حاذقاً .
 (أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الْقِيَّامُ تَنْبِيْناً فَيُخَبِّرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ)
 أي : ألم يسأل الويلُ الذي أراد صَرْقَتَنَا عن وجهنا والحديدِ الْمُثَلَّمِ فيخبره
 عنك ، أنه لم يجد فيك مَطْعَماً ، ولا لَصَرْفَكَ مَوْضِعاً . فكيف يروم الفيت من
 كفك وصَرْفَكَ ، ما عجز عنه الحديدُ ، الذي هو أَقْدَرُ حل ذلك منه .
 فالعامل في هذا البيت للفعل الآخر ، الذي هو (فيخبره) . وهذا كقولك :
 ضربتُ وضربني زيد ، أي ضربت زيدا ، وضربني زيدا .

خفف لدلالة الثاني عليه . وقد أبان سيبويه ذلك وقال : إنه كلام
 العرب ، أو أكثر كلامها . يعنى إعمال الثاني . ولو أَعْمَلَ الأول لقال الحديدُ
 المثلَّمُ فيخبره ، وهو كقولك : ضربت وضربني زيدا ، أي ضربت زيدا وضربني .

— ٨٨ —

وله ايضا :

(وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا عَظُمَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كَذِبًا)
 أي لا صدق أصدق من العيان ، وبه ثبت حقيقة البرهان . فيقول : من
 عرف الدنيا عِلِمًا أن ما يراه عياناً مما يشره ، لا يلبث أن يزول ، فيقبه ما يسومه
 فكان ذلك الصدق الممرك بالعيان كذب . و (طويلاً) هنا : نصب
 على الحال ، ولا يكون على الظرف ، لأن طويلاً ونحوه صفة ، وليس بحين يقع
 فيه الفعل ، ولذلك اختار سيبويه في قولهم : (سِيرَ عَلَيْهِ حَسَنًا وَشَدِيدًا وَنَحْوَهَا)
 أن يكون أحوالا لا ظرفاً ، لما قدمنا .

(لَقَدْ لَبِثَ الْبَيْنُ الْمُشْتَبَهِمَا وَبَيْنَ وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّامُ)
 يعنى ما زوّد الضَّبَّ المدمّم ، وإن كان لفظه لفظ الوجود . أي لم يزودني

شيئاً بقدر ما يشربُ الغضبُ من الماء . والغضبُ لا يشرب الماء البتّة ، إنما يستروح النسيم .

(إذا الدّولة استكفّت به في مُلّةٍ

كفّاهما فكان السيف والكفّ والثقل)

استكفّت به : أى طلبت الكفاية . ولو قال استكفّفه فاقترن ، كان (مثل) قوله : استغفرت الله واستعجلت السير .

(كفّاهما فكان السيف والكف والقلب) : أى كان هو الجامع لهذه الثلاثة ، وذلك أن السيف لا يستغنى عن الكف ، والكف لا يقبض عليه حتى يؤيدها القلب . وقد قال هو في تحقيق هذا :

وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالِهِ ، لَمْ يَحْمِلِ الْكَفُّ سَاعِدَهُ
(فَبُورِكَتْ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيَاجَ وَالرِّيطَ وَالْمَصْبَا)

المصّب : برود اليمن ، جله كالنيت وجعل جلودهم كالأرض التي إنما تُنبِتُ بالنيث . فإن شئت قلت : كنى بالدياج والريط والمصب عن نعمة جلودهم وما يعلوم من الخير . وإن شئت قلت : كنى به عما تهب لهم من الكساء ، وإن شئت قلت : إن النيت يُنبِتُ الرِّياض ، وجلودنا بنداك تنبت ما هو أحسن من الرِّياض : عصفاً وديابجا .

(ولكنه وليّ والطعن سورة إذا ذكرتها نفسه لسن الجنب)

سورة : حجة وارتقاء : أى إذا ذكر سورة الطعنة لم يصدق أنه نجما منه فلس جنبه ، ليعرف هل أصابه الطعن أم لا ؟ كقول أبي نواس :

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِي هَوَايَ لَمْ أَلَسْتُ رَأْسِي هَلْ طَارَ مِنْ جَسَدِي
يعنى أنه يهوى ممتعاً عزيزاً .

(فَأَضْحَى كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقُ بَدْوُهُ

إلى الأرض قَدْ شَقَّ للكواكبَ والتُّرَابَ)

(من فوقُ) : مبنى على الضم لحذف المضاف إليه . وبدؤه : ابتداءه .
أى أن هذا السور فوقه قد شق الكواكب إلى ما فوقها ، وأسفله قد شق
التُّرَبَ إلى ما تحته ، بكقول السموأل بن عادِيَاء يصف حصنا :
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ التُّرَى وَسِمَا بِهِ إِلَى النِّجَمِ فَرَزَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
فَكَأَنَّهُ قَالَ مِنَ السَّمَاءِ بَدْوُهُ إِلَى الْأَرْضِ . وإذا كان من السماء إلى الأرض ،
فهو لا محالة من الأرض إلى السماء . وإن كان المبدأ الصحيح إنما هو :
من الأرض .

- ٨٩ -

وله أيضا :

(أَعْيَدُهَا نَظَارَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ

أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ)

أى : أجلُّ نظرك الصادق للصيب ، أن تظنَّ بى حُسْنِ خَالٍ ، لا يظهر
لك من شارى ، وإنما ذلك تَجَسُّلٌ لا غِنَى ، فنظرك هذا يُشَبِّهُ لك الأمر
بمخلاف ما هو به . ويكون النظرُ ما هنا ظنه الخَيْرُ فِيمَنْ لا خَيْرَ فيه ؛ والأول
أشبه

(إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالِرَّا حِلُونَ هُمْ)

أى إذا قدرُوا على إغنائى عن مُفَارَقَتِهِمْ ، ثم اضطرونى إلى فراقهم
(فَهُمْ) المُخِلُّونَ بى حقيقة . وإن كنت أنا المُخِلُّ بهم ، لأن سبب
إِخْلَالِى بهم إنما هو سبب إِخْلَالِهِمْ بى . إذ لو شاءوا أَلَّا أرحلَ عنهم لم أرحل .

(وقد قَدَرُوا) : جملة في موضع الحال . وجاز أن يكون حالاً من قوم ، وإن كانوا نكرة ، لأن فيه معنى الموم ، ولولا هذه الواو ، لكان أولى من ذلك أن تكون الجملة في موضع الصفة للنكرة . فأما مع الواو فلا يكون ، لأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد . فلذا عطفت الصفة على الموصوف ، فكأنك عطفت بعض الاسم على بعض ، وهذا ما لا يسوغ . وأما الحال فنفسه من ذى الحال ، لجاز الفصل بينهما لذلك .

(وَشَرُّ مَا قَبِضْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبِرَاةِ سَوَالٍ فِيهِ وَالرَّخْمُ)
 أى : أنا في الشراء كالبايزى في أنواع الطير ، والشراء غيرى كالرَّخْمُ ، وبين البايزى والرخمة من الفضل ما قد عُلِمَ . فيقول : إذا تساوت أنا ومن لا تدركه في أقدار عطائك ، فكان له منها مالى ، فأى فضل لى عليه ، وإن كنت فاضلاً له ؟ يقول : إما أن تُمَيِّزَنِي على غيرى من الشراء ، وتُبْقِيَ عطائك لم كاهى ، وإما أن تُبْقِيَ عطائك لى كاهو ، وتُنْزِلَهُم عنه ، ليكونوا دُونِي في النوال ، كما هم دُونِي في القتال .

وَحَصَّ شُهْبُ الْبِرَاةِ لَأَنهَا أَفْرَهُنَّ وَأَقْنَصُهُنَّ . وقد قيل إن البراة كلها شُهْب . فليس إذن على طريق التخصيص ، وإنما هو على حسب الصفة التى البراة بها .

(وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا أَذْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمٌ)
 أى : وَرَبَّ ذِي مَهْجَةٍ طَلَبَ مِنِّي مَا طَلَبَ مِنْهُ فَلَمْ يَنْلِهُ وَنَلْتُهُ أَنَا .
 بجواد ظهره حَرَمٌ : أى من ركه ولاذ به لم يُنَلْ ، ولا قُتِلَ ، كما لا يُقْتَلُ اللاتُّدُ بِالْحَرَمِ .

(رِجْلَاهُ فِي الرِّكْضِ رِجْلٌ وَالْبَدَانُ يَدٌ)

وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ)

أى : أنه يَطْفِرُ ، فَتَقَعُ رِجْلَاهُ مَعًا كَأَنَّمَا هُمَا رِجْلٌ وَاحِدَةٌ . وكذلك
تَقَعُ يَدَاهُ ، فَكَأَنَّمَا يَدٌ وَاحِدَةٌ . (وفعله ما تريد الكف) إذا خَرَبْتَهُ ، والقَدَمُ
إذا رَكَضَتْهُ .

يقول : فهو يُعْنِي فَارِسَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِسَوْطٍ ، أَوْ يَرْكُضَهُ بِمَقْبِيهِ ؛ لِيَسْتَدِرَّ
بِذَلِكَ جَرَّتِيَّتَهُ ، وَيَسْتَمِرَّ مَشْيَتَهُ .

— ٩٠ —

وله أيضا :

(أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عِبْرَتِي عَجَبٌ)

كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلِّ)

أى : عَجِبُوا مِنْ بَكَائِي وَقَدْ غِيَّبْتُهَا الْبُعْدَ ، وَكَذَا كَانَ دَمْعِي وَهِيَ
حِينَئِذٍ قَرِيبَةٌ لَا تَتَّعِبُنِي إِلَّا الْكِلُّ . فكيف يعجبون من بكاؤي الآن .

قوله : (وما أشكو سِوَى الْكِلِّ) : جملة في موضع الحال . كأنه قال :
كذلك كانت عِبْرَتِي وهذه المحبوبة قَرِيبَةٌ . وجعل (سِوَى) ههنا ، اسما ،
فوضعها نُصِبَ بِأَشْكُو . وهو في قوة قوله : وما أشكو شَيْئًا سِوَى الْكِلِّ .
وحسن ذلك أنه في معنى : وما أشكو إِلَّا الْكِلَّ .

(مَا بَالُ كُلِّ قَوَادِرٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهَذَا الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلٍ)

أى به من الحب لما مثل ما بى . والذي بى مع ذلك مُنْتَقِلٌ وكان القياس ،
إِذَا كَانَ بِهِمْ مِثْلُ مَا بى ، أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْ حُبِّهَا .

وقيل معناه : به مثل الذى بى . والذى بى ثابت . فالذى بهم أيضاً ثابت لا ينتقل . والقواد هنا يجوز أن يعنى به الطاقة التى هى موضع الحب ، أعنى القلب . ويجوز أن يعنى به كل سيده فى عيشتها ، لأن القواد من أشرف طوائف الجسم . وهذا كما يسمى الشريف عينا لأن العين أشرف الحواس ، وألطف جوهرها ، فيكون كقول أبى تمام :

وسى فا يصطاد غير الصيد

(مُطَاعَةُ الْأَحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِمُقَلَّتَيْهَا عَظِيمُ الْمَلِكِ فِي الْمُقَلِّ)
أى إذا رأت العيون عينها ، ملكت عينها العيون ، فلم تقدر أن تعتمد لها إلى غيرها . فكان عينها للعيون مَالِكَةٌ ، بمنعها إليها التصرف ، والمالك مطاع . والألحاط : جمع لحظ . على أنه سعى العين لحظاً ، ثم جمعه . وإلا لم يسوغ جمع المصدر ، إلا أن تكون القرب قد صرحت بجمعه .

ونظير الألحاط قولهم (الأسماع) . إنما سعى موضع السمع بالمصدر ، ثم كسر . ولو قيل إنه اعتمد اللفظ الذى هو المصدر مختلف الأنواع ثم كسره ، كما كسرت الحلووم والأشغال ، لكان وجهاً ، إن كان ثبت عنده له سماع ، ثبت أن المصدر الذى هو (الأحظ) يجمع .

ولو قال (عظيم الملك) بالكسر ، لكان أشبه بمالك ، كما أنه لو قال (ملكه) لا تزن ذلك ؛ فكان ضم الميم فى (المُلك) أشبه بملك ، لأن المعروف مالك بين الملك ، وملك بين الملك . ولكنه لما قال عظيم وكان (المُلك) أضعف من (الملك) اختار (المُلك) . وحسن ذلك ، لأن البيت يشتمل بملك على الملك الذى هو أعم من الملك بقوله : (مالكه) وعلى الملك الذى هو أشرف من الملك . تشبه الخفركأت الأندت بها فى مشيها فينلن الحسن بالحيل (الخفرة : الحية . والأنسة : المتحبة . أى كل امرأة حسنة مقصرة عن حسنها ، تشبه بها فى مشيتها ، فينبى حسن المشى بقصر حسنها . فتقال

الحسن بالتعجيل . وحسن التشبه بها في الشيء ، لأن غير ذلك من أنواع
حسنها لا يُقدَّر على محاكاته .

(وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي

وَقَدْ أَرَانِي السَّيْبُ الرُّوحَ فِي بَدَلِي)

أى قد كنت فتى يرى شبابى رُوحى فى بدنى لا أودنُ بقتله ،
ولا أستشعر قرب رحلته ، فلما شئتُ أيقنتُ أنى قُرِبتُ إلى الموت وإلى فراق
الدنيا ، ليعمرها بدلى ؛ أى غيرى . فكأن رُوحى قد فارقه حين تيقنُ
بإندثار السَّيْب أنه له مُفَارِقٌ . وقد قال هو فى هذا المعنى يصف الدنيا :

تَمَلَّكَهَا الْآتَى تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضَى فِرَاقَ سَلِيبٍ
أى كَأَنَّ الْآتَى سَلَبَ الْفَاتَى رُوحَهُ .

وذكر أن الحسن البصرى مرَّ بمكتب ؛ فبكى فليل له ما يبكيك
قال : اعتباري من هؤلاء الصبيان ، كأنهم يقولون : انصرفوا قد بُعِثْنَا
أَهْدَانَكُمْ . إلا أن المتبى تصور روحه فى غيره والحسن لم يفعل ذلك .

(وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزِّهَاةٍ وَلَا غَزَلٍ)
الفتاة : أنثى الفتى ، كقولهم : غلامٌ وغُلامَةٌ ، ورجلٌ ورجُلَةٌ .
الطُرُوقُ : الإتيان ليلاً . وأضاف الفتاة إلى الحى ، تنغيماً لشأنها ، وإشادة
بمكانها ، كقوله :

وَلَكِنْ قَلْبِي بِأَبْنَةِ الْقَوْمِ قُلْبُ

وأراد بالصاحب : السيف لأن الصلوك لا يفارق سيفه ، فأشعر أنه
مُتَصَلِّكٌ بقوله : إن السيف صاحب له . والعِزَّاهُ : الماتت لحديث النساء
وبجالتهن . والنَزَلُ : ضده . يقول : طرقت هذه الفتاة مُرْتَدِيًا لسيفي . وجله

لا عِزَّهَاءَ وَلَا غَزَلَا ، لِأَنَّ الْغَزَلَ فِي طَرِيقِ الْقِسْمَةِ . وَالتَّزَاهَةَ فِي طَرِيقِ
الدم . فيقول : سبني صاحب لا يوصف بمزاهة ولا يَغْزَل . والجَمَادُ لَا يَقْبَلُ
قِسْمَةً وَلَا عَدَمًا . فَفَهْمُهُ فَإِنَّهُ مَعْنَى لَطِيفٌ ، وَهُوَ بَابٌ مِنَ الْمَنْطِقِ حَسَنٌ . وَلَوْلَا
أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرَضِ هَذَا الْكِتَابِ لَزِدْتَهُ بَيَانًا . وَقَدْ يَجِبُ أَنْ أُعَذِّرَ فِي قَوْلِي
(الْمَزَاهَةَ) ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا قُلْتُهُ لِمَكَانِ الْغَزَلِ ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَعْمَلِ الْعَرَبُ (الْمَزَاهَةَ) .
وَأَقْلَ مِنْ هَذَا الْمُذَرِّ يَنْبَغِي مَعَ مِنْ عَلِمَ طَرِيقَ الْمَنْطِقِ .

(وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تَنْجِيْدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ)
كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، بِذِكْرِ أَسْلَافِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ،
فَمَاهُ أَبُو الطَّيِّبِ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ فِيمَا يَشَاهِدُونَ مِنْ أَفْصَالِهِ وَفَضَائِلِهِ مَا يَنْفِي
عَنْ ذِكْرِ قَدَمَائِهِ مِنْ جَدُّوهِ وَأَبَائِهِ .

وَأِعْرَابُ الْبَيْتِ بِتَوَجُّهِ عِنْدِي عَلَى وَجْهَيْنِ : أَوْضَحُهُمَا أَنْ يَكُونَ (الْمَدْحُ)
مَرْتَقًا بِالْإِبْدَاءِ ، وَ (عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ) : خَيْرُهُ ، أَيْ : مَدْحُهُ إِذَا أُتِمَّ بِهِ
بِذِكْرِ الْجَاهِلِيَّةِ عِيٍّ وَخَطَلٍ . وَالْجَاهِلِيَّةُ ، مُتَعَلِّقٌ (بِتَنْجِيْدِهِ) أَيْ تَقْوِيَةِ بِهَا ،
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالْمَدْحِ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَارَ فِي صِلَةِ الْمَصْدَرِ ،
وَقَدْ حُلَّتْ بَيْنَهُمَا بِتَنْجِيْدِهِ ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَمَلَّقُ بِهِ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ مَرْتَقًا بِالْإِبْدَاءِ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَاتَّخِذَ تَنْجِيْدَهُ . وَعَيْنُ
فَاعِلَةٍ بِتَنْجِيْدِهِ . أَيْ مَدْحُ هَذَا الْمَلِكِ بِأَخْبَارِ الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا يَمْدَحُ الْمَادِحُ بِهَا لِعِيٍّ
وَخَطَلِهِ .

(وَالْعَرَبُ سَمِعَتْ مَعَ الْكَذْرِيِّ طَائِرَةً وَالرُّومُ طَائِرَةً مِنْهُ مَعَ الْحَبَلِ)
وَالْعَرَبُ : لُغَةٌ فِي الْعَرَبِ . وَنَظِيرُهُ ، النُّجُومُ وَالْتَجَمَ . وَالْقَطَا : نَوْعَانِ
كَذْرِيٍّ وَجُونِيٍّ ، فَالْكَذْرِيُّ اسْمُ عَمَّتِهَا ، وَالْحَبَلُ : الْقَبِيحُ ، وَاحِدَتُهَا
حَبَلَةٌ ، وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدَتُهَا (حَبَلٌ) ، فَيَكُونُ الْحَبَلُ ، اسْمُ الْجَمْعِ ،

كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ سَبِيحًا فِي قَوْلِهِ : خَادِمٌ وَخَدَمٌ ، وَعَازِبٌ وَتَعَزَّبَ . فَالْقَطْعُ مِنْ
طُيُورِ دِيَارِ الْعَرَبِ الْوَحْشِيَّةِ . وَالْحَجَلُ مِنْ طَيْرِ الْجِبَالِ ، وَهِيَ مِنْ مَسَاكِنِ
الرُّومِ . فَيَقُولُ : اضْطُرَّ أَهْدَاءَهُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ وَالْتَوُّشِ .
فَلَقِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْوَحْشِيِّ مِنْ طَيْرِ أَرْضِهِ ، وَصَارَ فِي جِلْدِهِ ، حَتَّى
كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا ، بِكَوْنِهِ خَالِعًا لِلطَّيْرِ . وَلِئَلَّا قَالَ : (طَائِرُهُ) .

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُنِّيَ بِالطَّيْرَانِ عَنْ شِدَّةِ الْهَرَبِ ، وَإِلَّا فَالْعَرَبُ وَالرُّومُ
وَسَائِرُ الْأَجْيَالِ لَا يَتَحَوَّلُونَ طَيْرًا .

وَحَصَّنَ حُوشِيَةَ الطَّيْرِ دُونَ سَائِرِ الْوَحْشِ ، لِأَنَّهُ أَمْرِعُ فِي الْهَرَبِ . وَقَوْلُهُ :
« مِنْهُ » : أَيْ مِنْ أَجْلِ .

(وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْيَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَيْلِ)
أَيْ النَّعَامُ سُهْلِيَّةٌ لَا قُوَّةَ لِنَظَافِيهَا عَلَى خَشَوَةِ الْجَبَلِ ، وَلَوْ رَكِبَ سَيْفُ
الدَّوْلَةِ النَّعَامَ ، سَهَّلَ عَلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ مَا صَعُبَ مِنْ سَعْدِهِ ، وَيُمْثِنُ بَقِيَّتِهِ ، فَفُتَتْ
بِهِ فِي مَعَاظِلِ الْأَوْعَالِ ، وَهِيَ ذُرَا الْجِبَالِ ، لِأَنَّ كُلَّ صَعْبٍ سَهْلٌ عَلَيْهِ .

وَإِنْ شُكَّ قُلْتُ : إِنَّهُ عَنَى بِالنَّعَامِ خَيْلَهُ ، يَقُولُ : يَرْكَبُ أَوْعَارَ الْأَوْعَارِ ؛
فَكَيْفَ يَطْمَعُ الْعَدُوُّ الْمَتَعَمِّ بِالْجَبَلِ أَنْ يُعِيدَهُ مِنْهُ . وَمَا يُحَسِّنُ أَنَّهُ يَمْنَى بِالنَّعَامِ
هَذَا الْخَيْلُ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِحَقِيقَةِ النَّعَامِ ، قَوْلُهُ : (وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْيَالِ مِنْ
أَسَدٍ) ، يَمْنَى بِالْأَسَدِ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، لَا نَوْعَ الْأَسَدِ الَّذِي هُوَ السَّبُعُ .

فَنَ ظَرِيفَ الصَّنْعَةِ أَنْ يُؤَقِّقَ بَيْنَ آخِرِ الْبَيْتِ وَأَوَّلِهِ ، فَلَا يَمْنَى بِالنَّعَامِ ،
النَّوْعَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ النَّعَامُ ، كَمَا لَمْ يَمْنَى بِالْأَسَدِ لِلشَّخْصِ الَّذِي يَسَمَّى أَسَدًا
عَلَى الْحَقِيقَةِ .

(وَرَدَ بَعْضُ التَّنَاقُضِ مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ) أي ضاق المشترك ، وتغير الملقى ، حتى رد بعض القنا بعضاً وتعارعت ، فكان رد بعضها لبعض تقارعاً ، وإذا كان قِراعٌ ، كان صوت ، فكان ذلك الصوت الذي حدث عن التقارع تخاذلٌ . وذلك القراع والجدال كأنهما منافسة في النفوس ، كما يتنافس المتجادلون في الظفر ، فيرد بعضهم قول بعض . وأراد كأنهما عن يحاول الظفر بالأنف ، لحذف ، لأنه قد علم ما يفنى .

- ٩١ -

وله أيضا :

(وَأَشْنَبَ مَسْئُولِ الثَّلَاثِ وَاضِحٍ سَرَتْ فَي عَنْهُ قَبْلَ مَقَرِّي) . يذهب إلى إثبات الجلالة على اللذذة ، ويدعي ذلك التسميته ، حتى إنه يصحبه في خلوته ، وحين الظفر بمحبوبته . والصبر عند ذلك أدل على ملكه لأربه .

قال : قرب حبيب مثلك حسناً ودلاً زارياً ، لحاول تقبيل في ، فسارت في عنه ، لأنه موضع اللذذة ، واللذذة لا أوثرها ، وبذلت له تقبيل محترق ، لأنه موضع الجلالة التي أوثرها .

وهذا كقول الآخر ، إلا أنه بالسكس ، ومنعه محبوبه من نفسه ، ما منع للتعني من نفسه حبيبه :

حاولت منها قبلة فتمدت بقارب الأصداع قطع طريقها
(وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى بَعْفٌ إِذَا خَلَا عَفَافِي وَيُرْفِي الْحَبِّ وَالْخِلِّ تَلْتَقِي)
وروى (ويرعى الحب) . فن رواء « يرعى » فإن من شأن نساء العرب أن يُحِبِّينَ من مُحِبِّينَ الشجاعة والإقدام ، كقول عمرو بن كلثوم :

يَقْتَنُ حَيَادَنَا وَيَقْلَنَ لَسْنُكُمْ بِمَوْلَانَا إِذَا لَمْ تَمْتَسُونَا

فيقول : أنا أعف كرمًا ، وأرضي محبوبي في الحرب ، بمشاهدته مني ، ما يهواه مني ، أو بإخباره ذلك عني . وليس كل أحد من العشاق يجمع عفة وشجاعة ، إذ المشق والنفة والفتك غريزة الاجتماع .

ومن رواه (ويرعى الحب) فهو يقول : أنا أعف كرمًا لا خورًا في هواي ، بل أنا مُراعٍ المحبوب ، حتى إنني أذكرك في الحرب ، وأراعيه أوان الشدة . فكيف في حال السكون والهدوء .

وفي (رعى الهوى) هنالك مَرَيَّتَانِ : إحداها رباطة الجأش ، حتى لا يُشغَلَ الخاطر عن ذكر الهوى . والآخر لشدة محافظته على الوفاء ، حتى لا يَشغَلَهُ عنه شدة ، كقول زياد الأعجم :

ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئُ يُخْطِرُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْا اللَّتْفَةِ السُّمُرُ

وقوله : (والخيول تلتقي) ؛ جملة في موضع الحال . أي ويرعى الحب محاربًا .

(إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتَعِيًا تَخَرَّقْتَ وَالْمَبُوسُ لَمْ يَخَرَّقِ)

لَيْسَ الدَّهْرُ مَلْبُوسًا ، وإنما هي استعارة . يقول : إذا لبست الدهر مَلِيًّا أَهْرَمَنِي ، وهو لا يَهْرِمُهُ امتداد برهته ، فبجري الأمر بيني وبينه بضد ما يجري بين اللابس والملبوس ، لأن شأن اللابس أن يُخْلِقَ الملبوس ، والدهرُ ملبوسٌ يُخْلِقُ لَابِسَهُ . ولما استجاز أن يحمله مَلْبُوسًا ، استعار له التَخَرُّقَ .

(إِذَا سَمِعْتَ الْأَعْدَاءَ فِي كَيْدٍ مَبْجُودٍ سَمِعِي جَدَّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَمِي مُحَنَّقٍ)

حَقِيقٌ حَقَقًا : غضب ، واحتجته : أي إذا رام العدو كيد مجده ، فأول

هَذَمَهُ بِمِلْزَتِهِ أَوْ مَقَامَتِهِ ، فَغَضِبَ جَدُّهُ ، فَدَفَعَ سَمِيَّ عِندَهُ بَسَنَى أَنْفٍ وَأَيْدٍ ،
حَتَّى مَا تَقْدَمُ قَبْلُ .

(كَيْدُ الْعَدُوِّ لَجْدُهُ) . (وَكَيْدٌ) : مُصْدَرٌ كَادَ يَكِيدُ الْمُتَعَدِّي : كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴾ . فَمَجَّزُهُ ، مَجْرُورٌ فِي مَوْضِعِ
نَصْبٍ . أَيْ فِي كَيْدِهِمْ لَجْدُهُ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَصْدَرَ يُضَافُ إِلَى الْفِعْلِ ، كَمَا
يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْغَيْبِ ﴾ ،
فَالْغَيْبُ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ ، أَيْ مِنْ دُعَائِهِ الْغَيْبِ .

— ٩٢ —

وله أيضا :

(يَشْكُو الْمَلَأُ إِلَى الْوَأَمِّ حَرَمَهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ)
أَيْ إِنْ لِلْمَلَأَةِ لَا تَتَمَدَّى سَمْعِي ؛ وَلَا تَصِلُ إِلَى فَوَاضِي ، لِأَنَّ حَرَمَهُ يَعْنِيهَا
مِنْ ذَلِكَ ، فَهِيَ تَضَادِي سَمْعِي . وَيُظَنُّرُ إِلَى الْوَأَمِّ مِنْ قَصُورِهِ عَنِ الْوَصْلِ إِلَيْهِ ،
بِمَا يَتَوَقَّعُ مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَالْكَلَامُ شِعْرِيٌّ لَا حَقِيقَةٌ ، لِأَنَّ التَّلَامَ هَوَاضَ ،
وَالْمَرَضَ غَيْرَ حَاسٍ فَيَشْكُو . وَإِنَّمَا تَشْكُو الْجَوَاهِرُ مَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْمَرَضِ .
وَشَبَّ أَبُو الْفَتْحِ هَذَا بِقَوْلِ كَثِيرٍ :

ذَهَبٌ لِإِعْتِاقِ الْمِثْنِ عَطَاؤُهُ غُلُوبٌ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُ

(وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ)

مِثْلُ مَا تَقْدَمُ وَالْبُرْحَاءُ : الشَّدَّةُ .

(مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدَتْ قَلْبُهُ وَأَرَى يَطْرَفُ لَا أَرَى بِسَوَائِهِ)
أَيْ مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ يَكُونُ حَظْلِيٍّ مِنْ قَلْبِهِ ، حَظْلُهُ مِنْ قَلْبِي ، وَيَرَى بِالْمَعْنَى
الَّتِي أَرَاهُ بِهَا ، فَيَتَعَاطَى فِي الْحُبِّ وَالْجَلَالَةِ ، لَا مَنْ حَظْلِيٍّ مِنْ فَوَاضِي مُتَعَصِّرٍ
عَنْ حَظْلِهِ مِنْ فَوَاضِي ، وَتَعْظِيمِهِ لِي دُونَ تَعْظِيمِي لَهُ .

وقد يجوز أن يبنى بذلك التنه في التشاكل والتناسب ؛ حتى كأنه هو جملة . وإذا كان هو إياه بالجملة ، فقلبه قلب خليله ، وحينئذ عنه .
 (عَجِبَ الْوَشَاءُ مِنَ الْأَحَادِ وَقَوْلِهِمْ دَعِ مَاتَرَكَ ضَمَنْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ)
 إنا عجب الوشاة من الأحاد في ذلك ، لأنهم كلّفوه ترك ما يعجز عن إخفائه ، والإخفاء للحُبِّ أمكن من تركه . فإذا ضف عن الأقل الذي هو الإخفاء ؛ وقد علم الأحاد ذلك منه ، فكيف يكفونه الأكثر الذي هو السلوان .

وقوله : « ضمنت عن إخفائه » : جملة في موضع المفعول الثاني ، إن كانت الرؤية عينية ، أو في موضع الحال إن كانت الرؤية حسية .
 (مَهْلًا فَإِنَّ الْمَذَلَّ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرْفُفًا فَالْسَمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ)
 أي إن المذل يسقمه كما يسقمه الحب ، فهو نوع من إسقامه ، وتَرْفُفًا في عَذْلِهِ ، فإن السمع الذي يقرعه عَذْلُهُ من جملة أَعْضَائِهِ . فلن عَمْتُ بِهِ في المذل ، اختل سمعه أو ذهب .

ولإنما قدر ذلك ناقصاً له عند من هَذَلَهُ ، لأن العاذل لم يرد بمذله إفساد جوهره ، وإنما أراد إصلاحه . فيقول : إن لم تترقق ، عاد ما حاولته من إصلاحه إفساداً إلّ .

والسمع : يجوز أن يكون مصدراً ، إلّا أنه إذا كان مصدراً ، فليس من أَعْضَائِهِ . لأنه حينئذ جنس ، والجنس عَرَضٌ ، والأعضاء جواهر ، والعرض لا يكون جزءاً للجوهر . وإنما عَنَى موضع السمع من أَعْضَائِهِ .

وقد يجوز أن يكون السمع اسماً للأذن ، سُمِّيَ لِحِسِّهَا ، كما سميت العين بصرًا في بعض المواضع . وإنما البصر في أكثر الكلام حسّ .

(وَحَبَّ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةٌ بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ)
 أى إن كنت تلتذُّ بالملامة ، فاجعلها كالكرى الذى قد علمته أنا ،
 على التذاذى به . فكما نراه على سهادى وبكائى ؛ فكذلك ينبغي لك أيها
 اللائمُ أن يُسَلِّك عن كلامى الذى تلتذُّ به ما تراه من سُهادى وبكائى ، فيعود
 سواء فى امتناع الالتذاذ . ودعاه إلى الانتشاء به فى الصبر على عسَم
 ما يُلْتذُّ به .

« ومطرودة : مفعول ثانٍ لِهَبَّ ، لأنها بمعنى (اجْعَلْ) المتعدية إلى
 مفعولين . وإن شئت قلت : إنه بدل من موضع « كَالْكِرَى » لأنه بمنزلة
 قولك مثل الكرى . وهذا القول أقوى .

(إِنَّ الْمُعِينَ عَلَى الْعِبَابَةِ بِالْأَمْسِ أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ)
 أى مُعِينِي عَلَى الْعِبَابَةِ : مَنْ أَعَانَ بِالْمُؤَاَسَاةِ لَا بِالْمَلَامِ . فَإِنَّ رَأِيماً ذِي
 الْعِبَابَةِ مُؤَاَسِيهِ بِالْعِزِّ ، لَا لَأَمِّهِ .

(وَالْمَشْقُ كَالْمَشْقُوقِ يَمْدُبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَغَى وَيَنْتَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ)
 أى المَشْقُ مُلْتَمِدٌ مَحْبُوبٌ ، كَأَنَ لِلْمَشْقُوقِ كَذَلِكَ . وَكِلَاهُمَا نَاتِلٌ مِنْ
 حَوْبَاءِ الْمُبْتَغَى وَقَاتِلٌ لَهُ . وَقَوْلُهُ : « وَالْمَشْقُ كَالْمَشْقُوقِ » : جُمْلَةٌ يَفْسِرُهَا
 مَا يَمْلِكُهَا مِنَ الْبَيْتِ . كَأَنَّهُ لَمَّا قَالُ : وَالْمَشْقُ كَالْمَشْقُوقِ ، قِيلَ لَهُ فِيهِ ، أَوْ كَيْفَ
 تَفْسِرُهُ لِلسَّائِلِ ، فَتَقْدِيرُهُ : وَالْمَشْقُ كَالْمَشْقُوقِ فِي أَنَّهُمَا يَمْدُبَانِ وَيَقْتُلَانِ
 مَعَ ذَلِكَ .

(وَقَسَى الْأُمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِنَبَاسِهِ وَسَخَائِهِ)
 أى وَقَسَى هَوَى الْعِيُونِ . وَأَمَّا مَا سِوَاهُ فَقَدْ آمَنَتْهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ دَافِعٌ لَهُ
 بِبَاسِهِ وَسَخَائِهِ . وَهَوَى الْعِيُونِ مَا لَا يَنْفَعُ فِيهِ بَاسٌ وَلَا سَخَاءٌ ؛ فَإِنَّمَا أَذْهَوَ لَهُ أَنْ
 يُوقَى مَا لَا طَاقَةَ لِحُودِهِ وَبَاسُهُ عَلَى دَفْعِهِ .

(مَنْ لِّلسُّيُوفِ بَأَن تَكُونَ سَمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَقَائِهِ)
 أى بَأَن تكون مثل سَمِيحٍ فى أصله ، إما أن يريد : فى نوعه الذى هو
 الإنسانية ، وإما فى قبيله ، وفِرْنَدِهِ ؛ أو فى صورته ، لأن صورة الإنسان أحسن
 من صورة السيف ، وروقه أفضل من روقه . وأما وقاؤه فلا وفاء للسيف .
 ولا عُذر إلا على الجواز ، لأن ذلك من خواص الإنسان .

(إِنِّى دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَّمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ)
 أى : دعوتك لطلب ليس كَقَوْلَا لك ، لأن كل خطيب دُوتك ،
 لَا يَعْزُكَ وَلَا يَقْبَلُكَ .

وإن شئت قلت : كل نائبة وإن عظمت فهى دون أن يُدْعَى مثلك
 إليها ، وإن كنت لا تُدْعَى من النوائب إلّا إلى ما أنت له كَقَوْلِهِ ، ما وجدنا
 ما يكون كَقَوْلَا لك ، فدعوك إليه ، لكن لابد أن تدعوك لما تاب ، وإن جِلَّ
 عنه خَطَرُكَ ، وعلا قدرُكَ .

— ٩٣ —

وله أيضا :

(كَأَنِّى عَصْتُ مُقَلَّتَى فَيْكُمْ وَكَأَنَّمَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ)
 هذه مبالغة فى كثرة السر والغم بإذاعته ، أى رأت عيني ما رأت ،
 فكتمته عن قلبى . وإذا كان القلب لم يعلم ذلك ، لم يمكن أن يعلم غيره به ،
 إذ لا يمكن أن يعلم غيرك إلا ما علمته .

وإن شئت قلت : إذا رأت عيني ما تحبون كتمته ، تناساه قلبى ، حتى
 كأن العين كتمت عنه ما رأت . والمقولان متقاربان .

وقوله (فيكم) : أى من أجلكم . وعصيان الملة للفؤاد : إنما هو كتمها

عنه ما رآته ، فكأنه قال : كأنى عصمت مقلتي فيكم قلبي ، وكأنته ما تبصر .
 خفف الأول لدلالة الثاني عليه ، وأعمل (كآنت) . إذ لو أعمل الأول واتزن
 فقال : وكأنته القلب . أى عصمت مقلتي القلب وكأنته .

— ٩٤ —

وله أيضا :

(إذا كان ثم الروح أدنى إليكم فلا برحمتي روضة وقبول)
 أى إن كنتم إنما تؤثرون ثم الروح ، ونسيم الهواء . وذلك إنما
 يكون بحضور الروح والريح القبول ، فلا زلت أنا روضة فخصمكم ، وريحاً
 قبولاً تشمونها ، تلذ لكم ، إذ كلما كنت كذلك ، فأنتم قريب مني ،
 وطلبون إلي .

وقوله : (أدنى إليكم) : أى أشد إدناء لمن يحبكم . وقوله : (فلا برحمتي
 روضة وقبول) : إن شئت قلت : أراد فلا برحت روضة وقبولاً ، فعكس ،
 فجعل المعرفة الخير ، وهى (فى) والفكرة الاسم ، وهى (روضة وقبول) .
 وإن شئت قلت : إن (نى) من (برحمتي) ليست بخير ، ولا برح هذه
 المتفضية للاسم والخير . وإنما (برح) هنا المتعدية إلى المفعول . كقوله تعالى :
 ﴿ كلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى ﴾ فيكون (نى) على هذا
 مفعولاً ، ويكون التقدير : فلا فارقتي ، أو فلا زابلتى روضة .

أى فإذا كان ذلك ، قصدتم هذه الروضة التى عندي ، فسيبت أنا بقربيكم .
 والأول أبلغ ، لأنه على ذلك القول الأول ، يحمل نفسه ذات الروضة ؛ ويتمنى
 الخروج من النوع الحيوانى إلى النوع النبائى ، إيثاراً لهوام ، واختياراً
 قريهم .

(لَقِيتُ بِدَرْبِ الثَّلَّةِ النَّجَرَ لَقِيَةً شَفَتْ كَمْدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ)
 أى أصبحت فى هذا الموضع ، أو أضررت فيه . « شفت كمدى » .
 أى شفت الثَّيَّةَ للنجور بانحسار الليل ، ما كان من الكد . (والليل فيه قتل) :
 أى قد ذهب ، واشتعل ضده على مَحَلِّهِ ، فكان الليل لما عُدِمَ أو قارب الدم
 مقتول .

وإن شئت قلت : طال على الليل بالصباية ، فكانه وَرَنِي ، فاستوجب
 بذلك أن أطلبه بشأرى : فأوقد سيف الدولة بالدرب نيراناً ، فغالب ضوؤها
 دخانها ، فبدت لى من الضوء المختلط بالبخان ، سُمرة كسرة النجر ، قبل أو ان
 النجر ، فكان هذا الملك قد قتل الليل بإيقاده هذه الديران ، التى خَلَخَلَتْ
 كثافة الظلمة ، فانا أكنى بذلك عن تأرى ، فيُشْفَى كمدى .

وقيل : النجر هنا سيف الدولة ، أقام غُرته مقام النجر ، وبالحق فى ذلك ،
 حتى جعله قاتلاً لليل ، وما جُلِبَ عند ليل زَحَل ، ولا نيل منه ثار قبل هذا .
 (حَلَى طَرَقٍ فِيهَا حَلَى الطَّرَقِ رَفْعَةً وَفَى ذِكْرَهَا مِنْدَ الْأَنْبَسِ خُمُولُ)
 رَفَعْتَهَا : أنها أكرم وجبال ، وخمولها : أنها غير مسلوكة لوعورتها ،
 فهى لذلك خاملة . وقد يجوز أن تكون طرقات لم يسلكها إلا جيش سيف
 الدولة ، لأنها مخوفة فالنفس لا يعرفونها لذلك .

(وَمَا شَمَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُنْهَرَةً قَبَاحًا وَأَمَّا خَلَقُهَا فَجَمِيلُ)
 أى قبح الأفعال بهم ، وإن كانت فى خلقها جميلة ، لأن خوفهم لما يُقْبِحُها
 فى أعينهم ، فيخفى عليهم جمالها . وهذا نحو قوله :

حَسَنٌ فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ
 فالحسن فيه طيبة ؛ والقبح عَرَضُ .

(وَأَضْمَنْ مَا كَلَفْتُهُ مِنْ قُبَابٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ لِلْمَاءِ فِيهِ عَلِيلٌ)
 قُبَابٍ : نهرٌ دمهته هذه الخليل ، فسدت مجارى الماء فيه ، بكثرة قوائمها ،
 فارتدع الماء ، إلا ما تظل شُعب قوائم الخليل ، فأضغته عن قوة جريه ، حتى
 كأنه حليل . والملة هنا كناية عن الضعف ، إنما الملة في الحيوان ، والماء
 ليس بحى .

(نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَقْتَ لِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ نَسِيلٌ)
 يخاطب المُسْتَقَى ، وكان شُجٌّ في وجهه وبجاء جريحاً ، فهذا معنى قوله :
 (نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً) ، وكان ابنه قد أُسِرَ ، فلذلك قال :
 (وَخَلَقْتَ لِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ نَسِيلٌ) ، أى تركته ينفو في الكبل والحبس ،
 مع ما اشتعل عليه من خشية القتل :

(إِذَا لَمْ تَكُنْ لَيْثٍ إِلَّا فَرِيسَةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَثَرُكَ فِيلٌ)
 ضرب (الفيل) مثلاً لظلم عدد الروم ، وضرب (الليث) مثلاً لسيف
 الدولة وجيشه ، أى فلا تَتَمَحَبَّنِ الروم كثرة عددهم ، فإن الكمية لا تثنى ، وإنما
 الفناء للكمية . وقال : (غذاء) : أراد غداه ذلك الشخص المقرص .
 (أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجُولِ)
 أى أعادى على ما لى من الفضائل النفسانية ، كالشجاعة والفروسية ،
 والنصاحة والشعر ، حسداً لى على ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل في حد
 الحقيقة ، مُوجِبَةٌ للحب ، فكيف أُشْتُأ على ما يُوجب الحب ؟ يقول ذلك أ
 متعجباً .

قال أبو الفتح : لو قال (أَبْتَضُّ) مكان (أَعَادَى) كان أوفق في مذهب
 الشعر ، يعنى أبو الفتح : أنه لو قال ذلك ، كان أذهب في بلب التناقيل ، لأن

التقيض إنما يقابل بتقيضه ؛ وكذلك الضد بضده . فعند الحب البغض . وضد
 العداوة الصداقة . فلذا قابلت العداوة بالحب ، والصداقة بالشأن ، لم يك
 ذلك على قابل الضد والتقيض .

لكن الذى يُسهّل ذلك ، أن العداوة علّتها البغضة ، التى هى ضد
 الحب ، فأقام الملة التى هى العداوة ، مقام للمول ، الذى هو البغض . ولولا
 ما يتدخل التضعيف البدل من الاضطرار ، لقال : فأشقى ، أو (أشن) على
 احتمال الجزم ، ولكن ، الأول أسوخ أعنى وضع (أعادى) مكان
 (أبغض) لما ذكرت لك ، من دلالة الملة على المول .

- ٩٥ -

وله أيضا :

(تَرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا لَهَا تَأْتِلُهُ فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ)
 أى أنه يكسب الأهلة بنظرها إلى غرته نوراً وسعداً ، فتال بذلك من
 جوده كما يتال الناس . فالبشر إذن نوع غير مخصوص بناله بل هو عام للعالم
 العلوى والسفلى .

- ٩٦ -

وله أيضا :

(وَشَرِبَ كَلَسٍ أَكْثَرَتْ رَفِيفُهُ وَأَبْدَلَتْ غِنَاهُ أَيْنَتُهُ)
 الشرب : اسم للجمع هند سيبويه ، وهو عند أى الحسن جمع . ويدل
 على صحة قول سيبويه : إن العرب إذا حقرت هذا النحو حقرته بوزنه ، كما
 تحقر الواحد ، قالوا : شَرِبَ وَرُكِبَ . فلو كان جمعا كما ذهب إليه
 أبو الحسن ، لَرُدّه إلى واحده فى التحقير ، ثم جمع بالواو والنون ، قيل :
 رُوَيْكِبُونَ وَرُوَيْجِلُونَ . وإنما كلام العرب ما قدمنا .

أُنشدنا القرشي :

بنيته بِمُصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا أَخْشَى رُكْبَانًا وَرُجَيْلًا عَادِمًا
وذهب قوم إلى أن معنى البيت : أن هذا الشرب — وهم أعداء الممدوح —
غَنَوَا بمناقبه ، حتى إذا سَكروا حاج لهم السكر ذِكْرٌ مِنْ سَبَابِهِمْ وَقَتْلُ ،
فَأَرْتَوْا حُرْنَا ، وعاد ذلك الفناء أُنَيْنًا وَتَجَبُّا .

والذي عندي أن هؤلاء الشرب غَنَوَا ، فَأَتَجَنَّ فِيهِمْ هَذَا لِلَّهِ وَأَوْجَهُمْ ،
فصاد ذلك الفناء رَيْنًا وَأُنَيْنًا . وقوله : (أَكْثَرْتُ) و (أَهْدَلْتُ) : إخبار
عن الخيل والقنا اللتين في قوله :

(إِنَّ الْجَيَادَ وَالْقَنَّا يَكْفِينَهُ)

- ٩٧ -

وله أيضا :

(فإني رأيتُ البحرَ يَبْغُرُ بالقَنَّا وَهَذَا الَّذِي بَيَّأَنِي الْفَتَى مُعْتَمِدًا)

أى أن سيف الدولة أُولَى بأن يرجى ويخشى من البحر ، لأن البحر وإن
أرَوَى وأَعْلَى ، فليس شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِنْدَ وَلَا قَصْدَ ، لأنه لَا رُوحَ لَهُ وَلَا
قُوَادَ ، فليس إذن يَحْدُ عَلَى مَكْرَمَاتِهِ وَلَا ذِمِّمَ لَأَقَاتِهِ . وهذا كقوله هو :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَذًّا وَلَا ذِمًّا فَابْتَطَشَهَا جَهْلًا وَلَا كَفَّهَا حِلْمًا

وأما سيف الدولة فهو لكل مَا يَأْتِيهِ مِنْ إِفَاقَةٍ وَإِغْنَاءَ وَإِمَانَةٍ وَإِحْيَاءَ ،
عَامِدٌ قَاصِدٌ ، لأنه مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْحَيَوَانِ .

(وَتُخَيِّلُهُ لَللَّالِ الْعَوَارِمُ وَالْقَنَّا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي الْقَبَسُ وَالْجَلْدَا)

أى أن يَنْبِرُ فَيَضْمُ بِسَيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ ، فَهِيَ تَحْيِي لَهُ اللَّالَ . ثُمَّ يَهْبِ عَفَاتِهِ ،

ما يسلبه عدّاته ، وذلك في حال تبسّم وأرجحية للعطاء ، فذلك التبسم هو الذى يقتل المال الذى أحيتّه الأسنة والصوارم ، كقول أبى تمام :

إذا ما أظاروا واحتقوا مآلَ معشِرٍ أغارت عليه فاحتوتهُ الصنائع
وذكر التبسم والجَدَّ هنا كقول كثير :

عَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لَضِيقِكَ رِقَابُ الْمَالِ
ولو قال (بيت) مكان (يقتل) لكان أشدّ مقابلة للحياة ، لأن القتل ليس بضدّ الحياة إنا هو علة ضدّ الحياة في بعض الأوقات .

وخيم الحياة إنا هو الموت . ومقابلة الشئ ببقية أذهب في الصناعة .
(و) التبسم والجلد) : مرتبطان يقتل ، أى ويقتل التبسم والجلد ما تحبه الصوارم والقنا . فى تميم ضمير راجع إلى القنا والصوارم ، أى مانعها .

(هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أَخْبَهَا وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا)
إنا ذكر فضل يوم الأضحى وجهه سيد نوعه . ثم مثّل به فضل سيف الدولة على جميع نوعه . وذلك فى البيتين اللذين قبل هذا البيت . ثم عجب من تفاضل الأشخاص الواقعة تحت نوع واحد ، على أن عنصر هنا واحد .
قال : (هو الجدّ حتى تفضل العين أخبها) فبالغ بالمعجب من العين التى فضل صاحبها على اقترابها وشدة اقترابها . وبالمعجب من الأيام التى تفاضل بما يحدث فيها من السراء والضراء وضروب المالك والمناسك .

(أَجِزْنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْرًا فَوْتَنَا يَشْعُرِي أَنَّكَ لِلدَّحُونِ مَرْدَدًا)

أجِزْنِي : أى أعطنى الجائزة إذا مدحك غيرى ، فإن الشعراء إنا يأخذون مغانى شعري ، فيمدحونك بها ، فاذن إنا المستحق بمجوارئك أنّا لأهم . إذ لولا شعري لم يهتفوا إلى ما يمدحونك به . فكلموا أحسنوا فإنما الإحسان لى كقول الآخر :

فإن أنشد حمادُ قُتْدُ أحسنَ بشارٍ
أى إن حماداً إنما يأخذ شعر بشار . فالإحسان له ، والإشاد لحاد .

— ٩٨ —

وله أيضا :

(ثيابُ كرمٍ مایعونُ حسانها
إذا نُثِرَتْ كانَ الهیاتُ صوانها)
بني ثياباً رومية كساه إلاما ، (كان الهيات صوانها) أى أنه لا يصونها
إنما يتنزلها بالهبة . فلهبة هى التى تكون لها مقام الصوان إذ لا صوان لها عنده
وإذا لم یصن حسانها كان أحجى ألا يصون دُونها .
(تربنا صناعُ الرومِ فيها ملوكها وتجلو علينا نفسها وقيانها)
بني ما فيها من التصاور الرومية .

(ولم یکنها تصويرها الخلیل وحدها فصورت الأشياء إلا زمانها)
أى صورت الأنواع الحيوانية إلا الزمان ، فانها لم تصوره لجزءها عن ذلك
وذلك أن الزمان هنا إما أن یبنى به الذلک ، ولا أحد يستطيع تصويره على
حقيقته التى هو بها ؛ وإما أن يكون الزمان هنا وجودُ النور وعلمه وذلك
مرصُ والمرض لا یصور إلا فى جوهره الذى هو منه .

(وأُم عتیقِ خالِه دونَ عمه رأى خلقها من أعجبته قمانها)
وأُم عتیق : ببنى فرسا . وعتیقها : مهرُها ، والعتیق : الكرم . وجعل لها
خالاً وحمّاً ، ینهب إلى أن هذه الفرس ذات طرقتین کریمین ، مختلفین
بالنسب ، لأن ذلك مما یستحب فى الخلیل أعنى ألا يكون الأبوان متناسبین .

وقد يستحب ذلك في الإنسان ، لأنهم يزعمون أن الأبوين إذا كانا متناسبين جاء الولد هناوياً ، أي مهزولاً ، دقيق العظم (ابن السكيت) .

ومنه الحديث : (اغتربوا لا تُضَوُّوا) . أي لا تنكحوا في الأطراف ، فيجىء الولد ضاوياً . وقال : (خاله دون عمه) يذهب إلى أن أباه أكرم من أمه ، وذلك أحجب له . (رأى خلقها من أعجبه فمأها) . يزعمون أن الشيء المُنْعَب ربما أصابه النعيب ففسد لذلك ، فيقول : رأى هذه الفرس يبحر من أعجب بها ، فلقها بعينه . وهنا رواية ضميقة ، وهي . (رأت خلقها من أعجبه فمأها) . أي رأت خلقها فخلاً حاول كومتها حين أعجبه ، فأمسكت ، فأولدها ، فكانه تنقصها بالإيلاد ، كما ينقص الشيء الحسن للمعجب إذا أصيب بالعين .

(إِذَا سَايَرْتُهُ بَابَيْتُهُ وَبَنَاهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا)

أي بابيته ، من (البَوْن) أي يامدته . فإن قلت . ينبغي على ذلك : (باوتته) ، لأنه من الواو . فإن شئت قلت : إن هذا على اللاقية ، ومعناها : قلب الواو ياء لغير علة إلا طلب الخفة ، وهي لغة حجازية عريضة . يقولون : (صَيَاغ) في (صَوَاغ) ، ومَيَاتِي في مَوَاتِي ، وهو كثير ، قد عمل فيه يعقوب باباً واسعاً . وإن شئت قلت : إن من (البَيْن) الذي هو في معنى (البَوْن) . حكى أبو عبيد ، بينهما (بَوْنٌ) بميدو (بَيْنٌ) . وقد بان صاحبه بيوتُهُ . وبَيِّنْتُهُ . فحُكِّمَ إِيَّاهُ عَلَى هَذَا ، خيرٌ من اعتقاد اللاقية الحجازية ، لأنك إنما تلوذ بها إذا لم تجد عنها معدلاً .

و (شَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ) : أي شاته بكونها أمه لتقصيرها عنه .

« وزانها » ، بكوتة ابنها وهو زائد عليها .

(وَأَيْنَ النَّبِيِّ لَا تَأْمَنُ الْخَلِيلُ شَرَّهَا وَشَرِّي وَلَا تُعْطَى سِوَايَ أَمَانَهَا)
 إن شئت قلت : أين قرى التى من أمرها وشأنها ، من هذه القرى
 للمبية ؟ وإن شئت قلت . أراد : حبلى القرى التى هى أكرم من هذه القرى
 التى وهبتها لى .

وقوله : (لَا تَأْمَنُ الْخَلِيلُ شَرَّهَا) : إذا كَرَرْتُ بها . وأراد أهل الخليل
 غطف الضاف ، وأقام الضاف إليه مقامه . (وَلَا تُعْطَى سِوَايَ أَمَانَهَا) : أى
 لا يأمنها إلا مثلى من الحذاق بركوب الخليل .

- ٩٩ -

وله أيضا :

(تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةٍ جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ مَالَهُ مَطَرٌ)
 أى أنك غاية فى الجود لا فوقها ، فإذا شبهنا كفك بالمطر ، فالمشبه دون المشبه
 به ، فقد بالغنا بمدح المطر وشرّفناه . فكان هذا التشريف له بتشبيه جودك به ،
 جوداً عليه ثانياً من جودك علينا بالمال وخمس الأمطار الغواى ، لأنها بالأغلب
 أغزر ما تكون حينئذ فى أول النهار ، والنفوس حينئذ شهوة منشطة ،
 فهى حينئذ أروى وأعلق .

- ١٠٠ -

وله أيضا :

(وَقَاتَمَكَ الْمَيِّتِينَ مِنْهُ وَلَحْظُهُ سَمِيحُكَ وَالْخِلُّ الَّذِى لَا يُزَايِلُ)
 يعنى بسميّه والخِلّ الذى لا يزايِل : السيف . أما سميّه فلاّنه سيف ،
 والمَلِكُ سيف الهوة ، فهو وسيفه سَمِيَّان . وأما كونه خِلاً لا يزايِلُه ،
 فلاّن السيف لا يفارقه . فيقول : نظر إليك طامعاً فى إحسانك ، وإلى سيفك ،
 خائفاً من بأسك ، يلقب طرفه من يمين إلى شِمال ، فذاك معنى للقاسمة ، أى أن

السيف قد قَاسَكَ قَيْنِي رسول الروم فهو تارة يتأملك ، وأخرى يتأمل سيفك ،
ولعله ، عندى حشو ، لأنه إذا قاسمه عينيه قد قاسمه الأخط .

(وَأَكْبَرُ مِنْهُ هِمَّةٌ بَقِيتُ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَا وَاسْتَنْظَرْتُهُ الْجَحَافِلُ)
أى أكبرت العدا همة هذا المرسل ، وأعظمت شأنه لإقدامه عليك ،
ومثوله بين يديك . (واستنظرته الجحافل) : أى سألته أن ينظرها ، يشغلها
أهملها الملك عنهم . فعنى استنظرته : طلبت منه النظرة ، أى التأخير .

(أَطَاعَكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَفَرَّقَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ)
بأنهم يطاعهم إياه فى أرواحهم ، لأنهم إذا أطاعوه فى ذواتهم ، كانوا
أجدر أن يطيعوه فيما سواها . و (التفت عليك القبائل) : أى أحذقت بك
العرب ، لأن كل جيش مُحَدِّقٌ بأميره .

وإن شئت قلت : جعله سيطرة لِسِرَاوَةِ نسبه ، وهلاوة حسبه ، وقبائل
العرب محيطة به ، فالخاط به أشرف من المحيط ، كالقِلَادَةِ التى أنفَسَهَا سِطْعُهَا .
والهائرة التى أشرفها قِطْعُهَا .

(رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَايِ وَفَضَّلِهِ وَهَمُّنَ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَائِلُ)
وفضله : أى فضائله . هذا أذهب فى الصناعة ؛ أى أعنى يعطف جمعا على
جمع فى النية وإن لم يستقم ذلك فى اللفظ . إذا أغضبتُ عِدَاهُ لمدامى فيه فضائله
النفسانية ، فلم يحدوا فى شمرى مطعما ولا فى فضائله القاتية مَدَدَمَا ، فقد فَعَلْتُهُمْ
بأن أغضبتهم وأعجزتهم ، وسَلِمَتْ هى فى أنفسها ، إذ لم يقدروا على غض
أشعارى ، ولا إنكار فضائله .

(يُبَيِّعُ هَرَابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ فَتَنَ فَرَّحَرَبًا عَارَضَتُهُ الْقَوَائِلُ)
القَوَائِلُ : الدوامى للهلكة . قول العرب : النصب غُولُ الْحِلْمِ . أى

يذهب بالحلم فينتاله . يقول : إن سمده يتبع للهزومين ؛ فيقتلهم بالعش والكلال
وسائر أنواع الآفات ، كقوله هو :

إِذَا فَاتُوا الرَّمْلَ تَنَاقَلْتَهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعُشِّ الْقَنَارِ
ويتبع من باب (فَعَلَ) في معنى (تَفَعَّلَ) أى يتقبح . ونظيره ما حكا
سيبويه من قولهم بَيْنَ الشَّيْءِ وَبَيْنَهُ . وفى اللؤلؤ : قد بَيْنَ الصَّبْحِ لَدَى عَيْنَيْنِ .
أى تَبَيَّنَ .

(رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَنْقَضِ الْعَمَلُ فِي الرَّغَى إِلَيْكَ انْقِیَادًا لَانْقَضَتْهُ الشَّامِلُ)
أى لو لم يَجْرِ من أحبابك على العمل ، انقيادهم لك ، وطاعتهم لإياك ،
لانقضام إياه حبهم لك . و (الشاملُ) يجوز أن تكون منه ومنهم ، فإن
كانت منهم ، فمناه : حبهم لك بطاعتهم . وإن كانت منه فعناه : بمجههم لشمالك .

- ١٠١ -

وله أيضا :

(وَأَسْقَطَتِ الْأَجِنَّةُ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ)
أى أن النساء أُرْدِفْنَ ، وعُسِفَ بهن فى الهزيمة ، فمن كان منهن حاملاً
أَسْقَطَتْ فى الولايا ، وهى الأخلص على إعجاز التليل والإبل ، وأجهدت
الإبل ، وكُلِّفَتْ أكثر من طاقها فى السير ، فأجهدت الحوامل ؛ وهى
الإناث والسقاب ، وهى الذكور . والإجهاض للنوق ، كالإسقاط للنساء .
وهذا كقول أبى النجم :

كَمْ طَرَحَتْ مِنْ وَلَدٍ لَا يَتَلَدَى تَرَاهُ كَالسُّلُوحِ وَالْجُلْدِ بَرَى
(وَعَمُرُوْ فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَمُبُ فِي مَيَامِنِهِمْ كِمَابُ)

عُمُرُو وكعب : بطنان ، كعب : بن ربيعة ، وهمر بن مالك . فإن شئت قلت :

اختلفت كلمتهم فأشارت طائفة بالهَرَب ، والأخرى بالاستسلام وأخذ الموثق من سيف الدولة . وكانوا قبل يداً واحدة ، كلمتهم سواء فكانهم باختلافهم قسموا وافترقوا فصارَت القبيلة باختلاف كلمتها في قبائلك ؛ فذلك جمل عمراً عُموراً ، وكعباً كعاباً .

أنشد سيبويه :

رَأَيْتُ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كِعَابًا
وإن شئت قلت : هربوا وتبدؤوا ، فصاروا شيئاً وأحزاباً ، فكل جزء من عمرو محمور ، وكل جزء من كعب ، كموب . والقولان متقاربان .
(وَلَوْ غَيَّرَ الْأَمِيرُ غَزَاً كِلَابًا ثَنَاءً عَنْ مَمْنُونِهِمْ ضَبَابٌ)
يعنى بشموسهم : حقائق نفوسهم . والضباب : ما يقيه من الطمان والضراب . وقيل : ثناء عنهم أقل ما يصيبه منهم ، لأن كثافة الضباب أقل من كثافة السحاب . وقيل : عني بالشموس نساءهم التي سبها سيف الدولة ، وبالضباب : مَنْ فيهم من الكُفَاة والحُصَاة .

— ١٠٢ —

وله أيضا :

(تَقْدَى أَمُّ الطَّيْرِ حُمْرًا سِلَاحُهُ نُسُورُ الْفَلَاحِ أَهْلُهَا وَالْقَشَاعِمُ)
أُمُّ هنا: بمعنى أطول . وإنما جاز ذلك لأن التمام في باب (كيف) ، نظير الطول في باب (كَمْ) . وإنما يستعمل في العمر أطول ، فلم يَتَزَنَّ لَهُ ، ونحوه قول رؤبة :

(كَالكَرْمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ)

وإنما المعروف صالح الكرّم ، وسائر الشجر إذا بدا ثمره . إلا أنه لو قال

صاح الكرم لكان في الجزء طى ، وهو ذهاب طاء (مُسْتَقِيلٌ) ، لأن قوله :
(صاح مثل) مُسْتَعِلُنْ ، فاستوحش من الطى ، فوضع نادى مكان صاح ،
ليسلم الجزء .

والنتهى أعذر ، لأنه لو قال : (أطول) لانكسر البيت ورؤية لو قال :
صاح من الكافور لم ينكسر البيت ، وإنما كان يلحقه الزحاف الذى وصفناه .
وقال . « تُقَدِّى » فأنث الفعل ، وإن كان للآتم ، والآتم مذكر ،
حملاً على المعنى ، لأن الآتم هو النور في الحقيقة . ونظيره قول بعض العرب :
فلان لنؤب جاءته كتابي فاحضرها . أنث الكتاب لما كان في معنى
(الصحيفة) . و (نور الفلا) . يدل من (آتم الطير) . و (أحداها
والقشام) : يدل من (نور) . وكلاهما يدل بيان . يقول : أَوْسَعَتْ سِلَاحُهُ
النور رِشْبًا من لحوم القَتْلِ قديمًا وحديثًا الآن ، قشاعها وهى المسان تشكر
القديم والحديث ، وأحداها تشكر الحديث ، لأنها متأخرة الكون عن زمن
القديم . فكل النوعين يشكر سلاح هذا الملك ، و (يَفُدِّيهِ) : أى يقولان
نمن القداء لسلاحه . واستعار الأحداث للنور ، وإنما هو في نوع الإنسان ،
ومثل هذه الاستعارة كثير .

(هل الحدثُ الحراءُ تعرفُ لونها وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِينِ الغَمَامُ)
(الحدث) : حصنٌ معروف ، وأنته على معنى القلعة ، أو المدينة ،
وجعلها حراء ، لما سال عليها من الغمام ، وكانت غيرَ حمرَاء . يقول : فهل
تعرف الآن لونها القديم الذى بُدِّلَتْ منه الحُمْرَة . وإن شئت قلت : هل
تعرف الآن أنها حراء ، أو تنكر ذلك ؟

وقيل : جعلها حراء ، لأن سيف الفولة ينهاى بمجر أحمر ، ولم يك
قبل ذلك .

يقول : فهل تعرف هذه القلعة أن بناها الحديث غير بنائها القديم ؟
وكذلك بكت هذه السيوف هذه المدينة بالأمم ، كما يبيل - السحاب الأرض بالطر
فهل تعرف أن الغمام سقاها الآن أو السيوف ؟

وقد بين ذلك بقوله بمد هذا :

(سَقَّتْهَا الْقَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نَزْوِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الْجَمَاحُ)

أى سقاها السحاب قبل نزول سيف الدولة بها ، فلما دنا منها قتل من كان
بها من الروم ، فسقتها السيوف بمدائهم .

(وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحتُ ومن جُشتِ القتلِ عليهما تَمَامُ)
التمائم : المؤذ ، وهى تتناط بمن كان به مَرَضٌ أو جُنُونٌ أو سِحْرٌ .

فيقول : كانت هذه القلعة مضطربة غير مطمئنة ولا مستقرة بمن غلب عليها
من الروم ، حتى كان بها من ذلك مثل الجنون ، لأن الجنون يخالطه
اضطراب وقلة ثبات ، ولذلك قيل له : (الْأَوَّلَى) . لأن الأولى : سرعة العطن
والمشى ، وهذا فيمن أخذه من ذلك ، فبعثه (أفضل) .

فأما سيبويه ، فهو عنده (فَوَعَلْ) بدليل (مَأْلُوق) فلما وردها سيف
الدولة قَتَلَ مَنْ تَغَلَّبَ عليها ، استقرت واطمأنت ، فكانت جشت للقتل عليها
تَمَامٌ أوجبت لها الاستقرار والطمأنينة .

(وقد حاكموها وللنابا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم)

أثبت حكما من حيث أثبت ظلما ، لأن الظلم جورٌ ، والجور نوع من
الحكم ، ضد العدل ، فحاكوا هذه القلعة . والسيوف حواكم : أى هُنْ ذوات
الحكم على المتحاكين عليها ، وكان الظلم من قبل الروم لهذه المدينة ، بهدمهم
إياها ، وإخلائهم لها ، فلما كان الحكم للسيوف ، مات الظلم يقتل هؤلاء
الروم الظالمين .

(فَاِمَاكَ مَظْلُوْمٌ) : يعنى القلمة ، أى لم يَعْثُ أُنْزُهَا ، بل جُدُّ بِنَاؤُهَا ، وزيدت تحميئاً . (وَلَا عَشَّ ظَالِمٌ) : أى لم يمش الروم الذين هدموها ، بل قتلهم سيف الدولة .

(تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْفَنَاءَ وَفَرَّ مِنَ الْقُرْسَانِ مِنْ لَا يُصَادِمُ)
أى ما كان من السيوف قاطعاً للدرع وللأسبها ببق وما لم يبلغ من الحدة والشدَّة أن يقطعهما ، تقطع وفنى ، وذلك لشدَّة ما كان هنالك من الضرب .
ومن كان من القُرسَانِ غير مزاحم ولا مصادم لم يثبت . يذهب فى كل ذلك إلى أنه لم يبق إلا الجيّد الصابر على الكفاح ، من الرجال والسلاح .
ألا تراه يقول :

وَلَقَدْ أَذْهَبَ النَّيْسَ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ
(تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْقَهْوَةِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ حَالِمٌ)
أى أن أناساً من الحذّاق لما رأوا إقدامك وإمهالك رُمعَكَ وحُسامَكَ ، يُبَيِّحَانِ لَكَ سَلَامَةَ الْحَرْبِ ، وَالظَّفَرَ أَبَدًا بِالْأَعْدَاءِ ، قَالُوا إِنَّهُ لَا يَقْتَحِمُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ مَا ظَلَّ عَالِمًا ، أَنَّهُ لَا يَشُوبُ إِلَّا سَالِكًا غَايِمًا . فَتَحَصَّلَتْ عَنْدهُمْ بِذَلِكَ عَالِمٌ غَيْبٌ غَيْرٌ مُتَّقِيًا لِلْمَوَاقِبِ غَيْرِ ذِي رَيْبٍ وَهَذَا أَرْفَعُ مِنْ مَنْزِلَةِ الشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ .

(تَنْظُنْ فِرَاحُ الْفُتُوحِ أَنَّكَ زُرْتَهَا بِأَمَّالِهَا وَهِيَ الْمِتَاقُ الصَّلَاحِ)
أى أن خيلك صعدت الجبال حتى انتهت إلى أعاليها ، وهناك وكور العقبان . فلما أشرقت على تلك الوكور جَمَّجَمَتْ ، والججمة تشبه صرصرَة عتاق الخيل ، غلظتها فِرَاحُ الْعِقْبَانِ أُمَّالِهَا . وما يدُلك على أن الججمة تشبه الصرصرة قول الشاعر :

إذا الخليلُ صلحتُ صيلح النور هَزَزْنَا شراسيفها بالجلتم
وعنى بالفتح : العِبان . أقام الصفة مقام للوصف ، لأنها صفةٌ غالبية ،
قوم مقام الاسم . وإنما سميت العُقابُ فتخاء ، لئِنْ جناحها . والفتح : اللين ،
والصلاد : شداد الخليل ، واحدا : صليدٌ وصليمة .

(أفي كل يوم ذَا الدُمستقُ مُقدِّمٌ قفاهُ على الإقدام للوجهِ لَأَنَّمُ)
أى إن هذا الدُمستقُ فى كل يوم يُقدِّمُ فيهِزَمُ ، ويُخَيِّمُ فيَسَلِّمُ وجههُ ،
ويَضْرِبُ قفاهُ ، فلقا يلوم الوجه على الإقدام . يقول له : كَمْ تتوجه إلى من
قد علمت أنه لك هازِمٌ ، قتلِمُ أنت ، ويهونُ عليك ما ألقاه إذا سلت أنت .
وأراد قفاهُ لَأَنَّمُ لوجهه على الإقدام فقال : (لوجه) ، لأن إضافة القفا إليه تشر
أنه لا يبنى من الوجوه إلا وجهه .

(يَضْرِبُ أُنَى الهَاتَاتِ والنصرُ قَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ والنصرُ قَادِمٌ)
أى أن الضرب إذا قُرِعَ الهَامُ لم تَمُدَّهُ نصره ، إذ فى الإمكان أن يموت
صاحبها ، وأن لا يَمُوت . فإذا وصل إلى اللَّبَّةِ ، هلك لا محالة ، فحينئذ يُعَقِّدُ
بالنصر . وضرب النيب مثلاً للشك فى النصر ، والقنوم للتيقن . وكذلك
النائب مشكوك فيه ، والحاضر مُتَيَقِّنٌ .

(حَقَرَتِ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرُّمُوحِ شَاتِمٌ)
الرُّدَيْنِيَّاتِ : الرماح ، منسوبة إلى امرأة نسي رُدَيْنَةَ ، كانت تُرَكِّبُ
فيها الأُسنة .

يقول : إنما أحببتُ قتله الدَّوَى على قُرْبٍ معانقةً ومصالحةً ، لجرأتك
وشجاعتك ، ولم ترض أن تستعمل فى قتاله الرمحَ ، لأن ذلك مُشْعِرٌ بالجلين ،
لأن القتال به إنما هو على بُدءٍ فطرحته واستعملت السيف مكانه . قال :

(وَحَتَّى كَانَ السِّيفُ لِلرَّمْحِ شَانِمٌ)

أى لكأنك قد رأيت السيف قد صَيَّرَ الرمح بالضف والتقصيف وقلة
الفناء ، فهناك عليك الرمح لذلك ، ألا تراه يقول بعد هذا :
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَقَاتِلُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
ومن كلام بعض العرب : الرمح أخوك وربما خانك . وقال عمرو بن
مَعْدِيكِرَب في السيف :

خَلِيلِي لَمْ أَخُنْهُ وَلَمْ يَخُنَّنِي عَلَى الصِّصَامَةِ السِّيفِ السَّلَامُ

- ١٠٣ -

أوله أيضا :

(أَرَأَيْكَ كَذَا كُلِّ الْأَنَامِ هَامٌ وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامٌ)
كنا في موضع نصب صفة مصدر محذوف . أى راع روعاً مثل هذا :
(وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامٌ)

أى قاطروا عليه ، وقد جاءوه تنزى من كل أوب ، حتى كأن غماماً
سحبهم عليه لكثرتهم ، أى صبههم ، فَرُسُلَ الْمُلُوكِ : منصوب على المفعول به ،
لأن سَحَّ فعل متعد .

(وَرُبَّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابٍ بَشَّتُهُ وَعَنَوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامٌ)
بنى جيتاً أجاب به عن كتاب ، فأبأهم قتامه عنه ، كما بُنِيَ عن
الكتاب عنوانه .

(تَصْنِيقٌ بِهَ الْبَيْدَاءِ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ وَمَنَافِصٌ بِالْبَيْدَاءِ مِنْهُ خِتَامٌ)
أى أنه يملأ البیداء ، وهو مجتمع قبل انتشاره ، فكيف به إذا
انبت وانبت .

(حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِي ثَلَاثَةِ جَوَادٍ وَرُمُحٍ ذَابِلٍ وَحُسامٍ)
أى لا يشاهد فيه إلا هذه الأنواع ، كما لا يشاهد في الكتاب إلا حروفه .

— ١٠٤ —

وله أيضا :

(بِلَادٌ إِذَا زَارَ الْحِصَانَ بَنِيهَا حَصَى تَرْبِيهَا تَقْبِيئُهُ لِلْمَخَاقِ)
بلاد : أى هى بلاد ، يعنى (الثَّوْيَةُ) وهى الكوفة وحصاها وهو
ذلك الذى يعرف بالثروى ، وهو شفاف حسن . يقول : فإذا زير به النساء في
غيرها من البلاد استحسنه فَتَقْبِيئُهُ ووضعته في مُحَنَاتِهِنَّ . وليس الحصى هو الزائر
في الحقيقة لأن الزيارة إنما هى لمن يقتل ، والحس جاد . وإنما أراد زير به الحصان
فاتح بأن جعل الفعل له . وواحد الخناق مخنقة ، سميت بذلك ، لأنها توضع
في موضع الخنق من الخلق .

(وَأَعْيَدُ يَهُوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ عَقِيفٍ وَيَهُوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ)
أى أنه كامل الحُسن خَلْقًا وَخُلُقًا ، نجسه حُسنًا رُوحَانِيًا ، وهو حسن
الْخُلُقِ ، وَجُسْمَانِيًا وهو حُسن خَلْقِهِ ، فأوجب ذلك أن يشقَّ العَقِيفُ والفاسقُ ،
العَقِيفُ يَهُوَى نفسه ، ولها الحسن الْخُلُقِيّ ، والفاسقُ يَهُوَى جِسْمَهُ ، وله الحسن
الْجُسْمَانِيّ . ولو اتزن له أن يقول : (كل عَقِيفٌ) ولم يذكر العَاقِلُ ؛ لكان أذهب
في التّضاهيل لأن الْعَفَّةَ ضدَّ الْعَقْلِ . وإنما يقابل العَاقِلُ الْأَحْمَقَ ؛ فلا معنى لقوله
« كل عَاقِلٌ » ، لكن لما كانت الْعَفَّةُ للجزء المتعدل ، وكان الجزء للمتدل
يوصف بالعدل ، حَسُنَ أن يذكر الْعَقْلَ مع الْعَفَّةِ ، وإلا فوجه التّضاهيل
ما ذكرته لك .

وقوله : « وَأَعْيَدُ » : عطف على قوله : (مليحة) من قوله :

(سَمِعْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُلْبُلِي مَلِيحَةً)

وإن شئت رفت أعيد على الابتداء ، وخبره مغمور . كأنك قلت :
وَنَمَّ أَغْيَدُ .

(يَصْدُتُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُرَاهِقٍ)
وَيُرَوَّى : (يحدث ما بين القرون وبينه) . وهي الأم الغالية . أي أن هذا
الأخيد حافظ وأع حسن الحديث ، جيد السياق له ، فهو يحدث عن الأوائل ،
ويخبر بأخبار القدماء ، وإن كان حديث اللسن .

وقوله :

(وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُرَاهِقٍ)

كناية عن حداثة وفقوته . وَيَسْنَى بِالصَّدْغِ : مَسَالٍ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى خَدِهِ .
وهذه الكناية ، وإن كانت حسنة ، فإن فيها تكلفاً ، كان أقرب من ذلك
لو اتزن له أن يقول : وهو مُرَاهِقٌ . فكان يعني من قوله :

(وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلامٍ مُرَاهِقٍ)

ونكته تكلف ذلك ، لحفظ إعراب القافية .

(يُعْرِقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَيَبْنِيهَا بِطَمْنٍ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقٍ)

أي بين الكُمَاة ونسائهم ، بطمن يؤلم العاشق ، فيسليه بغيره عن المشوق .
(أَيْ الطَّمْنُ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشُهُ مِنْ الْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ)
الرشاش : ما أُرْشُ من الدم . يقول : أَلْحَقَّ عَقِيلاً بِحُلَامِهِمْ وَعِيَالِهِمْ ، حَقِّ
لَهُمْ إِذَا أُصِيبُوا بِالطَّلَانِ ، طَارَتْ دِمَاؤُهُمْ فِي نُحُورِ الشَّوَابِ مِنَ النِّسَاءِ . وإلنم
باختصاص الشوَابِ ، لأنهن لَوَازِمُ لِرِوَايَا الْخُسُوفِ ، فذلك أغرب .

(وَمَلُومَةٌ سَنِيَّةٌ رَبِّمِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحُ الْقَالِقِ)

ويرد صييح الحصى . مَلُومَةٌ : يبنى كَتِيبة مجتمعة لم بعضها إلى بعض ، أى جُمع . وقيل مجموعة كالحجر للوم . والقولان متقاربان . سنيّة : منسوبة إلى سيف الدولة . رَبِّمِيَّةٌ : منسوبة إلى ربيعة ؛ لأن سيف الدولة منها .

(يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحُ الْقَالِقِ)

أى قد كثر فيها الخيل والرّجل ، فالحصى يصيح تحت حوافر الخيل ، وأرجل الرجال ، صيّاح القالِق : وهى نوع من الطير . واحدها قَلَق . وحقيقة القالِق : الصوت ، فسى هذا النوع من الطير قَلَقًا بصوته ، وكان يجب على هذا (صيّاح القالِق) لأن واحدها قَلَق . وإذا كانت الألف وغيرها من حروف اللين رابعة فى الواحد ، ثبتت ياء فى الجمع ، نحو حِمْلَانٍ وحِمَالِيْن ، وكُرْخُوسٌ وكُرَادِيسٌ ، وشِمْلَالٌ وشِمَالِيلٌ . لكن الشاعر إذا اضطر حذف هذه الياء فى الجمع . أنشد سيبويه :

قَدْ قَرَبَتْ سَادَاتِهَا الرِّوَاثَا وَالْبَكَرَاتِ الْفُجِجِ الطَّامِثَا

فكذلك اضطر هذا الشاعر ، لحذف ياء (القالِق) ولا يلتفت إلى قول العامة فى واحدها (قَلَق) ، فإن ذلك خطأ .

وقيل : كانت هذه الكتيبة مَكْسُومَةً تجانيف ودروعاً فلذا وضع الفرس حافره على حصة أطارها ، فقرعت تَجَفَّافًا أو دِرْعًا ، فأشبه صوت وقوعها بالدرع أو التجفاف ، صوت القلَق . واستعار الصيّاح للحصى وإنما الصيّاح للحيوان . ومن رواه « تصيح » أراد تُصِيح هذه الكتيبة الْحَصَى ، وكان يجب على هذه الرواية أن يقول إمّا صيّاح القالِق ، لأن مصدر أفضل إنما هو الإفْصَال ، فإن كان الفعل معتل العين ، كان مصدره إفْصَالَةً ، مخفف .

المين ، ويميل الماء عوضاً منها ، كقوله أَقَالَه إِقَالَه ، وأظنه إقامة ، لكنه قال : صياح ، فجاء بالصدر على غير فعله ، لأنه أراد فصيح صياح القتالي ، وفي التنزيل ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ أى فنبتم نباتاً . ومثله كثير ، قد أفرد سيبويه فيه باباً .

(وَكَلَنَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا مُهْلَبَةً الْأَذْنَابِ خُرْسِ الشَّقَاشِقِ)

أى كان هذا الذى أبدته هُفِيل من الطنيان والأشعر ، بمنزلة المدير للفحول ، والنحول إذا هاجت هَدَرَتْ ، وأخرجت شَقَاشِقَهَا ، وهى هَنَوَات تخرج يَبِيضاً وَحُمْراً كالرَّمَّة . أشد ابن دريد فى صفة شِقْشِقَةِ حمراء :

فِي جَوْنَةٍ كَقَفْدَانِ التَّطَارُ

القفدان : أذمة حمراء ، تصان فيها أنواع الطير ، فشبه الشقشقة فى لونها وعظمها بها . والجَوْنُ : يكون للأبيض والأسود والأحمر .

وإنما قلنا هنا : إنه يصف شِقْشِقَةَ حمراء . للتشبيه إياها بالقفدان ، والقفدان أحمر . فإذا تهادرت الإبل ، شُدَّتْ أذُنَايُهَا وَأَهْلَابُهَا ، فسكنت وخَرِسَتْ شَقَاشِقُهَا وَذَلَّتْ ، فجعل هُفِيلًا بمنزلة الفحول ، وأشعرها وتوَعَّلَهَا لسيف الدولة كالهدير . وجعل إِذْلَالَهُمْ ، ونحبيسه لإيَّام ، بمنزلة تهليب الأذنان ، وإخراص الشقاشق .

وإن شئت قلت : لما هزمهم ، فأدرك بعضاً وقاته بعض ، كانوا بمنزلة فحول صال عليها فَعَلَّ مُقَرَّم ، فهربَتْ أَمَامَهُ ، فهَلَّبَ ما أمسكته من أذنانها أى تَسَفَّهَا .

وله أيضا :

(وغيرها التراسلُ والتشاكى وأعجبها التلّيبُ والمُتَارُ)

أى تراسلوا بما تقوّه من هذا اللك ، وشكاه بعضهم إلى بعض ، فدام ذلك إلى ترك الطاعة ، وغيرهم من الاتمار لسيف الدولة . (وأعجبها التلّيبُ) : وهو التحزّم بالسلاح ، والمُتَارُ : أى الإغارة على الأحياء .

(فكُفْتُ السيفَ قائمُهُ إليهم وفى الأعداء حدك والغرارُ)

أى كنت قبل فيقاهم وشقاقهم ، سيفاً مردود قائم إليهم ، لا تقطعهم ولا تؤذيهم ، لأن القائم لا يؤثر . وفى أعدائهم غرارك : أى حدك وله التأثير .

(فأُفْسِتَ بالبدية شفرتاها وأُفْسِيَ خَلْفَ قائمِ الحيارِ)

البدية والحيار : ماهان بآرجان . والحيار أقرب إلى العارة فيقول : سير من الحيار إلى البدية وبها أدركهم ، فصار الحيار خلف القائم . والشفرتان بالبدية ، ضارباً لهم بالسيف ، القبي كان قبل مشاققتهم له يضرب به أعداءهم خنم .

(مَضَوْا مُتَسَارِقِي الأَعْضَاءِ فِيهِ رُمُوسُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ)

أى انفصلت أعضاؤهم بعضها قبل بعض . يقول : قطعت أعتاقهم فبددت ، فعتوت .

(يُقَادِرُ كُلُّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَتَهُ لَتَعْلَبِيهِ وَجَارُ)

التعلب : مداخل من الرمح في جبة السنان ، والوجار : جسرُ التعلب وِجَارُ وَوَجَارُ ، حقهما يقوب . وشك أبو عبيد في الكسر . أى إذا التفت إليه للتحزّم ليقاتل بعده وقرّبه لم يلبث أن يطعن به في لبتة . فكون بمثلة الوجار للتعلب . ويموز أن يحمل اللبة وجاراً من حيث سبي ما يدخل من الرمح في جبة السنان تعلباً .

وقوله : (وَابْتِئْهُ لثَمْلِهِ وَجَارُ) : جملة في موضع الحال ، إذا رَدَدَتْهَا إِلَى
للفرد فكأنك قلت : ينادر كل ملتفت إليه مَطْمُونٌ اللَّبَّةُ به ، وهو في موضع
الفلاة من الصمر .

(فَهُمْ حَزَقَ عَلَى النَّابُورِ صَرَعِي بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِمِ خُمَارُ)
أى أنهم جدوا ، وأجدوا خيلهم ، فاقطعوا وانقطعت ، وأقاموا في هذا
الموضع صَرَعِي ، كأنهم شَرِبَ مَخْمُورُونَ وليسوا بِشَرِبَ ، إنما الشَّرِبُ رِمَاحُ
سيف الدولة ، لأنها التي شربت دماءهم ، والخُمَارُ إنما هو للشارب . يَسْخَرُ بِهِمْ
فيقول : كيف خُمِرَ هؤلاء . وإنما الشاربة رِمَاحُك .

وإن شئت قلت : جعل للمهزومين كالمحمورين ، لما بهم من الحيرة
والكسل والفتور . وجعل المازمين كالشرب ، لما نالوا منهم ، أو ما بهم من
الفرح بخلهم لهم ، وقتلهم لإمام ، كفرَحَ الشراب للنبيذ .

(يَوْسُطُهُ الْمَقَاوِزُ كُلُّ يَوْمٍ طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْأَتِقَاتُ)
يوسطه : أى يدخله وَسَطُ المَقَاوِزِ ، طِلَابُهُ للمهزومين المارين إلى التقار ،
فهو يطالبهم هناك . يقول : فهذا هو الذى يدخله المَقَاوِزُ ، لا هربه من أعدائه ،
ولا انتظاره أن يَذْرِكُوهُ . وقوله : (طِلَابُ الطَّالِبِينَ) : كان الأحسن في
الظاهر — لو اتزن له — أن يقول : طِلَابُ الْمَطْلُوبِينَ ، ولكن هذا يجهل على
علامة أوجه : إما أن يكون عني بالطالبيين أعداءه الذين كانوا يطلبونه قبل ، وهم
الآن مطلوبون ، وإما أن يكون عني بالطالبيين للنجاة ، وهم هؤلاء للمهزومين ،
وإما أن يكون « الطالبيين » بمعنى المطلوبين ، قد مجيء (فاعل) بمعنى مفعول كما مجيء
عكس ذلك كثيرا ، فما جاء (فاعل) فيه بمعنى مفعول قولُ بشر بن أبي خازم :
ذَكَرْتُ بِهَا سَلَى فَيْتُ كَأَنِّي ذَكَرْتُ حَبِيبًا فَاقْدَأْ تَحْتَ مَرْتَسِ
أى مقودا . وأما عكسه ، فنحو قوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا)
أى آتيا .

وَذَكَرَ لِي أَنَّ اللَّغْتِي سُمِّلَ عَنْ هَذَا قَال : عَنَيْتُ بِالطَّالِبِينَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ
وَكَيْفِيَّتَهُ ، وَهَذَا هِنْدِي حَسَن . فطالِبِينَ عَلَى هَذَا فِي مَوْضِعِ رَفْعِ أَيْ طَلَابِ
الطَّالِبِينَ لِمَدُومَ ، كَقَوْلِكَ : (عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ زَيْدٍ) وَأَنْتَ تُرِيدُ مِنْ ضَرْبِ
زَيْدٍ لِمَدُومَ ، فَإِذَا كَانُوا قَدْ يَحْذِفُونَ الْفَاعِلَ ، وَيَحْزِنُونَ بِالْفِعْلِ ، لِلْمَعْنَى ،
مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾

أَيْ مِنْ دُعَائِهِ الْخَيْرِ ، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ وَإِضَاءُ الْفَاعِلِ أَوَّلَى . فَقَدْ جَاءَ
الْمَفْعُولُ مُحْذَوْفًا كَثِيرًا ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾

أَرَادَ : وَالسَّمَوَاتُ غَيْرَ السَّمَوَاتِ . وَزَمَّ الْفَارِسِيُّ أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ بَيْتٌ
ذِي الرِّمَةِ هَكَذَا :

رَخِيْمَاتِ الْكَلَامِ مُبْتَلَاتٍ جَوَاهِلَ فِي الْقَنَاءِ قَصَبًا خِدَالًا

مِبْتَلَاتٍ (بِالْكَسْرِ) أَيْ مُقَطَّعَاتٍ لِلْكَلَامِ ، يَهْرَبُونَ لِلْمَنْطِقِ نَفْثَةً ، فَحُذِفَ
الْمَفْعُولُ وَمِنْ رَوَاهُ (مِبْتَلَاتٍ) قَدْ كَفَاكَ ، لِأَنَّ الْمِبْتَلَةَ لَفْظُ الْمَفْعُولِ ، وَهِيَ
مِنْ الْقِسْمِ الَّتِي كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا حَسَنٌ عَلَى حِدَةٍ ، كَأَنَّ الْحُسْنَ (بَقْلٌ) عَلَى كُلِّ جِزْءٍ
مِنْهَا ، أَيْ قَطْعٍ . وَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا فِي كِتَابِي لِلْوَسْمِ بِالْخَصَصِ فِي اللَّغَةِ .

وَتَوَسَّطَهُ فِي اللَّفَازِ فِي أَثَرِ اللَّهْزَمِيِّ يَكُونُ كُنَايَةً عَنْ بَعْدِ هِدْمَتِهِ ،
كَقَوْلِهِ هُوَ فِيهِ :

أَكَلَمَا رُمْتَ جَبِيْشًا فَانْتَنَى هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَمُّ

عليك هزمهم في كل معترك وما عليك بهم عار إذا انهزموا
وقد يكون ذلك كناية عن هدايته ومعرفته بالسبل والحداد ، حتى
لا يفوته المارب منهم ، كقوله هو فيه أيضا حين هزم هقيلاً :

تَوَهَّمَا الْأَعْرَابُ صَوْلَةَ مُتَرَفٍ نَذَّرَهُ الْبِيدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ
فَذَكَّرْتَهُمْ بِاللَّاهِ سَاعَةَ غَبَرَتْ سَمَاوَةٌ كَلْبٍ فِي عُمُودِ الْحَزَائِقِ
وَكَانُوا يَرَوْنُ الْمَوْتَ بَانَ بَدَوًا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْغَلَائِقِ
فَهَاجُوا أَهْدَى فِي الْفَلَامِنْ نَجْوِيهِ وَأَبْدَى بَيُوتًا مِنْ بُيُوتِ الْفَتَائِقِ
(عَطَا بِالْمِثْرِ الْبِيدَاءُ حَتَّى تَحْيَرَ لِلتَّالِي وَالْمِشَارُ)

المِثْر: ماء ، أى غطى مالمهم البيداء ، فى هذا الوضع للسمى بالمِثْرِ ،
حتى تحيرت مَعَالِيَه وعشاره : أى أعز أولادها ، وذلك لكثرة العدد ،
وغزارة المدد .

(وَجَيْشٍ كَمَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَعَارُ)

أى أن سيف الدولة تبع بنى كعب بيميشه ، فكان الكبييون كلما
مروا بأرض واسعة حاروا فيها . وكان جيش سيف الدولة كلما مروا بتلك
الأرض التى حَارَ أولئك فيها ، حارت الأرض فيه ، وذلك لظمه ، وجمهور أمه ،
مع ماخالط الكبييين من الخَوَر ، وهؤلاء من التحدث بالظفر . فالضهير
فى حاروا راجع إلى هؤلاء للتبوعين ، وفى أقبل : راجع إلى الجيش . وكذلك
الهاء فى قوله « فيه » راجعة إليه أيضاً .

(وَأَجَلَّ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ وَزَارَهُمُ الْقَى زَارُوا خَوَارُ)

الزَّيْثَرُ لِلْأَسَدِ ، وَالْخَوَارُ لِلضَّانِ ، يَقُولُ : كَانُوا أَسَدًا قَبْلَ لِقَاءِ سَيْفِ

الدولة ، فمادوا ضاناً عند لقائه . وكفى بالزئير عن الأسد ، وبالنحوار عن الضأن ، لأن الزئير والنحوار في هذين النوعين خاصتان ، والخاصة تالة على خصوصها فضعفه .

(فَمَنْ حَزَقَ عَلَى الْخَابُورِ صَرَخَى بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارُ)

قيل معناه : أراد غيرهم ، فظنوا أنه أرادهم ، قروا وقرقروا .

والذى عندي أن سيف الدولة أوقع يبنى كسب ، فذلك معنى قوله : (من شُرِبَ غَيْرِهِمْ خُمَارُ) ، وخاف المنهريون من مثل ذلك ففزعوا ، فذلك خُمَارُ لأن الخُمَارُ أقرب إلى العسوة من السكر المَغْرَقِ . ففزع هؤلاء المنهريين أخف من موت الكُتَيْبِيِّين .

(بَنُو كَتَيْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يَذْمَها إِلَّا السَّوَارُ)
أى أهلك وإن نلتهم بمسائة ؛ فقد شرفتهم باعتمادك لإيادهم ، واشتغالك بهم ، كالكف الذى إن أذماها السَّوَارُ زيناها ذلك وإن أَلَمَّاها .

- ١٠٦ -

قوله أيضا :

(أَيَا رَامِيًا يَصْنِي فُؤَادَ مَرَامِيهِ تَرُفِّي عِدَاهُ رِيَشًا بِسَهَامِهِ)

يخاطب سيف الدولة . يقول : أيا رامياً يصيب ملوامة ، فوامه بسهم وريشه . أجنحة عِداه . عني بالسهم : جيشه ، وبريش عِداه : سلاحهم الذى سَلَّاهم لإيادهم ، وكساه جيشه . وجعل سلاح عِداه ريشاً ، لكونه عوناً لهم . كما أن الريش عون للسهم ، وسوغ ذلك أيضاً أن السلاح لباس ، واللباس يُكْفَى عنه بالريش ، لقوله تعالى : (وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْقَوَى) ، وكفى بالسهم عن جيشه ، لأنه يقتل به هدوه ، كما يقتل بالسهم .

وَحَسُنَ أَنْ يَأْدِيَهُ بِالنِّكَرَةِ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَطَالَ وَصَفَهَا ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الصِّفَةَ إِلَّا هُوَ . فَكَأَنَّ النِّكَرَةَ هُنَا مَعْرِفَةٌ . وَالْمِذَا : اسْمُ الْجَمْعِ عِنْدَ سِيْبَوِيهِ ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ لِأَن (فَعُولًا) لَا يُكْسَرُ عَلَى (فِعْلٍ) وَإِنَّمَا جَمَعَ عَدُوًّا أَعْدَاءً ، وَأَمَّا هَذَانِ الْجَمْعُ عَادٍ . حَكَاهُ أَبُو زَيْدٍ عَنِ الْعَرَبِ . أَشْمَتُ اللَّهُ عَادِيكَ ، أَيَّ عَدُوِّكَ .

وَمَا كَانَ عَلَى (فَاعِلٍ) مِنَ الْمَثَلِ اللَّامِ ، فَعَمَلُهُ فِيهِ مَطْرُودَةٌ كَقَاضٍ وَقَضَاءُ . وَرَامَ وَرْمَاةً . وَلَا يَكُونُ (عُدَاةً) جَمْعُ عَدُوٍّ ، لِأَن (عَدُوٌّ) فَعُولٌ ، وَ (فَعُولٌ) لَا يُكْسَرُ عَلَى (فَعْلَةٍ) ، وَلَمْ أَسْمَعْ لَعَادٍ فَلَا يَجِيءُ (عَادٍ) عَلَيْهِ ، أَيُّ لَمْ يَجِيءُ (هَدَوْتُهُ) فِي مَعْنَى (عَادِيَتُهُ) . وَلَكِنْ هَذَا عِنْدِي عَلَى النَّسَبِ ، أَيُّ ذُو عِدَاوَةٍ ، وَتَطْيِيرُهُ . فَاعِلٌ ، وَنَائِلٌ ، وَأَشْيَاءٌ قَدْ حَكَاهَا سِيْبَوِيهِ وَغَيْرُهُ .

(وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَائِلِهِ جَزَاءً لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ)

أَيُّ إِنْ أَدَايَهُ تَنَطَّقَنِي بِحَبْدِ الشَّمْرِ وَتَطْلَعْنِي عَلَى بَالِغِ الشُّكْرِ ، فَهُوَ سَبَبٌ مَاخُوِّلَتْهُ مِنَ الْكَلَامِ . فَإِنَّ ذَا الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ مَذَّةٌ ، ثُمَّ يَجَازِيَنِي بِالنَّوَالِ . عَلَى مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَالِ . يُقَرِّبُ اللَّتْنِي بِذَلِكَ وَهُوَ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ : فَهُوَ يُعْطَى خَيْرًا وَيُثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُعْطَى عَلَى الثَّنَاءِ جَزَاءً

وَقَوْلُهُ : جَزَاءً لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ : أَرَادَ (جَزَاءً عَلَى مَاخُوِّلَتْهُ) ، فَأَبْدَلَ اللَّامَ مَكَانَ (عَلَى) ضَرُورَةً . وَيَجْعَلُ هُنَا : بِمَعْنَى (يُصَوِّرُ) فَعَى مُتَعَدِّيةً إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، كَقَوْلِكَ : جَعَلْتُ الطَّيْنَ خَرْفًا .

وله أيضا :

(قَاسَمَتِكَ الْمَنُونُ شَخَصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقَدِيمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلًا)

ويروى « فيه عدلا » يبنى بالشخصين . (أَخْتِيهِ) أَخَذَتْ لِلنَّوْنِ إِحْدَاهُمَا ، وَهِيَ الصُّغْرَى ، وَأَبْقَتْ لَكَ هَذِهِ الْأُخْرَى . وَهَذِهِ لِلْقَاسِمَةِ جَوْرٌ ، لِأَنَّهُ تَسَوَّرَ عَلَيْهِ فِي أَهْلِهِ . إِلَّا أَنَّ الْقَسَمَ صَيَّرَ نَفْسَهُ عَدْلًا فِي ذَلِكَ الْجَوْرِ ، بَأَنِ أَبْقَى لَكَ الْكِبْرَى ، وَسَلَبَكَ الصُّغْرَى ، كَقَوْلِهِ :

قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخَصَيْنِ دَفْرُهُمَا وَعَاشَ دُورُهُمَا الْمَقْدِي بِالذَّمِّ
وَمَنْ رَوَى (فِيكَ عَدْلًا) : عَنِ أَنَّهُ إِذَا سَلِمْتَ أَنْتَ فَلَمْ يَأْخُذْكَ ، فَذَلِكَ
الْجَوْرُ عَدْلٌ ، لِأَنَّهُ مَنْ تَرَكَ أَنْفُسُ مَنْ أَخَذَ ، إِلَّا أَنَّ الْجَوْرَ فِي ذَلِكَ مَوْجُودٌ .
وَلِئِنْ كَانَ يَكُونُ الْعَدْلُ لَوْ تَرَكَ الْجَمِيعَ مَوْفُورًا . وَلِئِنْ هَذَا الْعَدْلُ عَلَى الْإِصَافَةِ ،
لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ .

(خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَلِئِنْ كَانَتِ الْمُسَاءَةُ مُمَكَّلًا)

أَيُّ حُلُولِ الْحِمَامِ بِهَذِهِ الْعَقِيَّةِ ، يَبْنَى أَخْتَ سَيْفِ الْبَوَلَةِ ، خِطْبَةٌ لَا تَرُدُّ ،
يَنْهَبُ إِلَى إِعْظَامِهَا وَإِنْكَارِهَا ، وَلِئِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِطْبَةُ نَسْمِيهَا نَحْنُ مُسَكَّلًا
فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ ، لِئِنْ هِيَ إِرَادَةُ مِنَ الثَّوَرِ الْعُلُويِّ ، يَجْذِبُهَا وَيُصَيِّرُهَا
إِلَى ذَاتِهِ .

(وَكَمْ انْتَشَتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أَسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا)

(عَدَا نَصْرَةً عَلَيْهِ قَلْبًا صَالَ خَفَلًا رَأَى أَذْرَكَ تَبْلًا)

أَيُّ تَسَوَّرَتْ أَنْتَ عَلَى الدَّهْرِ فِي مَقْلُومِيهِ ، فَكُفْتُ أَسِيرَهُ ، وَجَبَرْتُ
كَبِيرَهُ ، وَأَغْنَيْتُ قَدِيرَهُ ، فَأَغْضَبْتَهُ بِمَصَادِنِكَ إِجَاهَ فِي أَهْلِهِ . فَأَرْصَدَ لَكَ خَمَلَةً

يقتضها منك ، إذ عَدَّ كل ذلك إنصافاً منه لمظلومية ، ونُصرة عليه لمظلومه .
 فأخذ إحدى أخيك ، مكافأة لذلك وعقاباً ، فَدَّر أنه أدرك ذَحْلاً ،
 ونال تَبْلاً .

والهاء في (رآه) : عائدة إلى الدهر ، فالفاعل هنا هو للفعول ؛ ولا يكون
 مثل هذا عند سيبويه إلا في الأفعال النقصانية التي في معنى الشك والعلم فَرَأَه
 هنا : للتعمية إلى مفعولين . وإذا كان كذلك ، فالجمله التي هي قوله (أدرك
 تَبْلاً) : في موضع للفعول الثاني . وَخْتَلَا : مصدر في موضع الحال ، من باب
 أَتَانَا غَدَوْنَا وَمُسَيَّا . والانتقاش : التخليص والانتفاض .

(وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتَيْبَةَ وَالطَّنَّةُ تَنَلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى)

أى أن الكتيبة متعمية بآسها شديدة ؛ فالطنة تَنَلُو فيها ، أى تنلو وتشتد
 على مربيها منها . فإذا كانت الطنة الواحدة غالية ؛ فالضرب أَغْلَى منها ،
 لأن الطمن إماكن من الضرب ، إذ هو على بُعْد ، والضرب على قُرْب ، وقال :
 (والطنة) ثم قالها بالضرب ، احتياجاً لإقامة الوزن . وكان أذهب له في
 الصنعة — لو أزن له — أن يقابل الطنة بالضربة ؛ والطمن بالضرب .

— ١٠٨ —

وله أيضا :

(كَلَّمَا زَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنَدُ حَىْ فَتَطَى جَبِينَهُ وَالتَّدَا لَا)

بني بَنِيًا : مصدر بني إما أن يكون قد مُكِّمَ به ، وإما أن يكون
 على الضرورة ، لأن الشاعر إذا اضطر ، كان له أن يَرَدَّ مصادر الأفعال
 الثلاثية غير الزائدة إلى (فَعِل) ، وإن اسْتَمِيلَ في الكلام على ذلك زيادة
 وغير زيادة . مثال ذلك ، بُدَّ بُعْدًا ، وَذَهَبَ ذَهَبًا ، وَكَذَّبَ كَذْبًا ، فَيُرَدُّ كل

ذلك إلى قتل . هذه حكاية الفارسي . « والجبين » : من أمام الرأس .
« والقنال » من ورائه .

يقول : كلما رام (ابنُ لَؤْن) ملك الروم هدمَ هذه القلعة ، أوسع سيف
الدولة بناءها وأطله ، حتى امتدَّ ظلُّه من أمامه ، فغطَّى جبينه ، ومن ورائه
غطَّى قَدَّاله . أى قنال ملك الروم وجبينه .

(وتوافيهمُ بها في القنَا السُّمْرِ كما وافَتِ العِطَاشُ الصَّلَا)

الصَّلَا : الأَرْضُونَ التي لم تُمَطَّرْ بين أَرْضَيْنِ مَطْطُورَةٍ . واحدها صَلَّةٌ ،
وقيل : هي الأمطار المترقة . ويروي (الصَّلَا) : وهي بقايا الماء ، واحدها صَلَلٌ
وقيل الصَّلَلُ : الماء الجارى تحت الحجر . ويقول : توافيهم بها أو بالنِّيا
وهي في القنا السمر ، يبادر جيشك إليهم بالقتل كما تبدر الأنفس العطاش بقايا
الماء . والعِطَاشُ أحرصُ عليها ، لأنهم لا يبتغون بالرُّى ، لقلة الماء ، فهم
يساقبون إليه . ولو كان كثيراً وتَوَّوا بما يأتيهم من الرُّى ، فلم يساقبوا .

وقوله : في (القنَا السُّمْرِ) : في موضع نصب على احوال ، أى مستقرة
في القنا السمر ، وملتبسة بها ، كقولك : خرج زيد في ثيابه : أى لابساً لها ،
حشتملاً بها ، و (كما وافَت) أيضاً نَصَبٌ على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى موافاة
ممثل موافاة العطاش . ولو قال قائل : إن (في) مع قوله : (بها) اسم على حدة
(فَاعِلٌ) مقلوب موضع المين إلى اللام ، من هافت الإبل تهاف : إذا عَطِشَتْ
لمكان حسناً . وهذا الباب كثير ، قد عمل سيبويه وأهل اللغة فيه أبواباً .
فكان المعنى حينئذ أن الرماح تبدر شُرْب دماءهم ، فكانها عِطْشَةٌ إليها ،
كما يَتَنَدَّرُ العِطَاشُ الماءَ .

(أَبْصَرُوا الطَّنَّ في القلوبِ دِراً كما قبل أن يَبْصُرُوا الرِّمَاحَ حَيَالاً)

أى رأوا أصحابهم مقتولين ، فشاهدوا الطعن فيهم دراكاً قبل أن يروا
أشباح الرماح .

وإن شئت قلت : أعجبت الرماح هؤلاء القتل أن يوقعوا قبل ذلك ،
فيروها في نومهم . يذهب إلى أنه لم يك هناك توعد من سيف الدولة ،
ولكن فتحهم قتلهم .

وقد يتوجه المعنى على أنهم أبصروا الطعن في قلوبهم دراكاً بالقرع قبل
أن يروا نفس الرماح ، كأن القرع قتلهم .

وليس قول من قال إن البيت مقلوب المعجز والمصدر ، لأن ذلك فاحش .
يذهب إلى أنه أراد : أبصروا الرماح خيلاً ، قبل أن يبصروا الطعن في القلوب
دراكاً ، استدلالاً بقوله :

يرى في النوم رُعبك في كُلاه ويحشى أن يراه في المنام

(أى عين تأملتك فلاقتك وطرف رنا إليك فالألا)

أى أنك مُتهَيَّب ، فإذا رأيتك العين تنشئها هيبتك ، ولم تتأمل ،
منك فصنك وصف من لقي الموصوف ، وأى طرف رنا إليك ،
فأنكر أن شماعك يبله ويهزه ، فيمنعه إدامة النظر إليك ، وكره عليك
كقوله هو فيه :

كان شعاع ضوء الشمس فيه ففي أجسامنا عنه انكسار
أراد : (أى طرف) ، فاجتزأ بالأول من الثاني ، كقولهم ، أينما فعل
ذلك أخزاه الله ، أراد : (أى وأيك قل) . من أبيات الكتاب :

فأنى ما وأيك كان قرأ فسبق إلى اللئيم لا يراها

(كلما أعجلوا النذير مسيراً أعجلتهم جواده الإعجالاً)

أى كلما آب إليهم للنذر بإقبال خيل سيف الدولة مُجَبَّلًا سَهْمَهُ ، كأن ذلك قد وُقِعَ في رَوْعِهِمْ قَبْلَ الْإِنْذَارِ ، فَتُجَبِّلُهُمْ خَيْلُهُ عَنِ الْمَجَلَّةِ الَّتِي تَكْلِفُوهَا لِلْهَرَبِ تَفْئِيلُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ ، فِي إِعْجَالِهَا لِلْإِطَامِ ، بِمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ النَّذِيرِ ، فِي إِعْجَالِهِمْ لِلْإِلَهِ .

(رُبُّ أَمْرِ أَنْتَ لَا تَتَمَدَّدُ الْقَمَالَ فِيهِ وَتَتَحَدَّدُ الْأَفْعَالَ)

هؤلاء جيش من الروم ، نزلوا على (الحدَث) فنذروا بسكر سيف الدولة ، فانهزموا ، فلانهزام عمود ، والانهزم غير محمود على ذلك ، لأنهم قَرَّوْا وَخَلَّوْا لَهُ سَبِيلَهُ ، اضطراراً لا اختياراً . وللضطر غير محمود على فعله ، وإن كان فعله في ذاته حميداً . وهذا كقولهِ هو :

فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُنُودَهُ جَمِيعًا ، وَمَا أُعْطِيَ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا
(وَقِسِي رُمِيْتَ عَنْهَا قَرَدَتْ فِي قُلُوبِ الرُّمَاءِ عَنْكَ النَّصَالَا)

أى رموك فأخطوك ، ورسمتهم أنت فأصبحتهم .

(أَخْلَوْا الطَّرِيقَ يَقَعْمُونَ بِهَا الرُّسُلَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِزْسَالًا)

أى لما قطعوا الطرُق ، فلم يمكن الإرسال ، استمع الناس وتعلموا إلى عرفان الأبناء ، فأوجبهم ذلك إلى إتمام البحث ، حتى عرفوا مع انقطاع الرُّسُلِ ، ما كانوا يرفقون بالإرسال أو أكثره ، فكانَ الانقطاع صارَ إزْسَالًا حينَ أُنْتِجَ من معرفة أخبار الأعداء ، ما كان يُنتِجُهُ الإرسال .

(مَامَضُوا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَّاكَ الْقِتَالَ)

(لم يقاتلوك) : جملة في موضع الحال ، أى هؤلاء — وإن لم يقاتلوك —

فأما مضوا غير مقاتلين لك . وذلك القتال هو علمهم بظفرك بهم ، وعلمهم باعتيادك لإبادتهم ، وهو الذى حملهم على ترك القتال ، فهو الذى كَفَّاكَ القتال .

قوله : (القتال) ، نصب بلكن ، و (الذى) ؛ خبر لـ كن ؛ أى ،
ولكن القتال القديم الذى علموه منك ، هو الذى كفلك القتال الآن .
(والثبات الذى أجادوا قديماً علم الثابتين ذا الإجماعاً)
أى لما ثبتت للهاجين منهم فبادوا ، امثل هؤلاء خلاف ذلك . خشية
أن يحسّل بهم ماحل بأوائلهم ، فهربوا وأجفلوا ، وكانوا من ذوى النجدة
والثبات .

(بسط الرّوع فى التّهرّيمينا فقتلوا فى الشمال شملاً)
إن شئت قلت : أنام الرّوع من إيمانهم وشمائلهم . وإن شئت قلت :
ضاعف الرّوع عساكر سيف الدولة فى عيونهم ، ففروا ولم يتنبّوا .

- ١٠٩ -

وله ايضا :

(يقيمُ من فى مثل المُدَى من باردٍ يَلَرُ الفُحولَ ومنْ كَانِ الحَصِيانِ)
القصاص . التزوّان ، حكى سيبويه عن العرب أفلا قاص بالمير ، وقال هو
مثل هذا الماء الذى ذكر المتنّى (أرسناس) دائم البرد مشى ومصفى ،
وكانت هذه التزوة صيفية . فيقول : إن هذا الماء خصى الخليل ، مالمها البرد
إيلام المدى ، وهى السكاكين ، حتى قلص ذلك البرد الخلقى ، فماد التحل
منهن كالخصى . وقال : (من باردٍ) ، فوضع الصفة موضع الموصوف ، لأنه
قواء بالنسب ، وهى الجملة التى هى قوله : (يذر الفحول) فصارت الصفة كالاسم ،
بما هيأ لها من الوصف . ولولا ذلك قبح . قال سيبويه : لو قلت ما أتانى
اليوم إلا قوى ، وإلا بارداً ، لم يكن فى قوة قولك : ما أتانى اليوم إلا
رجل قوى ، وإلا ماء بارداً .

رواها بين عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصَيْنِ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَمِيزَانِ
يعنى عَجَاجَةُ الْإِسْلَامِ ، وَعَجَاجَةُ الرُّومِ رِيًّا جَازَتْ النِّهْرَ فَالْتَمِيزَتَا ، وَرَبَّمَا
قَصَرْنَا عَنْ ذَلِكَ فَفَرَّقْنَا .

(رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَالْجَيْنِ حَيَابُهُ وَتَمَيَّ الْأَعْنَى وَهُوَ كَالْحَيَاتَيْنِ)
أَي جَاوَزَهُ أَيْضًا مِنْ بَرٍّ أَوْ نَهْرٍ أَوْ قَتْلُ مَنْ لَمْ يَقَعْ بِهِ ، ثُمَّ أَوْقَعَ بِالرُّومِ
فَسَالَتْ دِمَاؤُهُمْ فِي (أَرْضِنَاسِ) فَاحِرٍ ، وَعَوَّرَهُ لِلرُّجُوعِ ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ
أَحْمَرُ كَالْحَيَاتَيْنِ ، وَأَرَادَ : رَكَضَ الْأَمِيرُ الْخَيْلَ فَحَذَفَ الْفِعْلَ .

(وَحَاشَهُ عَادِيَّةٌ بَنِيَرٍ قَوَائِمٍ عُمَمَ الْبَطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ)
يَقُولُ حَاشَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ هَذَا النِّهْرُ تَعَفَّنَا سُودًا بِالنَّارِ عُمَمًا : أَي لَا تَعْمَلْ .
وَلَمَّا أَقَامَ اللَّيْلُ فِي هَذَا النِّهْرِ مُقَامَ الْخَيْلِ . وَقَالَ : (عَادِيَّةٌ بَنِيَرٍ قَوَائِمٍ) لِأَنَّ
لِلسَّيْفِ سَابِغَةً لَا مَاشِيَةَ . وَنَظِيرُ قَوْلِهِ : (حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ) قَوْلُ الْآخَرِ فِي
وَصَفِ سَفِينَةٍ :

وَالِىَ نَدَاكَ رَكْبَتُهَا زَنْجِيَّةٌ كَرَمَتْ مَنَابِتُ أَصْلَافِهَا مِنْ عَرَعَرٍ
(وَهَلَى الدَّرُوبُ فِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ وَالسَّيْرُ مَمْتَنَعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ)
أَي : كَانَ الَّذِي عَدَدْنَا مِنْ أَحْوَالِكَ ، وَذَكَرْنَاهُ مِنْ أَخْبَارِكَ عَلَى
الدَّرُوبِ .

وَمِنْ شَيْءٍ قُلْتُ : وَعَلَى الدَّرُوبِ لَكَ آثَارُ أَيْضًا ، إِذْ فِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ
وَقَصَانٌ عَلَى الرَّاجِعِ ، وَالسَّيْرُ حِينَئِذٍ صَبٌّ لَا يُمَكِّنُ ، وَقَوْلُهُ :
(وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ) وَ (السَّيْرُ مَمْتَنَعٌ) ، جَمِلْتَانِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ .
وَلَوْ قَالَ : (وَالسَّيْرُ مَمْتَنَعٌ) ، لَكَانَ الْكَلَامُ تَامًّا ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْمَمْتَنَعَ
غَيْرُ مُمَكِّنٍ . وَلَكِنْ الْقَافِيَةُ وَبَاقِي بِنَاءِ الْبَيْتِ أَحْوَجُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : (مِنْ
الْإِمْكَانِ) .

(وَقَوَارِسُ يُحْيِي الْحَمَامُ نَفْسَهَا فَكَأَنَّهُا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ)
 من شأن الحمام أن يموت ولا يحيى، لكن هؤلاء يحيى الحمام نفوسهم،
 بما يتبع موتهم في الحروب من هالي الذكر ؛ وجميل الثناء ، بحسن البلاء ،
 كتول أي تمام :

أَلْفُوا الْمَالَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يَخْلُ الْمَيْشُ وَهُوَ قَتِيلٌ
 وإن شئت قلت : يحيى الحمام نفوسهم ، وهؤلاء يحيونه ويؤثرونه ؛
 فكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان يكرهون الجحام ؛ وهؤلاء يحبونه
 ويؤثرون حب الجحام نفوسهم .

(حُرِّمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَذْرَكْ مِنْهُمْ أَمَلَهُ مَنْ عَادَ بِالْحَرَمَانِ)
 أي الذي أمَلوه من الظفر بسيف الدولة ؛ وأدرك الناجي منهم بنفسه أمَله
 الحادث له حينئذ ، لأنه لما حُرِمَ الظَّئِرُ ، وعلم أن سيف الدولة مُظَفَّرٌ به ، جعل
 أقصى آماله السلامة والبجاة بذاته ، فن تها له ذلك منهم ، فقد نال أمَله
 الحادث ، وإن كان قد حرم ذلك الأول . وبحوه قول امرئ القيس :
 وقد طوفت في الأمان حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب
 ومن أشعار المثل :

الَّيْلُ دَاجٍ وَالْكِبَاشُ تَنْتَطِعُ فَن نَجَا بِرَأْسِهِ قَدْ رَمَحَ

- ١١٠ -

وله أيضا :

(عُقِيَ الْيَمِينُ عَلَى عُقْبَى الرَّغَى نَدْمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسْمُ)
 كان المستق أقسم على أن يلقى سيف الدولة . فلما لقيهم انهزم ،
 فَنَدِمَ على قسه ، فضله التني مثلاً . يقول : إذا حَلَقْتَ أَنْ تَلْقَى مِنْ لَسْتِ

قَرْنَاهُ مُوَازِيَا ، وَلَا كُنُفُوًا مُسَاوِيَا ، نَمَتَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْكَ مِنْ حَلِيقِكَ ،
 ثُمَّ قَالَ : مَاذَا بَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ التَّسْمُ ؟ أَى لَا تَقْسِمُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِيدُكَ فِي
 إِقْدَامِكَ ؛ بَلْ رُبَّمَا أَعْقَبَكَ النَّدَمَ ، وَهَذَا مَحْوُ قَوْلِ الْعَرَبِ : الصَّقُّ يُنْجِي عَنْكَ
 لَا الْوَعْدَ .

وقوله : (عَلَى عُنُقِي) متعلقة باليمين وإن لم يُستعمل منه فعل . وحروف
 الجر إنما تتصلق بالأفعال والأسماء المشتقة منها . لكن جاز تعلقها باليمين ،
 لأن في اليمين معنى الخلف ؛ فكما كانت تتعلق بخلف ؛ كذلك تعلقت بما
 هو في معناها . والعُنُقَى : العاقبة .

(وَلَى صَوَارِمُهُ لِكَذَّابٍ قَوْلُهُمْ فَهِنَّ أَلْسِنَةُ أَفْرَاهُمَا الْقَتْمُ)
 كلن زعيم الروم أقدم لِيَمْلِكِينَ سيف الدولة أو لَا يَبْرَحُ ؛ فكان الأمر
 بخلاف ما أقسم عليه لِيَكُونَنَّ ، فأعقب ما كان من ذلك القسم ، أشد ما يكون
 من الندم . فيقول : وَلَى سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَوَارِمُهُ لِكَذَّابٍ قَوْلِ هَؤُلَاءِ ، بإصارتهم
 إِلَى الْخِنثِ ، لأنهم لما وَاَقَعُوهُ ، لم يلبثوا أن انهزموا ، قال : (فَهِنَّ أَلْسِنَةُ) يعنى
 السيوف ، شَبَّهَهَا بِالْأَلْسِنَةِ فِي الصُّورَةِ وَالْمَضَاءِ ، وَجَلَّ هَاتِمُهُمْ انْفِلَاقَ بَهَا ، بِمَنْزِلَةِ
 الْأَفْوَاهِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْأَلْسِنَةُ ، وَجَلَّ عَمَلُ السُّيُوفِ فِي الْهَامِ ، بِمَنْزِلَةِ الْفُتَيْحَا
 لِلرَّخْصَةِ لَمْ فِي الْمَرْبِ .

وعما شبه فيه السيف باللسان قول الشاعر :
 وَسَتَقِي مِنْ خَوْضِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ لِسَانُ الذَّبِيرِ أَوْلَاهُ الدَّمَاءُ
 وَمَا شَبَّهَ فِيهِ السَّنَانُ بِاللِّسَانِ أَيْضًا قَوْلُهُ :
 وَأُسْمِرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقَ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي
 (وَشَرِبْتُ أَذْكَتِ الشَّعْرَى شَكَاثِمَهَا)
 وَوَسَّيْتُهَا عَلَى آثَانِهَا الْحَكَمَ

أى أحمى طلوع الشَّمْسِ السُّبُور ، وهو أوان اشتداد الحر ، واختطاع
الطر ، شكَّامٌ هذه الخليل الضامرة . والشكَّام : قئوس اللُّجَم ، واحدتها شَكِيمة
وقيل : الشكَّام : الحكم ، فاستَحَرَّتْ الحكم حتى عادت كالسكواة ،
فوسَّمت آثاف الخليل ، كما يسما السكاوى بالنار .

(حتى وَرَدَنَ بِسَمْنٍ بِحَيْرَتِهَا كَنَسْنُ بِالْمَاءِ فِي أَشَدِّ أَرْقَاهَا اللَّجْمُ)

أى أن الخليل شربت من بَحِيرَةٍ سَمْنِيْن . ففلا ذلك الماء في أفواهها ،
باستمرار اللجم الذى فى أَسْدَاقِهَا ، كان ذلك الحر الذى فى الحديد هو الذى أحمى
الماء فقل فى أفواه الخليل .

(وَأَصْبَحَتْ يَرْى هَزِيظَ جَائِلَةٍ تَرعى الظُّبَا فِي خَصِيْبٍ نَبَتْهُ اللَّيْمُ)

الخصيب هنا : المأم ، ونبتها الشَّر . والخصيب كناية عن كثرة
الشَّر . وإعما عنى أن هؤلاء القتل شلب لم يَصْلَمُوا بعد ، وهم يَكْنُثُونَ
من كثرة الشر وسواده بالنصب ، وعن ضد ذلك بالتمحل فما جاء فى
ذلك قوله :

خَلِيْلٌ لَوْنُ الشَّيْبِ دَلَا كَرِهَتُهُ فَا أَحْسَنَ التَّرَعَّى وَمَا أَقْبَحَ التَّحَلَّى
وقال :

رَأَتْ أَفْخَوَانَ الشَّيْبِ فَوْقَ خَطِيْطَةٍ إِذَا أَمْطَرَتْ لَمْ تَسْكَنْ صَوَابِهَا
شبه رأسه حين صَليع بالخطيلة ، وهى الأرض التى لم تُمَطَّرَ بين أرضين
مطورتين . وإنا لم تُمَطَّرَ لَمْ تُنْفِت . وقال : (تَسْكَنْ صَوَابِهَا) : أى أنه
ليس هنا شَرٌّ فيستتر فيه الصَّوَابُ لَوْ مُطَّرَ ، ولانلم أحداً شبه الشيب بالأفخوان
إلا هذا الشاعر . قال أبو النجم فى تشبيه قلة الشعر بالجرب (أَجْرِبِ النَّالِ
إِذَا النَّالَى فَلَا) كقولك : أَهَيَّجْتُ الْأَرْضَ : وَجَدْتُهَا هَائِجَةً النَّبَاتِ .
وله نظائر كثيرة .

(فَمَا تَرَكَنْ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ نَحْتِ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ)

استقاربت هذه الخيل من مَهْزَى الرُّومِ مَنْ وَلَجَ بطنَ الأرضِ ، وسلكَ الأخاديدَ ، فصار يخلطه الترابُ ، بمنزلة الخُلْدِ وهي الفأرة العمياء ، إلا أن الخلد هنا إنسان وله بَصَرٌ ، إنما أخرجه بقوله : (لَهُ بَصَرٌ) من نوع الخلد إلى نوع الإنسان . إذ هو المحتجى في التراب ، وليس يخلد في الحقيقة ، إنما هو إنسان ، وإنما شبهه بالخلد فيما ذكرت لك . وكذلك أنزلت منهم صَعَرَ الخيل والمُعَاب ، فصار بازًا في تشبهه المراقب ، كنسَم البوازي ، إلا أن له قدمًا ، إذ ليس يياز في الحقيقة . ويقول : (قدم) أخرجه من نوع البازي إلى الإنسانية ، كما أخرجه من نوع الخلد بقوله : (له بصر) وهذا الإخراج مليح ، وإن كان قوله : (له بصر) و (له قدم) ، من باب الرسم لا من باب الحلد ، فقد أحال ، ففهمه ، فإنه لطيف .

(وَلَا هَزِيرًا لَهُ مِنْ دِرْعٍ لَيْدٌ وَلَا مَآةَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَتْمٌ)

أبى : درعه له كاللَّيْدَةِ للأسد ، (ولها من شِبْهٍهَا حَتْمٌ) : أى : جوارٍ مثلها في الحسن والسنَّ يَحْدُمُهَا . ويقول : (من درعه لَيْدٌ) أخرجه من نوع الأسد ، لأن الأسد لا يَدْرِعُ . ويقول : (لها من شِبْهٍهَا حَتْمٌ) أخرجها من نوع المآة ، لأن البقرة ليس لها خدَم من نوعها .

وهذان الفصلان : أعنى (له من درعه لَيْدٌ) و (لها من شِبْهٍهَا حَتْمٌ) عَرَضَانِ ، ليسا برسمين ، كالْبَصَرِ والقَدَمِ الذى قبله ، لأن البصر والقدم جوهران .

(عَزَبَتْ قَدَمُهُمْ فِيهِ وَفِي بِلَالٍ سُكَّانُهُ وَمِمَّ مَسْكُونُهَا حُحْمٌ)

والْحُحْمُ : القَعَمُ ؛ واحده حُمَةٌ بالهاء . سمى بذلك لسواده . أى قتلتهم وأحرقت منازلهم ، فلم يبق من أنفسهم إلا الأعظم رَمَ ، وهي البالية ، ولم يبق من

مَنَازِلِهِم إِلَّا مَاعَادُ مُحَمَّا . فَأَلْأَعْظَمُ هِيَ السَّاكِنَةُ لِأَنَّهَا جِزءٌ مِنَ السَّكَاةِ ،
وَالْمَسْكُونَةُ هِيَ الْحَمَمُ ، لِأَنَّهَا جِزءٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ .

وَمَا أَحْسَنَ مَاقِيلَ بِهِ بَيْنَ الرَّمَمِ وَالْحُمَمِ : لِقَطْعًا وَمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (مَسْكُونَتُهَا)
رَمَمٌ) جَمَلَةٌ فِي مَوْضِعِ النَّتِ لِبَلَدٍ . وَقَوْلُهُ : (مَسْكُونَتُهَا حُمَمٌ) : جَمَلَةٌ فِي مَوْضِعِ
النَّتِ لَرَمَمٍ . فَكَأَنَّهُ قَالَ : فِي بَلَدٍ خَالٍ مُحْرِقٍ .

(وَفَى أَوْ كَفَّهِمُ النَّارُ) أَلْقَى عُيُودَهُ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرُّمُ)
شَبَّهِ السُّيُوفَ بِالنَّارِ فِي صِفَاتِهَا وَالتَّهَابِهَا وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا . وَقَوْلُهُ : (عُبِدَتْ
قَبْلَ الْمَجُوسِ) : كَلَامٌ صَحِيحٌ ، لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى السَّيْفِ طَبِيعَةٌ ، وَعِبَادَةُ الْمَجُوسِ
النَّارِ شَرِيعَةٌ ، وَالطَّبِيعَةُ أَقْدَمُ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ السُّيُوفُ الْخَدَثُ
الْآنَ ، هِيَ السُّيُوفُ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْ قَبْلَ عِبَادَةِ الْمَجُوسِ النَّارَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَلْقَى
عُبِدَتْ أَفْرَادُهَا مِنَ السُّيُوفِ ، أَوْ عُبِدَتْ أَمْثَالُهَا . وَمَعْنَى عِبَادَتِهَا : الْقَوْلُ
بِهَا ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهَا .

وَقِيلَ : اشْتَاقَ لَهَا : كَاشْتَقَى الْإِسْلَامَ بِالصَّاحِفِ ، وَالنَّصَارَى
بِالْإِنْجِيلِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّارِحِ الْإِلَهِيِّ .

وَقِيلَ ، مَعْنَى (عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ) : ، إِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا عَتِيقَةٌ قَدِيمَةٌ .

(تَلَقَّى بِهِمْ زَبَدَ النَّيَّارِ مُقَرَّبَةً) عَلَى جَعْلِهَا مِنْ نَفْسِهِ رَمَمٌ)

يَعْنَى زَوَارِقَ يَحْمِلُهَا سَيْفُ الْقُوَّةِ لِأَحْبَابِهِ ، حَتَّى عَبَّرُوا عَلَيْهَا هَذَا النَّهْرَ .
وَالرَّمَمُ : بَيَاضٌ لِلشَّعَةِ الْعُلْيَا ، وَالْبَحْفَلَةُ لِفَرْسٍ : كَالشَّعَةِ لِلْإِنْسَانِ ، يَقُولُ :
جُرِّتَ بِهِمُ النَّيَّارُ عَلَى هَذِهِ الزَّوَارِقِ . وَالنَّيَّارُ : هُوَ لِلْوَجِّ يَنْقُذُ عَلَى مَقَادِمِ
هَذِهِ الزَّوَارِقِ ، وَالسُّمَيْرِيَّاتُ بِالزَّيْدِ ، وَهِيَ أَيْضٌ ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ الزَّيْدَ عَلَيْهَا
رَمَمٌ . ثُمَّ جَعَلَ الزَّوَارِقَ مُقَرَّبَةً ، إِنَّمَا الْمُقَرَّبَةُ الْخَلِيلُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدْبُرُونَ

عليها هذه الأنهار بالخييل ، فأقام هو الزوارق مقام الخيل ، فاستجاز لذلك أن
 يصنها بالقرية . ولما جعلها خيلاً مُقَرَّبَةً ، استجاز أن ينسب إليه أعصاء الخيل
 وشيبتها . فجعل لها جَعْفَلَةً ، إنما هي للخييل ، وجعل لها رَكْماً حين جعل لها
 جَعْفَلَةً . والنَضَح : مارى به الزبد . يقل : نضَحَ ونَضَحَ : وقيل ما كان
 فَمَلًا فهو نَضَحٌ ، بالخاء غير معجمة ، وما كان اسماً فهو بالهاء معجمة .
 وهكذا رَوَى هذا البيت عنه .

فإن قلت : كيف قلت إن للقرية هنا زوارق ، وهو يقول عَقِبَ هذا
 البيت :

تَجَفَّلُ الموجُ من لَبَّاتِ خَيْلِهِمْ كما تَجَفَّلُ تحت التارة النعمُ
 فأبنا أنهم عبروا على الخيل . وقال في موضع آخر وذكر هذا العبور :
 حتى عَبَرْنَ بِأَرْسَاسٍ سَوَابِجَا يَنْشُرْنَ فِيهِ حَمَامَ الْأَبْطَالِ
 فاقول عندي : أن بعضهم عَبَرَ على الخيل ، وبعضهم على زوارق . وقد
 يجوز أن يكون قوله : (تَجَفَّلُ للموجُ عن لَبَّاتِ خَيْلِهِمْ) : عني فيه باخيل
 الزوارق ، على ما تقدم في البيت الأول .

ومما يملك أنه عني الزوارق قوله بعد هذا :

(دُحْمٌ قَوَارِسُهَا رُكَّابُ أَبْطَانِهَا .

مَكْدُودَةٌ وَبِقَوْمٍ لَا يَهْبِأُ الْأَلَمُ)

فالخييل لا تُرْكَبُ بطونها ، وإنما يُرْكَبُ منها الظهور . وأراد المتنبي
 بقوله : ركاب أبطنها : أن يفصلها من أنواع الخيل . وقوله : (بقوم لا يهاب
 الألم) : إنما الألم باقنا لا يهابها وإن كُدَّتْ . وقيل : الألم بالقوم العاملين فيها .
 (مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كَدَّتِ الْعَدُوَّةُ بِهَا وَمَا لَهَا يَخْلُقُ مِنْهَا وَلَا شَيْئٌ)

أى السفن مبلغة لك من عدوك ، ما أبلغتك الخيل منهم ، فهى من الخيل
بمشاركتها إياها فى ذلك . لكن لاتشبهها فى حلقة ولا خليقة . انخيل حيوان .
والسفن عيدان .

(صَدَمْتَهُمْ بِخَيْمَيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَصَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ)
أنت غُرَّتُهُ : أى أنت أمامه ، فكنى بالفرقة عن التقدم والشهرة . ولما
جعل للخيمس غرة ، فوصفه بما هو من شيات الخيل ، استجاز أن يصف
بالغمم ، وهو كثرة شعر الناصية . فجعل الزمخ المشرعة فى وجهه بمنزلة الشعر
الكثير . وحمل الغم وهو عَرَض ، خبراً عن السهرية ، وهى جوهر تجوزاً
وكأنه أراد ، وتكاثف السهرية فى وجهه غم . لكنه حذف المضاف ،
وأقام المضاف إليه مقامه . ونظيره قوله تعالى : (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)
أراد : ولكن (ذا البر من آمن بالله) ، ويُقابل الجوهر بالجوهر ، والعرض
بالعرض . ولذلك اعتقد النحويون الحذف فى مثل هذا .

(فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ
لَوْ زَالَ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّخْمُ)

يعنى ماوارى ابن شمشق من الشجر ، وذلك أن الشجر حال بينه
وبين المغيثين ، فأنت . فدعا للتغى على هذا الشجر ألا يسقيه الغيث حين وارى
هذا للنهزم ، فكان ذلك سبب نجاته . (لو زال عنه) : أى لو زال هذا الشجر
عنه ، فلم يوارم لقتل ، فتجمعت الرخم عليه تواريه بشخصها .

وقيل : لو رآته لأكلته ، فبتوارى فى أجواها . ويروى : يوارى شخصه
الرجم طليح وهو القبر ، والأول أسبق ، لأن القتل فى المعترك ، إلى أن
تأكله الطير والسباع أقرب منه إلى أن يقبر ، وبذلك وصفت العرب قتلها .
كقول عنترة :

فَكَرَّكَهَ جَزَرَ السَّبَاعِ بِنَشْنَه مَائِن قُلَّةَ رَأْيِهِ وَالْمِصْمِ
وقال :

إِنْ يَنْتَمِلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرًا نَخَامِيَةً وَنَسِيرٍ قَشْمَرٍ
وقال آخر :

تَرَكْتُ إِيَّاكَ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ عَلَيْهِ الْقَتَمَانُ مِنَ النُّسُورِ

- ١١١ -

وقوله أيضا :

(فَأَرْقَسَكُمْ فَلِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ)
(إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ)

هذان البيتان يخاطب بهما سيف الدولة ، بعد فراقه إياه ، وهما يخرجان
على ذم سيف الدولة وعلى حمده .

فأما خروجهما على ذمه ، فمنناه : أنى تأذيت بمجاورتكم ، فبئس ذلك
على فراقكم ، فاضني الدهر حيراً منكم ، وتبدلت بالأذى راحة . فصار
ذلك الأذى الذي كان قبلُ بدأً عندي الآن . إذ كان سبب تقضى عنكم ،
وارتيادى ما أحدثته حين وحدته .

وقوله : « إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » يعنى من الحال ، وهو
الأذى الذى عدّا منهم إليه . حاج شوقى فأعان قلبى على ما يجده من ألم
التوحش .

وقد يجوز أن يعنى بقوله : « إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » ، ما بينهما
من تفاوت للترتين ، كان ذلك سبباً للسلو .

وأما خروجهما على حمده ، فنعناه : شكرتكم قبل أن أختبر غيركم فلما
جَرَّيت من سواكم ، علمتُ أن ما شكوته منكم كان بالحمد أولى .
ثم أعلم أن سيف الدولة مع ذلك كان غير منصفٍ له . وإنما حمده بالإضافة
إلى غيره ، فقال : إذا تذكرت مايفى وبينكم من قلة إنصافكم لى ، سلاي
ذلك عنكم .

- ١١٢ -

وله ايضا :

(طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ فرزتُ فيه بآمالى إلى الكذبِ)
أى عظم عندى ، وأطمعتُ نفسى أن يكون ، نذياً ، تملأ بذلك ،
لأن الإنسان كثيراً ما يميل إلى تصديق ما يوافقه من الأخبار ، وتكذيب
ملا يوافقه منها ، لما وُضِعَتْ عليه النفس من مُنافرة المذُور ، وملا مته
ما يجنبها ثمرة الحُبور ، كقول الشاعر :

وَعَاتِ نَفْسِي بِالرَّجْمِ غَيْبَةً وَكَاذِبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابَهَا

أبان ، أى استبان . « وخبر » مرفوع على مذهب البصريين « بجاءنى »
لأنهم إنما يُعْمِلُونَ أقربَ الفعلان ، ولا بد على هذا من إضمار الفاعل فى
« طوى » على شريطة التفسير ، وإن كان إضماراً قبل الذكر ، لأن خلو
الفعل من الفاعل ، أذهب فى التبع من الامتناع من إضمار ما لم يتقدم له
مُظْهِر .

ومن حُكْمِ العربية ، إذا وَرَدَ أمران كلاهما مَجْتَنِبٌ على حَدِّهِ ،
تُجَنَّبُ أقبجهما ، وأوثر الثانى . ألا ترى أنهم يكرهون توالى إعلالين ؟ وقد
أخذ الخليل بهما فى جاء ومحوه ، حين أبدل وقلب فاحتملما كراعية ما هو
أشد منهما ، وهو اجتماع المميزين فى كلمة واحدة ، ففهمه .

وأما على مذهب الكوفيين فيرفع « خير » على أنه فاعل (بطوى) :
لأنهم يعملون أسبق الفعلين . فلا بد على هذا من الإضمار في جاءني ، أى طوى
الجزيرة خير حتى جاءني .

والقول الأول عندى أحسن في هذا البيت ، لأن النكرة التى هي (خَيْرٌ)
على ذلك القول ، موصوفة بالجملة التى هي (فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي) . إلا أن فيه
ما قد أَرَيْتُكَ من الإضمار فى الأول ، على شريطة التفسير . وعلى هذا القول
الثانى ، ليس للنكرة وصف . وقوله : « إِلَى الْكَذِبِ » : أراد إلى اعتقاد
الكذب ، كائناً فى هذا الخبر .

ويموز أن يريد إلى التكذيب ، فوضع الكَذِبَ موضع التكذيب ، كقوله :
(وَبَعْدَ عَطَاكِ الْمِائَةَ الرُّمَاهَا)

(مَا أَخْتَّ خَيْرَ أُخْرٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِي كُنَايَةَ بهما عن أَرْفَعِ النَّسَبِ)
أى أَخَوْتُكَ من سيف الدولة ، وأبوتك وبُوتُكَ من أبى الهيثم ،
(كُنَايَةَ) عن أرفع الأحساب ، لأن مَنْ كَانَتْ لَهُمَا الْمَلِكُ أَخْتًا ، وَلَهُمَا
الْأَمِيرُ بِنْتًا ، فَقَدْ نَصَحَ نَسَبُهُ ، وَارْتَفَعَ حَسَبُهُ . « فَكُنَايَةَ » على هذا نُصِبَ عَلَى
الْمَصْدَرِ ، أَى أَكُنَى بِهِذَيْنِ السَّبَبَيْنِ عَنْ أَرْفَعِ نَسَبَيْنِ .

(أَجِلْ قَدْرِكَ أَنْ تُسْتَى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ قَدَسَمَّاكِ لِلْعَرَبِ)
أى إِنِّى أَكْرَمُكَ عَنِ الْإِضْحَاحِ لَا سَمَكَ ، فَأَعْدِلْ عَنِ الْإِنْصَاحِ بِرِسْمِكَ ،
فَإِذَا وَصَفْتُكَ وَرَبِّمْتُكَ ، عَلِمَتِ الْعَرَبُ أَى عَيْنَيْتُكَ ، فَأَعْنَانِى حُسْنَ التَّخْلِيَةِ ،
هَذَا يَحْسِنُ مِنَ التَّسْمِيَةِ .

ومؤبنة : نصب على الحال والتأنيين : للتناء على المالك .

(حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صِدْقُهُ أَمْسَلًا)
شَرِفْتُ بِاللَّعْمِ حَتَّى كَادَ يَشْرُقُ لِي)

أَيُّ بِكْمَتْ حَتَّى شَرَقَتْ بِالْدمْعِ ، وَذُبْتُ مِنْ حَرَارَةِ الْوَجْدِ ، قَعَدْتُ جَوْهَرًا
سَيَّالًا ، حَتَّى كَادَ الدَّمْعُ يَشْرِقَ بِي ، لَدُونِي وَلُطْفِي .

(مَسْرُورَةٌ فِي قُؤُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقُهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ)
أَيُّ أَنَّهَا امْرَأَةٌ تَطْطِيبُ وَلَا تَنْلِسُ السَّلَاحَ . فَالطَّيِّبُ يُسَرُّ بِمَفْرَقِهَا ،
وَالسَّلَاحُ يَحْسُدُ الطَّيِّبَ ، لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ مِنْهَا حَيْثُ يَصِلُ الطَّيِّبُ .

وَقَالَ : (فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ) : ذَهَابًا إِلَى أَنْوَاعِهِ . وَلَوْ ذَهَبَ إِلَى الْجِنْسِ
أَوِ الشَّخْصِ لَقَالَ فِي فُؤَادِ الطَّيِّبِ : وَحَمَلَهُ عَلَى اخْتِيَارِ ذَلِكَ قَوْلُهُ : (فِي قُلُوبِ
الْبَيْضِ) لِيُقَابَلَ جَمْعًا بِجَمْعٍ ، وَلَوْ قَالَ : فِي فُؤَادِ الطَّيِّبِ ثُمَّ قَالَ : فِي قُؤُوبِ
الْبَيْضِ سَادَتِ الصَّنَاعَةُ وَكُلُّ وَاسِعٍ .

- ١١٣ -

وَلَهُ أَيْضًا :

(تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْءِ)

فِي إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ)
أَيُّ أَنَّهَا تَشْكُو إِلَى مَلَقًا ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا حُرْقًا ، ثُمَّ أَقَامَ عَلَى تَمَلُّقِهَا وَتَحَلُّقِهَا
بُرْهَانًا مَيَّانِيًّا ، فَقَالَ : (الشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ) أَيُّ النُّحُولُ عِنْدِي ، وَهُوَ
نَتِيجَةُ الشَّوْقِ ، فَلَوْ كَانَ بِهَا شَوْقٌ كَمَا بِي ، لَكَانَ بِهَا مِنَ النُّحُولِ مَا بِي ،
وَلَا نُحُولَ لَهَا ، فَلَا شَوْقَ بِهَا .

(مَنْ رَأَاهَا بِعَيْنِهِ شَاقَهُ الطُّغْطَانُ فِيهَا كَمَا تَشَوَّقُ الْعُصُولُ)

أَيُّ مَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ ، أَيُّ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ بِهَا ، شَاقَهُ الْبَاقُونَ فِيهَا ،
لَعَلَّهُ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ ، كَمَا يَشْوَقُهُ الظَّالِمُونَ عَنْهَا ، فَالطُّغْطَانُ وَالرَّاحِلُونَ عَنْهَا
سَوَاءٌ ، فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَشْوَقَهُ النَّوْعَانِ ، لَعَلَّهُ بِاشْتِمَالِ الْفَنَاءِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ .

وقوله : (الحُمُولُ) : أراد كما يشوقه التحملون ، فوضع (الحمول) ، ، موضعها . وإن شئت قلت : عنى بالحمول هنا . أُسْرَةُ المَوْتَى .

(صَحِبتُنِي عَلَى الفَلَاةِ فَتَأْتُهُ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ)
كُنِيَ بالفتاة عن الشمس ، وآثر التأنيث لتأنيث العرب أسماءها ، ولذلك سَمَّوها (الجارية) عند الفارسي . و (عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ) : أى أنها حَمْرَاءُ وقتاً ، وبَيْضَاءُ وقتاً ، وصنْراءُ آخر . فعادة لونها التبديل فى ذاته . فكان يجيب على هذا — لولا الأوزن والقافية — أن يقول : التَّبْدِيلُ ، لكن وضع التبديل موضحة اتساعاً .

وإن شئت قلت : التبديل لها لوناً بعد لون .

(سَتَرْتُكَ الْجِبَالُ عَنْهَا وَلَكِنْ بَكَرَ فِيهَا مِنَ اللَّيْلِ تَقْبِيلُ)
الجِبَالُ : الأُمُورُ عليها الكِلَالُ خاصَّة . واحداً حَجَلَةٌ . وقد يكون جبال جمع حَجَلٍ . وحَجَلٌ جمع حَجَلَةٍ . يقول : أَدُمْتُ أَنَابِلَهُ الشَّمْسِ ، وأما أنت فَسَتَرْتُكَ الْجِبَالُ عَنْهَا . ولم تَمْشِ فى الْبَرَّازِ ، فَتَوَرَّكَ سُرَّةً كَأُورْتَقَى ، لكن سُرَّةَ شَفَتَيْكَ سُرَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ قَبَّلَتْكَ ، فَأَلْقَتْ فى شَفَتَيْكَ سُرَّةً ، وهو اللَّيْلُ . (وفيها) الهاء راجعة للجبال . أى وإن كنت مستورة بالحُجُبِ ، فإن الشمس قد احتالت عليك ، ووصلت إليك ، وَقَبَّلَتْكَ ، وَأَكْسَبَتْ اللَّيْلَ شَفَتَيْكَ .

(لَا أَقْنَا عَلَى مَسْكَانٍ وَإِنْ طَابَ وَلَا يُمْكِنُ الْمَسْكَانَ الرَّحِيلُ)
أى لا نُقِيمُ دُونَ (حَلَبَ) بِمَكَانٍ ، وَإِنْ طَابَ ذَلِكَ الْمَسْكَانُ ، إِلَّا لَوْ أَمَكُنَ ذَلِكَ الْمَسْكَانَ أَنْ يَرْحَلَ مَعَنَا ، فَأَمَّا وَلَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ ، فَلَا إِطْلَاقَ لَنَا عَلَيْهِ وَلَوْ طَابَ وَالْمَاضِى هُنَا الَّذِى هُوَ (لَا أَقْنَا) فى معنى الْخَالِ أَوِ الْاِسْتِقْبَالِ .

(مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتِي وَأَسْقَمْتُ وَزَادَتْ أَبْهًا كَمَا الْمُطْبُولُ) .
يقول : أنت مثلاً فعلاً ، ولو قال : (مثلاً أنت) جاز أن يكون مثلاً
بها في الحسن ، وأن يكون مثلاً بها في الإساءة إليه ، فأراد هو أن يُبين
ما أشبهت فيه هذه المرأة الشمس ، قال : مبيناً للشابهة ، (لَوْحَتِي وَأَسْقَمْتُ :
أى الشمس لَوْحَتِي وَغَيْرَتْنِي ، وأنت أسقمتى . والإسقام أشد من التلوح . فلها
قال : (وزادت أبهاً كَمَا الْمُطْبُولُ) يعنى هذه المحبوبة . والمُطْبُول : الطويلة العنق .
(وَمَا لِي تُحْيِيهِمْ مِنْ يَدِيهِ نِمِّمْ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ)
(موال) : يعنى أوليائه وأقاربه ، يقتل أعداءه ، فينم أموالهم ، فيعطونها
أوليائه ، فيحييهم بذلك . وقوله : (بها مقتول) : أى يسلمهم لإلها ،
أو مقتول من أجلها .
وقد يجوز أن يحْيِيهم بهذا المَعْنَى ، فيقدروا بذلك على قتل أعدائه .

- ١١٤ -

وقال ايضا :

(وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسْبُ)
يعنى هؤلاء الوشاة الذين كانوا يَشُون به إلى سيف الدولة ، كان ينصرهم
سمعه لأنه لم يكُ يطيق سَدَّ أذنيه عن سماع كلامهم ، وينصرنى قلبه بحبه لى ،
وتكذيبه لإمام نيرا . والنصر بالقواد أضع من النصر بالسمع . وجعل حسبه
ناصراً له أيضاً ، لأنَّ شرفه حمله على الثبات ، وإلتناء ما يورده عنه حساده .
(وَمَا قُلْتُ لِقُبْدَرٍ أَنْتَ اللَّجِينُ وَمَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبُ)
أى آتى لم أنقصك ، ولا بخصت مناقبك حقها ، كما يُنقص البدر
لو يشبهه باللجين ، أو الشمس لو شُبِّهت بالذهب . وإنما ضرب ذلك مثلاً ،
وجعل اللجين للبدر ، لكون أن أهل الكيمياء من الطبيعيين يقولون إنه من

أَكْوَانُ الْقَمَرِ ، وَجَعَلَ الذَّهَبَ لِلشَّمْسِ ، لِأَن أَوْلَئِكَ يَزْعُمُونَهُ مِنْ أَكْوَانِ الشَّمْسِ .

وقيل : هذا البيت تعريض بشراء سيف الدولة .

يقول : كل واحد منهم يمدحك ، يريدون ما تستحقه من المدح ، ثم يقلب المدح ذمًا . فكأنه يقول للبدر يا فضة ؛ وللشمس يا ذهب ؛ فيُحطَ بذلك قدرهما ، ويهبط به خَطَرُهما . وأنا لم أقصر على هذه الرتبة ، ولا قنعت لك بها ؛ بل وَفَّيْتُ مَدْحَكَ ما قصروا هم عنه ، فسبيل الغضب أن يكون عليهم لا على .

وَاللَّحِيْنُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَمْ تَسْتَعْمَلْ إِلَّا مُصْفَرَةً ، وَقَدْ عَمِلَ سِيْبُو بِهِ فِيهِ بُوَيْبًا .

(فَإِنْ فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غَدْرَانِهَا مَا نَفَسَبَ)

الطر : ذو مادة ؛ والتبدير لا مادة له ؛ إنما هو القطعة من الماء ؛ يفادرها السيل ، أى يتركها ، فجعل عطاياه أمطاراً ؛ لكونها ذات مادة ؛ وجعل ما حصل عنده من عطاياه — وقد اقطع جوده عنه بفراقه له — بمنزلة الغدران التي لا مادة لها . فيقول : إن كنت رحلتُ عنه واقطعتُ عني جوارثه ، فقد جمعتُ من سوا القها وعوارفها ما لم ينفذْ أكثرها بعد .

(وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَتَّبِدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ)

يسفهُ النصراني ؛ ويستضعف أخلاقهم حين يستنصرون بالمسيح عليه السلام . وهم يعتقدونه ميتاً مصلوباً ، ولم ينصر نفسه حينئذ .

— ١١٥ —

وله أيضا :

(كَفَى بِكَ دَاءُ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا)

وَحَسْبُ الْمَقَابَا أَنْ يَكُنْ أَمَاتِيَا .

الفرق بين الباء التي في (بك) وبين التي في قوله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أن الباء في كفى بالله داخلة على الفاعل ، وفي بك داخلة على للمفعول ، أى كفلك ذلك . ويجوز أن يكون كفى بدائلك داء ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، وداء في كل ذلك نصب على التمييز . ومعنى البيت : كفى بما تلقاه من شدة الزمن ، وتناعى المكروه ، حتى أدى ذلك إلى تغي الموت ، واعتدادك به شاقياً يعظم بذلك مثوبة ما يلقاه . ومن العَجَب أن يَلَاقِي الإنسان بليّة ، تجعلُ المنية من أجلها أُمْنِيّة .

(تَمَيَّنَتْ لِمَا تَمَتَّتْ أَنْ تَرَى صَدِيقًا قَاطِمًا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيًا)

أى تمنيت اللّية حين تمتت صديقاً مصافياً ، أو عدواً مدارياً ، فكلاهما أعوزك وأعياك . فأما تمنى الصديق فسحبة مألوفة ، وأمنية معروفة ؛ لأنه رِيصانة القواد ، وإنما هو الصديق الخالص الرّداد .

وأما تمنى العدو للمداجيا ، فهو التَّخَطُّبُ العجيب ، والخبر الغريب ، لأننا لا نعلم أن أحداً تمنى لقاء عدوّ ، ولكنه إنما عرض بأنه قد المرّة ، ولم يؤت ما كانت همه له لَامِحَةً إليه ، وعينه طامحة عليه ، فنَدَّرَ بذلك قدره ، وهان على عدوه خَطَرُهُ ؛ فجاءه بمداجاته ، ولم يتكلف مداراته ، تهاوناً منه به ، ولو كان على عدوه قديرًا ، أو في نفسه خطيراً ، لتكلف له المداجاة ، ويَبَيّن أنه إنما يَلَايِنُكَ عدوك ويداجيك ، إذا رَأَاكَ بحالٍ يحذر بها منك .

يقول : أنا لاصديق يُصَنِّفُنِي ، ولا عدو يُدَاجِنُنِي ، فأية مأرّة لى في الحياة ؟ بل أحب إلى منها لقاء الوفاة .

(حَبِيبُكَ قَبْلِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيًا)

(مِنْ نَأَى) : يقول لسيف الدولة . يقول لقلبه : أنا أحببتك قبل حُبِّكَ ، لهذا النأى ، وصَحِبتُكَ قبل صَحْبِكَ إياه فمليك أن تبقى لى ، وتسوّر

عن هذا الغادر الذى لم يستعمل الوفاء لى ، فإنك إن لم تفعل فقد عَدَرْتَنى بِمِجْثِ
 هذا الذى عَدَرْتَنى ؛ ولو أَسَمَدَ الْوِزْنَ بِأَنْ يَقُولَ : وقد كان غادراً ؛ لِيُطَائِقَ
 قوله وإفياً ؛ لكان أذهب فى الصناعة ؛ وأدَلَّ عَلَى الْإِسْطَاعَةِ . وقلي : فناء .
 مضاف ؛ أى يا قلي . ولا يجوز أن يكون بدلاً من الكاف ؛ لأنَّ الْخَاطِبَ
 لا يبدل منه كما لا يبدل من الخبر عن نفسه لأنَّ الْخَاطِبَ والخبر عن نفسه قد أُبْرِنَ
 التباسُها ، قد أغنى ذلك عن الإبدال منها إذ البدل إنما هو للبيان .

قال سيبويه : فإن قلت : بى المسكين كان الأمر ، أو بك للمسكين
 مرت ، لم يميز . ثم احتج بمثل هذا الذى ذكرت لك .

(تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا فَكَشَنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرْزَةِ حَوَافِيَا)

تماشى ؛ يعنى الخيل ، أى تماشى بأيدٍ قد سقطت نعلها من السر ،
 وما فى الطريق من الحمى والدر ، لكن حوافرها شداد حنَاد . إذا وافت
 الصفا — وهى أصلب ما تكون من مواطن الحجر — نشت فيها أمثال صدور
 البراة ، لشدها . وصدر : مفرد موضوع موضع الجمع ، لأنه مضاف إلى جمع .
 وهو كثير فى النظم ومنثور الكلام . كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَنَهَرٍ ﴾ أراد ؛ وأنهار . لأن مياه الجنة أنهار لا نهر واحد . ألا تراه يقول
 كثيراً فى وصف الجنة : ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وقال : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ
 مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ إلى آخر الآية .

وأما فى الشعر فقوله :

لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَى وَقَدْ سُبِينَا فِي خَلْقِكُمْ عَقْلٌ وَقَدْ شَجِينَا

ورواه بعضهم : (صُدْرُ الْبُرْزَةِ) أراد ؛ جمع (أُصْدَرُ) وهو العظيم

الصدر ، ولا يجمنى . إن الخافر إنما يصون صدر البازى — لو صور —
 لا جملة البازى كلها . والصفا : جنح ، واحده : (صفة) ، وألفه منقلبة عن
 واو ، قو لم : الصنوان والصنواء .

(يَعرَضُ يَعرِضُ الجِسمُ فى السَّرجِ رَاكِبًا)

به وَيَعرِضُ القَلْبُ فى الجِسمِ مَشيًا)

أى أن الجسم — وإن سار راكبًا — فإن القلب يسير فيه ماشيًا لتوقره
 فإنه لا يَعرِضُ مشى الراحة والقرى ، جريًا إلى إدراك مرغوبه ، والغفر بمطلوبه .
 (فَجَأتُ بِنَا لِإنسَانٍ عَينَ زَمَانِهِ . وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاكِيًا)

أشرف ما فى العين لإنسانها ، لأن حسن النظر إنما هو به ، وكذلك
 كافور لزمانه ، كالإنسان للعين ، أى أنه أشرف بنى دهره ، وأعلى علمه
 فى عصره ، وإنما الملوكة غيره لعين دهرهم كالبياض والمآقى ، وحسن ذلك
 أن كافورًا أسود ، قد شاكل سواد العين ، وغيره من الملوكة الذين
 خلفهم التنبى وراءه بيض ، قد شاكل البياض والمآقى ، وهذا وإن
 كان قد أبجد فى مدح كافور ، فقد عرّض بسواه ، وقلما مر له فيه
 غريب بيت ، إلا قد جمع مدحًا وتريضًا ، ولذلك قال فيه بعد صدّه عنه :
 وشعرٍ مدحت به الكركد ن بين القريض وبين الرقى

ولو قال هذا البيت فى رجل أبيض ، أعنى (فجأت بِنَا) ، لكان
 مدحًا لايمارى ، وتريضًا لايمارى ، وإنما قصص عن غاية المدح ، لتريضه
 بسواه ، ولكن هذا البيت فى الأسود أشد تحقًا منه فى الأبيض لأنه فى
 الأسود يحوى الطبع واللون ، وفى الأبيض يتفرد بما طبع دون اللون ، ففضله .
 (لَقِيتُ التَّوَرُزَى والشَّخِيبَ دُونَهُ . وَجِئْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ المَاءَ صَادِيًا)
 بالغ فى صفة حرّ الهجير ، يترك الماء صاديًا ، لأن الماء لا يصدى بل
 هو مؤزى للصدى ولو قيل إن إصداء الماء ، إيباسه له ، وتنصبيه إياه ، لأن

الصدى ذابل عما عليه الرّيان ، من النضارة والنضارة ، لكان وجهها .
 (إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَالِ بِالْئَدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي تَدَاكَ الْمَاكِتَا)
 للمال على ضربين : طبعى ، ومُتَعْنَى . فأما الطبعى فالفضائل النفسانية :
 كالتجاعة والكرم والفهم والعفة وهذا لا يمكن أن يُوهَب البتّة ، لقوله هوفيه :
 وَلَوْ جَاَزَ أَنْ يَعْزُوا عِلَاكَ وَهَبَتَهَا
 وَلَكِنْ مِنْ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

يعنى الخصال الذاتية ، وخلال النضال النفسانية ،
 وأما المُتَعْنَى فنصو المال والجاه والثروة ، فإن هذا فى الإمكان أن
 يُوهَب . يقول له : إذا كان قصارى أفاضل الناس اكتساب للمال بالئدى ،
 فإِنَّكَ أَنْتَ تُعْطَى الْمَالِ فِي تَدَاكَ ، فُتَقُولُ الْبِلَادَ ، وَتَكْسِبُ الْأَجْنَادَ .
 وإن شئت قلت : إن عطائك تُشْرِفُ الْمُعْطَيْنَ ، فتنفضى بهم إلى المال ،
 وما كان سبباً للعلة فهو مَعْلَاة .

وقد ينقلب هذا المعنى على ما قدمناه ، كأنه يريد : إِنَّكَ لَا تَحْسَنُ الْمَالِ
 إِذَا لَا مَادَّةَ لَكَ تَرْبِيهَا وَتُكْمِلُهَا بِصِنْفَةِ جَوْهَرِكَ ، وَرَدَاةَ عُنُصْرِكَ ، حَتَّى إِذَا
 هُمِّيَ لَكَ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَقَارَبْتَ مِلْسَكَ وَالْإِشْمَالَ عَلَيْهِ ، أَنْصَرَفَتْ عَنْهُ ، وَسَلَّمَتْهُ
 إِلَى غَيْرِكَ ،

(إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهِتُ
 فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلُ التَّسَاوِيَا)

أى إذا سوى أهل الهند بين سيفين ، طبعاً ، وضَعْلًا ، واستجادة
 عُنُصْرَ ، فَإِنَّ السَّيْفَ الَّذِي يَقَعُ مِنْهَا بِكَفِّكَ ، فَتَضْرِبُ بِهِ ، يَكُونُ أَمْضَى مِنْ
 صَاحِبِهِ الَّذِي تَضْرِبُ بِهِ كَفُّ غَيْرِكَ ، لِأَنَّ كَفِّكَ أَقْوَى الْأَكْفِ ، فَقَدْ أَزَالَتْ
 كَفِّكَ التَّسَاوِيَا بَيْنَ السَّيْفَيْنِ الَّذِينَ سَوَتْ الْهِنْدُ بَيْنَهُمَا .

وقال (في كفت) ، فأفاد ، وإن كان نكرة ، لأنه قد علم أنه لا ينفى من الأكف إلا الكفة ، كقولك مررت برجل حسن وجهه . (والكريمة) الشدة للكروحة . وهذا البيت محو قوله فيه أيضاً :

إِذَا ضَرَبْتَ كَفَّكَ بِالسِّيفِ فِي الْوَعَى

تَبَيَّنَتْ أَنَّ السِّيفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ

- ١١٦ -

وقال أيضا :

(مَنْ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُرُّ الْحَلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَالِيْبِ)

ألقم بنوع الجاذر ، وحقق ذلك إغراباً ومبالغة ، وتجاوز بكونهم أعراب ، فزأم إلى زيهم لألبهم ، والحمر في الحلَى ، واللباس ، والأثني حمر الألوان ، فخصم بها من بين سائر .

(لَا تَجْزِي بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ)
يعنى بالبقر : أحبابه . يقول : بَكَيْتُ كَمَا بَكَيْتُ ، فسكن من الدمع مثل ماسكبت مكافاة ، فإذا قد جَزَيْتَنِي بِبُكَائِي ، فلا جَزَيْتَنِي بِضَائِي ونحوي ، أى لاضنين كما ضنيت ، يدعوا لمن ، فهذا الأسبق والأليق .

وإن شئت قلت : إن حُبَّيْنِ قد أضى جسدِي ، وأفنى جسدِي ، وأسم وأهرم ، فلم يبق في موضع الحبِّين إلطى . فلذا كان ذلك ، لم تضن النساء عشقا ، وإن نظرنا إلى فكيك ، فإثما يبيكين رحمة لى لعشقا ، فيكون لفظه على هذا لفظ الدعاء ، ومعناه الخبر . كأنه قال في المعنى : ليس يميزنني .

وقوله (تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ) : جملة في موضع الصفة لبقر . والماء في بعدها عندي : للحالة أو السرة . وقد يكون راجعا إلى النساء . واستجاز أن يقول : (بعدها) . وإن عني النساء ، وهو من النوع الناطق ، لأنهن قد سملن بقرًا ، والبقر وغيرها من الأنواع غير الناطقة ، يُخْبِر عنها

كما يخبر عن الواحد المؤنث . قول : الجبال رأيتها ، والجبال علوتها ، ولو سوغه الوزن أن يقول : (يَمْدَعُنْ) كان أذهب في الحقيقة ، لأنهن لسن جاذر ، وإنما هن نسوة .

(أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ عِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجَنُّبٍ)
 أى هذه الأعداء إن حاربتهم لم ينجها منه إعداد عدّة يُقدّمون النظر فيها ،
 كتنشيد سور ، وخبر أخدود ، واستظهار بحشود . وكذلك لا تنجو منه
 بما يؤخرونه من الاحتيال للهرب ، وإعداد الحيل المنجية . ومن القتل والحرب .
 وإن شئت قلت : ماتنجو بتقدمتها نفوسها إليه ، ولا بتجنبها عنه .
 والتجيب : الحرب والشكوص .

ولو قلت : إن التقدمة هنا بمعنى التقدم ، ليقابل التجيب ، لأن التقدم
 غير متعمد ، كما أن التجيب كذلك ، لكان حسناً ، كقول قطري :
 تأخرتُ استنقي الحياة فلم أجده لنفسى حياةً مثل أن أقدماً
 ووضع المصدر مكان مصدر آخر كثير ، قد عمل سيبويه وغيره من أهل
 اللغة فيه أبواباً .

ولو علمنا أن العرب قالت : قدّم في معنى تقدّم ، كقولهم : بين الأمر ،
 أى تبين ، ألفينا الاحتيال له ، لكن مثل هذا لا يضبط إلا سماعاً .
 (بَلَى يَرْوِعُ يَدْرِي جَيْشٌ يُجِدُّ لَهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ الْقَعِّ غَرِيبٍ)
 أى أنه لا يقصد استمداد الأموال من الملك ولا السوق . وإنما قصده
 ترويع الملك بالقتال ، فإذا صرع ملكاً ذا جيش يُجدُّ له ، روع به آخر
 لم يجد له بعد . وقوله : (ذا مِثْلِهِ) : أقام فيه الصفة مقام الموصوف ، أى ذا
 جيشٍ مثله . وحسن حذف هنا وإقامة الصفة مقامه لأمرين : أحدهما أن مثل

مضافة ، فشاكت بذلك الأسماء ، لأن الإضافة إنما هي للأسماء . والآخر أن
لفظ الموصوف المحذوف ، وهو الجيش ، قد تقدم مظهرًا في قوله : (بلى يزوع
بنى جيش يمدله) . وقوله : (فى أحم النقع غريب) : أراد فى موضع
أحم النقع . والغريب : الأسود .

— ١١٧ —

وله أيضا :

(يَبَاعِدُنْ حَيًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ . فَكَيْفَ يَحِبُّ بِجَمْعَيْنِ وَصَدُّهُ)

عنى بالحب هاهنا : الشيب ، لأنه محبوب على الكره ، وبإضافته إلى
الموت فيقول : الأيام مُشاكلةٌ بالطبيعة الشيب ، لأن الشيب ثم ، كما أنهم
ثم . فكان القياس ألا تباعده مكان المشاكلة ، وإنما مباعدها له بللوت ،
الذى هو أشد كَرَبًا ، وأجل خطبًا ، فإذا باعدت الشيب الآن وهى مجتمعة
معه ، فكيف أطلب منها حياً قد اجتمعت هى وضد ذلك الحب ؟

ويعنى بالحب هاهنا : الشلب . يعاتب نفسه على مطالبة الأيام برد
المحبوب الذى فات ، وهى لا تبقى له الأقل الذى بقى . ألا تراه يقول :

أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيبًا تَدْرِيهِ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ

أى الدنيا لا تدبى لى حياى ، وهى معى إلى الآن ، فكيف أطلب منها
شبابى وقد ذهب .

وإن شئت قلت فى البيت الأول : إنه أراد : يُباعدن حبيبًا هو الآن
معى ، وأصل لى ، أى هذا من قوتها وفضلها ، أعنى أنها تباعد الحبيب
الواصل ، فكيف لى منها بإدناه حبيب مُحْتَجِزٍ معى ، فازج عنى ؟ وعطف
وصله وصده على المضمر فى (يجتمعن) اضطرارًا ، كقوله :

قلت إذ أقبلت وزهرت تهادى كعجاج للفلا تصفّن رَمَلًا

ولو كان الروى منصوباً ، لكان « وصّده » هو الأجود ، على المفعول معه ، ولو أسعده الوزن بتأكيد الضمير فقال (هي) لكان الرفع لازمة فيه ، ولو أنه أكد وكان الروى منصوباً ؛ لكان النصب حسناً .

ولما ذكر سيبويه وجه النصب في قوله : (ما فلت وأباك) قال : إنما فعل ذلك ، لأنك لو قلت : افل وأخوك ، كان قبيحاً ، حتى تقول : اقم أنت وأخوك ، قال : فإذا قلت : ما فلت أنت وأباك ؟ فأنت بالتخيّر : إن شئت حملته على المعنى الأول (يعنى الرفع على العطف) . وإن شئت حملته على المعنى الثانى ، (يعنى النصب على المفعول معه) . وجعل الأيام مجتمعة بالوصل والصدّة ، لأنهما عرّضان ، وظروف الزمان مشتملة على جميع الأعراض كاشتغال الأمكنة على الجواهر . هنا معنى الاجتماع ، فضمه .

(يَؤَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جَيْدٌ تَنَاقَرَتْ عِقْدُهُ)

أى أنهم كانوا لهذا الوادى كالقيد للجيد ، فلما رحلوا توخّش ، وعطل كما يعطل الجيد إذا تناقَرَتْ عِقْدُهُ . وقوله : (به ما بالقلوب) ، أى من الأسف عليهم ، والحنين إليهم ، (وقد رحلوا) : جملة في موضع الحال ، أى في حال رحيلهم عنه . وكأنه قال : مرّحولاً عنه جيدٌ هذه صفته . ولا بد من تقدير (عنه) إذ لا بد للحال من ضمير يعود إليه من الحال .

(يَحْتَفُّ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً وَيَأْتِي فَيَذَرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ)
أى أنت أرفع المتصوّدين . فن قصد غيرك ، فقد ترك مقصوداً فوق مقصوده ، وهو أنت . فلذا قصدك تبين وتيقن أنه قد بلغ أقصى النيات ، إذ لا متصود وراءك ، ولا موزود فوقك . وقوله : (ذلك جهده) : أى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته . وحينئذ تقرّ عين القاصد ، لأنه لا يُعْتَفَى على ترك الجرى إلى أقصى ما يمكنه من ذلك ، إذ ليس يمكنه تجاوزه .

وله ايضا :

(قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرِ لَهُمْ بِنَا

حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمُ)

أى من الأملاك ، غذف وأوصل الفعل ، ومثله كثير ، إلا أنه ممنوع لا يقاس عليه . وقد صرح بذلك سيويو ، والأملاك : يجوز أن يكون جمع مَلِكٍ وَمَلَكٍ ومليك ، أى قد اخترتك من جميع الأملاك ، ورجوتك لمعنى ومطلبي ، فاختر لهم بنا حديثاً : أى اجعل الصنعة فى ، فإنك إذا فعلت ذلك تَحَدَّثُ عنك بالإحسان ، وتُحَدِّثُ عَنِّي بَأْنِي استأهلت ذلك عندك ، وقد حَكَمْتُ رَأْيَكَ ، أى سلطُ إليك ، فاضل ماتشاء ، فإن طبيعتك لا تعمدك على ضد الجحيل .

وله ايضا :

(أَغْلَبَ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ) .

أى والشوق أغلب منى ، غذف للعلم بنا ينفى ، كقولنا : الله أكبر ، أى من كل شئ . غذف ، أنشد سيويو :

مَرَزْتُ عَلَى وَادَى السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِى السَّبَاعِ حِينَ يُظْلَمُ وَادِيَا
أَقْلُ بِهِ رَكْبٌ أَتَوْهُ تَثْبِيَةً وَأَخَوْفَ إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ سَارِيَا
أَرَادَ : أَقْلُ بِهِ رَكْبٌ تَثْبِيَةً مِنْهُ .

وذهب بعضهم إلى أن « أغلب » هنا ليست للمفاضلة ، وإنما هو أفضلُ صفة كَأَحْمَرُ ، ولا يسجنى لأن قوله فى آخر البيت « والوصل أعجب » لا يسوغ فيه إلا (أفضل) التى للمفاضلة ، بأن يكون المعراع مشاكلاً للمعراع الأول وإنما كان الشوق

أغلب له ، لأنه لو كان ضد ذلك لم يكن عاشقاً . وقوله : (وأعجب من ذا
 الهجر والوصل أعجب) : إنما كان الوصل أعجب من الهجر ، لأن
 الهجر نوع من مكاره الأيام ، والوصل نوع من محائبها ، وشيمة الأيام أن
 تأتي بما يكره ، فلا عجب من الهجر الذي هو في خليقتها ، ولكن الوصل
 لو تيسر ، كان أعجب من الهجر لشذوذه عن خلق الزمان . وأراد : والوصل
 أعجب منه ، خذف كما تقدم في (أغلب) .

(فَكَمْ لظلام الليل عندك من يدٍ تُخبرُ أنَّ المانويةَ تكذبُ)
 المانوية : أصحاب ماني . وهم أهل الشنوية ؛ يذهبون إلى أن ظلام الليل
 يكون الشر وأن النور يكون الخير ، والتنبئ يرد على هؤلاء الشنويين فيقول :
 ليس الأمر على ما وصفتوه ، بل قد أجد ذلك بالعكس . فإن الليل قد وُفِّي
 شرِّ الأعداء ، بأن وأراني منهم بظلامه ، كقولهم : (الليلُ يسترُ الويل) .
 وقالوا : اتخذِ الليلَ جَمَلًا : أي اركبه لحاجتك . وكذلك زارني
 الحبيب بالليل ، فأخفى مزاره على الرقيب ، وهذه أفعال الخير ، فلم تنسبون
 إلى الظلمة الشر ؟

ولما قال : « فكم لظلام الليل عندك من يدٍ » فسرّه في البيت الثاني بقوله :
 وقالكَ رَدَى الأعداء تَسْرَى إليهم وزارك فيه ذو الدلالِ المُحِبُّ
 ولما حيد الليل بما أسدى إليه من الخير ، وكذب للانوية بهذا البرهان ،
 أخذ في في ذم النور ، قال :

(ويومَ كليلِ الماشقينَ كَمَتَتْهُ أَرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسُ أَيْتَانِ تَتَرَبُّ)
 أي أي قد أمنت من العداة بالليل ، فسرّيت وأدلت ، وخشيتهم بالتهار
 فكَمَتَتْ وَتَحَبَّأَتْ . وتلك كلفة ومشقة ، وجهد على النفس لإخفائه ، وما أحسن
 ما اتفق له الاستطراد في هذه الأبيات .

وقوله : (أَيَّانَ) أى متى . وليس من لفظ أين . إنما (أَيَّانَ) من (أَيَّ) فهى قَمْلَانِ كَرَيَّانِ التى فى الأزمنة .

ويدلك على أن (أَيَّانَ) ليست من (أَيْنَ) ، أن (أَيْنَ) يكون سؤالاً عن الجوهر والعرض ، كقولك فى الجوهر ، أين زيد ؟ وفى العرض : أين اللقاه والقتال .

فأما (أَيَّانَ) فلا يسأل بها إلا عن العرض . تقول : أَيَّانَ القتال . ولا تقول أَيَّانَ زيد . وقد قال عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ وقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ فحسبكم (أَيَّانَ) إِذْنٌ حَكْمٌ متى ، ومتى خِلَافٌ أَيْنَ . فَأَيَّانَ إِذْنٌ خِلَافٌ أَيْنَ .

وقد يجوز أن يكون أبو الطيب فى ذمّه النهار ، معرضاً بسيف الدولة لبياضه ، وفى حده الليل ، مُتَعَمِّلاً بكافور لسواده ، فإن كان قصد ذلك فهو ظريف ، وإن كان لم يقصده ، فتوجيهنا له غريب .

(وأصرع أى الوحش قفّيته به . وأنزل عنه مثله حين أركب)

قفّيته : أى اتبعت قفاه . يقول : أَقْتُلُ بهذا الفرس أى نوع أو شخص من الوحش حاولت به إدراكه ، وأنزل عنه بعد ذلك وهو فى مثل حالة حين ركبته ، من الجلام ووفور الجرى لم يغيّره لإجرائى له ، ولا أذهب ميعته . وهذا كقول الترمذ بن منقذ السدى فى صفة عجوز يذكر بقائه حسنها :

من بَمد ما لَبِستَ زماناً حُسناً وكان ثوب جالها لم يُلْبَسِ

« ومثله » . منصوب على الحال من الماء الذى فى عنقه . و « حين » ظرف متعلق بأنزل .

(تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى الْآيَتِ كَثْرَةً وَتَلْبِثُ أَوَاهُ السَّحَابِ وَتَنْصُبُ)

أى كلما ليثت عطايه تضاعفت ونمت ، لأنها ذوات مواد كحجر يهبط
فنتج مهراً ، أو ضيمة تورثه غلة ووفراً ، فتنى هباته على الأيام ، وتواتر
الأعوام .

وأما مواهب السحاب فكلما ليثت نشفتها الشمس ، ونصبتها الأرض ،
واستقمتها الواردة . فهذا طفل ندى كافور على ندى السحاب .

(ودُونَ الَّذِي يَبْقُونَ مَالَوْ تَخَلَّصُوا

إِلَى الشَّيْبِ مِنْهُ عِشْتُ وَالطُّفْلُ أَشْيَبُ)

(مالو تخلصوا إلى الشيب منه) : يعنى اللوت . أى دون ما يحاولونه مذك
اللوت ، الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب ، لشاب طفلم فى حال طفولته —
أراد العرب — ولكنهم لا يمكنهم التخلص من اللوت إلى الشيب ، بل
أنت تأتى عليهم ، فقتلهم فى الحال .

وقيل معناه : لو أمهل الحسد حسادك ريثَ هجوم الشيب ، لشاب طفلم
الآن ، ولم يتأخر الشيب عنه إلى أوانه ، ولكن أنت تجعلهم ، وشيب الطفل
فى كل ذلك : يذهب به إلى القرب . أى لو أمهلهم اللوت الذى يحدث عنه
الحسد ، لشابوا فى هذا الوقت ، ولم ينهل الطفل منهم إلى أوان الشيب ، بل كان
يشيب مع هؤلاء .

وإن شئت قلت : إن هذا كقوله :

فإنك سوف تجلم أو تنهى إذا ما شيت أو شاب الغرابُ
أى إنما تحمل إذا شيت ، وأنت لا تشيب أبداً ، لأن حيلك على الناس
يتلُك ، فيجعلك من بلوغ الشيب ، وكذا لا يشيب الغراب أبداً .

فكذلك لا تحمل أبداً . فيقول : لو تخلصوا من اللوت إلى الشيب —

وهذا غير ممكن — أى لو أمكن ذلك الممتنع ، الذى هو التخلص من الموت إلى الشيب ، لأمكن هذا الممتنع الثانى ، وهو شيب الطفل .

(فَنَافَهُمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ عَلَيْهِمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ خُلْبٌ)

البرق على ضربين : صادق ، وكاذب . والكاذب يقال له : الخُلْبُ ، من الخِلابة ، وهى الخِداع . فَوَعَدَ بَرَقَ سيوفك بأن يَفْلُقَ الْبَيْضُ إِيَّاهُ ما تحتها من الهَامِ ، صادق ، لأنها فعل ذلك . وَبَرَقَ بَيْضُ عِدَاكَ أن تَقْدَرُ تَرِيكَهُمْ يِيضُكَ ، أى سيوفك ، كاذب ، لأن سيوفك من عاداتها أن تَقْدَرُ تَرِيكَهُمْ إِيَّاهُمْ ، فهو خُلْبٌ لِقَالِكَ . وقد يقولون : برق الخُلْبُ فيضيئون ، وهذه الإضافة على حذف الموصوف ، أى برق السحاب الخُلْبُ . وإن شئت ، جعلتها من إضافة الشيء إلى نفسه ، كنحو ما حكاه أبو بكر محمد ابن السرى من قولهم : مَسْجِدُ الْجَامِعِ ، وباب الحديد . وقد حمل بعضهم قوله تعالى ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ على ذلك .

(سَلَّتْ سَيْوْفَانَا عَلِمْتَ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ)

إن شئت قلت : لما رأى الناس تأثير سيوفك في عِدَاكَ ، دَانُوا لَكَ ، فخطبوا باسمك على كل منبر . وإن شئت قلت : كان الواجب في الاختطاب على المنابر أن يكون باسمك ، فَتَجَوَّزَ فِي الْخُطْبِ بِاسْمِ غَيْرِكَ ، فَسَلَّتْ سَيْوْفُكَ ، وَهَلَّتْ بِهَا أَعْدَاؤُكَ ، وَبَلَّغَتْ أَمَانِيكَ ، فخطبوا لك خاصة ، فكان تخصيصك بذلك من تعليم السيوف التى سلت ، كقوله :

تَوَلَّيْهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحَهُ

وقوله : (كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ) جملة في موضع المفعول الثانى ،

و (علّمت كل خاطب) : الدعاء والخطبة . و (على كلِّ قُود) : أراد على كل منبر ، لأن المنبر من المود ، فأقام المنصّر مكان الصورة ، ومثله كثير .

— ١٢٠ —

وله أيضا :

(أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبْلَغَنِي مَالَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ)
أى أريد أن يدمم شبابى وسرورى أبداً ، فلا أفرم ولا أهرم . وهذا الذى أريده من الزمان ، لا يبلغه هو من أمنيته لقائه ، لأنه لو اختار أن يكون ربيعاً أبداً ، ونهاراً سرمداً ، لم يبلغ ذلك ، لأن أحواله الأنيقة تتكرر ، فيلحق ربيعاً القيقظ ، ويتخلل نهاره الليل . فإذا لم يبلغ الزمان مُرادَهُ فى نفسه ، فجدير ألا يبْلَغَنِي مرادى . إذ لو كان ذلك فى قوته ، لآثر به نفسه .
يتوجب من تشططه على الزمن ، وتكليفه إليه ما ليس فى وسعه ، ولا يجد مُعيناً عليه من طبعه .

وجل الزمان نفساً وإنما هو نور وظلة ، تحدّثان عند حركة الفلك ، لأن العرب نسب الأفعال إلى الدهر كثيراً ، لوقوعها فيه . فقولون : قَلَّ الزمان ، وصنع ، كقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ .
(مما أَصْرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوَوْا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَلَا فُطِنُوا)
أى أنهم اعتبروا حُسْنَ الخلق لا حُسْنَ الخلق . ولو جَرَّبُوا الدنيا ، فأجادوا الاختبار ، وأطالوا الاختبار ، لوجب أن يؤثروا حسن الخلق ، فيجب إذ هو أولى فى الحقيقة بذلك ، من اعتبار هذا الحُسْن المحسوس . وقد فسره
هو فى البيت الثانى الذى بعده قال :
(قَتْنَى عَيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ)
أى فى إثر كل قبيح الخلق .

(تَحْمَلُوا حَمْلَتَكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ)

نسيب هذه القطعة قاله أبو الطيب مُغْضِباً ، شاكياً لأمره ، متسخطاً على
دهره ، حتى أفضت به شدة العتاب ، إلى ملامة الأحباب ، واحتمل إفراط
الجفاء ، لما تأمله من قلة الوفا ، قال : (تَحْمَلُوا حَمْلَتَكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ) : أى .
أُبيدتم ولا دُنُوتُمْ ، بخلاف قوله هو راضياً عن أحيائه :

لَا مِيرَتٍ مِنْ إِبْلِ لَوْ آتَى فَوْقَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةٌ مَدْمَعِي سِمَانِيَا
ثم أدركه بعدَ صَجْرَةِ التَّاسُفِ ، وإظهار البراءة عن العشق بعدم ، قال :
فكل بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٍ

أى أى كنت أحمِلُ بَيْنَكُمْ ، فإذ قد وقع ، فما أبالي بشيء بعده ،
كقوله الأول :

مَنْ شَاءَ بِمَدِّكَ فَلَيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
وامثله أبو نواس قال :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ الدَّهْرِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ
والقاء فى قوله : (فكل بين) لطف الجلة الثانية على الأولى ، التى هى .
(تحمّلوا) .

(رَأَيْتَكُمْ لَا يَصُونُ الْبِرْضَ جَارُكُمْ

وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ اللَّبَنُ)

أى من جاوركم ذلّ ، وأقام صابراً على الذلّة ، حتى يكون عرضُه فَيَدِرُّ
مصون لأنكم لا تنصرونه على من أوصل إليه الأداة ، بل تدعوونه نهباً ،
ولا يستطيع أن ينتصر هو لنذلكم إياه . وهو فى هذا البيت يعمّرهم الصبر
على الذلّ والقلّ ، لأنّ قوله : (ولا تدرو على مَرَعَاكُمْ اللَّبَنُ) : يعنى به أن رَفَدَكُمْ
قدر الكفاف ، ليس فيه ما يفضّل عن الاستغناء

(فَنَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بِهِمَا تَكْذِيبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ)
 البهائم : الأرض القفرة ، (قملاء ، لا أقبل لها من جهة السماء) .
 أى لا يقال : (قَفَرُوا أَبْهَمُ) . وقد ضَلَّبت (البهائم) غلبة الأسماء .
 حكى أبو زيد عن العرب ، البهائمات . فلو علموا الصفة لقالوا :
 البُهم ، أى غَادَرَ الْهَجْرُ يَبْنُتَا فَلَاةً بِهِمَا يَقَرَّحُ فِيهَا الْحَسَنَ مَا لَيْسَ
 بِحَقِيقَةٍ ، كَتَخِيلِ الْآلِ ، وَتَصَوَّرِ الْأَشْخَاصَ ، وَعَزِيفِ الْجَنِّ ،
 ونحو ذلك مما لا حاصل له .

(تَخْبُو الرِّوَايِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا)

وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ مِنْ أَخْفَانِهَا الثَّنِينَ

أى تَخْبُو الْإِبِلُ الرَّاسِمَةُ مِنْ هَذَا الْقَفْرِ ، وَالثَّنِينَ : مَا يَصِيبُ الْأَرْضَ
 مِنَ الْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ إِذَا مَرَّكَ ، وَهِيَ خَسَنٌ رُكْبَتَاهُ مِنْ ذِرَاعِيهِ وَسَاقِيهِ وَنَفْذِهِ ،
 فَإِذَا حَقَّقَتْ هَذِهِ الْإِبِلُ ، فَبَرَكَتْ عَلَى ثَنَيْنَاهَا ، وَصَدَمَتْ بِهَا الْأَرْضَ ،
 قَالَتِ الثَّنِينَاتُ لِلْأَرْضِ : أَيْنَ الْأَخْفَاءُ الَّتِي كَانَتْ تَكْفِيْنَا لِمَا لَكَ ، وَتَقِينَا
 لِمَا لَكَ ؟ (الثنين) : جَمْعُ ثَنَفَةٍ ، كَلِمَةٍ وَلَكِنْ . و (تَسْأَلُ وَتَسْأَلُ)
 كَلَامًا عَرَبِيًّا ، لِأَنَّهُ مَا لَمْ يَفَارِقْ مِنَ الْجَمْعِ وَاحِدَهُ إِلَّا بِالْهَاءِ ، جَازَ تَذْكِيرُهُ
 وَتَأْنِيثُهُ وَلِذَلِكَ - إِذَا وَاقَتْ صُورَةَ هَذَا الْجَمْعِ صُورَةَ الْجَمْعِ لِلْمُسْكِرِ - اسْتَدَلَّ
 سَبِيحُهُ عَلَى الْجَمْعِ الَّتِي بَيْنَ وَاحِدِهِ بِالْهَاءِ بِدَلِيلِ التَّذْكِيرِ ، مِثْلَ ذَلِكَ قَوْلُهُ : إِنْ
 الرُّطْبَ لَيْسَ كَالْقَرْبِ ، وَإِنْ اتَّقَى الْبَيْتَانِ ، لِأَنَّ الْقَرْبَ مُسْكِرٌ ،
 بِدَلِيلِ تَأْنِيثِهِ ، وَالرُّطْبَ يَذْكَرُ وَيُؤَنَّثُ ، يَقُولُونَ : هَذَا الرُّطْبُ ، وَهَذَا
 الرُّطْبُ .

وله أيضا :

(وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ نَبِيٌّ لِحَيٍّ لَمَدَدْنَا أَصْلَنَا الشُّجْعَانَا)
[أى أن الحياة لا ندوم ، فإني للحى أن يحب ، إذ لا بد من لقاء الموت . وفي الجبن العار . ولو كانت الحياة تدوم ، لكان أصلنا الشجاع الذى يتعرض للقتل فيقتل ، فيحرم بذلك نفسه بقاء الحياة ولذاتها . ولكن إذا كان الموت لا بد منه ، وفي الشجاعة الجد ، فهي أولى من ضدها .

وله أيضا :

(كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِ)
قيس من عدنان ، واليمن من قحطان ، وبينهما منافرة . فيقول :
كثرت قطع شيب لرقاب الناس بسيفه ، فأغرت الرقاب بينهما ،
ليفترقا قتل . وقوله : (رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِ) ، تورية عن
قوله : لم تنفقا وأنا بالنسب مفترقان . ونحوه قوله الآخر :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّ مُهَيَّلًا عَمْرُكَ اللَّهُ . كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هى شامية إذا ما استقلت ومهيل إذا استقل يمان
والألف فى يمان عوض من إحدى ياعى النسب ، التى فى قوله
(يَمِينِي)

ومن العرب من يقول : يمانى . فهذا ليس على الموضع ، لأنه
لم يحدف منه شيئا فكون الألف عوضا منه ، ولكنه من يوارد النسب .

(أَتُنْسِكُ مَا أَوْلَيْتُهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُنْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ يَمَانِ)

أى سبيل النعم التى زالت من يدك إلى يده ، أن تنهى كفه عن الإمساك ببنان فى مصصيتك ، فهلا فعل ذلك ؟ ينكر على شبيب كفره أبلدى كافور ببقائه عليه ، وخلصه طاعته .

(ثَنَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ يَنْبِرِ بَنَانٍ) أى لما هم بمصصيتك ، كثرت كثرة أيدىك عن المصصيان يده ، حتى ألتقت السيف كأنها لا بنان لها يُمسِكُ بها ، وقوله : (وقد قبضت) : جملة فى موضع الحال من الضمير الذى فى (كانها) . و (كانت) ها هنا يجوز أن تكون المفتقرة إلى الظاهر ، ويجوز أن تكون بمعنى خلقت ، فتكون الفنية .

حكى سيويه : أنا أعرفك منذ كنت ، أى مذ خلقت ، ويكون الجرور على هذا فى موضع الحال ، كما ذهب إليه سيويه فى روايته من روى :

إذا كان يومٌ ذو كواكب أشمعا

من أن أشنع حال ، ولا تكون خبراً لكان ، لأن الظاهر سيوله أن يكون مفيداً ، وليس فى أشنع من القائلة إلا ما فى قوله (ذو كواكب) لأن اليوم إذا كان ذا كواكب كان شنيعاً إذ ظهور الكواكب إنما يكون للقيام الذى يكسب ضوء الشمس ، فتظهر . وهذا من دقائق سيويه التى يسميها للتأمل إيجازاً .

- ١٢٣ -

وله أيضا :

(عُيُونُ رَوَاحِلِيْ إِنْ حَرَّتْ تَهَيَّيْ وَكُلُّ بُلَامٍ رَازِحَةٍ بُلَامِيْ)

حررت : أى تحيرت ، والعيون هاهنا : يجوز أن تكون جمع عين ، وهى

الشخص ، أى أنى ماهر بالقلاة معاود لما أحس فيها أمل فادعها ذؤاما فى الطريق ، فإذا أنا تحيرت فى التيه ، فدللى كل عود أخليه ، لأنى أرى شخصه فيكون لى كالنار الذى يُستدل به . وقد تكون العيون هنا جمع للعين التى هى كالجارحة النظرية ، أى تبدو لى أعين هذه الروايا ، وخَصَّ أعينها بقوله : عيني . وكذلك إذا أردتُ استنباح الكلاب ، لئدُلُّ نباحها على الحلال ، وأما كن الحلال ، بَقَمَتْ ناقى ، والبُغام : صوت قَطْعُه ولا تَمُدُّه ، فيسمع الكلبُ بُغامها فينبج ، فذلك البُغام يفتينى أن أَسْتَنْبِح الكلاب ، والرازحة : الناقة المعبية ، رَزَحَتْ تَرْزَحُ رُزُوحًا ورُزاحًا . وخصَّ الرازحة ، لأنه يصف نفسه بإدمان السير ، والصبر على التعب فى السفر .

(قَدْ أَرِدُ الْمِيَاءَ بِسَيْرٍ هَادٍ سِيَوَى عَدَى لَهَا يَرْقَ الْقَمَامُ)

يصف نفسه بمعرفة الارتداد ، ويتعرب بذلك ، فيقول : لا أحتاج على الماء دليلاً ، إذا اجتئنا إليه سبيلاً ، لأنى عالم بمخايل المطر ، كعلم رُؤاد العرب ومنتجهم بذلك . وهم يزعمون أن البرق إذا لمع مائة ومضة ، وقوا بالمطر واتجمعوا الناحية ، التى لاح منها ذلك البرق .

وقيل : إذا تَرَقَّت السماء أربعين برقة ، وقوا فساروا ، وربما طاردوا جَوَّهُ عشراً ، فوافقوا الماء .

(يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ)

أى أَنَحَلَّتْنِي هذه الحُمى ، فكأنها وَجَدَتْ جِلْدِي لايسع نَفْسِي وإِيَّاهَا ، فَاسْتَلَّتْ العَم ، ليتسع الجلد فيجسمهما ، كما وَسَّعَ النَّفْسَ والنفس .

(وَصَافَتْ خُطَّةً فَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْقِدَامِ)

الْقِدَامُ : المِصْفَاة ، وَنَسِجُهُ ضَيْقٌ ، تَدْفَعُ إِلَيْهِ الخمرُ قَدَّاهَا ، فتمرق منه

صافية فتزداد شرقاً بقاءها وصفاتها . شبه الخلطة ، وهي النازلة العظيمة من نوازل الدهر ، في ضيقها بالقدام المضيق . فيقول : إذا دُفِعتُ إلى مُعْ ضَيْقٍ فعجز غيري عن نفاذه ، خرجتُ أنا منه وقد استدل مُبصرى على فضلى ، إذ لم تَمْلُقْ بى تَبَسُّها وازددتُ شرقاً بذلك ، كازدياد اللدائم عند فراغها صافية للقدام ، كقوله :

ما تعتربنى من خُطوبٍ مُلَمَّةٍ إِلَّا تُشْرِفُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
ولهذا قالوا خرج منها كالشهاب ، أى لم تملقه منها تبعه . وأراد : (وربما ضاقت خلطة) ، أو (قد ضاقت خلطة) يذهب في ذلك إلى خلط شتى ، لا إلى خلط بينها . وأراد (من منسوج اللدائم) إذ النسج عرض ، والخمر جوهر ، والجوهر لا يتخلل العرض .

قال سيبويه : هذا ثوبٌ نسج الين ، ودرهم ضرب الأمير : أى منسوج ومضروب ، ومثله كثير .

(وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ)
أى إن سلمتُ من موت على وجه ما ، لم أسلم من آخر على وجه ما ، وإن سلمتُ من الموت في زمن ما ، لم أسلم في غيره ، إذ أخلد في الحياة ممتنع . وقوله : (من الحمام إلى الحمام) : لم يُرد الجنس ولكنه أراد من بعض أنواع الحمام إلى بعض أنواع الحمام .

— ١٢٤ —

وله أيضا :

(مَتَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِبَيْضِ الْقُرُونِ شَبَابُ)
(أَنَّ الْبَيَاضَ) : خير ابتداء مضمر . أى كانت لى متى . ثم أوضح تلك اللى وكأنه قال : هى أن البياض وقار لى ، فيخفى شبابى بالشيب ، ذهاباً إلى إكبار الشيب ، وذلك لما يلحق الشباب عنده من التعيب .

(فَكَيْفَ أَذِمُّ لِلْيَوْمِ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي

وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ)

يعنى فى كل ذلك الشيب ، أى قد كنت أيام أسأله عز وجل ، وأدعو أن يسلبنى الشباب ، ظاناً أن الشيب لا يملق الإنسان معه ألم ولا هرم . فلما شئت ولحقنى من الضعف ملحقى ، علمت أن رأى فى سؤالى الشيب ، ورغبتى إلى الله فيه ، كان ستماً . لكن كيف أذم للشيب وقد كنت أشتهيه . وكيف أشكوه وقد كنت أدعو الله أن يهبه لى . يقول : فإن شكوت ما كنت أحب ، وذمنت ما دعوت إلى الله فيه ، وقع التناقض فى منهى ، مع أن ذلك غير نافع فالصبر أولى والرضا بكل ذلك أحب .

(جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ لَيْتَ وَالْمُلُوكُ ذِتَابُ)
(وَأَنْتَ إِنْ قُوِيْتَ صَحَّفَ قَارِيءٌ ذِتَابًا فَلَمْ يُخْطِءْ هَذَا ذِتَابُ)

أى إذا عُدِدْتَ لَيْتًا ، وطلب من السباع ما هو دون الليث ، بما يقاس به الملوك إليك رُبُّوا ذِتَابًا . ثم إن حَقَّ القياس ، كان ما بينك وبين الملوك تفاوتًا ، كما بين الأسد والذئب ، حتى لو صَحَّفَ مُصَحِّفٌ فقال : ذِتَابُ لم يخطئ فى قياسه إليك ، وإن كان صَحَّفَ ، بل يكون بهذا التصحيف أشعر كقول الأصمى قارىء عليه ، صحف عليه بيت الحطيئة ، وهو قوله :

وَعَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا بَيْنَ بِالضَّيْفِ تَامِرُ

قال : (لا تبنى بالضيف تامر) ، فقال له الأصمى ، أنت والله أشعر من قائله ، حين قلبت هَجْوَهُ مَدْحًا . وقوله : (أنك واحد) : بدل من الكاف فى فيك . وإن قلت : منع سبويه البديل من للضمير المخاطب ، فقال : إن قلت : بك المسكين مررت ، لم يجر ، لأن البديل إنما هو للإيضاح

والمخاطب لا يُشكّل ، فيحتاج إلى البيان . قلنا إنما منع سيويه في هذا بدلَ
الجملة من الجملة ، أعنى الكلّ من الكلّ ، الذى هو هو ، فأما بدل الجزء
من الكلّ ، فغير ممتنع ؛ كقولك أعجبتنى وجهك ، وعجبتُ منك صبرك ،
فكذلك (أنك واحد) ، وإن لم يكن جزءاً من كل فهو عَرَضٌ في جوهر
كقولك : جرى الخلف إلا في كونك واحداً ، والترض — وإن لم يكن
جزءاً من الجوهر — فهو مرتبط به ، فكان كالجزء منه . واختلف هنا :
بمعنى الاختلاف ، ولذلك جاز أن يمدى إلى في . وذئاب هاهنا : اسم للجنس
لأنه قد قال : (واللوك ذئاب) ، فأخبر بالجمع عن الجمع ، ولو لم يحمل
الذئاب جنساً ، لَلَزِمَكَ أن تخبر عن الجمع بالواحد .

وقد حكى أبو عبيد في (الغريب المصنف) عن الأحر : (الثمرة :
ذبابة) . فإن صح ذلك ، ولم يك وهماً من أبى عبيد ، فذباب هنا جمع
ذُبابة ، لا يحتاج حينئذ إلى تأول الجنس ولا إلى جعل الواحد موضع الجمع .
ولا أعلم أحداً من أهل اللغة حكى في ذُباب ذُبابة إلا أبا عبيد وحده .

— ١٢٥ —

وله أيضاً :

(والعبدُ ليس لعِرٍّ صالحٍ بأنَّه لوَّ أنه في ثيابِ العِرِّ مَوْلودُ)
أى لو غُدِّي ورُبِّي وأدب بمثل ما يندى به الحُرُّ ويربِّي ويؤدَّب ، لقصر
عن طبيعة الحُرِّ ، ولو لم يَرُم العبودية ، والعبد بمتنه الحُرُّ ، فإذا كان كذلك
فهو عدو لا أخ .

(أولى اللثامِ كُوَيْفِرٌ بمذِرَةٍ في كلِّ لَوْمٍ وبِعَصُ المذِرِ تَفْنِيدُ)
أولى اللثام في المذرة في اللوم كافور ، لأنه شرُّ نفسٍ من أخسِّ جنسٍ ،
أعنى بالجنس : الجليل ، لا المقول على الأنواع ، وإذا خَسَّ الجنس ؛ عذر

الواحد منه أن يمرى على قيسه ، الذى هو طبع جنسه ، فذا عذراً له ، وإن كان هذا الملمر بالثم والتقص أشبه . فهو إذن عذر يزيد على التفتيد ، لأن التفتيد يشعر أن المقتد موجود ، كقوله :

وَبَقِيَ الْوَدُّ مَا بَقِيَ الْعَتَابُ

فأما إذا ترك التفتيد ، العلم بأن الإساءة طبيعة فى السوء ، فذلك أقصى نهايات القم . وأراد : (أَوَّلَى اللّثَامِ بِمَعْدَرَةِ كَوْفِير) ، لأن قوله : (بمعدرة) من تمام الاسم ، الذى هو أولى . فكان يلبنى له ألا يجىء بالخبر الذى هو (كوفير) إلا بعد قوله : (بمعدرة) لتعلق الباء بأوئى . وكذلك إن جعل (كوفير) هو المبتدأ ، وجعل (أولى اللثام) خبر مبتدأ مقدماً ، قد حال أيضاً بين الاسم الذى هو الخبر ، وبين ما هو من تمامه .

ولذلك جعل الفارسى (رِكَلا) فى قوله :

رِكَلا يَوْنَى طَوَالَةَ وَصَلُ أَرْوَى ظَنُونٌ أَنَّ مُطَرِّحُ الظُّنُونِ

جزءاً من الخبر ، لامن المبتدأ ، الذى هو وصل أروى ، لأن وصلاً مصدر ، فكان يكون (رِكَلا) من صلته مقدماً له . والصلة لا تقدم على الموصول .

ولا يُقَدِّمُ بعضُ أجزاء الاسم على بعضٍ مُخَوِّراً عن وضعه ، فكذلك لا يُحَالُ بين بعضه وبين بعضٍ بأجنبي أيضاً ، فذلك مثلاً بيت المتن فى فصله بين (أَوَّلَى) وما يخلق بها ، بالبيت الذى أنشده أبو على ، فى أنه لا يميز تقديم الصلة على الموصول . وإنما قوله : (بمعدرة) متعلق بأوئى . ثم أبرز مضمره . أى أولام بمعدرة .

وله أيضا :

(وَعَدْتُ ذَا النُّصَلِ مَنْ تَمَرَّضَهُ وَخِفْتُ لِمَا اعْتَرَضَتْ إِخْلَاقًا)

اختلف له بعض أعبيده سيفاً ، وأعطاه امرأة وزنان بن ربيعة الطائي الذي تضيئه بحسنى . وكان عبيده قد خالفوا إليها فومب أبو العليب إلى العبد الذي اختلف السيف ، فأخذه منه ، وضربه به فقتله ، فيقول : لم أقتلك لأن السيف عظم على قدره وجلّ لدى خطرته ، حتى دعاني فقدمه إلى قتلك ، ولكن وعدت هذا السيف أن أقتل به من تَمَرَّضَهُ ، ولما تَعَرَّضْتَ أَنْتَ له وهمت بالصفح عنك ، خِفْتُ أَنْ يتخلل وعدى إخلافاً ، فأكون غير صادق الوعد . وأراد : (من تعرض له) خفف وأوصل وكذلك أراد (وخفت لما اعترضت له) ، خفف الجار والجور ، كقوله :

إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ

أراد يتكل عليه ، حكاه سيبويه . وقوله : (من تَمَرَّضَهُ) أراد : قتل من تعرضه ، خفف للضاف ، لمكان العلم به ، وأقام للضاف إليه مقامه ، و (مَنْ) : في موضع المفعول الثاني بوعدت .

وله أيضا :

(أَلَا كُلُّ مَاشِيَةٍ أَخْلِيْزِيْ فِدَا كُلِّ مَاشِيَةٍ الْهَيْدَبِيْ)

الْخَيْزَلَى : مِشِيَةٌ مِنْ مَشَى النِّسَاءِ ، فِيهَا تَغْزُلُ وَتَشْكُكُ . وَالْهَيْدَبِيْ (بِالذَّالِ وَالذَّالِ) : أَعْلَى مِنْ مِشِيَةِ الْخَلِيلِ وَالْإِبِلِ ، فِيهَا سُرْعَةٌ . فيقول : كل امرأة معشوقة الصحرى فِدَا كل فاقة وجمل من الإبل التي خرجت عليها من مصر ، لما نلت بها من الضيم ، وقد بين ذلك بقوله بعد هذا :

... .. وَمَا يَنْحَسِنُ الشَّيْءُ

أى ما على من حسن مشية النساء لأى لا أعتى بذلك ، وإنما أعتى بطلب النجاة ، ومحاولة المتعالة ، وإرغام الدعاة ، وقد بين ذلك أيضاً بقوله :

(وَلَكِنَّهُمْ حَيَالُ الْحَيَاةِ وَكَيدُ الْمُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى)

أى من أسباب الحياة ، فوضع الحيال موضع الأسباب لأن السبب من أسباب الحبل ، « وكيد المداة وميط الأذى » أى وسبب كيد المداة أكيدهم بها ، وسبب ميط الأذى أيضاً . فعطف للمضاف ، وأقام للمضاف إليه مقامه .

وإنما تأولنا ذلك ، لأن الخليل لا تكون في الحقيقة كيداً ولا ميطاً ، إذ الخليل جوهر ، والكيد والليط عَرْضَان ، والجوهر والعرض ليسا من باب « هو هو » ، بل هما من باب الغير . وقد يجوز أن يحمل الخليل على الكيد والليط ، على سعة الكلام ، كأنها لما كانت سبب ذَنْبِكَ ، كأنها هما .

وقد ذهب سيهويه إلى الوجهين جميعاً في هذا الضرب ، أعنى كقولهم : ما زيد إلا أكل وشرب ، وإنما هي إقبال وإدبار .

قال : جعلها الإقبال والإدبار على سعة الكلام ، وإن شئت على الحذف ، كما قدمنا .

(فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى)

أى إذا كان مقصودهم ومدحهم مثل كافور ، فكفى بذلك هجواً لهم .

وإن شئت قلت : أخرجنى الورى إلى مدح كافور ، وذلك سَفَهٌ ، فكان ذلك للمدح هجواً لهؤلاء ، إذ لو كانوا كرماء أحراراً ، أغتنى عن مدحه ، والتعرض للاقائه .

وله أيضا :

(قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَدَالٌ)

يقول : من رأى للمسكين خشية الإقلال ، وموتهم عن الأموال ، وتخليتها للأهداء الأضداد غير الأشكال ، فقد أراه الزمان فيهم العبر والتغير ؛ فكأنه قد حذره الإمساك ، ولأَمَّه على ذلك ، وليس لازمان على الحقيقة قول ، لأن الزمان عَرَضٌ مُتَوَلِّدٌ عن حركة الفلك ، وليس للعرض قول ، إنما هو للجوهر الناطق ، لكنه لما انطقت بتصاريفه ، ومشاهدة تكاليفه ، صار كأنه له لَأَمٌ ومثله كثير .

والقول الذي قاله الزمان ، إنما هو : لا تمسك للمال ، فإنك إن فلت ذلك كان عليك حوبه ، ولوارث لفته وطيبه .

وقد ألم الحارث بن حلزة بهذا المعنى في قوله :

لَا تَكْسَحِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ

(الْقَائِدُ الْأَمْسَدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ)

برائهم : سيوفهم . وأما البرثن في الحقيقة ، فهو المِغْلَبُ ، لكن السلاح للإنسان كالبرائن للسباع ، أى أنه يسير للهباء في غلماته الذين رباهم وضراهم . ووقبتهم لسلب عداه ، الذين هم مثلهم في الشجاعة ، وذلك من حد صفرهم إلى كبرهم ، وقوله : وهى أشبال : جملة في موضع الحال ، إذا رددتها إلى المفرد ، فكأنك قلت : غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ صغارا ، والشبل : ولد الأسد .

(وَقَدْ يُلْقِبُهُ الْمُجْتَنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الثَّقَلِ عُمَالُ)

معنى هذا أن (فاتكا) كان يُلقَّبُ (المجنون) ، وهو لقب له - كما تراه - قبيح ، فاحتال للتبني ، لتأوله على أحسن الوجوه ، قال : إنما جنونه إذا

تزاوجت السيوف ، واختلطت الصفوف ، في الاقتحام والاهتجام . ثم قال :
وَبَعْضُ الْعَقْلِ عَقَالٌ : لأن الجُبْنَ يتصور لأهله في معرض الخرم والعقل ، وهو
مذموم . وعَقَالٌ : أى أنه يَفْقَهُهم عن الجراءة ، لأن الْعَقَالَ ظَلَعَ يكون بالبعير
ساعة ثم يَنْشَطُ .

(إِذَا الْعِدَا نَشَبَتْ فِيهِمْ نَحَائِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِيَالٌ)

هذا تفسير البيت الأول ، واعتذار من تلقية (الجنون) . يقول : فهو
في الحرب أَسَدٌ ، والأسد لا يُوجد عنده الْحِلْمُ ، فلا يُلَامَنَّ في عدمه الْحِلْمُ .
كما لا يلام الأسد ، ولا يُسَمَّنُ (مجنوناً) لأنه قد تحول في الحرب عن طبيعة
الإنسان ، إلى طبيعة الأسد ، وإنما كان يسمى (مجنوناً) لوفارق الحلم وهو
في النوع الإنساني ، فلا يصح عليه اسم الجنون كما لا يصح على الأسد .

والريال : الأسد ، يُهَمَز ولا يهمز . وليس ترك الهمز فيه على التخفيف
القياسي ، إذ لو كان كذلك لم يقل في الرِّئَالِ والرِّيَالِ . إنما لُتْنَانٌ ، كما
لا قول في (ذيب ، وذوب) أنهما لُتْنَانٌ . وذلك أن تحقيق الهمز
وتخفيفه لا يُسَمَّى فهما لُتْنَةً ، مادام للتخفيف قياساً ، إذ للتخفيف على
القياس في فئة الْحَقِّقِ . ويدلك على أن (رِيَالاً) ليس بتخفيف قياسي ،
وإنما هي لُتْنَةٌ ، قولهم في جمعه : رِيَاكِيلُ . فلو كان (رِيَالاً) على التخفيف ،
لقيل في جمعه (رَاكِيل) لأن الة التي كانت قلب الهمزة ياءً ، وهي السكسة .
في رِيَالٍ ، قد زالت في حدّ الجمع ، وعاقبتها الفتحة . وينبغي أن يكون وزن
السكسة (قِتَالاً) . وإن كانت الياء لا تكون أصلاً في بنات الأربعة ، وأمثال
ذلك إن كانت زائدة كان في الكلام قِتَالٌ . وهذا بناء قد فاء سيبويه
عن الأسماء ، إنما هو المصادر ؛

فما كان ذلك أَشَدَّ ذَنْباً (رِيَالاً) فحملنا الياء فيه أصلاً لعدم (قِتَالٍ) .

في الاسم ، كما حلت الضرورة سيديه ، على أن يعتقد الواو في (وَرَتَّلْ)
أصلاً ، وإن كانت الواو لا تكون أصلاً في بنات الأربعة .

ومن العرب من يقول : (رَتَّلْ) بفتح الراء فلذا جاز ذلك ، فالهاء
حينئذ زائدة وليست من لفظ رَتَّلْ ، ولو أسمى الوزن والتافية قال (حَلَمٌ
وَرَأَيْتَ) ليوفق بين الصدر والصدر ، لكان أذهب في الصنعة .

فقد قالوا : (ما أشد رأيتك) . وحكى أبو زيد عن العرب : خرج
المترأيلون (وهم المتلصصون) ليلاً كالأسد .

واستعجاز أن يجعل لثقتك مخالب ، وإنما المخالب للشيء ، لكن سَوَّخَه
ذلك جعله له رَتَّلًا . والرتيال ذو مخالب ، لأن المِخْلَبَ للشيء كالظفر
للإنسان .

(أَنَا لَهُ الشَّرَفُ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا)

أى توخى التقدم في جوده وجُرائته ، فقال بها الشرف ، على أن الجود
يفقر ، والجُرْأَةُ تَهْلِك . فم الذي ناله غيره بتوقيه الفخران جَادَر ، واللوت
إن أقدم ؟

— ١٢٩ —

وله أيضا :

(وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدَسْوَاهُ عِنْدَهَا الْبَازِي الْأَشْيَبُ وَالْعَرَابُ الْأَبْقَعُ)

يعنى بذلك اللوت ، جعل له يداً ، لقولهم : أخذه اللوت إذا أخذ
أكثر ما يكون باليد . ولذلك سَمَّوا القُوَّةَ يداً ، لأنها إنما تسكل
باليد ، أوقموا اسم الجارحة على العرض . وقوله : (سَوَاهُ عِنْدَهَا
الْبَازِي الْأَشْيَبُ وَالْعَرَابُ الْأَبْقَعُ) : ضرب البازي مثلاً للأرفع ،
والعراب الأبقع مثلاً للأوضع ، أى اللوت يُسَوَّى بين الفاضل والمفضول ،

والرفيع والوضيع ، حتى لا يَفَرِّقَ بينهما ، بل هما متساويان فيه ، وكلاهما طُعْمَةٌ لِقَيْدٍ ، فهو نحو قول الآخر :

لو كَشَفْتُ للناسِ أخطيئَةَ الثَّرى لم يُعْرِفِ المولى مِنَ العبدِ
أى قد استويا في التنزيه بالنزلة . ونحو قول المتنبي أيضاً :
يموتُ راعى الضأنِ في جَهْلِهِ مِيتَةً جَالِيُنُوسَ في طُوبِهِ .

وقوله : (سواء عندها) : خير مبتدأ مقدم ، والبازي الأشهب ، مبتدأ . وإنما أثّرنا ذلك ، لأن « سواء » نكرة وإنْ تَقَوَّى بقوله : (عندها) . و (البازي الأشهب) معرفة . وإذا اجتمع معرفة ونكرة ، فالابتدأ للمعرفة ، والخبر للنكرة ، ألا ترى أن سيبويه لما قال في قوله : مررت برجل سواء هو والعدمُ ، حين فرغ من الجرس ، (وإنما جمعت هو مبتدأ ، حذراً أن يُوهَمَكَ أن « سواء » هو للمبتدأ) .

وقطع ألف الوصل في قوله : « والبازي الأشهب » لأنه في أول المصراع الثاني ، فكأنه آخِذٌ في بيت آخر . وهذا مما أجازته سيبويه في الأنصاف خاصة . قال : إن الأنصاف مواضع فصول وأنشد :

ولا يُبادِرُ في الشتاء وَلَيْدُنَا القِدَرُ يُنْزِلُهَا بغيرِ جِمالٍ

(وَتَصَالَعَتْ مَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إِلَيْهَا سَوْفَهَا والأذْرُعُ)

ثمر السياط : عَقَدَ عَذَبَاتِهَا . وقيل : أطرافها ، وهو الصحيح . وجعل الثمر لما تنهى استمارة ، وحسن ذلك أن الثمرة إنما تكون في طرف العود . وأما ما رُوِيَ عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وكان له ثمر ﴾ من أن (الثمر) الذهب والنضة ، فإنما هو عندي على التناؤل وذلك أن الذهب والنضة جاد ، والجناد لا يَنْبَغِي ، والتمر نام ، فسمي ،

هذا الذى لا ينسى ، باسم الذى ينسى تفأولا . يقول : لانه كان يُدِيم ضرب الخيل
بالسياط ، لحرب عدو ، أو لحاجة فتنة ، أو لطرد قنص ، فكان السياط كانت
محاربة للخيل تؤلمها ، والخيل محاربة لها ، بكراعتها إياها ، فالآن إذا
مات لم يبق من يزجر خيلاً إلى حرب ، ولا نهب ، ولا طرد ،
فكان شر السياط قد صالحت خيله حتى سكنت إليها سوقها وأذرعها ،
لما قسده من ضربها . وقوله : أوت : أى رجعت آمنة لها ،
ساكنة إليها .

- ١٣٠ -

وله ايضا :

(حَتَّامٌ قَتْنٌ نُسَارِي النُّجْمَ فِي الظُّلَمِ
وَمَا سُرَاهُ عَلَى خَفٍّ وَلَا قَدَمِ)

يجب من طول مساراته للكواكب ، على أن سراه هو متكلف .
وسرى الكواكب طيبى فيقول : كيف أقدر بهذه السرى المتكلفة
على مسيرة النجم ونحن على خف وقدم ، وكلاهما حيوان ، وذلك
نور يسير بجمرة الفلك ؟

وحذف الألف من (ما) لأن (ما) إذا اتصلت بحرف الجر في حد
الاستفهام حذف منها الألف ، فحى بمعنى إلى ، فكانه قال : (إلى ما ؟)
أى إلى أى وقت ؟

(وَلَا يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا قَدَّ الرِّقَادِ خَرِبَتْ بَاتَ لَمْ يَنْهَمِ)
أى والنجم مع خفة السرى عليه ، وهوائها لديه ، لا يُمتنع رقاداً
كما نمنه نحن ، فكلفتنا أشد ، بل الكلفة لنا خاصة . ومعنى قوله :
(قَدَّ الرقاد) : لطيف ، لأن ما ليس في طبعه أن يرقد ، لا يقال فيه

(قَدْ رَفَادًا) وإنما أراد أن النجم ليس بحيوان يفلوه النوم ، ويُصلِح شأنه ، فإنما سَرى قَدْ الرَفَادَ فَأَذَاهُ ذَلِكَ . وقوله : (ولا يحس بأجنان) : نفى عنه الأجنان ، لأن الجَنَنَ إنما هو لى الروح .

فيقول : ليس النجم بذى رُوح فيكون له جفن ينقعه الكرى ، ويضره السهر . وبني هذا المصو الجسافى ، أخرج النجم من النوع الحيوانى .

(وَتَرَكُ الْمَاءَ لَا يَبْقَى مِنْ سَفَرٍ مَاسَرَ فِي النِّيمِ مِنْهُ سَارٍ فِي الْأَدَمِ)

أما سيره في آدم ، وهى الأدوية ، فلمعى لأنه لم يوارادتهم . وأما سيره في النيم فلمُجَرِّيه ومنشئه سبعانه . لكنهم لولا أنهم أودعوه مَزَادَهُمْ ، وجعلوه زَادَهُمْ ، لم يكُ دَهْرَهُ كُلَّهُ مسافراً ، ولكن مسافراً في السحاب ، وحالاً في التراب ، فلما كان إدامة سَفَرِ الْمَاءِ إنما هو بكونه في السحاب ، وَتَزَوُّدِهِ هُوَ لاء إياها ، صار كأنَّ كِلَا السَّيَرَيْنِ بملكهم .

وقيل ، لما كان حَمَلُهُ في المَزَادِ نَتِيجَةُ كونه في النِّيمِ ، جعلوا السبب والمسبب كالشيء الواحد . ومثله في القرآن والشعر والكلام كثير .

(تَبَرَّى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تُمَارِضُ الْجُدُلَ الثَّرْنَخَاةَ بِالْجَمِّ)

تَبَرَّى : تُمارض . ونعام الدَّوِّ : يعنى به الخيل . وقوله : (مُسْرَجَةً) : فصلها من النعام الوَحْشِيِّ ، لأن نوع النعام لا يُسْرَجُ اذ لا يُرْكَب . والجُدُلُ : جمع جَدِيل ، وهو حبل مفتول من آدم ، يكون في عُنُقِ النَّاقَةِ والبَعِيرِ :

يقول : فإبذلنا طوال الأعناق كخيلنا ، فأعناقها تُعارض أعناق الخيل .
وأقام الجدل والألجَم مقام الأعناق ، لأن فيها دليلا عليها ، إذ لا يكون
إلا هناك . وما أحسن ذكر اللُجَم مع قوله : (مُسْرَجَة) .

(تَبْدُو لَنَا كَلَمًا أَلْفَرًا حَمَامَهُمْ حَامٌّ خُلِقَتْ سُودًا بَلَا لُثْمِ)
يصف غِلَانَهُ ، ويذكرهم بالرومة . يقول : كلما سَفَرُوا حَمَاتِهِمْ
يَدَّتْ لَنَا حَامٌّ سُودٌ ، يَتَى لِمَهُمْ ، وَأَثْبَتَ الْعَامُّ لِمَ ، لِأَنَّ الْعَامَّ عَلَى
الْهَام ، وَشُعُورُ الرُّودِ إِنَّمَا هِيَ هُنَاكَ . وَفِي اللَّثْمِ عَنْ حَمَاتِهِمْ الَّتِي هِيَ
بِهَا الشَّعْر ، لِأَنَّ اللَّثَامَ مَا سَالَ عَلَى الْخَدِّ مِنَ الْعَامَةِ . وَهَؤُلَاءِ رُودٌ
لَا شُعُورَ فِي خُدُودِهِمْ ، فَصَلَّ شُعُورُ رَمُوسِهِمْ فَلِذَلِكَ جَمَلَ اللَّثْمَ حَامِّمْ
(بِشُعُورِ رَمُوسِهِمْ) دُونَ لُثْمٍ ، وَهَذَا مَلِيحٌ جَدًّا .

(نَاشُوا الرَّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ
فَلَمَّوْهَا صِيَاخَ الطَّيْرِ فِي الْبَهْمِ)

النَّوْشُ : التَّنَاوُلُ . (بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا) .
وَفِي التَّنْزِيلِ : (وَأَتَى لَهُمُ التَّنَازُلُ) أَيِ التَّنَاوُلُ لِلنَّجَاةِ ، وَالْبَهْمُ :
الشَّجْعَانُ ، وَاحِدُهُمْ بُهْمَةٌ . يَقُولُ : تَنَاوَلُوا الرَّمَاحَ وَهِيَ خُرْسٌ فِي حَالَةٍ
تَنَاوَلَهُمْ إِيَّاهَا ، فَذَقُوهَا فِي الْأَبْطَالِ ، حَتَّى صَاحَتْ صِيَاخَ الطَّيْرِ ، فَحَكَى بِذَلِكَ
قَسَمَهُ انْكَسَارِهَا فِي الْمَطْعُونِ بِهَا ، كَقَوْلِ الْآخَرِ :

تَصِيحُ الرُّدْبَنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاخَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُورَهَا
وَقَوْلُهُ : (وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ ، فَلَمَّوْهَا صِيَاخَ الطَّيْرِ) : يَشِيرُ أَنَّهَا
نَاطِقَةٌ إِذَا صَاحَتْ . وَهَذَا مَقْطَعٌ شِعْرِي ، لِأَنَّ الصِّيَاخَ لَيْسَ بِمَنْطِقٍ .
وَلِنَّمَا الْمَنْطِقُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَنْطِقِ الْمَتَّصِرِ فِي النَّفْسِ ، وَهِيَ الْفِكْرَةُ الْبَاعِثَةُ
عَلَى الْمَنْطِقِ .

فأما قوله تعالى : ﴿ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ فَإِنَّمَا ذَلِكَ هَلْ أَنَّ اللَّهَ تعالى قد جعل للطير ما تميز به عن ذواتها ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأَدَّى إِلَيْنَا نحن ، وَإِنَّمَا خُصَّ لَهُمهُ سَلْيَانٌ هَلَّى اللَّهُ هَلَّى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فهِمٌ مِنْ تَقَمِّ الطَّيُورِ مَا فُهِمَهُ نَحْنُ فِي هَذَا النُّوعِ الْإِنْسَانِي بِالْمَنْطِقِ .

(مَنْ اقْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ

أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍّ يَلَمُّ)

أى من اقتضى حاجته أو سألها من غير أن يُعْمِلَ لإدراكها شيئاً أو ربحاً ، لم تُقَضَّ لَهُ . فكلما قيل له : هل قضيت حاجتك أو أدركتها ، كان جوابه لم أقض ولم أدرك ، وإِنَّمَا يَدْرِكُ حاجته من اقتضاها بالسيف والرمح . وجعل (هل) ، و (لم) اسمين للحرفين ، فصرفهما ، لأنها على شكل فمٍ ودمٍ . وإن شئت قلت : أراد (لَمْ) بسكون الهمزة ، ثم تصور الوصل فالتقى له ساكنان ، فحرك الهمزة لالتقاء الساكنين ، وكان يجب أن يقول : أجاب كل سؤال بهل ، لأن السؤال ليس عن هل ، إِنَّمَا الْمُبْحُوثُ بهل عن غيرها ، كقولك : هل فى العالم خسوف قمر ، فالسؤال إِنَّمَا وَقَعَ عن الخسوف للقمرى بهل ، لاعتن هل وهى عند أصحاب المنطق أول منازل البحوث ، لأنها إِنَّمَا يُسْأَلُ بها عن الآتية لكن لما كانت هل منتظمة للقضية المشغول بها عنها وكانت تلك تصدى السؤال إليها بن ، استعجاز أن يجعل السؤال عن (هل) اضطراراً .

وإن شئت قلت : أبطل (عَنْ) مكان الباء ، لأن حروف الجر يبدل بعضها من بعض كثيراً . وحسن له ذلك ، أنه لو أسعده الوزن فقال : **بَهْلٍ يَلَمُّ** ، توالت الباءان فى الحرفين . فهذا ما يستلزمه به .

وَحَصَّ الْمُنْدَى ، وَهُوَ السِّيفُ ، بِقَبْلِيغِ الْأَمَلِ دُونَ الرَّمْحِ ، لِأَنَّ
الْعَمَلَ بِالسِّيفِ أَهْلٌ عَلَى الْاجْتِهَادِ ، وَأَوْصَلَ إِلَى الْمِرَادِ ، كَقَوْلِهِ هُوَ :
وَمَنْ طَلَبَ النَّصْرَ الْمَلَى فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِلَافُ الصَّوَارِمُ
(صُفَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
مَوَاقِعَ الْأَوْزِمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا لِلْكَرَمِ)

وَيُرْوَى (وَلَا الْكَرَمِ) فَنُ رَوَاهُ وَلَا الْكَرَمِ ، فَعَنَاهُ : لَمْ يَقْبِضْ عَلَى
قَوَائِمِهَا قَبِضَ اللَّثِيمِ يَدَهُ ، اجْتِهَادًا فِي عَارِبَتِهِمْ ، وَذَلِكَ لَقَلَّتْهُمْ عِنْدَنَا ، وَلِصَوْنِنَا
سَيُوفِنَا عَنْهُمْ ، وَلَمْ نَسُدَّ بِهَا إِلَهُمُ صَفَحَاتِ أَكْفُنَا ، كَأَيُّوعَدٍ لِلشَّيْرِ إِلَى سَيْفِهِ ، بِاسْطِ
يَدِهِ كَأَيُّوسْطِهَا الْكَرِيمِ ، بَلْ حَقَّرْنَا عَلَى الْحَالَيْنِ مَعَا ، فَلَمْ نُعْمَلْ فِيهِمُ السُّيُوفَ
كَذَا وَلَا كَذَا .

مَنْ رَوَاهُ الْكَرَمِ : أَرَادَ : لَمْ نَسُدِّ أَيْدِيَنَا عَلَيْهَا شَدَّةَ اللَّثِيمِ الْأَكْرَمِ ،
وَهُوَ الَّذِي تَقَعَّرُ الْأَوْزِمُ أَصَابَهُ ، كَقَوْلِهِمْ فِيهِ : كَرَّزَ الْبَنَانُ ؛ وَجَعَدُ الْبَنَانُ ،
وَقَوْلُهُمْ فِي ضِدِّهِ : سَبَطَ الْبَنَانُ . وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَعْلَى .

(تَحَذِي الرُّكَّابُ بِنَا بِيضًا مَشَافِرُهَا
خُضْرًا قَرَّاسِيهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَتِيمِ)
الرَّهْلُ وَالْيَتِيمُ : نَبْتَانِ . أَمَّا ابْيَضَاضُ مَشَافِرِهَا فَلَهُمْ لَا يَهْنُتُونَهَا الرِّغْيُ ،
مِنْ حَتْمِهَا إِلَافًا ، وَمَوَاقِفُهَا السَّيْرُ ، فَلَا تَبْلُغُ مِنَ الرِّغْيِ الْيَسِيرَ أَنْ يَخْضِرَ
مَشَافِرُهَا ، إِنَّمَا كَانَتْ تَخْضِرُ لَوْ أُنْعِمَتِ الرِّغْيُ .
وَيَذَلُّكَ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ قَوْلُهُ :

... .. نَضْرِبُهَا

عَنْ مَتْنِ الْقُشْبِ نَبْغِي مَتْنِ الْكَرَمِ

أَوْ لَا تَرَاهُ يَصِفُهَا بِأَنَّهُ يَقْدَعُهَا عَنِ الرِّغْيِ ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى الْمَشَى .

وأما اخضرار فراسينها فلا دامتها السير في الكلاء ، وأواع النبات
 الأخضر . وخص الرُّغْل واليَنَم لأنها مما يَقلب على منابت الصَّمص .
 (هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَاشِقٌ مِنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ التَّيْنَ كَالْحُلْمِ)
 أى ماشق عليك النظر إليه ، وللشاهدة له ، من أنواع المكارة فهوثة على
 عينك ، فكل موجود معلوم بمد وجوده ، كان خيراً أو شراً .
 وقوله : (فإنما يقطعت المين كالحلم) أى كل ما تشاهد في اليقظة في قلة
 الدوام ، في منزلة ما يشاهد في الأحلام .

وإن شئت قلت إن المشاهدة في اليقظة غير حقيقة . كما أن مشاهدة ما في
 المنام كذلك ، مبالغة بقلة تحقق الأشياء . والقول الأول أسوَّخ وأبلغ .
 (مَازِلْتُ أَضْحِكَ إِذْ لَيْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَعْتُ أَخْفَا فُهَا بِدَمٍ)
 يذهب الى احتقار كافور حتى إن إبله لتزدري مقصوده ، فتضحك منه
 ومن القاصد . يقول : الى مثل هذا الصنف أعملنا وجهنا ، حتى اختضعت بالهم
 أخفافها ، وأراد الى مَنْ اختضعت أخفافها بدم الى فخذ الجاور والجور ، وحسن
 حذف ذلك ، لأن الى قد ظهرت في الكلام ، وإن لم يكن من سبب تلك
 المحذوفة . ونحو ما أنشده سيبويه :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَيْبَكَ يَفْتَمِلُ إِنْ لَمْ يَحْدِ بِوَمَا عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ
 أراد يتكل عليه . ونسبة الضحك الى الإبل تمثل شعري غير حقيقي ، لأن
 الضحك خاصة للإنسان ، والخاصة لا تتمدى مخصوصها .

— ١٣١ —

وله أيضا :

(وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ التَّنَاغِيرِ أَنِّي جَفَلَهَا أَجْبَانِي وَأَطْرَفَهَا رُسُلِي)
 يُغْرِبُ بِذَاتِهِ فِي الْمَشَاقِ ، وَيَجْبَانِي فِي الْمَشَوَّاتِ . أى أنه لا نظير له في

الحب ، لأنى إذا ذكرتُ البيض فى شمرى ، لم أعزِ النساء ، وإذا ذكرت
 الشمر ؛ فلأنما أعزى الرملح ، ولكن إنما أحبأتى ، الأرواح التى تجنّهنى إلى من
 أجسام أعدائى ، وأطرافها رُسلى ، أى أستنها هى التى تقوم مقام الرُسلى إلى
 الأحباب . أى إنما أتوصل إليها بها ، كما أتوصل إلى المحبوب بالرسول .

وجعل أرواح عِداه جَنَى على المثل ، لأنها حياة فى الحقيقة ، لأن الحياة
 نوع من النامى ، والروح عندنا ليس بنام ، وأراد رُسلى تخفّف ، وهى لغة تيم .
 (فَمَا حَرَمْتَ حَسَنَاءَ بِالْمَجْرِ غِيْطَةً

وَلَا بَلَّغْتَهَا مَنْ شَكَّى الْمَجْرَ بِالْوَصْلِ)

ويروى (بما حرّمت حسناء) . نَهَى عن الحرص على النساء ، أى إذا
 هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقفاً عندها ، وأنشط لها ، فزادت النية .
 فإذا لم تحريم هى ، فهجرتك إياها إذا عادت النية بوصلك لها ، بدّهجرك
 إياها ؛ أبلغ . وإذا شكوت إليها المجر وتذلت ، هُتّ عليها ، ففتكت
 وصلها ، وأما رواية من روى (فما حرّمت حسناء) وهى الصحيحة ، ففناه :
 لم تحرم امرأة محبوبة محبتها غيطة بهجرها إياه ، ولا بلّغت شاكياً شكى
 إليها هجراً غيطة بوصلها إياه . يذهب إلى التهاون بأمر النساء ، أى لأنهن
 لا يتجنّ بهجر من لك علم غيطة ، ولا بوصلن إليك وجودها . والماء فى
 قوله : بلّغتها : عائدة إلى النية ، أى ولا بلّغت محبتها غيطة بوصلها له .
 و (مَنْ) فى موضع نصب ، لأنه مفعول ثانٍ لبَلّغت .

وإن شئت كان « مَنْ » هو المفعول الأول ، و (ها) من (بلّغتها)

هو المفعول الثانى . وهذا كما تقول : كَسَوْتُ زَيْدًا التَّوْبَ ، وكسوت التَّوْبَ
 زَيْدًا . و (حسنا) ها هنا : صفة أقيمت مقام اللوصف ، أى امرأة حسناء .
 وقد غلبت هذه الصفة غلبة الأسماء ، وهى من باب (فلاء) التى لا أقبل لها
 من جهة السماع .

وله ايضا :

(تَمِصَ الْمَهَارِي غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا بُمَصُورٍ لِبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا)

تَمِصَ الْمَهَارِي : دعاء على نوع للمهاري ، وهي لابل منسوبة إلى مهرة ابن حيدان . وإنما دعا عليهم ، لأنهم جُنْدُ الْبَيْتِ ، وَمُقَطَّعَةٌ مَا بَيْنَ الْحَبِيبِينَ . أَيْ أَتَمَّسَهُنَّ اللَّهُ فَلَا اَتَمَّشْنَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلْنَ مِنْهَا (الْمَهْرِي) الَّتِي رَكِبَتْهُ مَحْبُوبَتُهُ .

وقد كان أولى أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْمَهَارِي ، لِانْفِرَادِهِ بِالْحَبِيبِ ، وَحِلَّةِ إِدَاهُ ، لَكِنْ اسْتِغْنَاهُ ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُهُ ، فَيَقِيهِ الرَّجُلَةُ ، وَمَا يَلْحَقُ مِنْهَا مِنَ الْكَسَلِ وَالْكَلَلِ . وَقَوْلُهُ : (بِمَصُور) : أَيْ يَسْتَرُّ رَقِيمَ عَلَيْهِ صُورَةَ شَخْصٍ قَدْ لَبَسَ حَرِيرًا مَصُورًا ، وَمِنْ عَادَةِ عَقَائِلِ الْعَرَبِ رَقِيمَ الْحِجَالِ ، كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ فَعَاتِ الْمِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحْتَمَلْ
وَذَلِكَ أَنَّ حَبَّ الْقَنَا أَحْمَرٌ ، مَا لَمْ يَكْسُرْ ، فَإِذَا كُسِرَ ذَهَبَتْ حُمْرَتُهُ .

وَأِنْ شُئْتَ قُلْتَ : (بِمَصُور) : يَعْنِي هُوَ دَجَا عَلَيْهِ حَرِيرٌ مَصُورٌ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الْمَوْجِدَ مَصُورًا ، لِأَنَّهُ ذُو شَكَلٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَصُورٌ .

(نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةَ فِي سِتْرِهَا لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَ)

كَانَ دُونَ هَذَا الْمَحْبُوبِ سِتْرٌ فِيهِ صُورَةٌ . فَيَقُولُ : حَسَدْتُ هَذِهِ الصُّورَةَ عَلَى قُرْبِهَا مِنْهُ . فَلَوْ كُنْتُ مَكَانَ الصُّورَةِ ، أَوْ كُنْتُ إِذَاهَا : لَخَفِيتُ قَزَلْتُ مِنْ وَجْهِهِ ، لِيَزُولَ السِتْرُ ، فَتُظْهِرَ لِلْعَيْنِ .

فَلَنْ قُلْتَ : لَا يَلِيزُ زَوَالُ السِتْرِ الْحَامِلِ الصُّورَةَ ، لِمَكَانِ زَوَالِ الصُّورَةِ ، لِأَنَّ الصُّورَةَ تَحْطِيطُ مَوْضُوعَ فِيهِ ، وَالتَّحْطِيطُ عَرَضٌ .

قُلْنَا : لَوْ ارْتَفَعَتِ الصُّورَةُ الْمُنْتَشَةِ فِي ذَاتِ السِتْرِ ، لَارْتَفَعَ الْجَوْهَرُ الْحَامِلُ لَهَا . وَإِنَّمَا ارْتِفَاعُ التَّحْطِيطِ مِنَ الْخَطُوطِ ، وَبَقَاءُ الْجَوْهَرِ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَوَهِّمٌ لَا مَوْجُودٌ .

وإذا تأملت البيت فهو شعري لا حقيقي، لأن من الصور للوضوعة في الثياب ما يمكن إزالته، ومنها ما لا يمكن. وأحسن ما في ذلك أن يقال: إن للتعبى عن الصورة بانحرقة الحاماة لها.

(لَا تَرَبِّ الْأَيْدِي الْمُقِيمَةُ فَوْقَهُ كَسْرَى مَقَامَ الْحَاجِبِينَ وَقَصْرًا)

كَسْرَى وكَسْرَى: لثتان. واختار ابن السكيت الكسر. وقالوا: تَرَبَّ الرجل: قل ماله، وأَرَب: كثر ماله. أى لا تفتقر الأيدي للصورة التى أُنقِشت هذه الصورة صنماً، وأجادتها وضماً، فألمت كسرَى وقصراً مَلِكسى فارس والروم لما مقام الحاجبين، فجبهاها وإنما عنى بذلك صورتها لا ذواتها، لأن ذلك ليس فى الإمكان، إذ الصورة الصناهيية لا تقبل طبيعة الحيوان.

(وَلَوْ اسْتَظَمْتُ إِذَا اغْتَدَتِ رُؤُودُكُمْ لَمَتْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرًا)

الرؤود: متبجسو السكلا، وافترق الرب من حلالها إنما هو النجعة بهم، يقدمون الرؤاد ليخبروهم بمواقع الماء، فى واضح السكلا. وفى المثل: «لا يكذب الرائد أهله». فإذا أخبرهم بوجود ذلك ظلموا. وإن أخبرهم بعدمه، سكنوا فلم يظلموا. فإذا نأما سبب الفراق نزول المطر، وظهور الخضرة. فيقول: لو كان فى قوتى أن تعطينى السحاب، لنهيتن عن المطر، لثلا مجد رائدكم أرضاً مخصبة، ولا روضة مشبة، يدعوم إليها، ويدلهم عليها. فلو كان ذلك من قوتى لم يفارقونى.

(فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فَرَأَوْهُمْ جَمَلَ الصَّيْحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطِرًا)

هذا البيت تحسير للأول، وهو عندى داخل فى نوع التضمين، وإن لم يكن منه على الحقيقة، وذلك أنه محمول على المعنى. أراد: لأنى تأملت بينهم، فوجدت سبباً إنما هو النجعة. وهو كقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ أَيْ فَضْرِبَ فَانْفَجَرَتْ ،
فَكَذَلِكَ أَرَادَ اللَّغْنِي : لِأَنِّي تَأَمَّلْتُ فَإِذَا الْأَمْرُ كَذَا ، لِأَنَّهُ لَمَطَرٌ إِذَا وَاقَى ، خَرَجُوا
فِي إِثْرِهِ مُتَتَّبِعِينَ لَهُ ، فَضَارَ السَّحَابُ بِمَنْزِلَةِ الْغُرَابِ ، فِي أَنْ أَمطَارَهُ مَشْعِرَةٌ
بِالْيَمَنِ ، كَمَا أَنَّ صِيَاحَ الْغُرَابِ مَعْلُنٌ بِذَلِكَ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَجَعَلَهُ إِذَنْ غُرَابًا
فِرَاقِهِمْ ، ذَهَابًا إِلَى شَبَهِهِ بِهِ ، لِأَنَّ الْأَخْوِينَ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ مُتَشَابِهَانِ . أَيْ أَقَامَ
لِلسَّحَابِ وَالْأَمطَارِ مَقَامَ صِيَاحِ الْغُرَابِ ، فِي الْإِيذَانِ بِنَوَامٍ ، وَبُعْدَ مَقَامٍ .
و (جَل) هَاهُنَا ، بِمَنْزِلَةِ صَيْرٍ ، فَهِيَ مُتَعَدِيَةٌ إِلَى مَفْعُولِينَ ، كَمَا أَنَّ صَيْرَ
كَذَلِكَ . وَذَكَرَ السَّحَابَ لِأَنَّهُ مِمَّا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ . وَسَوَّغَ
التَّنْكِيرَ فِي هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْجَمْعِ خُرُوجَهُ إِلَى شَكْلِ وَاحِدِهِ .

(يَحْمِلُنَ مِثْلَ الرُّوضِ إِلَّا أَنَّهَا أَسْمَى مَهْمَاً لِلْقُلُوبِ وَجُودًا)

شَبَّهَ مَا عَلَى الْهَوَادِجِ مِنَ الْحَرِيرِ الْمَزِينِ ، وَالْوَشْيِ الْمَلُونِ ، بِالرُّوضِ الَّتِي
سَارَتْ فِيهِ إِبِلُهُمْ ، فِي تَرَاوِيهِ نَوَازِيرِهِ ، وَتَنَحُّلِ أَزَاهِيرِهِ . وَالْمَا : وَهِيَ بَنِي
الْوَحْشِ ؛ عَقَائِلُ الْخَمَائِلِ الْأَرِيضَةِ وَالْحَقُوفِ الْمَرِيضَةِ ؛ كَقَوْلِ ابْنِ مَقْبِلٍ
يَصِفُ بَقَرَةً وَحْشِيَّةً :

عَقِيلَةٌ رَمَلِي حَافَتُ فِي حُوفِهِ رَخَاخَ الثَّرَى وَالْأَفْخَوَانَ الْمُدِيمَا

فَلَمَّا جَعَلَ الْوَشْيَ وَمَا عَلَى الْهَوَادِجِ مِنْ صُنُوفِ الرِّقَمِ بِمَنْزِلَةِ الرِّيَاضِ ، جَعَلَ
مَآيِسَتَهُ مِنَ النَّسَاءِ بِمَنْزِلَةِ الْمَهَامِ وَالْجَاذِرِ . وَذَلِكَ فِي النَّجْلِ وَالسَّكَلِ . ثُمَّ
اسْتَتْنَى فَقَالَ إِلَّا أَنَّ مَا عَلَى هَذِهِ الْهَوَادِجِ مِنْ هَذِهِ الْمَاهِمِ أَسْمَى مَهْمَاً وَجُودًا
لِلْفُؤَادِ ، مِنْ هَذَا الرُّوضِ الْبَاقِي . فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي كُلِّ ذَلِكَ : سِيرَنَّ فِي الرُّوضِ
بِمِثْلِ تَقْوَشِهِ ، مِنْ رَقُومِ الْهَوَادِجِ ، وَحَمَلَنَّ مِثْلَ وَحْشَتِهَا مِنْ رَبَائِهَا ،
كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

لَمَّا مَشَيْنِ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَهْطَافُ أَهْضَانٍ بِهِ وَقُدُودِ
فِي حُلِيِّ حَبِيرٍ وَرَوْضِ فَالْقَنَى وَشَيْانٍ وَشَى رُبَاً وَوَشَى بَرُودِ

ومثله قوله ؛ أهني للفتى :

إِذَا سَارَتْ الْأَحْدَاثُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاحَ مِسْكُ الْغَايَاتِ وَرَنَدُهُ
وَأَرَادَ : أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ ، وَجُودَرَاً مِنْهُ خُذَفَ (مِنْ)

ومثله كثير .

(قَبْلَ حِفْظِهَا نَكِرَتْ قَنَائِي رَاحِي صَفَقَاً وَأَنْكَرَ خَائِمَايَ الْخُلْفَرَا)

أَي بَكَيْتَ بِشَقِّهَا حَتَّى بَكَيتَ ؛ فَضَعْتَ رَاحِي ، مِنْ حِلِّ قَنَائِي ، فَأَنْكَرْتُهَا
كَأَنَّ الْقَنَاءَ تَقُولُ : لَيْسَتْ هَذِهِ الْيَدُ الَّتِي عَهْدْتُهَا ، وَلَا الْقُوَّةُ الَّتِي شَهِدْتُهَا ؛
وَكَذَلِكَ دَقَّتْ خِنْصَرِي ؛ وَرَقَّتْ مِنْ خَائِمِي ؛ حَتَّى أَنْكَرَهَا ، لَمَّا رَأَى فِيهَا
مِنْ خِلَافِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَأَرَادَ : وَأَنْكَرَ خَائِمِي ؛ فَوَضَعَ الْاِثْنَيْنِ مَوْضِعَ
الوَاحِدِ ، كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَعَيْنٌ لَهَا حَدَرَةٌ بِدَرَةٍ شَقَّتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أُخْرٍ

وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْاِتْسَاعِ وَهَكَه كَثِيرٌ ؛ وَنَكِرَ وَأَنْكَرَ . لِنَتَانِ
فَصِيحَتَانِ ، جَمْعٌ بَيْنَهُمَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ . وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ الصَّنْعَةِ الشَّعْرِيَّةِ .

(أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبِيرُ أَلَيْتِي لَا يَمُنُّ أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرَا)

أَي أَقْصَدِي أَيُّهَا الْخَلِيلُ أَبَا الْفَضْلِ ؛ الَّتِي لَمَّا حَلَفْتَ قُلْتَ : (لَا يَمُنُّ
أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرَا) وَاللَّهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَسَمِ بِهِ ، ثُمَّ قَصَدْتَهُ ؛ فَأَلْقَيْتَهُ
أَجَلَ الْبَحْرِ جَوْهَرَا ، أَيْ بِذَلِكَ يَمُنِي . وَقَوْلُهُ لَا يَمُنُّ أَجَلَ بَحْرِ . تَقْسِيرُ الْأَلْيَةِ .

(أَيْ بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامِ وَحَاشَى لِي مَنْ أَنْ أَكُونَ مَقْصُراً أَوْ مَقْصِراً)

أَي لَمَّا حَلَفْتَ لَا يَمُنُّ أَسْتَأْنِي الْبَحْرَ جَوْهَرَا ، لَمْ أَعْلَمْ أَيْ الْبَحْرَ
هُوَ . وَقَدْ لَزِمَنِي الْأَلْيَةُ ؛ فَاسْتَعْنَيْتُ قَهَاءَ الْأَنَامِ وَمُضْلِفِيهِمْ ؛ فَأَنْتَوَا بِهِ وَقَالُوا :

إذا يمت أبا الفضل ابن العميد، فقد برزت لأنه أجل بحر جوهراً، وجمالة الجوهر كناية من جزالة الطاء ولو قال: أفتى بأتم الأنام هاتر له، لكان أشد تطابقاً لما قبله، ولكن لم يستقم فيه الوزن. وسوغ ذلك أنه إذا كانت رؤية قد كان أم. وهذا لا ينمكس، لأنه قد يكون أم ولا رؤية.

(خَنَى الْفُحُولَ مِنَ الْكِمَاءِ بِصِنْفِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصَّرًا)

(خنى الفحول من الكماء بصنفيه: خنت الله الخيث: خلقه خنتى. وهو الذى لا يخلص إلى الإنانية، ولا إلى الذكورية. وللمصنر: من زى الإنانك، وذوى الانحناء. فيقول: صير الفحول من الكماء إناناً، بصيغة ما يلبسون من الدروع والجواشن والبنفس بالدم. فزلام زى النساء، وألحقهم بهن فى الجبن، بما ألقى فى قلوبهم من الرعب.)

(فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالَقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ، خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعِيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَلَأُ مِسْمَتِي مِنْ أَبْصَرَا)

أي أن حسادك لم يحدوا بدءاً من أن يذهوك رئيساً، إذ لو جسدوا ذلك لما جومعوا عليه، ولا طووعوا بالإجابة إليه. لكن لم يبلخوا الفاية فى إنصافك، حين لم يسموك الرئيس الأكبر. وأنصتلك خالقك، فدعاك بما قصرُوا هم عنه، فدعاك الرئيس الأكبر. ثم أقام البرهان على هذه الدعوى الحقيقية. قال: لك صفات توجب لك أن تسمى الرئيس الأكبر، فكانها خط فيها حكاية قوله تعالى: (إِنَّكَ رَئِيسٌ) وإن كنت لاتسمع.

(وَتَرَكَى الْفَضِيلَةَ لِاتْرُدُ فَضِيلَةَ الشَّمْسِ تَشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُهَوْرًا)

الكنهور: السحاب المتراكم: أنشد سيويه:

كنهور كان من أعقاب الشمي

وإشراق الشمس وتكاثف السحاب ، فضيخان ضِدَّيْتَان . والضدان مختلفان ، لا مؤتلفان . ومُتَقَبَّحَان لا ملتقيان . وهذا المدح قد جمع إشراق الشمس ، وتكاثف السحاب ، لأنه مستبشر الوجه جميله ، مستبشر النيل جزيله ، فالإشراق بشره وجهاله ، والأمطار برّه ونواله ، وهذا كقوله فيه :

وأحسنُ ذى وجهٍ ، وأسمحُ ذى يدٍ
وأشجعُ ذى قلبٍ ، وأرحمُ ذى كبدٍ

فعله حسناً سمحاً بهذا ، كوصفه إياه بالشمس والسحاب ، فيقول : لبت هذه الباكية التى أبكها نواى عند وداعها إياى ، شهدت ماشهدته من هذه القضية ، فتمزنى فيما رأتنى عليه ، من اجتماع النية ، وإزمارع الطيبة ، إلى هذا المدح ، لمشاهدة ما فيه من الأمر الجيب ، والفضل التريب .

وقوله : (الشمس والسحاب) ، بدل من القضية ، وهو محمول على المعنى ، لأن معناه ، فترك فضيلتين لا تترادان ، على ماها به من كونها نوعين متضادين ، ولوقال (الشمس والسحاب) لكان حسناً ، لكنه تَمَّ بقوله : (تشرق) بقوله : (كَتَهَوْرَا) ، إذ قد تكون الشمس مع السحاب ، إلا أن كل واحد منهما غير متمازٍ فى صفته ، فإذا وقع التقاء ، فكانت الشمس مُشْرِقةً ، والسحاب كَتَهَوْرَاً ، لم يمكن اجتماعهما .

— ١٣٣ —

وله أيضا :

(كُلُّمَا قَالِ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ سَرَفٌ قَالِ آخَرٌ ذَا اقْتِصَادٍ)

أى كلما استعظم منه نائل يُعَدُّ سَرَفًا ، أهقبه نائل أعظم منه يُعَدُّ ذَلِكَ

الناتل الأول الذى كان يستشرف اقتصاداً ، بإضافته إلى الثانى ، وليس للثالثين.
مثال ، لكن القول لما كان من أجلهما ، نسب القول إليهما .

(قَلَدْنِي بِمِثْنِهِ بِحُصَامٍ أَعَقَبْتُ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ)

أى نُسِبَ إلى الهند ، كما ينسب الشريف إلى الجدة .

يقول : إن الهند لم تطبع له نظيراً يكون له ثانياً ، قد أعقبَتْ مِنْهُ واحداً .
و (مِنْ) هاهنا للجنس . ولولا القافية لقال : آباءه ، مكان قوله
(أجْدَادُهُ) ، لأن الجدة أم من الأب ، فكل جد أب ، وليس كل
أب جدًا .

(كُلَّمَا اسْتَلَّ ضَاكَكْتُهُ لِمَاةٍ تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْأَدُهُ)

أى كلما استلَّ هذا السيف ، ضاككته أنوار فِرْنْدِهِ ، تدعى الشمس
إذا أَرْأَدُهُ ، وأَرَادَ الضَّحَى : ماؤُها وروثُها . فيقول : الشمس تدعى أنها
من ماء هذا السيف ، وأراد أنها أَرْأَدُهُ من أجلها ، أى من أجل
الإبادة . وقد يجوز أن يكون الأَرَادَ هنا : جمع رِيدَ ، وهو التَّربُّ والتَّيْلُ ،
والأول أسبق .

(مَثَلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَيْفَةُ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِعَادَةٌ)

أثر للسيف : فِرْنْدِهِ . قول : حَلَّوْا جَفْنَهُ بِالْفَضَةِ ، فهو يحكيه بإيضاح
وصفياً ، وعلى القصة نقش سواد ، يحكى أَثَرُهُ قَشّاً ، فكأنهم إنما ضلوا
ذلك ، لأنهم لم يصبروا عنه لجلاله حين إزاراه الفمَد ، فصوروا عليه مثل
صورته ، لئلا يفقدوه البتة ، هذا معنى قوله : خشية الفقد ، أى خشية فقده .

(فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ قَارَقَتْ لِنَهْدِهِ وَفِيهَا طِرَادَةٌ)

فَرَسْتَنَا : يعنى هذه الخيل السابقة ، التى جاءت مع السيف ، فى جملة

عطايأبى الفضل . وقوله : كُنْ فيه ، الهاء راجعة إلى الندى . (فارقت لبدته) :
 أى فارقت سرج هذا المدحوخ إلى سَرَجِي ، واللبد ليس بكلمة السرج ، ولكنه
 طائفة منه ، فكنتى به عن كُله ، ومثله كثير . (وفيها طرادُه) : أى
 ذكرها سائر فى الأرض ، فكانها بعدُ فى طراد ، وإن استراحت لَدَيْنَا .
 وإن شئت قلت : إن هذه الخيل تقيظ الأعداء ، وتحشى الحساد ، وتعين على
 الثوب ، فكانها غير مُنْفَكَّة من الطراد ، وإن كانت مستريحة ، لأن ذلك
 عملها بالقوة .

وقيل : (وفيها طرادُه) : أى قد صِرْتُ فى جُملة عبيده وعديده ، فلذا
 سار إلى موضع سرت معه ، وطلدت بين يديه ، فكانه هو المطارد عليها
 لأن ذلك بأمره ولطلب الحظوة عنده . (وفيها) : بدل من (عليها) وقد
 يجوز أن تكون (وفيها طرادُه) : أى وفيها ما علمها من علم المطاردة
 والعدو بفرائسها .

(وأحقّ النُيُوثِ نفساً بِمَحْمَدٍ فى زَمَانٍ كُلِّ النُّفُوسِ جَرَادُهُ)

أى زادتنا الأيام بك إعجاباً ، ولك استغراباً ، وذلك لأن والو فى
 زمان يأخذ فيه كل والٍ أموال الناس ، فهم كالجراد الذى يحشك الزرع والربيع
 والبُسر . وأنت تَبْدُر مالكَ ، فكانك غيث تبت لم للراعى وغيرك جراد
 يجرُّدها . وهذا كقول ابن أبى عَيينَةَ يهجو المَهَلِيَّ ، ويمدح أباه :

أبوك لنا غَيْثٌ نَمِشُ بِنَبْتِهِ وَأنتَ جَرَادٌ لَسْتُ تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
 (عَدَدٌ عِشْتُهُ يَرَبِّى الْجَبْمُ فِيهِ أَرَبًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يَزَادُهُ) :

يصف هذه القصيدة التى مدح فيها أبا الفضل ؛ وأهداها إليه فى الثبوز ،
 فيقول : هى أُرهمون بيتاً ، وهى جدد السنين التى إذا تجاوزها الإنسان قص

عما عهد عليه في جسمه ، من أحواله في قلبه وتصرفه . فلذلك اخترت لهذه القصيدة هذا العدد تفاؤلاً لك بالصحة ، واستكمال قوتك .

وقيل : كانت سن الممدوح حينئذ أربعين ، وهي ترى الجسم من استكمال القوة وبلوغ الأشد أرباً لا يراه فيما يَزَادُهُ من السنين ، بعد الأربعين لأنه بعدها كل عام آخذ في التحول ومنعكس إلى التحلل .

— ١٣٤ —

وله ايضاً :

(نَسِيتُ وَلَا أُنْسَى عِقَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ)

الخَفَرُ : شدة الحياء ، وهو من عِلَلِ حُمرة الخد . وقال : زادت به حُمرة الخد ، ليشر أن هنالك حمة طبيعية سوى الحمة التي يولد بها الحياء ، لأن حمة الحياء عرضٌ سريع الزوال ، إذا زال الحياء زالت . وكذلك مثَلَتْ به الحكة الأعراض السريعة الانتقال ، قالوا : ذلك كحُمرة الخجل ، وصفرة الوجل .

(وَلَا لَيْلَةً قَصَرْتُهَا بِقُصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْمَقْدِ)

قَصَرْتُهَا : جعلتها قصيرة ، أى ضد الطويلة . والقُصُورَةُ : المرأة القصيرة المنوعة ، أراد قَصَرْتُهَا بوصول قُصُورَةٍ . وقصيرة لنة في قُصُورَةٍ .

(أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْمَقْدِ) : أى اعتنقها معظم ليل أو كله ،

فصحبت دواعي عتدها . واليد هنا : كناية عن كُلية القراع ، كقوله تعالى : ﴿ فَافْغَسُوا وَجُوهَكُمْ وَأَبْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ .

(فَإِنَّمَا تَرَبَّنِي لَا أَقِيمُ بَبْلَدَةٍ فَاقَّةُ عَشِيدِي فِي دُلُوقِي مِنْ حَدِّي)

أى بأنى سيف ماضٍ كثير الدُلُوق من حَدِّي . ففسدى متغيرٌ مُنْقَدِّ ،

للكثرة تحريكى فيه وقلقى . وضرب السيوف مثلاً لنفسه ، والنمذ مثلاً لجسده ،
الدُّلُوقَ مثلاً لحركته . أى تنقل فى البلاد يُشجيني ويرث بزى . وقد فسره
بقوله بعد هذا :

(تَبْدُلُ آيَاتِي وَغِيثِي وَمَنْزِلِي نَجَائِبُ لَا يَفْكِرُونَ فِي النِّحْسِ وَالسَّقْدِ)
(إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوْدَّةً أَجَازَ أَهْنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ)

أى هؤلاء القنية إذا مروا بقوم لا يودونهم ، فراموا صدقهم ، حاربهم ،
فأجازتهم الطريق رماحهم ، « وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ » . أى لأن تخاف
خير لك من أن تؤد وترحم ، كقولهم فى المثل السائر : (رَهْبُوتٌ خَيْرٌ
من رَحْمَتٍ) .

ومن أمثالهم : (أَوْفَرَقَا خَيْرًا مِنْ حُبَيْنِ) : أى إذا فَرَّقوكَ فَرَقَا
يكون ذلك الفَرَقَ خيراً من حُبَيْنِ .

وهذا كقول دُوَيْدَ بْنِ سَهْدٍ فى توصيته لبنيه : (أَخِفُوا النَّاسَ
وَارْعَوْا الْكَلَاءَ) .

وأراد : أجازهم القنا إليها ، خفف المسئولين ، لأن فى قوله : (إِذَا لَمْ
تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ) ، ما يدل على هذا الخنوف ، إذ دلَّ الأول على الثانى ،
والثانى عين الأول ، فَاسْتُجِيزَ الخلف فيه ، كقوله تعالى : (يَوْمَ تَبْدُلُ
الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ) أى السماوات غير السماوات ، غُذِفَ الثانى
الذى هو الأول للذكور فى المعنى أولاً .

(كَفَانَا الرَّيْعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سِوَى الرَّعْدِ)
أى كَفَيْنَا حُدَاءَ الْإِبِلِ بَرَعْدَ الرَّيْعِ ، لأنه قام لها مقام الحُداد بصوته ،
وقيل : كَفَانَا الرَّيْعَ الْعَيْسَ : أى كان منه رَعِيَّهَا وَشَرَبَهَا وَحَلَاوَهَا . ولوعده

للربيع أيلدى غير الرعد كما قال ، فقال : فجاءته : أى رعت . وشربت ؛ وجاءته . وإنما قال (جاءته) : فبين كيفية الكفاية ، كما تقول : أحسنت إليك فوهبتك ألفاً ، فهبة الألف تفسير للإحسان . وقوله : (لم تسمع حُداً) جملة فى موضع الحال أى جاءته غير سامعة حُداً إلا الرعد .

والرعد هنا : مصدر من قولك : رَعَدَت السماء ترعدُ رَعْدًا . ولا يكون الرعد الذى هو الجوهر للكفى فى قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ لأن ذلك لا يُسمع بذاته ، إنما يسمع صوته . والحدا عَرْضٌ ، فمقابلته بالعرض أولى ، وهذا دقيق ففهمه .

(إذا ما اسْتَحْيَيْنَ للهِاءِ يَفْرِضُ نَفْسَهُ كَرَعْنِ يَسْبِتِ فى إتياء من الوردِ)

يصف ما أمطرهم به السماء من اللاء ، وأثبتت لهم الأرض من الربيع ، فى مُضِيِّهِمْ إلى أبى الفضل ، لكان بركته ، وأن المناسر تُعْظَمُ شأنه ، وتعالى مكانه ، فتنسى رُؤَاؤَهُ ، وترعى مُقْصَادَهُ . والسبت : كل جلد مدبوغ وقيل : هو المدبوغ بالقرظ خاصة ، وهو يلين الجلود ويحسنها ، حتى تُشَبَّهُ العربُ مُشَافِرِ الإبل بها ، فيقول : إذا مرت هذه الإبل بهذه السيول التى غادرتها هذه النيوث ، ظَلَّتْ كأنها تعرض نفسها عليها . فكان الإبل مستعينة منها . لإلحاح المياه عليها ، بعرضها أنفسها ، وقد أحاطت بها رياض الورد أو ما يشبه الورد ، من ضروب الأزهار ، وأنواع النواير . فهى تدخل أكارعها فيه ؛ وتنفس مشافرها فى تلك المشارب ، متعنتة من إفراط الحياة ، بذلك الورد النبات . وإنما عني (بالسبت) هاهنا مشافرها ، كقول طرفة : وَحَدَّ كَقَرطاس الشَّامِي وَمِشْقَرٍ كَسَبَتِ اليماني قدَّه لم يُحَرِّدْ

وقيل : غَمَلَ الماء للسنتع فى الأرض أخفاف الإبل من العطين ، حتى

عادت كالسَّبْتِ فِي هَاتِهَ ، وَأُنْبِتَ حَافَاتِ النَّدْرِ زَهْرًا ، فَكَأَنَّ لِلَّهِ :
بِعَرَضِ نَفْسِهِ يَتَرَاوَى فِي إِثَارِهِ مِنَ الْوَرْدِ ، وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى .

(قَبْلَ فَاتَتْ الْقَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمَدِ) .

ضَرَبَ الرَّمَدَ مَثَلًا لِلْعُيُوبِ الْمُعْدِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ دَلَّاهُ رُبَّمَا أَعْدَى كَالْجَرْبِ
وَنَحْوِهِ . فَيَقُولُ : كَثُرَتِ الْعُيُوبُ فِي النَّاسِ ، لَكِنَّهُ سَلِمَ هُوَ مِنْهَا ، فَلَمْ تُعْدِهِ ،
لَشَرَفِ عَنَصَرِهِ ، وَصَفَاءِ جَوْهَرِهِ . وَقَصْدُ مِنْهُ (الْعَيْنُ) ، تَوَطُّةٌ لِذِكْرِ الرَّمَدِ
الَّذِي جَعَلَهُ مَادَّةَ الْقَافِيَةِ ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ طَبِيعَةِ الرَّمَدِ فِي
الْقَدْوَى .

(يُتَغَيَّرُ أَلْوَانُ اللَّيَالِي عَلَى الْيَدَا بِمَشْهُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ) .

أَيُّ يَوْضَعٍ الْيَدَا فِي مَسْكَرِ هَذِهِ الْكُتَّابِ ، فَيُغَيَّرُ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ .
وَلَمَّا كَانَتِ النَّارُ إِنَّمَا تُوقَدُهَا هَذِهِ الْكُتَيْبَةُ ، جَعَلَ التَّغْيِيرُ لَهَا ، إِذْ هِيَ الْفَاعِلَةُ
الْحَقِيقِيَّةُ ، وَالنَّارُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَغَيِّرَةً ، فَإِنَّهَا مَفْعُولَةٌ لِلْكُتَيْبَةِ ، فَهِيَ
الْفَاعِلَةُ عَلَى الْقَصْدِ الْأَوَّلِ ، وَالنَّارُ الْفَاعِلَةُ عَلَى الْقَصْدِ الثَّانِي . فَانْهَمِهِ .

إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْوِهِ

كُتَّابَ لَا يَرْدَى الصَّبَاحُ كَمَا تَرْدَى

أَنْ يَوْمَ الْمَدَى لِلزَّوَرِ بِذَلِكَ النَّارِ صُبْحًا وَهُوَ يَتَرَقَّبُ حَقِيقَةَ الْإِصْبَاحِ .
فَتَوَافَاهُمْ هَذِهِ الْكُتَّابُ مَكَانَ الصَّبَاحِ الَّتِي ارْتَقَبُوا ، وَجَعَلَ الْكُتَّابُ
أَسْرَعَ مِنَ الصَّبَاحِ عَدْوًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : إِنْ جِئَ الصَّبَاحُ غَيْرَ جِئَ
الْكُتَّابُ ، لِأَنَّ جِئَ هَذِهِ مَشَى ، وَجِئَ الصَّبَاحُ طَلَعَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ :
(لَا يَرْدَى الصَّبَاحُ كَمَا تَرْدَى) .

(يَفِضْنَ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُقَادِفِ

مِنَ الْكَثْرِ غَانِ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ)

(يَفِضْنَ) : يَنْعَدِمْنَ فَلَا يُوجِدْنَ . أى بسوءك للتوجهة للفتاة على عظمها وكتاتفاها ، إذا عادت إلى معظم جيشك ، غاضت فيه كما يفيض النهر في البحر ، و (مُقَادِفِ) : جيش يقذف بمضه بعضاً ، لكثرتهم والتقاتلهم ، كقول الراجز في صفة خصب وإبل :

أَرْعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُوْدٍ عُوْدَاً بِحَيْثُ * يَدْعُوْ عَامِرٌ مَسْعُوْدَا

أى يقاذف هذان الراعيان في طول هذا المكان واكتامه ، حتى ينادى كل واحد منهما صاحبه .

(غان بالعبيد) : أى أن هذا الجيش متألف من عبيد ابن العميد . فقد استغنى بهم عن الحشد ، لِقُرْبَى . وأن يكون اسماً أولى ، ليطابق العميد ، لأن العميد اسم . وقد قال أبو زيد الحشد : القوم المجتمعون ؛ فهذا بما يقوى فيه الاسمية .

(حَفَّتْ كُلُّ أَرْضٍ تَرْبَةً فِي غُبَارِهِ فَهَنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبُرْدِ)

البرد : للنوب المَوْسَى ؛ وطرائقه مختلفة الألوان ؛ أى فهذه الكتب [شئى هى الطالب ؛ بميدة اللذائب ؛ فهى تطأ لبد صرامها ؛ أرضين] مختلفة أنواع التراب ؛ اختلافاً لَوْنِيّاً ؛ من بياض وسواد . فكل أرض تملؤها تخفى من غبار هذا الجيش بترابها ؛ فيكسب بذلك ألواناً [مختلفة ؛ بحسب أنواع التراب ؛ لكل نوع لون ؛ فكان الغبار بُرْدَ ؛ وهذه ألوان فيه .

(وَكُلُّ شَرِيكَ فِي الشَّرِّ بِمُصِيبِي أَرَى بَعْدَهُ مِنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي)

مُصِيبِي : أَوَانُ صَبَاحِي ؛ أَيْ وَكُلُّ مُشَارِكٍ لِي مِنْ أَهْلِي فِي الشَّرِّ فِي رَجوعي وَتَصِيبِي لَهُ ؛ عِنْدَ رُؤْيِهِ مَا أَفْتَانِيهِ لِقَائِهِ هَذَا الْمَدْحُ مِنَ الثَّرْوَةِ فَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ مُنْفَرِدٌ دُونَهُ بِأَثَرِهِ ؛ وَهِيَ رُؤْيِي هَذَا الْمَدْحُ الَّذِي لَا يَرَى هُوَ بَعْدَ مِثْلِهِ . يَقُولُ ؛ فَإِنَّا أَكْرَهَ أَنْ أَفْرِدَ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّسْمَةِ دُونَهُمْ ؛ فَإِذَا أَنَا أَبْثُ إِلَيْهِمْ وَرَأَوْنِي ، رَأَوْا مِنْ لَا نَظِيرَ لَهُ عِنْدَهُمْ كَمَا أَرَى أَنَا الْآنَ مِنْ لَا نَظِيرَ لَهُ ، فَاسْتَوَوْا مَعِيَ فِيمَا نَالَهُ مِنَ الْبَقَى وَأَحْرَكَهُ مِنَ النَّفَى ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ :

(وَقَدْ كُنتُ أَحْدَثُ الْمَتْنِ فَهَرَأْنِي يُعِيرُنِي أَهْلِي بِذِرَارِكِهَا وَحَدِي) وَهَذَا كُلُّهُ اعْتِذَارٌ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ فِي إِثَارَةِ الرَّحِيلِ عَنْهُ . وَإِنَّمَا كَانَ يَرِيدُ التَّحَادِي إِلَى شِيرَازَ ، ثُمَّ الْأَوْبَ إِلَى أَهْلِهِ .

— ١٣٥ —

وله أيضا :

(أَوْوِ بِدِيلًا مِنْ قَوَّاتِي وَاهَا لِيَنَّ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا)
أَوْوِ ، وَأَوْوِ : كَلَّمْنَا تَوَجُّعٌ وَتَجَجُّعٌ مَبْنِيَّتَانِ عَلَى الْكَسْرِ . وَوَاءٌ : كَلِمَةُ اسْتِطَابَةٍ وَاسْتِزَادَةٍ . فَيَقُولُ : أَنَا مُتَوَجِّعٌ لِقَائِهَا بَعْدَ اسْتِزَادَتِي وَصَالِهَا وَاسْتِطَابَتِي إِلَيْهَا ، لَمْ أَفْتَحْ بِهَجْرِ الدَّلَالِ ، حَتَّى بُلِيتُ بِفِرْقَةِ الزَّوَالِ . وَقَوْلُهُ : (لِيَنَّ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا) أَيْ أَعْنَى الَّتِي أَنْتَ بِهَذَا التَّوَجُّعِ (وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا) ، أَوْ ذِكْرَايَ إِلَيْهَا بَدَلَ مِثْلِهَا . هِيَ مُنْقَوِذَةٌ وَذِكْرَاهَا لِي مَوْجُودَةٌ .
(أَوْوِ لِيَنَّ لَا أَرَى مَحَالِسَ نَهَا وَأَصْلُ وَاهَا وَأَوْوِ مَرَاهَا)

أَيْ إِنَّمَا أَرْجِعُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي مَعْنَاهَا التَّوَجُّعُ وَالتَّجَجُّعُ لِنَقْدِي رُؤْيِي

محاسنها .. (وأصل واه وأره مرآها) ؛ إنما كان سبب استطابقي لإماما ،
ونوجي بنواها ، رؤيتي لها . وذلك أتى رأيها فهويتها ، ووصلت فاستطبتها
وَوَاتَتْ فَأَوَّهَتْ لَهَا .

(شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَظِيرِي مُعْيَاهَا)
شامية : منسوبة إلى الشام . يقال : شام وشأم . ونظر العين ؛ إنسانها
والخيا . الوجه أى هذه المحبوبة شامية خلوت بها طويلاً ، فاستعمقت بوصالها ،
واستكثرت نوالها .

(قَبَّلْتُ نَظِيرِي تَقَالِطِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ ظَاهَا)
أى كانت تنظر إلى عيني ، فشخص لها صورة وجهها في ناظري ، والقم
جزء من الوجه . فكانت ترى ظاهاً في جملة وجهها المرئى في ناظري ، فكانت
تقبل الناظر مُرِيَّةً أنها تريده ، وإنما كانت تريد ظاهاً ، فقبله بالناظر ، كما
كانت في المرأة لأن الناظر عضو تجلوا ؛ متشخص فيه الصورة ، كشخصها
في المرأة .

(فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا)
أى ليت صورتها لا تزال آوية ناظري . يقال : أويت المكان ، وأويت
إليه ، وذكر آوية ، وكان الحكم أويته ذهاباً إلى الشخص أو الشكل
أى وليت الناظر لا يزال مأوى هذه الصورة .

وهذا البيت مشتبل على قضيتين ، ترجان إلى قضية واحدة ، لأن التقى
الأول هو التمسى الثاني .

(قَيِّينَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا)
قيتنا : يعنى هؤلاء الظعن . والحُمُول سائرة بهن يعنى الإبل بما عليها

من الهوادج ، ومن دَرَارَى ، قد رمت بِبَشَرَاتُهُنَّ وصفت ، فهن كاللتر .
وأراد مثل الدر ؛ فبالغ حتى جعلهن الدرَّ نفسه . ولا بد من اعتبار (مثل)
لأنهن لا يكن دُرّاً ، لأن الدرّ جاد ؛ وهن حيوان ناطق .

وقوله : فذُبْنَ أمواها : أى يكن لما سارت بهن الإبل . فلما كانت
دموعهن كبشراتهن التى شاكت الدر ، رقة وصفاء ، ظلتهم دُرّاً ذائباً ،
وهذا كقوله هو :

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتي بَشَرًا رَأَيْتُ أَرْقُ مِنْ عَمِيرَاتِهَا
وقوله : أمواها : منصوب على الحال ، وإن كانت الأمواه جوهراً
قد يكون الجوهر حالاً .

حكى سيبويه عن العرب (العجب من يُرُّ مررنا به قفيزاً بدرم) قال :
قد يكون خبراً ما لا يكون صفة . يبنى بالخبر الحال ؛ وقال : هذا بُشْرًا أَطْيَبَ
منه رطباً . وفى التنزيل ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ومثله كثير .

وقال : (ذُبْنَ) وإنما يعنى دموعهن . لكن ادعى أن الجملة قد عادت
ماء مبالغة .

(أَوْ عَمِيرَتٌ هَجَمَةٌ بَنَاتُ نَرْكَتٍ تَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَمْرَاهَا)

الْهَجَمَةُ : القطعة من الإبل ، قد اختلف فى عدها . قليل : ما بين السبعين
إلى المائة . وقيل أولها الأربعون ؛ إلى ما زادت . يصف شُرْبَهُ وقراء الأضياف ؛
فيقول : تمر بنا إبلنا فنقرقها للضيّان ؛ حتى تكوس أى تمشى على ثلاث
وقيل تزحف على ركبها . قال الأحرور الدّهاني يهجو غسان السليطي :

ولو عِنْدَ غَسَّانِ السَّليطِيَّ عَرَّسَتْ رَحَاً فَرَّقَ مِنْهَا وَكَاسَ هَمِيرَ

و (الشُّروب) : يجوز أن يكون جمع شارب ؛ كشاهد وشهود ، وساجد

وسجود ، ويموز أن يكون جمع شرب ، التى هو اسم لجمع شارب عند سيبويه ،
وجما له عند أبى الحسن . لكن أن يكون جمع شارب أولى ؛ لأنه إن
كان اسم جمع على مذهب سيبويه ؛ فجمع اسم الجمع فى القلة كجمع الجمع ،
من حيث كانا مشتركين فى الدلالة على الجمع . وإن كان الشرب جماعاً على
رأى أبى الحسن ، فجمع الجمع قليل ، لا يحمل سيبويه صيغة الجمع عليه ما وجد
عنه مَنذُوحَة ، وإنما يقر بجمع الجمع إذا لم يجد سبيلاً إلى غير ذلك . ومن ثم
ذهب الفارسيّ فى قراءة من قرأ ﴿ فَرُّهُنَّ مَقْبُوضَةٌ ﴾ إلى أنه جمع رَهْن ؛
كسَجَلٍ وَسُجُلٍ ، وَسَقْفٍ وَسُقُوفٍ ، واستجاز هذا على قلته ، كراهية أن
يحتاج إلى أن يقول إن رَهْنًا : جمع رِهَانٍ ، ورِهَانٍ : جمع رَهْن . وإنما ذلك
من أبى على فرار من جمع الجمع . فلهذا قلنا إن : (شُرُوب) : جمع شارب ،
أولى من كونه جمع شَرِبَ ، فافهمه .

(تَقَوُّدُ مُسْتَحْسِنِ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقَوُّدُ السَّحَابِ عُظْمَاهَا)

أى إذا اعتبرنا ما نرّه ، وامتلنا مفاخره ، لَقَتْنَا مُسْتَحْسِنِ الْكَلَامِ فِيهِ ،
وقادته لنا ، كما يقودُ السحابُ سحاباً .

(لَوْ فَطَلَّتْ خَيْلُهُ لَنَانِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا)

أى لو شرت خيله أنه إنما يُعِدُّهَا للهية ، وإنه إنما يهب منها الخيارَ
الرضيَّةَ ؛ لم تَرْضَ هذه الخيل أن يَرْضَى عنها راضياً ، لأن ما رَضِيَ منها موهوب
لأمه ، ومبدول لسانه .

(تَسْرُّ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنَهُ ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا)

الكرائن : جمع كَرِينَة وهى المَفْنِيَة . والكران : العود . أى إن
الكرائن إذا غنينه أطربته ، فوهب لهنَّ ، وسرهن بذلك . ثم تجاوز الطربُ

ذلك الحدّ فيبهن جميعهنّ للشروب فيأسين لفراده ، فنزيل عُقْمِي الطرب
سُرُورَهُنَّ لِهَبْتِ إِطْمِنٍّ لِدَامَاهُ . والماء في (عُقْبَاهَا) راجعة إلى الطربكات .
وكان حكم (طَرَبَاتِه) يصعرك العين لأنه جمع (قَمَلَة) اسمًا ، لكن الشاعر
إذا اضطر سَكَنَ مثل هذا ، لإقامة الوزن ، أشد الفارسي :
أَبَتْ ذِكْرُ عَوْدِنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَرَفَضَاتُ الْمَوَى فِي الْفَاصِلِ
(يَكُلُّ مَوْهُوبَةً مُوَلَوَلَةً قَاطِعِي زِيرَمَا وَمَشْنَاهَا)
(ولولتها) : أينها لفقده ، و (قطعا الزير) والثني . ندم لمن
حصلت عنده ، ممن ليس يَدُهُ .

(تَعْمُومُ عَوَمَ الْقَدَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَنْشَاهَا)
زَبَدٍ : أي مُزِيد ، ليس على الفعل ، لأنّا لم نسع زيد ، وإنما هو
على النسب ، أي ذو زَبَدٍ ، كاذهب إليه سيويوه . أي هذه للوهوبة محترقة
في جملة عطائه كاحضار القدادة في معطم التيار .
(لَا تَجِدُ الْخَمْرَ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا انْتَشَى خَلَّةٌ تَلَا فَاَهَا)
أي كرمه طيبة ، فسواء عليه صا أو سكر ، لا يقع في كرمه قصبير
قبل الخمر ، ولا خَلَّةٌ تَسُدُّهَا الْخَمْرُ . وهذا كقول البحتري :
يُسْكِرُهُمْ مِنْ قَبْلِ الْكَئُوسِ عَلِيمٌ فَاسْطَمَنَّ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيهِ تَسْكِرُهُمَا
وقال المتنبي :

وجاد فولا جوده غير شارب قلنا كرم هيجته أبقه الكرم
وأراد (تلافاها) خذف إحدى التاءين ، كراهية اجتماع التلين . وهذا
مطرود في اللغة ، و (انتشى) : سكر .

تُصَاحِبُ الرَّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا
 أَرْيَحِيَّةُ الرَّاحِ : يسكر بها الثمير ، ويزداد كرمًا بها الكريم فهي
 على كل حال توجد مزية لم توجد قبلها ، وأريحية للمدوح طبعية بالغة غاية
 تكون أريحية السكر مقصورة عن أدنى منازلها . فكيف أن توجد فيها مزية
 لم تكن من قبل ؟

(تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ يَلُفُّ فُؤَادَ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا)
 ليس للهر فؤاد ، لأن الفؤاد جَوْهر ، والهر عَرَض ، ولا يكون
 الجوهر جزءاً من العرض ، ولكن استعاره له صَمتة وأقتداراً . وقد بين
 ذلك بقوله :

وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصٍ لَقَبِيَ حَدَّ مَفْرِقِهِ حُاسِي
 ولا جعل له فؤاداً استغلاز أن يفضّل له همة ، لأن الفؤاد مطية الهمة . وحسن
 ذلك قوله . (تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ) . فيقول : في فؤاد هذا المدوح
 هم كثيرة مجتمعة ، يعلّأ فؤاد الدهر منها واحدة ، ويضيق عما سواها .
 (فَلَمَّا أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا)

أى فإن أتى حظ هذه الهمة التي لا يسع فؤاد الزمان منها ، إلا واحدة ،
 بأزمنة أوسع من هذا الزمان ، أبدى للمدوح تلك الهمة ، التي يبيدها إلا أن
 يضيق الزمان عنها . و (حظها) هنا كقوله : (جدّها) . وقوله : (بأزمنة)
 أحسن من قوله : (بزمان) ، بعد أن يحتمله الوزن ، لأن الجمع أبلغ من الواحد .
 (وَصَارَتِ الثَّقَلَانِ وَاحِدَةً تَعْتُرُ أَجْيَاوَهَا بِمَوْتَاهَا)

واحدة : أى فيلقا واحدة ، وإنما صارت الثقلان فيلقاً لاختلاطهما ،

حتى كأنهما اتحدتا . والماء في (أحيائها وموتها) : عائدة إلى
التفلق الواحدة .

(يُعْجِبُهَا قَتْلُهَا السَّكَاةَ وَلَا يُنْظَرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا)
أى إذا قتل الفارس فارساً أعجبه ذلك ، ثم لا يلبث أن يُباع له
فارس آخر يقتله .

(وَدَارَتِ السَّيِّراتُ فِي ذَلِكَ تَسْجُدُ أَقْصَارُهَا لِأَيْهَاتِهَا)
عنى بالفلَك هنا : ذات المَعْرَك ، حيث التقت الأملاك والأبطال
الأتجاد . وكلا هذين القبيلين (أقصار) فعى (تسجد لأيهما) يعنى الملك .
(الْفَارِسُ الْمُتَقَى السَّلَاحُ بِهِ الْمُتْنَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا)
يُتَقَى بِهِ السَّلَاحُ ، لأن السلاح لا يؤثر فيه ، بل هو المؤثر فيها
كقول الآخر :

اللابسين قلوبهم فوق الدروع لدفع ذلك
أى إن أخذتهم أوق لهم من دروعهم ، لأنها أثبت صيانة ، وأشد
حما حَصَانَةً ، وكفى الخيل ، لأنه أراد خيله وخيل عدوه ، لأن الحرب إنما
تقوم بطائفتين متضادتين . ولذلك قال بعض الأوائل ، من الحكماء الأفاضل :
الحرب حينئذ طيبتين متضادتين ، أى قوامها ذلك فان يطل أحد الضدين
بطل الحرب .

(لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آمَنَّا رَهَا عَرَفْنَاهَا)
ذهب قوم إلى أنه يجزى عن القصر بتأثيره في عِداه . فلو أنكرت يده
ذلك ، لمرفنا أن هذه الآثار لها .

والذى عهذى أن آثار مفاخره فى العالم حسان ، وذلك بإغناء قدير ،
وافضالك أسير ، وبث فضل ، وإقامة عدل .

وأما آثاره فى عياده قبيحة الشؤر . لأنها إنما هى إفساد جواهرهم ،
وتغيير غلواهرهم وبواطنهم . فلما أنكرت يده هذه الآثار ، حياء من قبيحها ،
لعرفنا نحن أنها لها ، لأنه لا يؤثر فى العدى هذا التأثير الاثير إلاهى ..

(وَكَيْفَ تَخْفَى التَّى زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ المَوْتِ بَعْضُ سِيَاهَا)

يعنى يده ، أى وكيف تخفى آثار هذه اليد ، التى سوطها وناقع
الموت جزء من سيها . هى بناقع الموت : السيف ، وبالزيادة : السوط .
وذلك أنه يضرب بالسوط ، ويقتل بالسيف . وإذا كان هذا بعض سيها ،
وتيجتها الضرب والقتل ، فما الظن بكليّة سيها .

(النَّاسُ كَالْعَايِدِينَ آلِهَةٍ وَعَبَدُهُ كَالْمُوحِدِ اللَّهِ)

الآلهة : لا تبنى عبادها ، والله يبنى عبادها . يقول : فن أكل غير
هذا الملك ، لم يستغن بواحد عن آخر ، مع ما يلتجئ له ذلك من قلة
الغنى ، ومن أمّله كفاه ، وأغناه ، ومن سواه ، كما يفضل ذلك بعبده الإله ..

- ١٣٦ -

وله ايضا :

(عَدَدُ الوُفُودِ السَّامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشَّكْلُ وَالْمَقْلُ)

أى لا يقصده المحاربون ، لأنه لا يطلع فيه أحد ، فذلك لا يُعدّ له
السلح ، وإنما يقصده الأمولون ، فعدّهم الشكّل والمقل ، لأنهم
يسألونه إخليل للعرب ، والإبل للذّية . ووفد العرب انما بغيتهم ذلك ،
فهم يُعدّون الشكّل والمقل ، فحة منهم بهيته لهم ما يسألون .

(تُسمى على أَيْدَى مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ)

أى أن مواهبه مستبعدة بخيله وابله ، لا مطعم للإبقاء فيها . وقد اجاد أبو الفتح في تمثيله آياه بقول العرب في الشيء إذا استبد به أمرٌ ما ، فلم يك ابترازه منه مطعم . (وُضِعَ عَلَى يَدَيَّ عَدْلٌ) .

ومعنى البيت : أن يهب جُودُهُ خِيَلَهُ ، وخِيَارُ ابِلِهِ لأوائل الوفود عليه ، وما بعدها في المنزلة ، وهى البقية ، لمن يفد بعد الوفد الأول ، حتى إذا لم يبق من خيله ولا ابله شيء أعطى بعدها القين والورق .

والبَدَلُ هنا : اسم . وقد يكون ظرفاً في غير هذا الوضع . فإذا كان اسماً كان بمنزلة البَدِيل ، قال سيبويه : وتقول : ان بَدَلَكَ زيداً ، أى إن مكانَكَ زِيداً . قال : وإن جعلت البَدَلُ بمنزلة البَدِيل ، قُلْتُ : إن بَدَلَكَ زِيدٌ ، فلحق بالأسماء . وأراد : (أَوْ بَدَلَكَ) فجعل الألف واللام عوضاً من الإضافة ، لأن كل واحدة منهما للمعرفة وجعل للمواهب (أَيْدَى) تحكماً على الصنمة ، وتأخراً في البلاغة ، وليُشعر أنه إنما وَاَزَى به قول العرب فيما ينسب منه : (وَضِعَ عَلَى يَدَيَّ عَدْلٌ) .

(يُشْتَقُّ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبْتُ الْأَسْلُ)

السَّبَلُ : اللطر ، كناية عن العطاء ، يقول : يشتاق إلى يده ، حتى أن الأسَلَ لا يفت إلا لياشتر راحته ، فيُرْوَى بها كَرِيَّةً بالسحاب ، بل أكثر . وإن شئت جعلت حَظَّ الأسَل من نائل كفه ، ما يسقيا من الدَّم . وقوله : شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبْتُ الْأَسْلُ : جعله في موضع الصفة

لَسَلَّ . وشوقاً مفعولاً من أجله ، وهو الذى يسميه سيويه عُدْرًا
لوقوع الأمر .

(فَإِذَا حَصَى أَرْضَ أَقَامَ بِهَا . بِالنَّاسِ مِنْ تَقْيِيلِهِ بَلَلٌ)
أى إذا حلَّ بحصى أرض ، قبله الناس بين يديه ، حتى تَبَلَّ أَسْنَانُهُمْ
أى تُقْبِلُ وتنعطف إلى الباطن . وَحَصَى منصوب بفعل مضمر . أى
إذا حلَّ حصى أرض . « وأقام بها » : تفسير للفعل المضمر ، لأنه
إذا أقام به قد حلَّه ، وأراد : فبالناس ، غذف الفاء للضرورة ،
وهو كثير فى الشعر ، أنشد سيويه :

من يَفْعَلُ الحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالنَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ
أى فله يشكرها . والماء فى (بها) راجعة إلى الحصى ، لأن
الحصى يؤث ويذكر ، وكذلك كل جمع بينه وبين واحده الماء .
ولا تكون الماء فى « بها » عائدة إلى الأرض لأنه لا بد فى الفعل من
مُضْمَرٍ يرجع إلى للفعل ، إلا أن يُحذف لضرب من الاستغفاف ، كما
قد بين سيويه فى غير موضع .

ولو كانت الماء راجعة إلى الأرض ، ولم تُعَدَّ إلى المفعول الذى
هو الحصى ، لقلت : (زيلدا ضربت هنداً) مريلاً (ضربت زيلدا
ضربت هنداً) . وهذا لا يقوله أحد ، لا بد فى الفعل الظاهر من
ضمير ملفوظ به أو مقدر ، يعود إلى للمفعول للتنصب بالفعل المضمر .
وقال : (من تقييله) : حَمَلًا عَلَى التذكير ، والعرب تقول :
شجر أخضر ، وخُضِر ، وحصى أسود وسُود .

(لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقتْ بِكَ الْحِيلُ)

يخاطب بذلك يهوذا ، يقول له : من عرفت أنه أنبت منك
فراصة فلا تعريض لها ما وجدت عن لقائه مندوحة ، ولا تحاربة ما أمكنتك
مسالته . يظهـر بذلك ، وكأنه مستهزئ به . فلذا ضاقت بك الحيل ولم
تجد بداً من لقائه ، فقد استصعبت المذرة .

وقوله أفرس منك : صفة موضوعة موضع الاسم أى رجلاً أفرس
منك . وحسن وضع الصفة هنا موضع الاسم ، لأنها قد تقوت بقوله :
(منك) . وأيضاً فإن منك مناسب للإضافة ، والمضاف اسم . وتعرفه :
جيلة في موضع الصفة ، كأنه قال : لا تلتق رجلاً أفرس منك ،
معروفاً لديك .

(فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا فَلِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا)

أى رتبهم في أرض النفايات من الرتب ، بحيث لا يمكن مزيد
الى فوق ، فلذا أرادوا غاية ما غير تلك النفاية ، نزلوا الى الأسفل
منها ، اذ لا تمكن غاية الى فوق ، لأن مراتبهم في أسف النفايات
وأرض التهايات . وقد قال هو في هذا المعنى بعينه :

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثَّرِيًّا قُلْتُ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ اسْتَغْلَا

— ١٣٧ —

وله ايضا :

(لَيْسَ كَمَا ظَنُّ غَشِيَةً عَرَصَتْ فَحِثْنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدٌ)

كان أبو الطيب توقع أن يلومه محبوبه لنومه بعده ، وحكمه بخياله
فيه . فقال : لعل مرسلك الى أيها الخيال ، ظن أنى نائم ، أو خلتني
أنت يا خيال كذلك ، ليس كما ظننناه ، حالى أشد من أن أنام عليها ،

وانما هي غشية . فإن الباشق يُقشَى عليه ، وليس من شأنه أن ينم ، فلا الحَقْن منكاً ملاماً ، لأنى لم أُخِلْ بحق المشق اذا لم أنم . وانما كنت مُعْجِلاً به لو نمت ، فجفتنى فى خلالها قاصداً ، أى فى خلال تلك الغشية . وعيادة الخيال اياه فى تلك الحال ، أبلغ وأعرف من عيادته اياه فى حدّ النوم ، لأنّ اللقيش عليه بمنزلة لليت ، والناثم قد يدرك أشياء كثيرة مما يدركه اليقظان ، كالمضحك والاحتلام وغير ذلك . وما علمنا أحداً من الشعراء ذكر أن خيالاً ألمّ به فى غشية إلا هذا .

وقوله . (قاصد) فى موضع نصب على الحال ، فكان حكمه على هذا (قاصداً) إلا أن من العرب من يقول : (رأيت زيداً) فى حال الوقف .

قال :

شَرَّزْ جَنِّى كَأَنِّى مَهْدًا جَمَلَ الْقَيْنُ عَلَى الدَّفِّ إِبْرَ

وأندد الفارسى للأعشى :

إِلِ الْمَرْءِ قَيْسٍ أَطِيلُ الشَّرِّى وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَىٍّ عُمُومٍ

ولا يكون (قاصد) فى موضع رفع على البدل من التاء التى فى خلتى ، لأنّ الخطاب لا يبدل منه لعم بمكانه ، والأمن من التباسه . ولذلك لم يعجز سيبويه (بكّ للسكن مررت) . وقد أثبت ذلك غير دفعة فى هذا الكتاب .

(إِذَا التَّائِيَا بَدَتِ فَدَعَوْتُهَا أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَامِدُ)

مَنَّهُ رَأَى وَهُوَ ذَاكَ فِى عَارِضَةٍ فَنَاءً نَحْشُرُو ، ثُمَّ عَذَّرَهُ ، قَالَ : إِنْ التَّائِيَا إِذَا التَّتْ فَنَاءً قَوْلَهَا وَدَعَاؤُهَا : (أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَامِدُ) : أَيْ صَبْرَ (الْحَامِدُ) (حَاتِيًا) وَهُوَ الْهَالِكُ . وَلَيْسَ هُنَاكَ مَقَالٌ ، لِأَنَّ الْمُنِيَّةَ لَيْسَتْ بِنَوْعٍ نَاطِقٍ ،

إنما هي عدم حرارة الروح، وذلك عَرَضٌ. ولذلك قالوا: بَرَدَ فلان، إذ مات،
 يذهبون إلى انقطاع الحرارة الحيوانية، لكن استمرار القول للمنية. وإنما
 أراد أن: (الحائذ) الذي يحيد عن اللوت، إذا وافاه حَيْثُهُ، لم يُفِنْ عنه حيده.

(رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوكَ نَابِئَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدُ)

الرائد: الذي يطلب الكلاً للحي، فيقول لوهوذان: هَزَمْتُكَ طلائع
 عسكر فتأخسرو قبله، ولم ينتظروا بك معظم الجيش، احتضراً لك، وتهاوناً
 بك، ولم كراماً لكونك الجيش؛ فكنت كالنابئة المحقرة للمستنصرة التي
 يأكلها الرائد قبل أهلها؛ لا ينتظرم بها، ولا يدعوم إليها، احتضاراً لتدريها
 واستنزاراً لخطرها. و (نابئة): صفة أقيمت مقام للوصف. وحسن ذلك،
 لأنها قد قويت بالجملة التي بعدها، فصارعت الاسم بهذه الصفة؛ لأن للوصفة
 في الأصل إنما هي الأسماء. هنا مذهب سيبويه. وإنما أراد: خلاه نابئة وحشية،
 أو نَيْسَةً، أو نحو ذلك.

(وَمُتَّقِي السَّهَامِ مُرْسَلَةً يَحِيدُ عَنْ حَايِضٍ إِلَى صَارِدٍ)

الحايض: السهم الذي يقع بين يدي الرامي من ضفه. والمارد: النافذ.
 يقول: إن الإنسان لا ينفعه احتسابه، ولا يقيه احتراسه، قرب مُتَّقِي الموت
 في الحرب وقد أرسلت السهام، ففتر عن الحايض؛ ولو وقف له لم يضره؛
 ويعمل إلى النافذ؛ فيقتله؛ وهو في كل ذلك مُعْرِفٌ بيد القدر.

— ١٣٨ —

دوله ايضا :

(فَلَا قَفَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَحْتَقُ مِنْ رُعِيهِ)

يقول: إن اللوت قَدَرٌ محتموم؛ وقضاء مجزوم؛ وسواء فيه الشجاع؛

والجبان الفزاع ؛ فإذا كان الأمر كذلك ؛ فالجزع ملوم ؛ والجبان مذموم .
 فمن الحق أن يدعى على الطالب الشديد الهيبة ؛ ألا يظفر من حاجته إلا
 بالغبية . والجلبة التي هي قوله : (وفؤاده يخفق من رعبه) : في موضع الصفة
 لطالب . و (طالب) : صفة وضعت موضع للوصوف . وحسن ذلك ؛ لأنه
 قد قرن بالصفة ؛ فصارح الاسم .

وإنما في (رعبه) : إن شئت رددتها إلى طالب ؛ وإن شئت إلى قوله :
 (فؤاده) . والبيت مشتمل على الهداء على كل من إذا رام الإقدام ؛ وأورثه
 الجبن الإجمام .

(حاشاك أن تضعف عن حمل ما تضمن السائر في كتيبه)
 أي حاشاك أن تضعف عن احتمال ما قدر القبيح الوافد بالنمى على احتماله ؛
 أي إذا كان القبيح (وهو الرسول على قدميه) يقول : جاء على احتماله في
 كتيبه ؛ وهو متكلف مع ذلك رجله ؛ وعادم رجليه ؛ فأنت أحببى باحتماله .
 على ترك استهواله .

— ١٣٩ —

وقال أيضا :

(وقيدت الأيل في الحبال)

الأيل : اسم للجنس ؛ وأنت على معنى الجماعة ؛ وقد يجوز أن يكون .
 (أيل) على اعتقاد ضمة مجتلبة للجمع ؛ كما ذهب إليه سيدي به في دلاس وهيجان :
 وقد أثبت الأيل واشتقاقه ووزنه وتسكيره ؛ وما فيه من اللغات ؛ في كتابي
 للوسوم (بالحكم) .

(وأوفت القدر من الأوعال)

الأوعال : شياخ الجبال ؛ والقدر : التسان . يجوز أن يكون جمع قدور ؛

فالأصل على هذا (قُذِر) إلا أن يفي تميم يسكنون ثالي الضرب استخفافاً .

ويجوز أن يكون جمع فاجر ، كمائد وعُود ، لأن سيوبه قد اعتد (يفْعَل) بناء من ابنية تكسير (فاعل) .

(مُرْتَدِيَاتٍ يَقِيءُ الضَّالِ)

يعني مرونها . شبهها في انطافها يَقِيءُ العرب ، وهي تتخذ من الضَّال وهو السَّدْرُ الْجَبَلِيُّ ، أَلَيْهُ مُنْقَابَةٌ عَنْ يَاءٍ . وذكر بعض متأخري أهل بئداد أنه وَجَدَ بِحِط (جعفر بن دِحْيَةَ) ، رجلٍ من أصحاب ثعلب . (الضَّال) مهوراً ، فاشتقه ذلك البغدادي حينئذ من الضَّالَّة ، وذلك لأن الجَبَلِيَّ منه أَقْلُ رِيّاً ونَمْعَةً مِنَ الْمَائِيَّ ، وذلك قال البغدادي :

ثم وجدته بخط أبي إسحاق ، (يعني إبراهيم بن السَّريِّ الزَّجاج) : أَضْيَلُ الْمَكَانَ : أَتَيْتُ الضَّالَ . فإذا كان كذلك ، فلا أثر لهمز في الضَّال ، ولا طريق إليه . وإنما هو كتب ، فعما البغدادي حينئذ ضبط جعفر ، وعَوَّل على خط أبي إسحاق .

(وَوَدُنَ نَحْتِ أَتَقَلِّ الْأَتَقَالِ)

قيل : الجبال ، وقيل : الْقُرُونُ . فإِنْ قُلْتَ : فإنه لم يُؤَدِّ بقرن ، فتقول : إنه عَنَى (بِأَتَقَلِّ الْأَتَقَالِ) الْقُرُونُ ؟ قلنا : إِنْ لم يُؤَدِّ بِالْقَمَلِ مَعَهَا ، فإنه مولود مَعَهَا بِالْقُوَّةِ ، لأن نبتة القرون للأنواع اللغواورة عليها ، خِلْقَةٌ طَبِيعِيَّةٌ ، فلا بُدَّ من خروجها إلى الفعل :

(قَدْ مَقَمَّتْهُنَّ مِنَ التَّقَالِ)

أَي تَشَابَكَتِ الْقُرُونُ عَلَى رُمُوسِ الْأَيْلِ ، حَقَّ لَوْ حَاوَلْتَ التَّقَالِي ، مَقَمَّا اشْبَكَتِ قُرُونُهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى رُمُوسِهَا .

(لا تُشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ)

أى أن القرون لا يلحقها سَمَنٌ ولا هُزَالٌ ، كما يلحق الأبدان ، لأنها ليست متصلة بلمع ودم ، ولا هي في ذواتها كذلك . ولو اتزن له ألا يُشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي السَّمَنِ وَالْهَزَالِ ، لكان أقصد بالحقيقة ، ولكن السمن والهزال عرضان ، في الجسم متقابلان ، فإذا اتقى أن يشركها في الهزال ، اتقى أن يشركها في السمن ، فاكفى بأحد الضدين من صاحبه

(إِذَا تَنَفَّضْتَ إِلَى الظَّلَالِ رَأَيْتَ فِيمَا أَشْتَعِ الْأَمْتَالِ)

أى إذا رأيت الأيائل ظلال قرونها ، استبشعتها وهالتها .

(كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلالِ زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَالِ)

يعنى القرون صاحبها ذليل . فيقول : كأن هذه القرون إنما خلقت لتدل على على ذلة الأوصال ، كما خلقت للقرنان ، وإن كان لاقرون له . وإنما هو تمثيل . وقوله : زيادة في سبة الجهال : أى أن الجهال يتشامسون كثيراً بالقرون ، ويكنون أحدهم بأبى القرون .

(نَوَاحِيسَ الْأَطْرافِ لِلْأَكْفَالِ)

أى طالت القرون منها ، حتى نَفَضَتِ الْأَكْفَالِ بِأَطْرافِها .

(يَكْكَدْنَ يَنْفَعُذْنَ مِنَ الْأَطَالِ)

الآطال : الخواصر ، واحدها : إطل ، وإطل . وقد قيل : الإطل وضع ، والإطل : فرع . يقول : في القرون شُعَبٌ تكاد تنفذ الخواصر ، حِدَةً واعتراضاً . وأراد : يَكْكَدْنَ يَنْفَعُذْنَ مِنَ الْأَطَالِ ، فزاد (مِنْ) على رأى أبى الحسن ، لأنه يرى زيادتها في الواجب ، وسيبويه لا يرى زيادتها فيه .

ويعجز أن يكون أراد من الأطلال إلى الأطلال ، أى من الميمن إلى الشمال
وبتقيض ذلك .

(شَبِيهَةُ الإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ)

أى فى وجوهها من لحاها ما يشبه أذناها ، قد تشابه القُبُلُ والذُبُرُ ،
وقيل : يريد عموم قرونها ، لظهورها باللعطف عليها إلى أذناها ،

(فى كُلِّ كَيْدٍ كَيْدَى نِصَالِ)

كَيْدُ النِصْلِ ما بين عَيْرَيْهِ . أى فى كل كبد أيل ووعيل من هذه
الوحش المتقطعة كبدًا نصال .

(فَهَنْ يَهْوِينَ مِنَ الْقِلَالِ)

(مَقْلُوبَةُ الْأَغْلَافِ وَالْإِرْقَالِ)

أى هذه الأيائلُ والأوعالُ يَهْوِينَ من قِلَالِ الجبال ، وهى أعاليها ،
منمكسة أغلافها وأنايبها على أجسامها .

(فَكَانَ سَبَبُ التَّرْحَالِ)

(تَشْوِيقَ إِكْثَارِ إِلَى إِفْقَالِ)

أى أكثرنا من التنصص حتى مَلْنَا ، وشوقنا الإكثارُ إلى الإقلال ،
فكان ذلك سبب الترحال عنها . (فن) : متعلقة بالترحال للقدر قبلها ،
ولا تكون متعلقة بالترحال الظاهر لأن (عن) حينئذ من صلة للمصدر ، وما كان
من صلة للمصدر لم يتقدم عليه ؛ وجعل (سبب الترحال) اسم كان ؛ لأنه معرفة
و (تشويقَ إكثار) . خبرها ، لأنها نكرة ، فاليبت مضمّن .

وقال سيبويه : أكثرت ، جئت بكثير ، وأقلت ، جئت بقليل فأما
كثرت وأقلت ؛ فجعلته كثيراً وقليلًا .

(وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ لَأَيْتَا طَمَعْتَ بِاللَّالِ)

(الْإِلَال) ، الحراب . واحدها ، (آلة) ، وذلك ليريقها ولتماسها .
أل الشيء يؤله ألا : يرق . أى لو جعلت مكان الحديد والحديد لؤلؤا
فعلت به من القتل ما فعل الحديد ، لأنك مؤيد منصور .

وقيل : أراد ولو جعلت مكان أصحاب الحراب من جيشك صواحب
الخلي لقتلت بهم عداك ، لأن السعد والبأس إنما هولاك . وأراد (طمعت
باللآل) ، فأبدل الهمزة إبدالا تخففاً ، ليس على التخفيف القياس ، وإن
كان مثله فى اللفظ . وإنما أبدل إبدالا كلياً غير قياسى ، لكان
الوصل ، لأن التخفيف القياسى فى نية التخفيف . والهمزة المخففة لا يوصل
بها ، فكذلك المخففة التى فى نية المخففة لا يوصل بها . وقد بينت ذلك غير
دُفْعة فى هذا الكتاب ، وفى غيره من كتبى . وإنما أهدته لظرافته ودقته ،
وأنه لا يفهمه إلا الدرب . فمن أنس به أحبه ووالاه ، ومن نافره قلنا فيه ؛
من جهل شيئاً عاداه .

— ١٤٠ —

وله ايضا :

(مَنَانِي الشَّمْسِ طَيْباً فِي الْمَنَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ)

يعنى بالشعب : شعب بؤان وكان فى طريقه إلى شيراز ، مر به فأعجبه .
يقول : فهذه المنانى فى حُسْنها بمنزلة الربيع فى أرباع السنة . أى أن هذه المنانى
أطيب المنانى وأعشها كما أن الربيع آتق أرباع الزمن وأخصبها .

جل هذا المكان فى جملة الأمكنة بمنزلة الزمان ، أعنى الربيع فى جملة
الأزمنة ، وهذا من عجيب الاقتران ، أعنى تمثيله للمكان بالزمان .

(وَلَيْكُنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الرَّجُلِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ)

بَوَّان هذه ؛ في بلاد فارس ، ولا عرب هناك إلا غُرَبَاء ، فكفى بخرابة
الأعضاء عن قرابة الجملة . وقيل ؛ غريب الوجه ، أن ألوان العرب الأدمية ،
وأهل فارس بيض ، وأما غربة اليد قليل ؛ لأنه عني به الخط ، ولا يُعْجَبُنِي ،
إِنَّا عَنَى به الجود ، والجود للعرب . وأما اللسان فلأنهم أطعم ، والتفسير الأول
هو الصحيح ، أعنى أنه لا عرب هناك إلا قليل .

(إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهَا أَغَانِي الْقِيَانِ)
أى أنها أرض طيب ورطامية ، واحتدال هواء ، فإذا غنى الحمام
فيها ، جاوبتها القيان طرباً إليها ، أى أن أهلها لا يتركون اللهو .

(وَمَنْ بِالشَّمْسِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَنَى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ)
أى أن أهل بَوَّان أعاجم ، لا يُفْصَحُونَ ولا يُوضِّحُونَ ، كما أن الحمام
كذلك . وجعلهم أحوج إلى البيان من الحمام ، مبالغة وإفراطاً في السلام ،
إذ يوجد لفناء أهل بَوَّان تَرْجَان ، لأنهم أناسي .

(وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَضْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفًا مِمَّا مُتَبَاعِدَانِ)
أى هؤلاء الأعاجم في قلة الايضاح ، وعدم الافصاح ، كهذه الحمام ،
وإن اختلف نوعاها فهما متباعدان بالنوع ، وذات الجوهر ، متقاربان في
عدمهما البيان .

ويمحتمل أن يزيد أن الإنسان يقرب للوصوف بوصفه له ، حتى لكأته
حاضر ، ولكنه يبعد لعدم إحاطته بجميع أحواله ، وغرائب أفعاله .

(وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي يُثْيَانِي دَنَائِدًا تَقَرُّ مِنَ الْبَنَانِ)
يصف شيب بَوَّان ؛ وهي مدينة معروفة في طريق شيراز . والشعب :
الطريق في الجبل . والشرق : الشمس . يقال ، طلعت الشرق ، ولا يقال

غلب الشرق ، فيعني أن شجر هذا للموضع أشيب مُلْتَفٌ ، ضيق إخصاص ،
وهي الشَّيْبُ التي بين الورق ، فإذا طلعت الشمس تحطت أضواؤها خلال
الورق ، مستديرة كالذنانير من الذهب ، في الشكل واللون ، إلا
أنها إذا حَلَّتْ الكَفَّ ، فهَمَّتْ بالقبض عليها حال ظِلِّ البنان بينهما ،
واعترض دون ما في باطن الراحة من أشكال الضوء . وقد قدمت الفرق بين
تشبيه إياها بالذنانير هنا ، وبين تشبيه إياها بالدرام في قوله :
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرَجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَامِ
عند تفسير ذلك البيت . وقوله : (منها) أراد من نفسها ، وصرف
(ذنانير) للضرورة .

(يَمِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَيَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانٍ)
أى أنه إذا رأى أضيافه نازلين به ، فرح تقويت ذاته ، وإذا رآهم
راحلين ساء ذلك ، فضعف منه ما قوى .

فلى هذا القول ، تكون الشجاعة والجبن قلب هذا الممدوح . وقد
يجوز أن يكون ذلك لأفئدة الضيفان ، أى أن الضيف إذا نزل به وهو
زاهد في الحياة ، غير فرّق من اللوت ، لما لحقه من الكد والجهد ، فرأى
مالئى أبى شجاع من خصب الكنان ، ولين أخادع الزمان ، والخنقض
والأمان ، رافه ذلك ، فأحب الحياة ، وكره الوفاة ، بمكس ما كان عليه .

(دَعَتْهُ بِمَفْرَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهُ لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكَرٍّ أَوْ عَوَانٍ)

المفزع : المستنث . ودعته : سَمَّته . فيقول : دعته هذه الدولة عضد
الدولة ، لأن الأعضاء إنما تدفع عن نفسها بالعضد ، وهي حاملة اليد ، فكذلك
هذه الدولة ، لما وجدت مفزع أعضائها بالعضد ، دعته عضدًا . قوله :

(بَفَرْعَ) في موضع للمفعول الثاني؛ لأن هذه (دَعَوْتُ) التي بمعنى سَمَّيْتُ .
قول : دعوته زيداً ، ودعوته يزيد ، كقولك سميتته إياه ، وسميته به .

قال سيبويه حين ذكر هذا النحو . وكذلك دَعَوْتُهُ التي تَجْرَى مَجْرَى
سَمَّيْتُهُ ، يعني أنها تسمى إلى مفعولين : كما يعمد سميته إليهما . قال :
فإن أُرِدَتْ النِّعَاءُ إلى أمر ؛ لم تجاوز مفعولاً واحداً . يعني نحو التي في
قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ : وكقوله سبحانه :
﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَا﴾ وقوله : (ليوم الحرب) . أى إلى يوم
الحرب . (يَكْرِ أَوْ عَوَانِ) : يدل من الحرب . وقد يَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ بقوله :
(بَعَضُ الدَّوَلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ بِنَعِيرِ ذِي عَصَاكِ يَدَانِ)

اليدان : إما أن يكون هما الكفَّين ، وإما أن تكون القوة . حكى سيبويه :
لا يَدِينُ بِهَالِكٍ ، لم يَنْ (ثنية اليد) ، فني الجارحين ؛ ولكنه نقي
القوة . وأراد : (لا يَدُ بِهَالِكٍ) ، فوضع الاثنين موضع الواحد الدال على
الكثرة ؛ فدلَّت الثنية من الشيع على ما يدل عليه الواحد الدال على الكثير
أعنى المنفى بلا ؛ لأن ذلك الواحد متفرق للنوع المنفى بها .

وقد تبيىء الثنية تدل على الكثير . أنشد الفارسي للفرزدق :

وكلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ

ونظيره قوله تعالى في صفة السماء : ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٣)
ثم ارجع البصر كرّتين .

(فَكَرَّرْنِ) في موضع كَرَّاتٍ . والدليل على ذلك قوله : ﴿يَنْقَلِبُ
إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ . فلو أمره أن ينظر في السماء كرّتين فقط ؛
فنظر مرتين ، لم يرجع البصر خاسئًا وهو حَسِيرٌ ، لأن البصر لا يَحْسِرُ من

رَتِين ، اِنما يَحْسِرُ من مرّات . هذا تفسير الفارسي ، بعد أن أُعْلِمَ فيه اِنعام
 الْفِكْرُ ؛ وَقَدَّرَ ما فيه من وراء علوة الجِشْرِ .

(كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاحِمِ فِي النَّامِيِّ كَسَى الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيَقُطَانِ)

ريش الحَيَقُطَانِ : واحمر . والنامي : خُصَلٌ من الشعر . يقول : جرى
 الدم في عناصيهم فاخضبت فاحمرت ، ثم تَمَزَقَتْ شعورهم في الْمُعْتَرَكِ ، وأطارتها
 الريح على الأرض ؛ فكأن النامى الحمرة للتمزقة ريشُ هذا الدوع من
 الطير . وجعل الدم هو الذى كسا الْبُلْدَانَ ، ذلك ، لأنّه لولا الدم لم يُشَبَّه
 المنصورة ريشُ الْحَيَقُطَانِ . و (في النامى) . ظرف في موضع الحال ؛ أى
 مستقرّاً فيها .

(وَكُنْ أَبْنَا عَدُوٍّ كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأَى حُرُوفِ أَنْيْسِيَانِ)

أَنْيْسِيَانِ : تصغير إِنْسان ، وهو أكثر حروفاً من مُكْبَرِهِ ، لكن
 تلك السكثرة مُشْيرة بقلة ، فلا غناء لهذه الزيادة التى فيه ، لما يلحقه من التصغير ،
 وبيعة التصغير . فهو يدعو لفتناخُسرَ ، فيقول : لا كاترك مَلِكٌ مائدين
 إلّا كانا له كالياءين اللتين في (أَنْيْسِيَانِ) ؛ وكلتاها زائدة ؛ لا غناء لهما .
 وأيضاً فإتيهما للتحقير : الأولى للتصغير حقيقة ، والثانية لاتلحق إلا مع
 ياء التصغير ؛ فعلى بمتزلتها فى الدلالة على التصغير . فلذلك قلت لئنيما
 جميعاً للتحقير ، ولم أعْنِ أَنْ ياء (أَنْيْسِيَانِ) الأخيرة من جوهر التصغير ؛
 كيف يكون ذلك وهذه الياء خامسة ؛ أعنى ياء (أَنْيْسِيَانِ) الأخيرة ؛
 ويا التصغير لا تكون أبداً إلا ثالثة . و (أَنْيْسِيَانِ) من شاذ التصغير .

- ١٤١ -

وله أيضا :

(فَدَى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِذَنْ إِلَّا فَدَاكَ)
 (فَدَاكَ) يحتمل أن يكون ضللاً ، واسماً .

(وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعْوَانَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ)
 'أى أنه لا يساويك أحد ، فلو قلنا : فِدَى لك مساويك ، لكان
 كقولنا : فِدَى لك لا أحد ، وقاليه : داخل فى ذلك .

(وَأَمَّا فِدَاكَ كُلِّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَلَكَةٍ مَلَاكَ)
 أى لو اشترطنا فى فداك المساواة ، لأمن كل أحد أن يكون لك
 فداء ، وإن كان ملكا ، لأنه مع مُلْكِهِ وَمِلْكِهِ مُقَصَّرٌ عن مساواتك .
 (وَمَنْ يَظُنْ نَزَّ الْحَبُّ جَوْداً وَيُنْصِبُ نَحْتَ مَا نَزَّ الشُّبَّاكَ)
 أى وفِدَى لك من أعطى وغرضه أن يستجيرَ فائدة فاضلة بطلانه ،
 بمنزلة القناس الذى يلقى الحَبَّ للطير ، وقد نصب الشبكة تحته لاختناصها
 فلا يبنى أن يحمى على ذلك ، لأنه ليس جوداً فى الحقيقة ، إنما هو
 دعاه إلى مُلْك .

وهذا مثل ضربه لمن طلب من الشكر أكثر مما يوجب له نداء
 والشُّبَّاكَ جمع شبكة كرقبة ورقاب ، وَرَحْبَةٌ وِرْحَابٌ .

(أَتَرَكْنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي فَتَقَطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشُّرَاكَ)
 أى بكوني فى إحاشيتك ، واعتدادي فى صافيتك ، شَرُفْتُ وعظمت
 حتى عدت كأن عين الشمس نعلي ، فإذا فارقتك ، كنت كمن مشى
 بهذه النعل ، فاقطع شيراكها فسقطت ، فكان اختلال جزئها ،
 سبباً لعدم كلها .

وإن شئت قلت : كسافى قصلك شرفاً ، صارت به عين الشمس
 لى نملاً فإذا بعدتُ عنك ، أخطتُ ببعض ذلك الشرف ، لا بكُلِّهِ ،
 فكأنى قطعت الشُّرَاكَ الذى هو بعض النمل ، فجعل الشرف كمين

الشمس ، وجعل فراقه لعُضد الدولة المشي فيها ، وجعل بعده عنه بمنزلة
 انقطاع الشراك ، الذى هو سبب الإخلال بالنقل ، ولم يتوقع فى كل
 ذلك إخلالاً كلياً ، لأنه كان مُزَمِّعاً للمودة إليه . ألا تراه يقول :

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ

وقوله : (فَتَقَطَّعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ) : نصب فيه (تقطع) ،
 لأنه جواب الاستفهام ، والكلام متضمن معنى الجزاء . أى إن تتركى
 أسيرٌ وقد اتممت بعين الشمس ، قطعت مِشْيَتِي شِرَاكَ نِلى .

وإن شئت رفت على القطع ، أى فإنها تُقَطَّع ، ولا يكون عطفاً
 على « أتتركى » لأن قَطَعَ مِشْيَتِي شِرَاكَ النمل ، ليس داخلاً فى حدِّ
 الاستفهام ، ومعنى هذا الاستفهام الإنكارُ والتقرير ، أى كيف تتركى
 على ما أنا به من رأى ، وأنت تعلم أن الذى أنا عليه من ذلك سَفَهٌ ..
 (قد استشفيت من داء بداءه وأقتل ما أهلك ما شفاكاً)

الداء المستشفى منه : تشوقه إلى أهله أيام كونه بشيراز ، وأهله
 بالكوفة ؛ والداء المُسْتَشْفَى به من ذلك الداء : فراقه للملك . فيقول
 أما الآن حين أزمعت الإياب إلى أهلك ، استشفيت من داء الشوق
 بفراق هذا الملك ، وفراقك إله أعوذُ عليك بالآلم . (وأقتل ما أهلك
 ما شفاكاً) ؟ أى أقتل ما أهلك الآن ، فراقك لأبى شعجاع ، على أنه قد شفاك
 من شوقك إلى أهلك ، فكأن اشتيتك كالمرض ، ومزاولتك لهذا الملك حين
 أزلت شوقك كاللوث المذهب لآلم المرض ، وهو أشد من آلم المرض .
 ثم يُعْرِجُ قوله (وأقتل ما أهلك ما شفاكاً) على طريق السوم ،
 فيصير مثلاً ، كقوله :

أَرَى بَصْرِي قَدَرَا بَنِي بَدَا صِيحَةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِيحَ وَتَسْلُكَ
وَكَذَا : ١

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِيحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ
وَمَوْضُوعٌ يَتِ الْمُنْتَهَى أَوَّلِي .

(وَأَنَّ الْبُحْثَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْصَى الْمَذْفَرَةَ الْكَكَكَ)

الْبُحْثُ : جَمْعُ بُحْثَةٍ ، حَذَفَتْ يَاءُ النِّسْبِ فِي الْجَمْعِ ، لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ
التَّائِيثِ ، فِي أَنَّهَا دَاخِلَةٌ عَلَى الْأَسْمِ بِدَوْنِهَا ، أَلَا تَرَامُ ظَلُّوا ثَمَرَةً وَتَمَرٌ ، وَخَلَّةٌ
وَتَحْلٌ . (وَيُعْرِقَنَّ) : يَأْتِيَنَّ الْعِرَاقَ . وَ (أَنْصَى) : أَهْزَلَ وَ (الْمَذْفَرَةُ) :
الْمَقَامُ . أَخْبَرَ عَنْ جَمَاعَةٍ مَا لَا يَمْتَلِكُ بِشَكْلِ الْوَاحِدِ . حَكَى سَيِّبُوهُ عَنْ الْعَرَبِ :
الْجَالُ ذَاهِبَةٌ وَذَاهِبَاتٌ . وَلَا أَقُولُ (الْمَذْفَرَةُ) هَاهُنَا وَاحِدَةٌ ، لِأَنَّ تَدْوِي
فَنَاحِشَرَّ عِنْدَهُ ، أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَصِفَهُ بِأَنْ تَسْقُلَ بِهِ نَاقَةٌ وَاحِدَةٌ . وَاللَّكَّكَ :
الْأَيْتُقُ الشَّدَادُ ، وَهِيَ اللَّحِيَّةُ أَيْضًا هُنَا . حَكَى سَيِّبُوهُ : نَاقَةٌ لِكَّكَ ، وَأَيْتُقُ
لِكَّكَ . وَالْقَوْلُ فِي هَذَا ، الْقَوْلُ فِي دِرْجٍ وَلَا صَ وَأُدْرِعُ دِلَاصَ . قَانَ السَّكْسَرَةُ
الَّتِي فِي الْجَمْعِ غَيْرَ الَّتِي فِي الْوَاحِدِ ، وَالْأَلْفُ غَيْرَ الْأَلْفِ . وَقَدْ أَعَدْتُ هَذَا الْقَوْلَ
مِرَارًا لِأَوْنَسَ بِهِ الْمُسْتَوْحِشَ ، فَأَنَّى رَأَيْتُهُمْ عِنْدَ تَقْسِيرِهِ لَهُمْ دَهْشِينَ . وَلَوْ
فَهَمُوا كَلَامَ سَيِّبُوهُ ، أُنِسُوا إِلَيْهِ .

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : (الْكَكَكَ) . وَفَسَّلَ : مِنَ الْجَمْعِ الْعَزِيزُ ؟ إِلَّا أَنْ لَه
نَظَائِرُ جَمَّةٌ ، كَعَرَقٍ وَعِرَاقٍ ، وَثِنْيٍ وَثَنَاءُ . وَقَدْ ذَكَرَ سَيِّبُوهُ وَأَهْلُ اللُّغَةِ
مِنْهُ حُرُوفًا جَمَّةٌ . وَعَلَيْهِ وَجْهُ الْفَارِسِيِّ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ (إِنَّا بِرَأْيِكَ مِنْكُمْ) .
قَالَ : هُوَ جَمْعُ بَرِيٍّ كَغَفِيرٍ وَفُرَارٍ ، يَعْنِي وَلَدَ الْبَقَرَةِ . وَجَمَلُ بَعْضِهِمُ الْفَرَارُ
لُغَةٌ فِي الْبَرِيرِ . وَنَظَائِرُهُ عَرِيضَةُ أَرِيضَةٍ .

ومعنى البيت : وَلَيْتَ النُّومَ حَدَّثَ هَذَا الْحُبُوبَ الَّذِي يَرِيهِ إِلَيَّ فِي
النُّومِ حُبِّي لِي ، وَتَوَحُّشَهُ نَحْوِي ، أَنْ الْبُخْتُ لَا تَبْلُغَ بِنَا الْعِرَاقَ حَتَّى يُنْفِضِيهَا
أَوْ يُفْنِيهَا مَا تَحْمِلْتُهُ مِنْ نَدَاكَ ، لثَقُلَ مَا حَمَلْتَهَا إِلَيَّ ، مِنْ الْبُدُورِ وَالْعَلَمِ .
وهذا نحو قول أبي التماهية يصف الإبل ،

فَإِذَا وَرَدَنَ بِنَا وَرَدَنَ مُخَفَّةً وَإِذَا صَدَرَنَ بِنَا صَدَرَنَ تَهْلَا
والضمير في (أنضى) : راجع إلى الندى في قوله : (فليت النوم حَدَّثَ
عَنْ نَدَاكَ) .

(وَكَمْ طَرِبَ السَّمِيعَ لَيْسَ يَذَرِي أَسْجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ عَلَاكَ)
(وَذَاكَ النَّشْرُ عَرَضُكَ كَلَنْ مِسْكَ وَذَاكَ الشَّعْرُ قَهْرِي وَالْمَدَاكَ)

أي طرب السامع لاستماع شعري ، ليس يذري أي الأمرين أولى بالعجب
منه ، أجودة شعري فيك ، أم رفعة علاك في ذاتها ، لأن شعري متناه في نوع
الشعر ، وعلاكَ متناهية في نوع العُلَى ، قد تساوى في السبق والفضل . ولولا
البيت الذي بعد هذا ، لمدُّ جَفَاءً مِنَ التَّنْهِ ، لتسويته شعره في نوعه بعلا الملك
في نوعها ، لكن حَسُنَ ذَلِكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي ارْدَفَهُ بِهِ ، فيقول : الأريج الذي ذاع
وشاع لشعري ، وإنما هو لمرضك السلم الكريم ، فإن عرضك هو المسك الذي
إنما طبعه الطيب لذاته لا شعري . وإنما شعري هو بمنزلة الفهر
والندك ، الذين يُظْهَرَانِ فَوْحَ الْمِسْكِ ، وينشران نَشْرَهُ ، لأن المسك إذا
سُحِقَ كَانَ أَسْطَعَ لَعَرَفِهِ ، وَأَشْيَعَ لِقَوِّهِ .

وأما شعري فلم يك له في ذاته طيب ، إنما كان كآلة للطيب ، ألا ترى
أن آلة الطيب ليس في طبيعتها فَوْحٌ ، إلا بحسب ما تعلق بهذا من الجوهر الذي
صُرِّفَ فِي صِنْعِهِ . وقوله (ذَاكَ النَّشْرُ) : ذَاكَ مَبْتَدَأُ ، والنشر صفة له ،
وعرضك : خبر المبتدأ . وأراد : وَذَاكَ النَّشْرُ نَشْرُ عَرَضِكَ .

هذا إن عني بالعرض الإثاء ، والثبات ، لأنها جواهر ، والنشر عرض ،
 فلا يخرج عن العرض بالجواهر . فلذلك احتجنا إلى تقدير حذف المضاف ، كما
 احتجنا إليه في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ وذهب سيدي به
 إلى أن التقدير : (ولكن البر بر من آمن بالله) ، أي إيمان من آمن بالله
 لأن (البر) عرض ، و (من آمن بالله) : جواهر ، فقدّر الحذف مضافاً ،
 ليخبر بالعرض عن العرض .

قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون التقدير ، ولكن أهل البر من آمن
 بالله ، وذلك لتقابل الجوهر بالجواهر لأن أهل البر جواهر ، و (من آمن بالله) كذلك
 فيخرج إلى باب (هو هو) لأن أهل البر هم المؤمنون بالله ، وإن جلت العرض
 هنا المتجدد وسائر أنواع الفضائل ، لم يحتج إلى حذف المضاف ، لأن النشر
 والمجد كلاهما ليس بجواهر (وذلك الشعر قهري والمداكا) : أي وكان
 ذاك الشعر . وقوله (كان منكاً) إلى آخر البيت : تفسير قوله : (وذلك
 النشر عرضك) . والمداك : صلاية العطار ، دُكْتُ الشيء دَوْكاً : دقته
 وكان القيلس (مدوكاً) : لأن بناء ما يقتل به (مِفْعَل) ، لكنه شدّ كما
 [لشدّ المُسَطَّ وأخواته ، وإن اختلف بناؤها ، قد التقيا في الشذوذ .

(فَلَا تَحْمَدُهَا وَاحْتَمِدْ مُهَامَا إِذَا لَمْ يُسْمَرْ حَامِدُهُ عَنَّا كَا)

أي لا تحمد الفهر والمداك اللذين عنيت بهما شعري ، لأن حقيقة الطيب
 ليس لهما ، فلا يستحقان شيئاً من الحمد ، وإنما ينبغي لك أيها الملك أن تحمد
 نفسك التي اقتنت المساعي ، وأثبتت المال ، بلستعداء القوافي ، والثناء الواقف
 ويعنى بالهمام نفس التملك .

وقوله : (إِذَا لَمْ يُسْمَرْ حَامِدُهُ عَنَّا كَا) : الهاء راجعة إلى الهمام ، وأخبر عنه

كما أخبر عن النائب ، لأنه قد أخرجه ذلك المخرج لقوله (واتخذهُمَا)
 فلم يكن بُدٌّ من أن يعيد إلى الموصوف ذكرًا من صفته ، لأن قوله (إذا لم
 يُسمَّ حامده) في موضع الصفة (لهما) ، وأراد إذا لم يُسمَّ حامده ، وإذا
 لم يُسمَّ حامده محمداً ، فلانما يَمُنِيكَ .

وإن شئت قلت : معناه : لو لم يُسمَّ الحامد لعناك ، والقولان متقاربان
 والمعنى مشتق من قول أبي نواس :
 ،

إذا نحن أثنينا عليك بصلحٍ فأت كما تُثني وفوق الذي تُثني
 وإن جرت الألفاظ يوماً بيدحةٍ لنبرك إنساناً فأت الذي نثني
 ولو قال : (إذا لم يُسمَّ حامده عناءٌ) كان حسناً ، ولكنه حمله على
 المعنى ، لأن المراد في كل ذلك الخطابية .

(أخرُّهُ شَمَائِلُ من أبيه عَمَّا يلقى بَنُوكَ بها أباً كآ)

أى قد أخذت شبه أبائك ، صورةً وفعلًا ، وببوك يستكملون شبهك
 لأنهم الآن يشبهونك بمضى الشبه ، إذ لم يستكملوا خصالك ، فإذا
 استكملوها أشبهوك ، وإذا أشبهوك وأنت تشبه أباك ، فقد أشبهوا أباك . وهذا
 يتألف في الشكل الأول من المنطق . قول : زيد يشبه عمروً وعمرو يشبه
 خالداً ، النتيجة : فزيد يشبه خالداً .

(وفي الأحبابِ مُختَصُّ بوجِدٍ وآخِرُ يدعى مِمَّا اشتراكاً)

يُسمى إلى أن وجده لفراق عضد الدولة طيبي لا عَرَضِي ، وإن كان
 غيره يدعى مثل ذلك ، فليس كذلك .

(إذا اشتبهت دُمُوعاً في خُلودٍ تبين من بكى بمن تباكى)

(بكى) : كناية عن الطبيعي ، و (تباكى) : كناية عن العرضي ،
لأن التفاعل قد يأتي لغرض ، لإظهار خلاف ما الأمر به في الحقيقة .
أنشد سيبويه :

إذا غازرت وماي من خزر

قوله : وماي من خزر دليل على ذلك . أى : إذا اشتبهت الموع
في الحدود ، بما هي عليه من التملان ، وسرعة الجريان ، لم يك هلاك
بد من فصل يُميز بين العرضي والطبيعي .

وهذا آخر ما انتهى من الشرح المبارك

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/٥٣٦١

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ١٨٥ ٢

طابع الحبّة المصرية العامة للكتاب

١٥٠ قرشا